المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات

مجلة علمية دولية محكمة، تصدر دورياً كل شهر، تصدر في المملكة الأردنية الهاشمية

www.ijrsp.com

المجلد الثاني

الإصدار التاسع عشر

تأريخ النشر : 20 – أيار – 2021م

ISSN : 2709-7064

اللجنة العلمية:

أ.د. هناء محمود نايف الفريحات

د. نايف بن ناصر ابراهيم المنصور

د. هيفاء مصطفى يوسف الزيادة

أ.د وليد محمد أبو المعاطي

د. حيدر محسن سلمان الشّويلي

د. حنان عبد الغفار عطية ابراهيم

د. عبد الفتاح شهيد

أ.د جمال رجب عبد الحسيب

د. توفيق عطاء الله

د. أماني أبوزيد

د. إخلاص محمد عبد الرحمن حاج موسى

د. عبد الوهاب علي مؤمن علي

د. محمد غلبان

فهرس العدد:

No	عنوان البحث	اسم الباحث / الباحثين	الدولة
1	الإطار القانوني للمصنف المشترك في تشريعات دول مجلس التعاون الخليجي	الدكتور/ أحمد رشاد أمين الهواري	مملكة البحرين
2	صحافة الحروب (تأثير برنامج "الصحفي المرابط" على أخلاقيات العمل الصحفي)	الدكتور/ عبد الناصر بن أحمد بن عبد الله العبري	سلطنة عُمان
3	The Role of Entrepreneurial Marketing in Developing Economic Countries (Saudi Arabia Case Study for SME)	Jwdah Farouq Bati, Meshary Mohammad alfaqeih, Sami Abdullah Albishri, Mowffaq Oreijah, and Tahar Lazhar Ayed	Saudi Arabia
4	الدعم الاجتماعي المُدرك وعلاقته بإدمان الإنترنت لدى المراهقين	الباحثة/ هنادي بنت يحيى غالب جيلان، اشراف الدكتورة/ ذكية أحمد عامر أحمد	المملكة العربية السعودية
5	ترجمة معاني القرآن بين التشدد العنصري والمغالطات المغرضة	الباحث/ اجديرة يّس	المملكة المغربية
6	أخبار الجريمة في الصحافة العمانية (دراسة تحليلية لمضمون عينة من الصحف العربية اليومية خلال عام 2018)	أ.د. حسني محمد نصر، أ. خالد بن راشد بن محمد العدوي	سلطنة عُمان
7	محددات جودة المراجعة الداخلية وأثرها على اعتماد المراجع الخارجي على وظيفة المراجعة الداخلية (دراسة ميدانية في بيئة الممارسة المهنية السعودية)	الباحث/ ناصر مفرج البلوي،	المملكة العربية السعودية

8	التدين الشعبي بقبائل شمال المغرب "دراسة سوسيو أنثروبولوجية ميدانية" (قبيلة أنجرة أنموذجا)	الدكتور/ محمد قروق كركيش	المملكة المغربية
9	أحكام شعر الرأس والوجه في الفقه الإسلامي	الباحث/ وليد بن محمد بن جليوي الرفاعي	المملكة العربية السعودية
10	المقاصد الشرعية الاقتصادية، والاجتماعية لتوثيق الديون	الباحث/ محمد بن علي بن أحمد المسعودي	المملكة المغربية

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار التاسع عشر
تأريخ الإصدار: 20 مايو 2021م

الإطار القانوني للمصنف المشترك في تشريعات دول مجلس التعاون الخليجي

The legal framework for the joint work in the legislation of the countries of the Gulf Cooperation Council

إعداد الدكتور/ أحمد رشاد أمين الهواري
أستاذ القانون المدني المشارك، كلية الحقوق، جامعة المملكة، مملكة البحرين
Email: a.amin@ku.edu.bh

الملخص:

لا ريب أن الإبداع الفكري ممثلاً فيما يؤلفه المؤلف من مصنفات، له أهميته التي لا تخفى على أحد، باعتباره وسيلة أساسية لتبادل المعارف الإنسانية والخبرات والتجارب في كافة مناحي الحياة، لترقى المجتمعات البشرية، وتزدهر. وإزاء هذه الأهمية حرصت المواثيق الدولية، والتشريعات الوطنية على وضع إطار قانوني لحماية حقوق المؤلف على مصنفاته المبتكرة، وذلك تشجيعاً للإبداع الفكري.

وإذا كان وضع إطار قانوني لحماية حقوق المؤلف على مصنفاته أمر في غاية الأهمية، فإن هذه الأهمية تزداد في المصنفات المشتركة، التي يتعدد فيها المؤلفين، وتتعدد تبعاً لذلك الأرادات المهيمنة عليها، وتتداخل حقوق المؤلفين وسلطاتهم بشأنها، الأمر الذي قد يثير التنازع بينهم حول حقوق كلا منهم.

ولا جرم أن هذا الموضوع يثير العديد من الإشكاليات التي قمنا بالإجابة عنها من خلال هذا البحث، ومن أهم هذه الإشكاليات، ما هو المقصود بالمصنف المشترك؟ وما الفارق بينه وبين المصنف الجماعي؟ وما هي شروط حماية هذا المصنف؟ وما هي حقوق المؤلف في المصنف المشترك؟ وهل يمكن لكل مؤلف الاستفادة بشكل منفصل من مشاركته في العمل المشترك؟ واتبعنا في الإجابة على هذه الإشكاليات على المنهج المقارن بين تشريعات دول مجلس التعاون الخليجي بشأن حماية حقوق المؤلف في المصنف المشترك،

وأخيراً تناولنا في هذا البحث الأمور الآتية، ماهية المصنف المشترك. ثم شروط الحماية القانونية للمصنف المشترك، وانتهينا إلى دراسة أحكام المصنف المشترك.

الكلمات المفتاحية: المصنف، المصنف المشترك، الابتكار، المصنف الجماعي، الجدة

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار التاسع عشر
تأريخ الإصدار: 20 مايو 2021م

The legal framework for the joint work in the legislation of the countries of the Gulf Cooperation Council

Abstract:

There is no doubt that intellectual creativity, represented by what the author composes of the works, has an indisputable importance for anyone, as it is a basic means for the exchange of human knowledge, experiences, and experiences in all aspects of life, for the advancement of human societies and prosperity. Given this importance, international conventions and national legislations have been keen to establish a legal framework to protect the rights of the author on his innovative works, to encourage intellectual creativity.

If setting up a legal framework to protect the rights of the author on his works is of the utmost importance, then this importance increases in joint works, in which there are many authors, and accordingly the wills dominating them are multiplied, and the rights of authors and their powers regarding them overlap. who are they?

It is not guilty that this topic raises many of the problems that we have answered through this research, and among the most important of these problems, what is meant by the joint work? What is the difference between it and the collective work? What are the conditions for protecting this work? What is the copyright in the joint work? Can each author separately benefit from his participation in the joint work? In answering these problems, we followed the comparative approach between the legislations of the Gulf Cooperation Council states regarding the protection of copyright in the joint work,

Finally, we dealt with in this research the following issues, what is a joint work. Then, the conditions for legal protection for the joint work, and we concluded by studying the provisions of the joint work.

Keywords: work, Joint work, Innovation, Teamwork, originality

مقدمة:

لا ريب أن الفكر يرتبط بالإنسان ارتباطاً كبيراً، فهو نتاج العقل، ذلك العقل الذي منّ الله سبحانه وتعالي به على الإنسان، وميزه به عن غيره من الكائنات، ليبُدِع ويبتكر [1]، وينمي مواهبه تحقيقا للغاية التي خلق من أجلها فهو مخلوق ابتداء ليُستخلف في الأرض، وهو مُستخلف فيها ليحقق منهج الله في صورته الواقعية لينشئ ويعمر [2].

كما وهب الله جل وعلا الإنسان – بجانب العقل - الإحساس والذوق ليضفي على ابتكاره، وإبداعه الجمال والرونق، فترجم أفكاره وحولها إلى أعمالٍ أدبية وفنيةٍ لها قيمة جمالية، كالشعر والرسم والموسيقى والنحت وغير ذلك من الأعمال. ليعبر من خلال تلك الأعمال عن مكنونات نفسه وما يجول في خياله أو خاطره من أفكار [3].

ولا ريب أن الإبداع الفكري ممثلاً فيما يؤلفه المؤلف من مصنفات [4] متنوعة سواء كانت أدبية أو فنية أو علمية، له أهميته التي لا تخفى على أحد، باعتباره وسيلة أساسية لتبادل المعارف الإنسانية والخبرات والتجارب في كافة مناحي الحياة،

([1]) لذا ذاع لدى الفلاسفة الحديث عن العقل ودوره في حياة صاحبه إذ به يعز المرء أو يذل. وليس أدل على صدق ذلك من مقولة ديكارت الشهيرة " أنا أفكر إذن أنا موجود". د. حسام لطفي - المرجع العلمي في الملكية الأدبية والفنية في ضوء آراء الفقه وأحكام القضاء – طبعة 1999 - ص5. ولم يعد الإبداع قاصراً على فعل البشر، بل ظهر إبداع جديد من أشياء صنعها هؤلاء البشر، ومن ذلك الروبوتات "أو بالأحرى ذكاءهم الاصطناعي"، الذين أصبحوا قادرين على إنتاج "أعمال" تنافس أعمال البشر من حيث الجودة الفنية والابداع، حتى أننا نجد منهم من هو قادر على كتابة قصائد أو عمل لوحات أو رسومات أو تأليف مقطوعات من الموسيقى، دون أن تستطيع أن تميز ما إذا كانت هذه الأعمال من صنع أشخاص طبيعيين أم من صنع آلات مصطنعة ومن أمثلة هذه الروبوتات الباحث الشاعر الروبوت ريموند كورزويل، ويُعد AIVA، الملحن الظاهري الذي تم إنشاؤه في فبراير 2016، والمتخصص في تكوين الموسيقى الكلاسيكية والسمفونية، أول من يتم الاعتراف به كمؤلف موسيقي مع SACEM، حيث كان هذه الروبوت قادرًا على تسجيل العديد من الإبداعات الموسيقية.

Claudia Gestin-Vilion, La protection par le droit d'auteur des creations générées par intelligence artificielle, Université Laval Québec, Canada Maître en droit (LL.M.) et Université Paris-Saclay Sceaux, France, 2017, p.2.

([2]) صلاح عبد الغني محمد - موسوعة المرأة المسلمة - الحقوق العامة للمرأة - الجزء الأول - الدار العربية للكتاب - طبعة 1998 - ص 20.

([3]) د. بلال عبد الله – حق المؤلف في القوانين العربية - المركز العربي للبحوث القانونية والقضائية – جامعة الدول العربية – بيروت – طبعة 2018 – ص12.

([4]) يقصد بالتصنيف لغة، تمييز الأشياء بعضها عن بعض، وصنف الشيء أي ميز بعضه عن بعض. د. رقية عواشرية - الحماية القانونية لحق المترجم والمصنفات المترجمة في الوطن العربي والتحديات الراهنة - مجلة علوم انسانية WWW.ULUM.NL السنة السابعة: العدد 43: خريف 2009. ويقصد بالمصنف كل نتاج ذهني مبتكر سواء كان مكتوباً أو مرسوماً أو محفوراً أو مخطوطاً، أو مذاعاً بواسطة الإذاعة أو التلفزيون، أو معبراً عنه بالحركة وسواء كان هذا الإنتاج في مجال الفن أو الأدب أو العلوم. وهناك من عرفه بأنه " هو ابتكار أو انتاج الذهن البشري". د. شحاته غريب شلقامي – الملكية الفكرية في القوانين العربية – دار الجامعة الجديدة – طبعة 2009 – ص 30، كما عرفه آخرون بأنه "كل عمل مبتكر أيا كان نوعه أو طريقة التعبير عنه أو أهميته أو الغرض من ابتكاره". د. محمد محى الدين عوض – حقوق الملكية الفكرية وحمايتها قانوناً – بحث مقدم إلى أكاديمية نايف للعلوم الأمنية – مركز الدراسات والبحوث - الطبعة الأولى – 2004 – ص 37، ويعرفه الدكتور عبد الرزاق السنهوري بأنه كل تعبير صادر عن المؤلف سواء كان شفوياً أم كتابياً بشرط أن يكون هذا المبتكر متضمناً الشروط الموضوعية والشكلية التي تنطبق على المصنف. مشار إليه، محمد فواز – المصنفات الأدبية والفنية – دراسة في التشريع الأردني والمصري – بحث منشور بالدليل الإلكتروني للقانون العربي – www.arablawinfo.com – ص 9. وتعرفه اتفاقية برن في المادة 2 فقرة (1) بإنه كل إنتاج في المجال الأدبي والعلمي والفني، أياً كان شكل التعبير أو شكله.

L.T.C. Harms, A Casebook on the Enforcement of Intellectual Property Rights, 4th Edition, Switzerland, WIPO, 2018. p.62.

أما في مجال التشريع في دول مجلس التعاون الخليجي، فقد عرفه المشرع البحريني في المادة الأولى من القانون البحريني رقم 22 لسنة 2006 بأنه " كل إنتاج مبتكر في مجال الآداب أو الفنون أو العلوم" قريب من ذلك تعريف المشرع الاماراتي للمصنف، حيث عرفه بمقتضى نص المادة 1 من القانون رقم 7 لسنة 2002، بأنه " كل تأليف مبتكر في مجال الآداب، أو الفنون، أو العلوم، أيا كان نوعه أو

لترقى المجتمعات البشرية، وتزدهر [5]. وبصفة خاصة في العصر الحالي الذي ازدادت فيه الحاجة إلى الثقافة والمعرفة إلى حد كبير، كنتيجة منطقية لتقدم التكنولوجيا، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، ومن ثّم زيادة الوصول إلى المعرفة والترفيه. وبالتبعية زيادة القطاعات الجماهيرية المستهلكة لها [6].

وإزاء هذه الأهمية حرصت المواثيق الدولية [7]، والتشريعات الوطنية [8] على وضع إطار قانوني لحماية حقوق المؤلف على مصنفاته المبتكرة، وذلك تشجيعاً للإبداع الفكري.

وإذا كان وضع إطار قانوني لحماية حقوق المؤلف على مصنفاته أمر في غاية الأهمية، فإن هذه الأهمية تزداد في المصنفات المشتركة، التي يتعدد فيها المؤلفين، وتتعدد تبعاً لذلك الأرادات المهيمنة عليها، وتتداخل حقوق المؤلفين وسلطاتهم بشأنها، الأمر الذي قد يثير التنازع بينهم حول حقوق كلا منهم.

طريقة التعبير عنه، أو اهميته أو الغرض منه". وهو ذات التعريف الذي عرفه المشرع الكويتي للمصنف في المادة الأولى من القانون رقم 75 لسنة 2019، حيث عرفه بأنه " كل عمل أدبي أو فني أو علمي مبتكر أياً كان نوعه أو طريقة التعبير عنه أو أهميته أو الغرض منه". أما المشرع القطري فقد عرفه بأنه " كل عمل أدبي فني أو علمي مبتكر" المادة الأولى من القانون رقم 7 لسنة 2002، وهو ذات التعريف الذي تبناه المشرع العماني في المادة الأولي من قانون حماية المؤلف الصادر عام 2000. في حين عرفه المشرع السعودي بأنه " أي عمل أدبي أو علمي أو فني ".

(5) د. حمدي أحمد سعد – الحماية القانونية للمصنفات في النشر الإلكتروني الحديث – دار الكتب القانونية – المحلة الكبرى – طبعة 2007 – ص5.

(6) Suhail HADDADIN, ESSAI SUR UNE THEORIE GENERALE EN DROIT D'AUTEUR, Thèse pour le doctorat en droit présentée et soutenue publiquement le 22 novembre 2008, UNIVERSITE DE POITIERS, FACULTE DE DROIT ET DES SCIENCES SOCIALES, p.2.

(7) تعد اتفاقية برن لحماية المصنفات الأدبية والفنية المؤرخة 9 سبتمبر 1886، هي الصك الدولي الأول والأهم الذي يتناول حق المؤلف. L.T.C. Harms, op. cit., p.60. وقد تم تحديث هذه الاتفاقية أكثر من مرة، ومن هذه المواثيق أيضا اتفاقية روما الصادرة في عام 1961، بشأن حماية حقوق فناني الأداء ومنتجي التسجيلات الصوتية وهيئات الإذاعة. واتفاقية حماية منتجي التسجيلات الصوتية من النسخ غير المصرح به لتسجيلاتهم الصوتية المعتمدة في عام 1971. واستحدثت معاهدة الويبو بشأن حق المؤلف (WCT)، المعتمدة في عام 1996، الفئات المستفيدة بالحماية، فضمت لها مؤلفي المصنفات الأدبية والفنية والعلمية الرقمية، وخاصة حقوق الاتصال بالجمهور عبر الإنترنت. كما استحدثت معاهدة الويبو بشأن الأداء والتسجيل الصوتي (WPPT)، المعتمدة في عام 1996، فئة فناني الأداء ومنتجي التسجيلات الصوتية الرقمية، لا سيما حق التواصل مع الجمهور عبر الإنترنت. وتهدف معاهدة بكين بشأن الأداء السمعي البصري، المعتمدة في يونيو 2012 (ولكنها لم تدخل حيز النفاذ بعد)، إلى تحديث وتوسيع نطاق حماية حقوق فناني الأداء في المصنفات السمعية البصرية الرقمية.

CNIPA and WIPO, Intellectual Property Basics: A Q&A for Students China National Intellectual Property Administration (CNIPA), Switzerland, 2019, p.18.

(8) يعد قانون Anne الصادر عن المملكة المتحدة عام 1709 أول قانون يتعلق بحقوق النشر وقد تضمن هذا القانون النص على أنه وضع لتعزيز تقدم العلوم والفنون المفيدة، من خلال ضمان الحق الحصري للمؤلفين والمبدعين في الكتابات والابتكارات التي يتوصلوا إليها. ويلاحظ على القوانين الانجلوسكسونية أنها تستخدم اصطلاح حق النشر عند الحديث عن حقوق المؤلف، وذلك بخلاف التشريعات اللاتينية التي تستخدم اصطلاح حق المؤلف بدلا من حق النشر. L.T.C. Harms, op. cit., p.61. أي أن هناك نظامان متميزان لحماية حقوق المؤلف في العالم. الأول: النظام الأنجلوسكسوني، ممثلاً بالمملكة المتحدة والولايات المتحدة، ويذهب إلى أن حماية حقوق الطبع والنشر يجب أن تأخذ في الاعتبار المصلحة العامة للمجتمع التي تشجع الإبداع الأدبي والفني، مع التركيز على حماية حقوق ملكية المؤلف. أما الثاني، وتمثله فرنسا وألمانيا، فيعتبر العمل الابداعي امتدادًا لشخصية المؤلف وانعكاسًا لروحه، مع التركيز على حماية الحقوق الشخصية للمؤلف. إلى أنه وبالنظر إلى أن الدول الرئيسية في النظامين هي من الدول الأعضاء في اتفاقية برن، فإن الفارق بين النظامين بدأ يتراجع تدريجيًا. CNIPA and WIPO, Intellectual Property Basics, op. cit., p.38.
انظر أيضا تطور الحماية القانونية لحقوق النشر: Suhail HADDADIN, op. cit., p.3. p.32.

الهدف من البحث:

يرمي هذا البحث إلى الوقوف على مدي التماثل، والتشابه بين تشريعات دول مجلس التعاون الخليجي (محل الدراسة)، عند معالجتها القانونية للمصنفات المشتركة، والمساهمة ولو بجزء يسير في المحاولات المبذولة في الفقه القانوني العربي لتوحيد التشريع في الدول الخليجية.

إشكالية البحث:

لا جرم أن هذا الموضوع يثير العديد من الإشكاليات التي سنحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث، ومن أهم هذه الإشكاليات، ما هو المقصود بالمصنف المشترك؟ وما الفارق بينه وبين المصنف الجماعي؟ وما هي شروط حماية هذا المصنف؟ وما هي حقوق المؤلف في المصنف المشترك؟ وهل يمكن لكل مؤلف الاستفادة بشكل منفصل من مشاركته في العمل المشترك؟ وكيف تدار عملية استغلال هذا المصنف؟

منهج البحث:

ستتبع الدراسة في هذا البحث المنهج المقارن بين تشريعات دول مجلس التعاون الخليجي بشأن حماية حقوق المؤلف في المصنف المشترك، وهذه التشريعات هي:

1 – في مملكة البحرين: قانون رقم 22 لسنة 2006 بشأن حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة المعدل بموجب القانون رقم (5) لسنة 2014.

2 – في المملكة العربية السعودية: نظام حماية حقوق المؤلف الجديد 1424 ه ولائحته التنفيذية الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/ 41 بتاريخ 2 رجب 1424.

3 – في دولة الإمارات العربية المتحدة: القانون الاتحادي رقم 7 لسنة 2002 في شأن حقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

4 – في سلطنة عمان: مرسوم سلطاني رقم 65 / 2008 بإصدار قانون حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

5 – في دولة الكويت: قانون رقم 75 لسنة 2019 في شأن حقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

6 – في دولة قطر: قانون رقم (7) لسنة 2002 بشأن حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة.

خطة البحث: هذا ولقد تناول المشرع في دول مجلس التعاون الخليجي بالتفصيل المصنفات المشتركة مبيناً مفهومها، ومحدداً شروط حمايتها وأحكامها. وعلى هدى ذلك نستعرض في هذا البحث الإطار القانوني لحماية المصنف المشترك، مخصصين لذلك ثلاثة مطالب، نتناول في **الأول: ماهية المصنف المشترك. ونتحدث في الثاني عن شروط الحماية القانونية للمصنف المشترك، ونختم حديثنا بتناول أحكام المصنف المشترك.**

المطلب الأول

ماهية المصنف المشترك

بادئ ذي بدء تجدر الإشارة إلى أن مؤلف المصنف [9] قد ينفرد بإبداعه وحده دون أن يشاركه في ذلك أحد، فتؤول إليه حقوق التأليف [10] أيا كان الحق أدبياً أو مالياً، كما قد يشترك مع غيره في تأليف المصنف، فيسهم معه بموجب اتفاق وبجهد أصيل في ابتكار هذا المصنف [11]، ومن ثّم يشتركان في حقوق التأليف، ويتمتعان بذات الحماية القانونية [12].

([9]) اهتمت التشريعات الخليجية بتحديد المقصود بالمؤلف، فعرفه المشرع البحريني في المادة الأولى من القانون البحريني رقم 22 لسنة 2006 بشأن حماية حقوق المؤلف بأنه " الشخص الطبيعي الذي ابتكر المصنف"، وهو ذات التعريف الذي تبناه المشرع القطري في المادة الأولي من قانون حماية حق المؤلف القطري، وقريب من ذلك تعريف المشرع العماني له في المادة الأولي من قانون حماية حق المؤلف والتي جاء فيها أنه يقصد بالمؤلف " الشخص الطبيعي الذي أبدع المصنف"، ويظهر من هذه التعريفات أن المؤلف لابد وأن يكون شخصاً طبيعياً.
على الجانب الآخر، عرفت المادة الأولى من نظام حق المؤلف السعودي المؤلف بأنه " الشخص الذي ابتكر المصنف". في حين عرفته المادة الأولى فقرة (3) من القانون رقم 75 لسنة 2019 في شأن حقوق المؤلف والحقوق المجاورة الكويتي بقولها " الشخص الذي يبتكر المصنف، ويعد من يذكر اسمه على المصنف أو ينسب إليه عند نشره مؤلفه، ما لم يقم الدليل على غير ذلك. كما يعتبر مؤلفاً للمصنف من ينشره دون ذكر اسمه أو باسم مستعار بشرط ألا يقوم شك في معرفة حقيقة شخصه، فإذا قام الشك اعتبر ناشر أو منتج المصنف سواء أكان شخصاً طبيعياً أم اعتبارياً ممثلا للمؤلف في مباشرة حقوقه إلى أن يتم التعرف على حقيقة شخص المؤلف". قريب من ذلك تعريف المشرع الإماراتي للمؤلف بأنه " الشخص الذي يبتكر المصنف. ويعد مؤلفا للمصنف من يذكر اسمه عليه، أو ينسب اليه عند نشره باعتباره مؤلفا له، ما لم يقدم الدليل على غير ذلك. كما يعتبر مؤلفا للمصنف من ينشره بدون اسم أو باسم مستعار أو بأية طريقة اخرى بشرط الا يقوم شك في معرفة حقيقة شخصية المؤلف، فإذا قام الشك اعتبر ناشر أو منتج المصنف، سواء أكان شخصا طبيعيا ام اعتباريا، نائبا عن المؤلف في مباشرة حقوقه الى أن يتم التعرف على حقيقة شخصية المؤلف". (المادة الأولي من قانون حقوق المؤلف والحقوق المجاورة الإماراتي).
وعرّفه القسم 9 من قانون حقوق الملكية الفكرية والتصاميم وبراءات الاختراع الانجليزية لعام 1988 بأنه الشخص الذي يقوم بابتكار العمل. " "'author' as the person who creates the work

Patrick Ager, AUTHORSHIP AND JOINT, AUTHORSHIP OF MUSICAL WORKS: A QUEST FOR COMMON STANDARDS IN EU COPYRIGHT LAW, King's College London, 2013, p.9.

([10]) حيث تسعى التشريعات إلى تحقيق التوازن بين حقوق المؤلف والمصلحة العامة للمجتمع في تشجيع ونشر أعمال الفنون والفكر، وفي ذلك قضت المحكمة العليا الكندية (دعوى *THEBERGE* v. *GALERIE D'ART DU PETIT CHAMPLAIN INC* 2002 SCC 34.) بإن الرقابة المفرطة من جانب حاملي حقوق التأليف والنشر وغيرها من أشكال الملكية الفكرية قد تحد دون مبرر من قدرة الملك العام على دمج وتنمية الابتكار الإبداعي في المصالح الطويلة الأجل للمجتمع ككل أو خلق عقبات عملية أمام الاستخدام السليم. كما أكدت المحكمة في حكم آخر لها (دعوى *ROBERTSON* v. *THOMSON CORP* 2006 SCC 43.) بإن المقاصد الشاملة لقانون حقوق التأليف والنشر ذات شقين: الأول: تعزيز المصلحة العامة في تشجيع ونشر الأعمال الفنية والفكرية، والثاني: مكافأة المبدع (حقوق المؤلف المالية). نظرًا لأن هذه المقاصد غالباً ما تتعارض مع بعضها البعض، ومن ثّم يجب على المحاكم أن تسعى إلى الحفاظ على التوازن المناسب بين هذين الهدفين.
L.T.C. Harms, op. cit., p.63.p64.
ويمنح حق التأليف الحماية للمؤلف فيما يتعلق بعلاقته الفكرية والشخصية بالمصنف وفيما يتعلق باستخدامه، كما يهدف إلى ضمان حصول المؤلف على مكافأة معقولة مقابل استخدام هذا المصنف. لويس هارمس – إنفاذ حقوق الملكية الفكرية – كتاب قضايا – الويبو – الطبعة الثالثة – 2012 - ص131.

([11]) د. صبري خاطر – الملكية الفكرية دراسة مقارنة في القانون البحريني – جامعة البحرين – الطبعة الأولى – طبعة 2007 – ص39.

([12]) في ذلك قررت محكمة العدل الأوروبية (القضية المرفوعة من فرانسوا لوكازو ضد جمعية المؤلفين) بتاريخ 03 يوليو01 في القضايا المجمعة رقم 110/88، 241/88، 242/88 المنشور تحت رقم 2811، ECR 1989، بأنه يحظى أصحاب حقوق المؤلف المعترف بها بناء على تشريع أحد الدول المتعاقدة، في كل دولة من الدول المتعاقدة الأخرى بالحماية نفسها التي تمنحها لمواطنيها ضد التعدّي على حق المؤلف، وبنفس الحلول القانونية ضد التعدّي المذكور، بناء على الاتفاقيات الدولية بشأن حق المؤلف. لويس هارمس – مرجع سابق – ص39.

والمصنف المبتكرة من عدة أشخاص قد يأخذ أحد شكلين: الأول: يعمل فيه المؤلفين بالتزامن وبالتشاور فيما بينهم (وهو ما يطلق عليه المصنف المشترك) أما الثاني: فيكون فيه عمل المؤلفين تحت إشراف وإدارة شخص طبيعي أو معنوي (وهو ما يطلق عليه المصنفّات الجماعية). وهنا يثور التساؤل بشأن التمييز بين المصنف المشترك والمصنف الجماعي، وقبل الإجابة على هذا التساؤل يلزم تحديد المقصود بالمصنف المشترك، باعتبار أنه محور دراستنا في هذا البحث.

وعلى ذلك سنتناول في هذا المطلب دراسة مسألتين، الأولى: تحديد المقصود بالمصنف المشترك، أما الثانية، فتتمثل في التمييز بين المصنف المشترك والمصنف الجماعي، وذلك على النحو التالي: -

أولاً: المقصود بالمصنف المشترك

تتعدد تعريفات المصنف المشترك وتتنوع، وهي وإن اختلفت في اللفظ فقد اتفقت في المعنى، ومع ذلك يمكن التمييز بين اتجاهيين فقهيين فيما يتعلق بتعريف المصنف المشترك، **الاتجاه الأول** يعرف المصنف المشترك بإنه المصنف المبتكر عن طريق تعاون اثنين أو أكثر من المؤلفين، سواء كانت مساهمة المؤلف متميزة عن مساهمة المؤلفين الآخرين أم لم تكن كذلك [13]. أما **الاتجاه الثاني**، فهو يعرف المصنف المشترك بأنه "المصنف الذي يبتكره مؤلفان أو أكثر بالتعاون المباشر سويا، وبعد الأخذ في الحسبان المساهمات المتبادلة لكل واحد منهم، والتي يصعب الفصل بينهما والنظر إليها باعتبارها ابتكارات مستقلة" [14].

ذات الأمر نجده في تشريعات دول مجلس التعاون الخليجي [15]، حيث انقسمت التشريعات إلى مذهبين، **الأول منهما**: وهو الغالب في التشريعات الخليجية، يعرف المصنف المشترك بانه ذلك المصنف الذي ساهم في ابتكاره أكثر من مؤلف، سواء أمكن فصل مساهمة كل منهم فيه أو لم يمكن، والذي لا يندرج ضمن المصنفات الجماعية.

وهذا التعريف هو الذي تبناه المشرع البحريني في المادة الأولي من قانون حماية حقوق المؤلف، حيث عرف المصنف المشترك بانه "المصنف الذي ساهم في ابتكاره أكثر من مؤلف، سواء أمكن فصل مساهمة كل منهم فيه أو لم يمكن،

([13]) Caroline G. Ouellet, Oeuvre créée ou non créée en collaboration? Là est la question, LEGER ROBIC RICHARD/ROBIC, 2004, p.877.

-Deborah E. Bouchoux -ntellectual Property - The Law of Trademarks, Copyrights, Patents ،and Trade Secrets - Fourth Edition-Printed in the United States of America - p.229.

قريب من ذلك تعريف البعض للمصنف المشترك بنه "المصنف الذي يحققه جماعة من المؤلفين بإبداعاتهم الخاصة تحت تأثير فكرة مشتركة تجمع بينهم مع تداوله المستمر طول فترة إعداده" انظر هذه التعاريف، د. حمدي أحمد – مرجع سابق – ص137. كذلك تعريف البعض الآخر له بانه " المصنف الذي يشترك في تأليفه أكثر من شخص لحسابهم الخاص، ودون توجيه من أحد سواء كان شخصاً طبيعياً أو اعتباريا، فهو لا يندرج ضمن المصنفات الجماعية، ويشترك في وضعه أكثر من مؤلف سواء أمكن فصل نصيب كل مؤلف أو لم يمكن ذلك". د. شحاته شلقامي – مرجع سابق – ص 126. وعرفه آخرون بأنه " ذلك المصنف الذي يشترك في تأليفه شخصان أو أكثر كما يتم عادة في وضع الكتب العلمية المطولة والمصنفات الموسيقية والاستعراضات سواء الموسيقية أو المسرحية أو السينمائية والتليفزيونية حيث يظهر اكثر من جهد فردي يؤدي إلى الابتكار المشترك لواضعي المصنف". د. محمد النجار – حقوق المؤلف في ضوء الثورة المعلوماتية الحديثة – دراسة مقارنة – دار الجامعة الجديدة – طبعة 2014 – ص 330.

([14]) قريب من ذلك تعريف المصنف المشترك بانه " المصنف الذي يتعاون في إبداعه شخصان أو أكثر بطريقة يمتزج من خلاله إسهام كل منهم إلى حد يتعذر معه تميز أعمالهم". بوشامة هاجر، عقون بشري – الحماية القانونية للمصنف الجماعي – رسالة ماجستير – كلية الحقوق والعلوم السياسية – جامعة 8 ماي 1945 – سنة 2016 - ص13.

([15]) عرف المشرع الفرنسي المصنف المشترك في المادة L113-2 بأنه:

"Est dite de collaboration l'oeuvre à la création de laquelle ont concouru plusieurs personnes physiques."

والذي لا يندرج ضمن المصنفات الجماعية". وهو ذات التعريف تقريباً الذي تبناه المشرع الاماراتي، في المادة الأولي من قانون حقوق المؤلف [16]. والمشرع العماني في الفقرة (7) من المادة الأولى من قانون حقوق المؤلف[17] ، قريب من ذلك تعريف المشرع الكويتي - في الفقرة (5) من المادة الأولى - لهذا المصنف بأنه " مصنف لا يندرج ضمن المصنفات الجماعية ويشارك في تأليفه أكثر من مؤلف، سواء أمكن فصل مساهمة كل منهم في أو لم يمكن".

أما المقنن السعودي فقد عرف المصنف المشترك بأنه " المصنف الذي يشترك في وضعه شخصان أو أكثر من الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين سواء أمكن فصل إسهام كل منهم في العمل أم لم يمكن ذلك".

وذهب **الفريق الثاني** من التشريعات إلى أن المصنف المشترك هو ذلك " المصنف الذي يساهم في إخراجه مؤلفان اثنان أو أكثر ويمكن فصل عمل كل منهم وتمييزه على حده". (التشريع القطري، المادة الأولي من قانون حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة).

ويظهر لنا من التعريفات السابقة الآتي:

1 - إن التشريعات الخليجية - فيما عدا التشريع القطري – يؤيدها في ذلك بعض الفقه، قد أخذت بالمعنى الموسع لفكرة الاشتراك[18]، ومن ثّم اعترفت بنوعين من الاشتراك والتعاون في ابتكار المصنف، **النوع الأول: الاشتراك المطلق**، ويتمثل الاشتراك، في هذا النوع من المصنفات، في ذوبان شخصية جميع المؤلفين في المصنف على نحو لا يمكن الفصل فيه بين إسهام وإبداع كل منهم، ومن أمثلة ذلك اشتراك أكثر من نحات في نحت تمثال، وتأليف قصة موسيقية من أكثر من فنان [19]، ففي هذا المصنف لا يمكن فصل عمل كل واحد من المشاركين فيه. **أما النوع الثاني: (الاشتراك النسبي)** فيتمثل في اشتراك أكثر من مؤلف في تأليف المصنف على نحو لا يندمج مساهمة كل منهم بمساهمة الآخر ويمكن تمييزه وفصله، ومن أمثلة ذلك المصنفات السمعية البصرية، التي يشترك في إعدادها أكثر من مؤلف (المخرج، مؤلف القصة، مؤلف السيناريو، مؤلف الموسيقى ...).

على الجانب الآخر نجد أن المشرع القطري يناصره البعض الآخر في الفقه، قد قصر المصنفات المشترك على النوع الثاني فقط (الاشتراك النسبي)، حيث اعتبر المصنف مشتركاً إذا ساهم في إخراجه مؤلفان اثنان أو أكثر،

([16]) حيث نصت المادة الأولي من التشريع الإماراتي على أن " المصنف الذي يساهم في وضعه عدة اشخاص سواء أمكن فصل نصيب كل منهم فيه او لم يمكن، والذي لا يندرج ضمن المصنفات الجماعية".

([17]) حيث نصت الفقرة (7) من المادة الأولي من التشريع العماني على أن " المصنف الذي يساهم في ابتكاره أكثر من مؤلف، سواء أكان فصل مساهمة كل منهم فيه ممكنا أم لا، ولا يندرج ضمن المصنفات الجماعية ".

([18]) فقد تنازع فكرة الاشتراك في المصنف مذهبين، الأول: أخذ بالمعني الضيق للاشتراك، بحيث لا يعتبر المصنف مشتركاً إلا إذا كانت تذوب فيه شخصية جميع المؤلفين، فلا يمكن مطلقاً الفصل بين نصيب كل منهم في المصنف، كما تختفي شخصية جميع المؤلفين، ووجه النقد إلى هذا المذهب، بسبب النتائج الخطيرة التي قد تترتب عليه، حيث يترتب عليه استبعاد العديد من الأعمال من نطاق الأعمال المشتركة كالمسرحيات والأوبرا حيث يمكن بسهولة الفصل بين عمل الأديب وعمل الموسيقى فيها، فكل منهما ينفذ عمله مستقلاً عن الآخر، والعبرة في المصنفات المشتركة ليست، كما يرى هذا المذهب، مرتبطة بعدم القابلية للقسم المادية بصفة مطلقة، وإنما يكفي أن يكون الشركاء الذين يقومون بعمل المصنف يؤدون أعمالهم تحت تأثير الفكرة المشتركة التي يقوم عليها المصنف. أما الثاني: فقد أخذ بالمعنى الموسع للاشتراك، والذي يرى أن المصنف يكون مشتركاً حتى ولو أمكن الفصل بين الأنصبة المختلفة، وعلى هذا فإن المصنفات المسرحية تعتبر من المصنفات المشتركة، على الرغم من أنه يمكن بسهولة الفصل بين الأنصبة المختلفة في هذا المجال، يكفي لكي يعتبر المصنف من المصنفات المشتركة، أن تكون مجهودات المشتركين في العمل تخضع لفكرة مشتركة من أجل تحقيق المصنف وتتجه إرادة المشتركين إلى إعداد عمل مشترك. تفصيلا هذين المذهبين، د. عبد الرشيد مأمون - حماية حق المؤلف في إطار المصنفات المشتركة – الدليل الالكتروني للقانون العربي – ص7، 8.

([19]) د. صبري خاطر – مرجع سابق – ص39.

مع إمكان فصل عمل كل منهم عن الآخر وتمييزه على حده، فإذا اندمجت مساهمة المؤلفين على نحو لا يمكن فصل عمل كل منهم عن الآخر لا يعتبر هذا المصنف من قبيل المصنفات المشتركة، وهو قول محل نظر لتعارضه مع نصوص التشريع القطري ذاته الذي ميز المصنف المشترك المطلق عن المصنف المشترك النسبي في الأحكام التي يخضع لها كل منهما. **هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى** هناك مصنفات لا خلاف على كونها مصنفات مشتركة ومع ذلك لا يمكن فصل عمل كل مؤلف عن الآخر، كحالة اشتراك أكثر من فنان في نحت تمثال أو رسم لوحة، وعلى ذلك يمكن القول إن المصنفّ المشترك، قد يكون من الممكن فصل مساهمة أي من المؤلفين وقد لا يمكن ذلك [20].

2 - إن المشرع في دول مجلس التعاون الخليجي قد حرص على التأكيد على أن المصنفات المشتركة لا تدخل ضمن المصنفات الجماعية، وأراد بذلك استبعاد فكرة الشخص الموجه الذي يقوم بالتنسيق بين المؤلفين عند وضع المصنف [21].

3 – إن المقنن السعودي - على خلاف باقي المشرعين الخليجيين – قد اعتبر المصنف مشتركاً سواء كان قد تم بالتعاون بين أشخاص طبيعيين أو بين أشخاص اعتباريين، ونرى أن هذا المنهج محل نظر، حيث أن الابتكار، كعنصر مميز للمصنف، عمل إنساني لا يمُكن أن يكون إلا من شخص طبيعي.

ومن أمثلة المصنفات المشتركة بنوعيها، تأليف كتاب مشترك بين عدة مؤلفين في القصة القصيرة أو الشعر أو النثر أو الخرائط المعمارية أو إعداد بحث علمي أو بحث قانوني أكاديمي لأغراض الدراسة الجامعية. ومن هذه الأنواع أيضا المصنفات التي تستوجب طبيعتها أن يشارك فيها عدد من المؤلفين لغرض الإخراج، أو الأعداد كالمصنفات الموسيقية، أو التمثيلة، أو المسرحية [22].

وفي جميع الأحوال لا يعد شريكاً في المصنف من يسدي نصيحة أو يطرح فكرة مجردة لا تظهر في تعبير إبداعي أو يقوم بتعديل المصنف بإضافة لاحقة دون اتفاق، فالأول لم يعبر عن فكرته، فلم تخرج إلى حيز الوجود المحسوس، وهو ما يتناقض مع فكرة الاشتراك، التي تقتضي أن يبذل كل مؤلف جهدا حقيقيا في إعداد المصنف بشكله النهائي، ولا يعني ذلك ضرورة أن يساهم كل مؤلف شريك في كل جزئية من العمل المشترك [23]. والثاني يعتبر مؤلفاً لمصنف مشتق، حيث أن المصنف المشترك يلزم فيه وجود نية الاشتراك لدى المؤلفين[24]، وهو غير متحقق في المصنف المشتق.

([20]) ذات الرأي، د. بلال عبد الله – مرجع سابق – ص 144.

([21]) د. سعيد عبد السلام – الحماية القانونية لحق المؤلف والحقوق المجاورة في ظل قانون حماية حقوق الملكية الفكرية رقم 82 لسنة 2002 – دار النهضة العربية – طبعة 2004– ص 59.

([22]) -Deborah E. Bouchoux -ntellectual Property – op.cit - p.229.

([23]) د. عبد الله النجار – الحق الأدبي للمؤلف في الفقه الإسلامي والقانون المقارن – دار المريخ للنشر – الرياض – طبعة 2000 - ص198.

([24]) إن نية الأطراف في وقت إنشاء العمل هي التي تحدد ما إذا كان العمل مشتركًا أم غير مشترك، فمثلا، إذا جلس شخصان على البيانو وتعاونا في اللحن وكلمات الأغاني، فإن الأغنية الناتجة هي عمل مشترك. ومع ذلك هناك بعض الأعمال التي تثير بعض الصعوبات في تحديد ما إذا كانت مشتركة من عدمه، كما في حالة إنشاء أجزاء من العمل في أوقات مختلفة عن الأجزاء الأخرى، على سبيل المثال، عندما يقوم الملحن بتأليف اللحن دون اتفاق مع مؤلف الكلمات، ثم يتم إضافة كلمات الأغاني لاحقًا. ففي مثل هذه الحالات يكون الفيصل نية المؤلفين، فإذا كان قصد الملحن الأول أن يكون العمل كاملاً في الوقت الذي قام فيه بتأليفه، فإن حقوق المؤلف في اللحن مملوكة له فقط، فإذا قام الملحن بتغيير رأيه في وقت لاحق وسمح لشخص آخر بإضافة كلمات إلى عمله المكتمل، فإن هذا العمل لا يتحول إلى عمل مشترك. بحيث يمتلك المؤلف الأول حقوق التأليف والنشر للتأليف اللحني، ويعتبر عمل الشاعر، في هذه الحالة، عملاً مشتقًا يعتمد على الأول ويمتلك الحقوق في الكلمات التي تم إنشاؤها حديثًا فقط. ما لم يعتزم الطرفان في الوقت الذي يقدمان فيه مساهماتهما أن يتم دمج الأجزاء أو استيعابها في وحدة متكاملة. -Deborah E. Bouchoux -ntellectual Property – op.cit - p.230.

ثانياً: التمييز بين المصنف المشترك والمصنف الجماعي:

يتشابه إلى حد كبير المصنف المشترك مع المصنف الجماعي، حيث يلزم في كلاهما اشتراك أكثر من شخص ومساهمته في ابتكار مصنف معين، إلا أنها يختلفان في الخصائص التي تميز كلا منهما، وكيفية إدارتهما، فضلا عن تحديد من يكتسب صفة المؤلف في هذه المصنفات، وحيث أن التعرض للنقاط السابقة بالتفصيل لا محل له في هذا البحث، فهو يحتاج إلى دراسة مستقلة، فسنكتفي هنا بالتعرف على مفهوم المصنف الجماعي وأهم ما يميزه عن المصنف المشترك.

وفي هذا الإطار يمكن القول أنه يقصد بالمصنف الجماعي ذلك المصنف الذي تم ابتكاره بمبادرة من شخص طبيعي أو اعتباري يتكفل بإصداره ونشره والكشف عنه تحت إشرافه وباسمه، وفيه تندمج مشاركات كافة المؤلفين المشاركين في تحقيق الهدف العام الذي حدده هذا الشخص، دون أن يكون من الممكن أن ننسب لكل منهم حقًا متميزًا على كامل ما تم تحقيقه[25]. وهذا التعريف تبنته التشريعات الخليجية مع اختلاف الصياغة[26].

ويستفاد من ذلك أن المصنف الجماعي يفترض فيه أن يشترك جماعة من الأشخاص الطبيعيين في وضعه، فيدلى كل منهم بدلوه في هذا العمل، فيندمج عمل المشتركين في إعداده، ويكون نصيب كل منهم مجهولا، بحيث يكون من المتعذر معه تجزئته[27]، وفصل عمل كل فرد من المساهمين فيه عن عمل الآخر، ويكون هذا الاشتراك بتوجيه من شخص طبيعي أو معنوي تحقيقاً لهدف معين[28]، على أن يتكفل هذا الأخير بنشره، تحت إدارته وإشرافه، على أن ينسب هذا العمل له، بحيث يعتبر هذا الشخص مالكا للمصنف الجماعي، وذلك على الرغم من كون دوره يقتصر على توجيه هذا الابتكار وإدارته [29].

([25]) Distinction œuvre de collaboration/ œuvre collective - recherche.unicaen.fr/.../com.univ.collaboratif.utils.LectureFichierg.

([26]) حيث عرفت المادة الأولي من القانون البحريني المصنف الجماعي بأنه "المصنف الذي يساهم في ابتكاره أكثر من مؤلف بمبادرة وتوجيه شخص طبيعي أو اعتباري يتكفل بنشره باسمه وبحيث تندمج مساهمة كل منهم في تحقيق الهدف العام الذي قصده هذا الشخص". في حين عرفته المادة الأولي من القانون الإماراتي بأنه "المصنف الذي تضعه جماعة من المؤلفين بتوجيه شخص طبيعي أو اعتباري، يتكفل بنشره باسمه وتحت ادارته. ويندمج عمل المؤلفين فيه في الهدف العام الذي قصد اليه هذا الشخص، بحيث يستحيل فصل عمل كل مؤلف وتمييزه على حدة". وعرفته الفقرة (4) من المادة الأولى من قانون حماية المؤلف الكويتي بأنه " مصنف يضعه أكثر من شخص بتوجيه من شخص طبيعي أو اعتباري يتكفل بإدارته ونشره باسمه ولحسابه، ويندمج عمل مؤلفيه في الهدف الذي قصد إليه هذا الشخص، دون أن يُحدد حق خاص لأي من المؤلفين على مجموع المصنف". ومن جانبه عرفه نظام حقوق المؤلف السعودي في المادة رقم (1) منه بأنه "المصنف الذي يشترك في وضعه جماعة بتوجيه من شخص طبيعي، أو معنوي يتكفل بنشره تحت إدارته، أو باسمه، ويندمج عمل المشتركين فيه في الهدف العام الذي قصد إليه هذا الشخص الطبيعي، أو المعنوي بحيث لا يمكن فصل عمل كل من المشتركين وتمييزه على حدة". أما القانون القطري فقد عرفه بأنه " المصنف الذي يساهم فيه عدة أشخاص طبيعيين، بمبادرة شخص طبيعي أو معنوي وتحت إشرافه بحيث يستحيل فصل عمل كل مساهم وتمييزه على حده، ويتم نشر المصنف باسم هذا الشخص الطبيعي أو المعنوي " في حين نصت المادة الأولي من المرسوم العماني بأنه "هو المصنف الذي تشترك في وضعه جماعة بتوجيه من شخص طبيعي أو معنوي بحيث يكون من غير الممكن فصل عمل كل من المشتركين وتمييزه على حده". قريب من ذلك تعريف المادة L.113-2 من قانون الملكية الفكرية الفرنسي لهذا المصنف بأنه المصنف الذي ينشأ نتيجة مبادرة شخص طبيعي أو معنوي يقوم بنشر المصنف تحت إدارته وباسمه وتمتزج فيه الأنصبة التي يقدمها المؤلفون بحيث لا يمكن أن يخول لكل واحد منهم حقاً مميزاً على مجموع المصنف.

([27]) د. أسامة نائل المحيسن – الوجيز في حقوق الملكية الفكرية – دراسة الثقافة – عمان – الطبعة الأولى – 2011 – ص 175. بوشامة هاجر وعقون بشرى – مرجع سابق- ص7.

([28]) كأن تعهد الدولة إلى بعض المتخصصين في علم أو فن معين بالقيام بإعداد مصنف ما في هذا العلم أو الفن.

([29]) الأصل أن ينسب المصنف الجماعي إلى واضعيه، إلا أن المشرع رعاية منه للهدف الذي وضع هذا المصنف لأجله قد قرر نسبة هذا المصنف للشخص الذي قام بالتوجيه إليه وتكفل بنشره، فأعطاه كافة حقوق المؤلف. إلا أن هذا التوجه كان مثاراً للنقد – وبحق – لما يمثله من خروج عن الواقع، ومخالفة الأوضاع القانونية السليمة، فقد كان ينبغي الاعتراف لمؤلفي هذا المصنف بحقوق المؤلفين، بحيث يكون لهم على المصنف

وعليه يشترط لاعتبار المصنف مصنفاً جماعياً الشروط الآتية:

1 – وجود جماعة من المؤلفين: ويعني ذلك أنه يشترط أن يضع المصنف جماعة من المؤلفين، ولم يحدد المشرع في التشريعات محل المقارنة – عدا التشريع البحريني - حد أقصى أو حد أدني، حيث تضمن النصوص لفظ " جماعة " أو "عدة أشخاص"، الأمر الذي يستفاد منه ألا يقل العدد عن ثلاثة أشخاص (أي أكثر من شخصين) حتى نكون أمام جماعة ([30]). على خلاف ذلك نجد المشرع البحريني قد اكتفى لتحقق الجماعة أن يشترك في وضع المصنف الجماعي أكثر من شخص، أي أنه يعتبر المصنف جماعي إذا قام به مؤلفان أو أكثر ، هذا ولابد أن تتكون الجماعة من أشخاص طبيعيين لأن الشخص المعنوي لا يمكن أن يبتكر مصنفاً ([31]).

2 – وجود شخص موجه: لقد اشترط المشرع – في الدول محل الدراسة - أن تضع الجماعة المصنف بتوجيه من شخص، يستوي بعد ذلك أن يكون هذا الشخص طبيعياً أو معنوياً، كل ما هنالك أنه يقوم بالإشراف على عمل المؤلفين ([32])، ويتعهد بنشر المصنف باسمه. فدور الموجه هنا يتمثل في التنسيق والتنظيم بين المؤلفين، فيقوم بتجميعهم، ووضع خطة العمل اللازمة لإنجاز المصنف، ومتابعة عملهم، ثم نشر المصنف، كل ذلك دون أن يكون له دخل في عملية الابتكار والتأليف ([33]).

3 – اندماج عمل كل مؤلف مع عمل الآخر: فيشترط أن يندمج عمل كل مشارك في المصنف مع عمل الآخر، بحيث لا يمكن تحديد عمله في المصنف وتمييزه على حده ([34])، وهذا الشرط من الشروط الواجب توافرها في أي عمل مشترك، فالجماعة شركاء في المصنف، وتسري عليهم أحكام الاشتراك لولا وجود الشخص الموجه.

ومن استعراض هذه الشروط يتضح لنا أن أهم ما يميز العمل الجماعي عن العمل المشترك، هو وجود الشخص الموجه من عدمه، فالمصنف الجماعي يكون من وضع جماعة من المؤلفين، وبتوجيه من شخص طبيعي أو اعتباري (الشخص الموجه) يتكفل بنشره باسمه وتحت إدارته. وأن عمل المشتركين فيه يندرج في الهدف العام الذي قصده هذا الموجه،

السلطات الأدبية والمادية، وبحيث تظل لهم صفة المؤلف حتى ولو تنازلوا عن سلطاتهم المادية. د. شكري سرور – النظرية العامة للحق ـ دار النهضة العربية - طبعة 1990 – ص 78، فتتحدد ماهية المصنف الجماعي من خلال الشخص الموجه الذي يحدد الغرض من المصنف، وطريقة طباعته ونشره. وهو بذلك يختلف عن المصنف المجمع الذي تجمع فيه المصنفات السابقة لمؤلفين مختلفين في مجموعة كاملة، دون أن يشتركوا شخصياً فيه، كالمقتطفات والمختارات. د. عبد الله النجار – مرجع سابق - ص195.

([30]) د. سعيد عبد السلام – مرجع سابق – ص 56.

([31]) د. صبري خاطر – مرجع سابق – ص 51. مع ملاحظة أن التشريعات المقارنة – عدا التشريع القطري – لم تشترط أن تتكون هذه الجماعة من أشخاص طبيعيين، ومع ذلك، وكما يري البعض – بحق – أن المؤلف لابد وأن يكون شخصاً طبيعياً، لذا يلزم أن تكون هذه الجماعة من الأشخاص الطبيعيين.

([32]) وقد يرتبط الشخص الموجه بالمؤلفين بعلاقة عمل، كما لو كانوا موظفين لديه، كما قد يربط بينهم عقد مقاولة إذا كان هؤلاء المؤلفين يعملون مستقلين. د. مختار القاضي –حق المؤلف – الكتاب الأول – مكتبة الأنجلو المصرية – طبعة 1958– ص 157.

([33]) د. سعيد عبد السلام – مرجع سابق – ص 55.

([34]) ويجب أن يكون المجهود مندمجاً بحيث ينسي كل فرد من أفراد الجماعة ذاته ولا يفكر إلا في إتمام العمل الذي كلف بالاشتراك فيه. د. مختار القاضي– مرجع سابق – ص 158. وقد اختلف الرأي بشأن الحالة التي فيها يكون عمل كل مؤلف من الممكن فصله وتمييزه عن غيره، حيث يرى البعض أن المصنف في هذه الحالة يصبح عملا مشتركا، فيستطيع كل مؤلف إدارة الجزء الخاص به، في حين يرى آخرون أن المصنف يظل مصنفا جماعيا، فيكون للشخص الموجه الحق في إدارته، مع إعطاء الحق للمشتركين في مباشرة الحقوق المالية والأدبية للجزء الخاص بهم بشرط عدم منافسة المصنف الجماعي، حيث يعتبر المؤلفين وكأنهم تنازلوا عن الحق المالي للشخص الموجه، مقابل الأجر الذين حصلوا عليه. د. عبد الله النجار – مرجع سابق - ص196.

وأنه لا يمكن فصل عمل كل المشتركين وتمييزه على حده، لذا فقد قرر المشرع أن يكون للشخص الموجه بابتكار "وضع وتأليف" المصنف الحق في أن يباشر وحده حقوق المؤلف الأدبية والمالية عليه ما لم يقض الاتفاق خلاف ذلك [35].

المطلب الثاني

الشروط الواجب توافرها في المصنف المشترك لحمايته

لقد حرص المشرع في القانون المقارن عند إسباغ الحماية القانونية على المصنفات الأدبية والفنية والعلمية أن يحدد هذه المصنفات، معددً إياها – على سبيل المثال لا الحصر - مع أخذه في الاعتبار تحديد الشروط اللازمة لحماية هذه المصنفات، والتي يمكن من خلالها التمييز بين المصنفات المحمية وغير المحمية، وتظهر هذه الشروط من التعريف الذي تبنته معظم التشريعات الخليجية للمصنف المحمي، حيث عرفت المصنف بأنه كل إنتاج مبتكر في مجال الآداب أو الفنون أو العلوم.

ويظهر لنا من هذا التعريف أن المصنف لا يكون جديراً بالحماية إلا إذا توافر فيه شرط الابتكار، إلا أن حماية المصنف تستلزم توافر شرط أخر مستفاد ضمناً من النصوص القانونية التي تضمنتها التشريعات الخليجية بشأن حماية حق المؤلف، وهذا الشرط هو التعبير عن المصنف.

وعليه يمكن القول إنه يشترط لحماية المصنف شرطان، الابتكار والتعبير عن المصنف، وسنتعرض لهذين الشرطين فيما يلي بالتفصيل مخصصين لكل منها فرعاً مستقلاً وذلك على النحو التالي: -

الفرع الأول: شرط الابتكار (الضابط الشخصي).

الفرع الثاني: شرط التعبير عن المصنف (الضابط الموضوعي).

([35]) وهو ما أكدته محكمة التمييز الإماراتية في حكم لها بقولها "ما كان النص في المادة (1) من القانون الاتحادي رقم (7) لسنة 2002 في شأن حقوق المؤلف والحقوق المجاورة والقوانين المعدلة له على أن " المصنف الجماعي: المصنف الذي تضعه جماعة من المؤلفين بتوجيه شخص طبيعي أو اعتباري، يتكفل بنشره باسمه وتحت إدارته. ويندمج عمل المؤلفين فيه في الهدف العام الذي قصد إليه هذا الشخص، بحيث يستحيل فصل عمل كل مؤلف وتميزه على حده " والنص في المادة (26) من ذات القانون على أن " يكون للشخص الطبيعي أو الاعتباري الذي وجه بابتكار المصنف الجماعي أن يباشر وحده حقوق المؤلف الأدبية والمالية عليه ما لم يكن هناك اتفاق بخلاف ذلك".
يدلان على أن مما يميز المصنف الجماعي عن غيره من المصنفات المتعددة المؤلفين كالمصنفات المشتركة والمصنفات المركبة والمصنفات المشتقة وغيرها، أن المصنف الجماعي يكون من وضع جماعة من المؤلفين، وبتوجيه من شخص طبيعي أو اعتباري يتكفل بنشره باسمه وتحت إدارته. وأن من خصائص هذا النوع من المصنفات، أن عمل المشتركين فيه يندرج في الهدف العام الذي قصده هذا الشخص الطبيعي أو الاعتباري، وأنه لا يمكن فصل عمل كل المشتركين وتمييزه على حده، وأن الأصل أن للشخص الطبيعي أو الاعتباري الذي وجه بابتكار "وضع وتأليف" المصنف أن يباشر وحده حقوق المؤلف الأدبية والمالية عليه ما لم يقضي الاتفاق خلاف ذلك.
ولما كان من المستقر عليه في قضاء هذه المحكمة، أن لقاضي محكمة الموضوع السلطة التامة في فهم وتحصيل الواقع في الدعوى وفي استخلاص صورتها الصحيحة من سائر الأوراق والمحررات والمستندات المطروحة فيها. وكانت أوراق الدعوى قد خلت مما يدل على أن الطاعنة أصدرت قراراً أو أمراً أو نظاما بتشكيل لجنة أو تسمية أعضاء معينين بصفاتهم أو بذواتهم، توجههم فيه بوضع (ابتكار) شخصيات كرتونية بيئية لغرض استخدامها في التوعية البيئية. أو أنها – الطاعنة – وزعت الأدوار والمهام على كل واحد منهم، أو أنها أشرفت على مراحل العمل الذي مر به ابتكار تلك الشخصيات. باعتبار أن إصدار القرار وتوزيع الأدوار والمهام والإشراف على مراحل إتمام العمل، من عناصر الوجيه التي تطلبتها المادة الأولى من القانون سالف الذكر حتى يكون المصنف جماعياً. وبالبناء على ما تقدم فإن عنصراً من عناصر التعريف القانوني للمصنف الجماعي قد تخلف، مما يكون معه المصنف محل النزاع خارج التعريف الذي ساقه المشرع للمصنف الجماعي".
الطعن رقم 51 لسنة 2013 قضائية بتاريخ 05-06-2013.

الفرع الأول

الابتكار

يكاد يجمع الفقه على ضرورة توافر شرط الابتكار كعنصر مميز للمصنف المحمي قانوناً عن غيره من المصنفات غير المحمية. حتى أن البعض يري أنه الشرط الوحيد اللازم توافره في المصنف حتى يكون متمتعاً بالحماية القانونية [36]، ويعني ذلك أنه يشترط لإسباغ الحماية القانونية على المصنف أن يكون مبتكراً، والابتكار هو البصمة الشخصية للمؤلف، بحيث تستكشف شخصية المؤلف من مقومات الفكرة التي عرضها أو من الطريقة التي سلكها لعرض هذه الفكرة [37].

والابتكار قد يكون مطلقاً بحيث يكون جديداً لم يسبق المؤلف إليه أحد غيره، وقد يكون نسبياً أي مجرد التجديد في طريقة العرض والتأصيل أو الاسلوب. ففي الحالتين يعد المصنف مبتكراً إذا كان مطبوعا بشخصية المؤلف وطابعه المميز.

وسنتناول فيما يلي شرط الابتكار بشيء من التفصيل سواء من حيث ماهيته أو صوره مخصصين لذلك الغصنين التاليين:

الغصن الأول: ماهية الابتكار.

الغصن الثاني: صور الابتكار.

الغصن الأول

مفهوم الابتكار

من المسلم به أن المصنف لا يكون جدير بالحماية إلا إذا كان أصلياً أو يتسم بالإبداع، وهو لا يكون أصليًا إلا إذا كان العمل من أبداع مؤلفه، وأن يكون المؤلف قد مارس قدرًا من الإبداع في ابتكار العمل ([38])، ولا يعني ذلك أن يكون جديداً أو فريدًا. فقد يتشابه عملين من حيث الفكرة أو المفهوم الأساسي، ومع ذلك يكون كل منهم جديراً بالحماية طالما لم يتم نسخ أحدهما من الآخر [39].

([36]) د. حسام لطفي- مرجع سابق - ص25. انظر أيضا:
Chapitre préliminaire Présentation de la propriété littéraire et artistique – p. 13. https://www.editions-ellipses.fr/PDF/9782340015739_extrait.pdf.

([37]) د. كمال سعدي- الملكية الفكرية – الجزء الأول – حق الملكية الأدبية والفنية – الطبعة الأولي - 2004 - ص 122.

([38]) وقد جرى القضاء الإنجليزي على رفض منح من يبتكر عناوين وأسماء حقوق التأليف والنشر، وذلك لقلة الجهد الذي بذله الشخص في ابتكارها، ومن ذلك قضية Francis Day and Hunter v Twentieth Century Fox (1940) حيث رفضت المحكمة منح الحماية القانونية لاسم أغنية "The man who broke the bank at Monte Carlo"، وكذلك في قضية Tavener Rutledge v Trexpalm (1977) والخاصة بمنح الحماية لاسم "KOJAK". تفصيلا،
Catherine Colston, LLB, LLM- Principles of Intellectual Property Law- Cavendish Publishing Limited - First published in Great Britain 1999 -P168.

([39]) Deborah E. Bouchoux -ntellectual Property - op-cit - p.193.

انظر أيضا، د. عبد الله النجار – مرجع سابق – ص141. ولا يوجد ما يمنع أن يكون المؤلف قد استند في إعداده لمصنفه على أعمال مؤلفين آخرين، فالابتكار أمر نسبي وليس مطلق، فلابد أن يكون في الابتكار تأصيل وثقافة ساهم في تكوينها ابتكارات سابقة وتراث علمي، د. فتحي الدريني – حق الابتكار في الفقه الإسلامي المقارن – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية – 1981 - ص10.

ويقصد بالابتكار – كما عرفه المشرع الإماراتية والعماني - الطابع الإبداعي الذي يسبغ على المصنف الأصالة والتميز [40] أو كما عرفه المشرع الكويتي في الفقرة 2 من المادة الأولى بأنه "الإتيان بعمل جديد يتوفر معه عنصر الأصالة، أو تجديد عمل موجود أو تطويره بحيث يتميز هذا التجديد أو التطوير بطابع خاص". أو هو – كما عرفه المشرع السعودي – "الإنشاء الذي توفرت فيه عناصر الجدة أو تميز بطابع خاص غير معروف من قبل". وإذا كانت التشريعات الثلاث المشار إليها قد حرصت على تحديد المقصود بالابتكار، فعلى الجانب الآخر نجد أن باقي التشريعات المقارنة قد جاءت خلوا من ثمة تعريف له.

ويستفاد مما سبق أن التشريعات الخليجية عند تحديدها لمفهوم الابتكار قد انقسمت إلى ثلاثة مذاهب، **المذهب الأول:** ويتبناه **المقتن السعودي والمشرع الكويتي** [41] ويأخذ بالجدة أو الحداثة كمعيار مميز للمصنفات الجديرة بالحماية،

ومن صور الاستناد على أعمال الأخرين، قيام المؤلف بترجمة رواية من لغة إلى لغة أخرى، أو قيامه بتحويل رواية ما إلى فيلم سينمائي أو تليفزيوني. إلا أنه إذا كان العمل الأصلي لا يزال في مدة الحماية القانونية، لزم الحصول على إذن المؤلف الأصلي قبل إجراء الترجمات أو التعديلات.

([40]) المادة الأولي من القانون الاماراتي بشأن حقوق المؤلف والحقوق المجاورة. يقابلها الفقرة 5 من المادة (1) من المرسوم العماني، قريب من ذلك نص 182 فقرة 2 من القانون المصري بخصوص حق المؤلف، والتي جاء فيها أنه " الابتكار: الطابع الإبداعي الذي يسبغ الاصالة على المصنف".

([41]) وقد كان المشرع الكويتي في القانون رقم 22 لسنة 2016 والقوانين السابقة له يتبنى مفهوم أن الابتكار هو الطابع الابداعي الذي يسبغ على المصنف الاصالة والتمييز، وهو ما أكدته محكمة التمييز الكويتية في أحد أحكامها بقولها "من المقرر قانوناً أن المصنفات التي يتمتع مؤلفوها بحماية القانون رقم 64 لسنة 1999 في شأن حقوق الملكية الفكرية هي – على نحو ما حددته الفقرة الأولى من المادة الأولى منه "المصنفات المبتكرة في الآداب والفنون والعلوم أياً كانت قيمة هذه المصنفات أو نوعها أو الغرض من تأليفها أو طريقة التعبير عنها" ويقصد بالابتكار كمعيار اشترطه القانون لإسباغ الحماية القانونية على المصنف ذلك الطابع الشخصي الإبداعي الذي يعطيه المؤلف لمصنفه والذي يسبغ عليه الأصالة ويسمح بتمييزه عن غيره من المصنفات المنتمية إلى ذات النوع واعتبرت الفقرة الثانية من المادة سالفة البيان الشخص الذي يبتكر المصنف أو الذي ينسب إليه عند نشره مؤلفاً سواء كان ذلك بذكر اسمه على المصنف أو بأي طريقة أخرى إلا إذا أقام الدليل على خلاف ذلك أي أن المشرع وضع قرينة قانونية غير قاطعة على أن من ذكر اسمه على المصنف عند نشره يعد هو مؤلفه وجاءت المادة الرابعة من ذات القانون ناصه على حقوق ذلك المؤلف فقررت له – وحده – الحق في تقرير نشر مصنفه وفي تعيين طريقة هذا النشر والحق في استغلال المصنف مالياً بأي طريقة من طرق الاستغلال وحظرت على غيره مباشرة هذا الحق إلا بإذن كتابي مسبق منه أو ممن يخلفه وقد أورد المشرع في الفقرة الأولى من المادة الثانية من القانون أمثلة للمصنفات التي يحميها منها ما نصت عليه الفقرة "و" (المصنفات السينمائية والمصنفات الإذاعية والبصرية) وهذا النوع من المصنفات يُعد في الأصل بحسب طبيعته من المصنفات المشتركة إذ يساهم أكثر من شخص في إعداده غير أنهم لا يعتبرون جميعاً، شركاء في تأليف المصنف إذ لا يعتبر شريكاً منهم إلا من اتسم عمله بالابتكار أما من اقتصرت مهمته على مجرد أعمال مادية لا صلة لها بالنشاط الفكري المبدع ولا توصف بالابتكار فلا يُعد شريكاً ولا تثبت له أية حقوق على المصنف ومن المقرر قضاءً أن تقدير الاشتراك في المصنف واستخلاص توافر الخطأ الموجب للمسئولية التقصيرية أو عدم توافره يعد من مسائل الواقع التي تستقل بها محكمة الموضوع متى أقامت قضاءها على أسباب سائغة. لما كان ذلك، وكان الحكم المطعون فيه قد خلص من أوراق الدعوى وسائر مستنداتها إلى أن الحوار التليفزيوني مثار النزاع قد أجرته الطاعنة مع المحاور معه (الشيخ ..... وزير الإعلام والنفط السابق) لمكانته الاجتماعية ولاعتبارات خاصة به وأن ذلك الطابع الشخصي هو الذي أسبغ على المصنف الطابع الإبداعي الذي يحميه القانون ومن ثم فإن شخص المحاور معه يُعد هو المؤلف المعنى بالحماية القانونية المنصوص عليها في المادة الرابعة المشار إليها وليست الطاعنة التي أجرت الحوار عن طريق تابعيها وبالتالي يكون للمؤلف المذكور – وحده - الحق في تقرير نشر مصنفه وفي تعيين طريقة هذا النشر وفي استغلاله مالياً بأي طريقة، وإذ استخلص الحكم من قيام المطعون ضدها ببث الحوار على قناتها المرئية بإذن من مؤلفه انتفاء الخطأ عن جانب المطعون ضدها ورتب على ذلك قضاءه بتأييد الحكم الابتدائي الصادر برفض دعوى التعويض المقامة من الطاعنة وكان ما انتهى إليه الحكم سائغاً ومن شأنه أن يؤدي إلى النتيجة التي انتهى إليها بغير مخالفة للقانون أو للثابت بالأوراق ويندرج في نطاق السلطة التقديرية لمحكمة الموضوع في استخلاص توافر الاشتراك في المصنف المرئي أو عدم توافره واستخلاص الخطأ الموجب للتعويض، فإن النعي عليه بسببي الطعن ينحل جدلاً فيما تستقل محكمة الموضوع سلطة تقديره تنحسر عنه رقابة هذه المحكمة ويضحى على غير أساس.الطعن رقم 1223 لسنة 2010 قضائية بتاريخ 2011-05-10 مكتب فني 39 رقم الجزء 2 رقم الصفحة 75 .

(وهو معيار موضوعي) وهذا المعيار ذاته مأخوذ به في مجال براءة الاختراع[42]. إلا أنهما قد اعتبر العمل مبتكراً إذا كان قد تميز بطابع خاص غير معروف من قبل أو كان تجديد العمل الموجود أو تطويره يتميز بطابع خاص.

إلا أننا نرى أن الاعتماد على الجدة (المعيار الموضوعي) في الابتكار أمر محل نقد، فالابتكار في مجال المصنفات الأدبية والفنية يعتمد على المعيار الشخصي وليس الموضوعي، ويقصد بالمعيار الشخصي ذلك الطابع الذي يسمح بتمييز المصنف عن سواه من المصنفات المنتمية إلى نفس النوع [43]، بحيث لا يشترط أن يكون المصنف جديداً على نحو لم يصل إليه أحد من قبل.

أما **المذهب الثاني** فيتبناه **المشرع الإماراتي والعماني** حيث يرى كليهما في الابتكار ذلك الطابع الإبداعي الذي يسبغ على المصنف الأصالة والتمييز، بحيث يبرز شخصية المؤلف سواء في مقومات الفكرة التي عرضها أو في الطريقة أو الأسلوب الذي اتبعه لعرض هذه الفكرة. وبمعني أخر البصمة الشخصية للمؤلف التي يضفيها على المصنف والتي تميز مصنفه عن غيره. ومما لا شك فيه أن قانون حماية حقوق المؤلف يحمي الابتكار بهذا المعنى لا يحمي الجدة أو الحداثة لأن الأخيرة محمية بقانون براءة الاختراع.

في حين جاء **المذهب الثالث** والذي تبناه باقي المشرعون الخليجيون بموقف مختلف عن الموقفين السابقين، حيث لم يحدد هؤلاء المشرعون مفهوم الابتكار تاركاً المجال إلى الفقه ليدلوا بدلوه في هذا الخصوص، وهو بلا شك مسلكاً ممدوح من المشرع، فوضع التعريفات من المسائل التي يفضل تركها للفقه والقضاء دون التشريع.

أما على الصعيد الفقهي فيمكن القول إن الفقه في غالبيته يري أن الابتكار هو البصمة الشخصية للمؤلف أو الإبداع العقلي الذي يسبغ الأصالة والتمييز على المصنف ([44]).

([42]) الجدة أو المعيار الموضوعي للابتكار في مجال براءات الاختراع يتفق مع طبيعة هذا النظام، ففي براءة الاختراع يتعين لحماية حقوق المخترع أن يقوم بإنشاء شيء جديد لم يكن موجودًا من قبل في أي مكان في العالم، فلا يحصل المخترع على براءة الاختراع إلا إذا كان قد توصل إلى شيء جديد لم يصل إليه غيره. فإذا كان – مثلاً - قد تم بالفعل نشر حل تقني في كتاب أو مقالة، أو إذا كان قد تم عرض منتج تم الحصول عليه من خلال حل تقني للبيع في السوق، أو إذا كان الحل التقني معروفًا للجمهور بطريقة أخرى، فكل هذه الحالات لا يحصل الشخص على براءة اختراع. وتعتمد معظم دول العالم على معيار الجدة المطلقة وليس النسبية، بمعنى أن يكون الاختراع جديداً في جميع أنحاء العالم، وليس في بلد المخترع فقط. CNIPA and WIPO - Intellectual Property Basics- op. cit., p.26,27. وقد تبنت هذا المعيار الأمانة العامة للمنظمة العالمية للملكية الفكرية (ويبو) في مسرد بالمصطلحات الرئيسية المتعلقة بالملكية الفكرية والموارد الوراثية والمعارف التقليدية، وأشكال التعبير الثقافي التقليدي - الدورة الرابعة والثلاثون، جنيف، من 12 إ الى 16 يونيو 2017، عند تحديدها للمقصود بالنشاط الابتكاري، وذلك بقولها "النشاط الابتكاري (ويشار إليه كذلك بمصطلح "عدم البداهة") هو أحد معايير الحماية بموجب البراءة، ويتعلق بمسألة أن يكون الاختراع بديهياً لشخص من أهل المهنة". انظر تفصيلا المرجع المشار إليه، ص25.

([43]) د. حسام لطفي – مرجع السابق – ص 26.

([44]) وقد تبني القضاء القطري الطابع الشخصي للابتكار، حيث قضت محكمة التمييز القطري بأنه "إذ كان المشرع فيما ضمنه نصوص المواد 1، 2، 7، 8، 10، 15، 17 من القانون رقم (7) لسنة 2002 الصادر بشأن حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة أوضح بجلاء طبيعة المصنف الذي شملته الحماية فجعل الابتكار هو الأساس الذي تقوم عليه هذه الحماية بحيث يبين أن صاحبه قد خلع عليه شيئاً من شخصيته ومن غير أن يكون ترديداً لمصنف سابق". الطعن رقم 225 لسنة 2011 قضائية بتاريخ 13-03-2012 رقم الصفحة 119.
وهو ذات مسلك القضاء المصري هذا الاتجاه فتوسع في معنى الابتكار حيث اعتبر كافياً لتحقق الابتكار أن يكون عمل واضعه حديثاً في نوعه ويتميز بطابع شخصي خاص، حتى أنه يعتبر من قبيل الابتكار الترتيب والتنسيق أو بأي مظهر آخر إذا كان من شأنه اسباغ المؤلف طابعه الشخصي على المصنف، فقد اعتبر أن فهرس إحدى كتب الأحاديث النبوية من قبيل العمل المبتكر (نقض مدني في 7 يوليو 1964 مجموعة النقض المدني سنة 1964، ص 92) مشار إليه د. حسام الأهواني - حماية حقوق الملكية الفكرية في مجال الإنترنت – بحث منشور بموقع

حيث ذهب هذا الرأي الى أن الابتكار يستلزم أن يكون للمؤلف دور يبرز شخصيته سواء كان ذلك من حيث موضوع المصنف أم من حيث التعبير عن الفكرة والطريقة التي يعالج بها هذه الفكرة. ويظهر ذلك بوضوح من التعريفات التي أوردها فقهاء القانون للابتكار، تلك التعريفات التي وإن اختلفت في الألفاظ فقد اتفقت في المعني ومن ذلك، تعريفه بأنه " الطابع الشخصي الذي يعطيه المؤلف لمصنفه مما يسمح بتمييز المصنف عن غيره من المصنفات الأخرى "([45]). ومنها تعريفه بأنه " الطابع الشخصي الذي يعطيه المؤلف لمصنفه هذا الطابع الذي يسمح بتمييز المصنف عن سواه من المصنفات المنتمية لنفس النوع"([46]) وغير ذلك من التعريفات التي لا يتسع المقام لذكرها ([47]).

وعلى الخلاف من ذلك هناك من الفقه من يقصر الابتكار على الجدة، فيري أن الابتكار بشكل عام يقصد به " وضع شيء جديد لم يكن موضوعاً من قبل"([48]) أو هو " إيجاد شيء جديد لم يكن موجوداً من قبل أو اكتشاف شيء كان موجوداً ولكنه كان مجهولاً وغير ملحوظ الوجود" ([49]). والابتكار بهذا المعني يصلح كعنصر لحماية براءات الاختراع، إلا أنه لا يصلح كمعيار مميز للمصنفات المحمية بموجب قانون حماية حق المؤلف، ذلك القانون الذي يضفي الحماية على المصنفات التي يسبغ عليها المؤلف شخصيته وفكره.

الغصن الثاني

صور الابتكار

الابتكار – كما سبق القول – شرط ضروري لحماية المصنف، فالمصنف الذي لا يتصف بهذه الصفة لا يحظى بالحماية القانونية ([50])، ولكن الابتكار لا يعني ابتداع شيء جديد لم يصل إليه أحد من قبل، وهو ما يطلق عليه " الجدة " وإنما يكفي أن يقدم المصنف شيئاً جديداً يعبر من خلاله المؤلف عن فكره وشخصيته، وما بذله من جهد فيه ([51]). ويفهم من ذلك أن للابتكار صورتان، الأولي: الابتكار المطلق، والثانية: الابتكار النسبي،

الدليل الالكتروني للقانون العربي – www.arablawinfo.com- ص 5. نقض مدني ، جلسة 1965/2/18، مكتب فني س 96 رقم 28، ص 178

([45]) د. شحاته شلقامي – مرجع سابق – ص 43.

([46]) د. حسام لطفي – مرجع سابق – ص 26

([47]) ويندرج ضمن هذه المعاني والمفاهيم التي وضعها الفقه تعريفاً للابتكار ما قال به البعض بأنه يقصد بالابتكار " بروز شخصية المؤلف في المصنف " د. صبري حمد خاطر – مرجع سابق – ص 57 أو هو" الطابع الشخصي الذي يعطيه المؤلف لمصنف" د. وداد العيدوني – مرجع سابق – ص 12، ومن هذه التعريفات، تعريفه بأنه " وبعبارة أخرى يقصد بالابتكار بصمة المؤلف التي تنبع من شخصيته، و التي تصل في بعض الأحيان لمعرفة المؤلف بمجرد الاطلاع على مصنفه" مستشار على الصادق – الحماية الجنائية لحقوق الملكية الفكرية – مقال منشور بمجلة معهد القضاء - ص 104 كما عرفه آخرون بأنه " الاتيان بشيء مفيد من حقول المعرفة يرضي اناساً من ذوي الدراية بحقل الابتكار " د. كمال سعدي – مرجع سابق – ص 125.

([48]) رأى السيد سمير جميل حسين الفتلاوي مشار إليه د. كمال سعدي- مرجع سابق - ص 124.

([49]) د. حلو أبو حلو، ود. سائد المحتسب– بحث بعنوان " مقدمة في الملكية الفكرية والحماية القانونية لبراءات الاختراع " منشور بموقع الدليل الالكتروني للقانون العربي – www.arablawinfo.com- ص 3.

([50]) وهذا ما أكدته محكمة النقض المصرية حيث قررت أنه لا تكون للمؤلف على مصنفه حق الحماية إلا إذا تميز المصنف بالابتكار الذهني، أو بالترتيب في التنسيق، أو بأي مجهود آخر يتسم بالطابع الشخصي ويضفي عليه وصف الابتكار. نقض مدني جلسة 1966/7/7 مشار إليه د. وداد العيدوني – مرجع سابق – ص 12

([51]) د. شحاته شلقامي – مرجع سابق – ص 43.

ونستعرض فيما يلي هاتين الصورتين بإيجاز فيما يلي: -

أولاً: الابتكار المطلق: الابتكار المطلق هو ما يطلق عليه الجدة ([52])، والجدة تعني أن يضع المؤلف مصنفاً جديداً لا صلة له بمصنف آخر سابق، سواء من حيث الشكل أم التعبير أم الأسلوب ([53])، فالجدة ابتكار، ولكنها ابتكار مطلق، فلا ريب أن كل جديد مبتكر، وليس كل مبتكر جديد ([54]).

ثانياً: الابتكار النسبي: وهذه الصورة من الابتكار يكفي لتحققها إبراز المؤلف شخصيته على المصنف، حتى لو كان هذا المصنف قد تأثر بمصنف آخر سبقه، أو كان مشتق منه، ومن ثّم يستفيد من الحماية صاحب المصنف الجديد وصاحب المصنف المبتكر، فمن يبتكر تمثالاً دون أن يسبقه إلى ذلك أحد يعد مؤلفاً،

ومن يحاكي هذا التمثال بأسلوبه الخاص يعد مؤلفاً ([55]). والفنان الذي يقوم برسم لوحة لم يقم أحد قبله بالتعبير عنها، يعد مقدماً لمصنف جديد، فإذا قام أحد الفنانين بعد ذلك برسم نفس اللوحة ولكنه عبر عنها بطريقة ظهر فيها طابعه الشخصي، فلا تعتبر اللوحة الثانية جديدة، ولكنها تعتبر مبتكرة Original. وكذلك المسرحية المأخوذة عن رواية معينة يتمتع مؤلفها بالحماية طالما أنها تعكس شخصيته ([56]).

وعليه يمكن القول إن المصنف يتمتع بالحماية القانونية، حتى ولو كان المؤلف قد استوحاه من مصنف سابق، طالما عبر فيه عن شخصيته، وأفكاره([57]).

([52]) والجدة هي المعيار الأساسي المميز للملكية الصناعية، حيث لا تمنح براءة الاختراع للمصنف الصناعي إلا إذا كان جديداً. د. طارق كاظم عجيل – حماية حقوق المصمم المعماري وفقاً لقانون حق المؤلف – دراسة مقارنة – بحث مقدم للمؤتمر الثامن عشر بشأن عقود البناء والتشييد بين القواعد القانونية التقليدية والنظم القانونية المستحدثة – ص 350

([53]) د. صبري خاطر – مرجع سابق – ص 57.

([54]) ومن أمثلة ذلك يعد مؤلف " التانجو" الأول – وهي رقصة ارجنتينية شهيرة – مؤلفاً لمصنف جديد ومبتكر، أما من وضع التانجو الثاني فقد ابتكر مصنف ولكن هذا المصنف لا يعتبر جديدا. د. حسام لطفي – مرجع سابق – ص 27

([55]) د. صبري خاطر – مرجع سابق – ص 58.

([56]) د. عبد الرشيد مأمون – حماية حق المؤلف في إطار المصنفات المشتركة – بحث منشور بموقع الدليل الالكتروني للقانون العربي – www.arablawinfo.com – ص 4.

([57]) ومن تطبيقات ذلك في قضية Warwick Films v Eisinger (1969)، صنع المدعى عليه فيلمًا عن محاكمات أوسكار وايلد، مستخدمًا كتابين كمصادر حرفية لكلمات المحامي والقضاة ووايلد نفسه في المحاكمات. جادلوا بأن الكتب لم تكن أعمالًا أصلية لأنها مأخوذة من محاضر المحاكمة ومصادر أخرى، وفي ذلك أكد "Plowman J" أن هناك حقوق طبع ونشر في كلا الكتابين. ففي الأول، كان قام المؤلف باختيار عدد كبير من النصوص، بما يكفي لمنح الأصالة؛ وفي الثاني، على الرغم من نسخ المؤلف الكثير من الكتاب الأول، إلا أنه كان هناك أيضًا تحرير لعدد كبير من النصوص، كما أدرج المؤلف مساهماته الخاصة، حيث أضاف بعض المواد، وحذف بعضها، وأجرى تعديلات لفظية على مواد أخرى، وأعاد ترتيب بعض المواد، وقام بنقل بعضها مختصرة. وخلص إلى أن حقوق الطبع والنشر تكون موجودة للمؤلف حتى في العمل الثانوي، على الرغم من أن المؤلف قد انتهك حق المؤلف الموجود في المصادر المستخدمة له، بشرط أن تكون "المهارة والعمل والحكم" المستخدمة في إنشاء العمل الثانوي كافية لخلق عمل جديد..Catherine Colston, LLB, LLM- op.cit-P170

الفرع الثاني

التعبير عن المصنف

تناولنا فيما سبق الشرط الأول من الشروط الواجب توافرها في المصنف لبسط الحماية القانونية عليه، وقد تمثل هذا الشرط في الابتكار، وسنتناول في هذا المطلب الشرط الثاني لإسباغ الحماية القانونية على الإنتاج العقلي للمؤلف، ويتمثل هذا الشرط في التعبير عن المصنف.

ويمكن القول إنه يقصد بالتعبير عن المصنف خروج الفكرة الكامنة في النفس الى حيز الوجود بشكلها المحسوس ([58])، لأن تلك الأفكار غير المعبرة عنها لا تعتبر مصنفاً ([59]). فالإنتاج الذهني المشمول بالرعاية – كما بينا سابقاً - هو الإنتاج المعبر عنه فقط، أي الذي خرج إلى حيز الوجود المادي، والمنفصل عن ذهن صاحبه، والذي يستطيع الغير أن يعلم به، أما الإنتاج الذهني الذي لا يخرج عن كونه أفكاراً تدور في ذهن صاحبها، فلا يعد مصنفاً، أيا كان قيمته، ومن ثّم لا يصلح محلا للحماية القانونية.

وعليه لا يكون المصنف جديراً بالحماية القانونية إلا إذا تم التعبير عنه بأحد الوسائل المحسوسة (أي ثابت في وسط ملموس)([60]). كالكتابة أو الصوت أو الرسم أو التصوير أو الحركة. أما الفكرة التي لم يتم التعبير عنها، فتبقى مجرد فكرة لا يقوم القانون بحمايتها. ويجوز لكل شخص أن يتناولها ويعبر عنها، مؤيداً أو منفذا، على أن ينسبها لصاحبها ([61])، وهو ما نصت عليه صراحة المادة الرابعة فقرة (أ) من قانون حماية حق المؤلف البحريني والتي جاء فيها أنه " لا تشمل الحماية ما يلي: أ- مجرد الأفكار ... ". يقابلها المادة الثالثة من قانون حقوق المؤلف الإماراتي والتي نصت على أنه " لا تشمل الحماية الأفكار ..... لكنها تنطبق على التعبير المبتكر عن أي منها". ويقابلها أيضا نص الفقرة 3 من المادة الرابعة من القانون القطري والتي جاء فيها أنه " لا تتمتع بالحماية المقررة بموجب هذا القانون ..... 3 - الأفكار والإجراءات وأساليب العمل والمفاهيم الرياضية، والمبادئ والحقائق المجردة، ومع ذلك يعتبر المبتكر عن أي منها مشمولاً بالحماية".

([58]) وتعني الصورة المحسوسة للمصنف أن يستطيع الشخص أن يحس بالمصنف عن طريق أحد الحواس المعروفة، النظر أو السمع أو اللمس. د. سعيد عبد السلام – الحماية القانونية لحق المؤلف والحقوق المجاورة في ظل قانون حماية حقوق الملكية الفكرية رقم 82 لسنة 2002 – دار النهضة العربية – طبعة 2004- ص 156. د. عبد الله النجار – مرجع سابق – ص143. ومن تطبيقات ذلك قضية Merchandising Corp of America v Harpbond (1983)، والتي قررت فيها المحكمة أن مكياج الوجه الذي استخدمه نجم البوب " Adam Ant " لم يكن لوحة لأن "اللوحة ليست فكرة: إنها كائن. والطلاء بدون سطح [دائم] ليس لوحة. ويعتبر هذا القرار انعكاسًا لمبدأ أن الحماية لا تكون للأفكار، وإنما تكون للتعبير عن الأفكار.

Catherine Colston, LLB, LLM- op.cit-P169

([59]) د. كمال سعدي- مرجع سابق - ص 152. وهناك من يعرف التعبير عن المصنف بأنه انتقال الفكرة من ذهن المؤلف إلى العالم الخارجي. د. كاظم عجيل – مرجع سابق – ص 354. وهو المبدأ القائل بأنه لا توجد حقوق طبع في فكرة ما، وإنما حقوق التأليف والنشر موجودة فقط في تعبيرها. " ‘there is no copyright in an idea, copyright only subsists in its expression’". Catherine Colston, LLB, LLM- op.cit-P174.

([60]) Deborah E. Bouchoux -ntellectual Property – op-cit- p.194.

([61]) رأى د. عبد الرزاق السنهوري مشار إليه د. كمال سعدي- مرجع سابق - ص 153.

وقد ساوى المشرع الخليجي بين وسائل التعبير عن المصنف فنص صراحة على حماية المصنفات أيا كان شكل التعبير عنها، ففي التشريع البحريني نجد المادة الثانية من قانون حماية المؤلف تنص على أن " تتمتع بالحماية المقررة بموجب أحكام هذا القانون المصنفات الأدبية والفنية والعلمية بمجرد ابتكارها، دون حاجة إلى أي إجراء شكلي، أيا كانت قيمة هذه المصنفات أو نوعها أو غرضها أو طريقة أو شكل التعبير عنها .....".

وهو ذات ما قرره المشرع الكويتي – مع اختلاف الصياغة – في المادة الثالثة من قانون حقوق الملكية الفكرية، والتي جاء فيها أنه " تسري الحماية التي يقررها هذا القانون لحقوق المؤلفين على المصنفات المبتكرة في الآداب والفنون والعلوم أيا كان نوع هذه المصنفات أو طريقة التعبير عنها أو أهميتها أو الغرض من تأليفها أو تصنيفها بمجرد ابتكارها دون الحاجة إلى أي إجراء شكلي". قريب من ذلك نص المادة الثانية من قانون حق المؤلف العماني والتي نصت على أن " تتمتع بالحماية بموجب أحكام هذا القانون المصنفات الأدبية والفنية والعلمية المبتكرة بصرف النظر عن قيمة تلك المصنفات أو نوعها أو طريقة التعبير عنها أو الغرض من تأليفها ". والمادة الثانية من قانون حماية حقوق المؤلف القطري والتي تضمنت النص على أنه " يتمتع بالحماية المقررة في هذا القانون مؤلفو المصنفات المبتكرة في الآداب والفنون، أيا كانت قيمة هذه المصنفات أو نوعيتها، أو الغرض من تأليفها، أو طريقة التعبير عنها".

كذلك ورد ذات الحكم في نظام حماية حقوق المؤلف السعودي، في المادة الثانية منه، والتي جاء فيها أنه " يتمتع بحماية هذا النظام مؤلفو المصنفات المبتكرة في العلوم والآداب والفنون أيا كان نوع هذه المصنفات أو طريقة التعبير عنها أو أهميتها أو الغرض من تأليفها ". ولم يكتف المشرع السعودي بالنص على ذلك بل أشار إلى وسائل التعبير عن المصنف المحمي وذلك في المادة الثالثة من ذات القانون والتي نصت على أنه "تشمل الحماية بوجه عام مؤلفي المصنفات التي يكون مظهر التعبير عنها الكتابة أو الصوت أو الرسم أو التصوير أو الحركة".

ولم يرد مثل هذا النص في القانون الإماراتي، إلا أن ذلك لا يعني استلزام المشرع شكل معين للتعبير عن المصنف المحمي، فقد اكتفى المشرع الإماراتي للتأكيد على المساواة بين وسائل التعبير عن المصنفات بتضمينها تعريف المصنف ذاته، حيث قرر أنه يقصد بالمصنف: كل تأليف مبتكر في مجال الآداب، أو الفنون، أو العلوم، أيا كان نوعه أو طريقة التعبير عنه، أو أهميته أو الغرض منه.

ويمكن الإشارة بإيجاز لأهم وسائل التعبير عن المصنف ([62]) فيما يلي:

الوسيلة الأولى: الكتابة ([63]): والكتابة بلا شك من أهم وسائل التعبير عن المصنفات، ونشرها على نحو يتيح للجمهور الاطلاع عليها، وهي تظهر في كافة أنواع المصنفات سواء أكانت علمية أم أدبية أم فنية، وسواء تعلقت بمجال التاريخ أو الفلسفة أو القانون أو السياسة أو الموسيقي وغير ذلك.

([62]) د. كمال سعدي- مرجع سابق - ص 154 وما بعدها.

([63]) والكتابة تتضمن أي شكل من أشكال التدوين أو الكود، سواء أكان يدويًا أم غير ذلك، بغض النظر عن الوسيط الذي يتم فيه التسجيل أو عليه. وبما في ذلك الكتابة باستخدام التقنيات الجديدة، ككتابة العمل وتخزينه على جهاز الكمبيوتر.

Catherine Colston, LLB, LLM- op.cit-P169

الوسيلة الثانية: الصوت: ويعد الصوت الوسيلة الثانية للتعبير عن الإبداع العقلي وطريقة من طرق نشر المصنف وإتاحته للجمهور ومن مظاهر استخدام الصوت كوسيلة للتعبير عن المصنف، الألقاء الشفهي. كالخطب والمحاضرات والمواعظ والدروس والآراء الخاصة في المناقشات والندوات وما يماثلها. ومن ذلك أيضا عزف الموسيقي والتمثيل.

الوسيلة الثالثة: الرسم والتصوير والنحت: وهي أيضا وسائل للتعبير عن المصنفات، يستوي أن يتم ذلك عن طريق الخطوط أو الألوان أو الحفر أو النحت أو النقش أو الزخرفة أو التصوير الفوتوغرافي أو السينمائي. فنجد أن هناك الرسوم التخطيطية والخرائط والرسوم البيانية والخرائط والتصاميم والرسوم الزيتية والمائية والخشبية وما يماثلها.

الوسيلة الرابعة: الحركة: وتستخدم هذه الوسيلة عادة للتعبير عن الابتكارات الفنية، فيلجأ اليها المؤلف لإيصال مصنفه الى الجمهور، وهو ما نجده في فنون الرقص والباليه والتمثيل والألعاب كألعاب الكاراتيه وما يماثلها.

المطلب الثالث

أحكام المصنف المشترك

لقد أثارت المصنفات المشتركة العديد من الإشكاليات التي تتعلق بتحديد أحكام هذا النوع من المصنفات، ومن ذلك الآتي، ما هو القدر الذي يقع عليه حق كل من المشتركين في المصنف المشترك؟ وهل يجوز لكل شريك أن يقوم باستغلال أدائه في المصنف منفصلا عن باقي المشتركين معه في عمل هذا المصنف؟

عالجت التشريعات الخليجية هذه الإشكالية، مفرقة بين فرضين، الفرض الأول: الاشتراك المطلق، ويتمثل هذا الفرض في حالة اشتراك أكثر من مؤلف في إعداد المصنف على نحو يتعذر معه تحديد نصيب كل منهم في العمل المشترك، أما الفرض الثاني: الاشتراك النسبي فيتمثل في حالة إمكان فصل نصيب كل مشترك في هذا المصنف عن نصيب غيره. وهو ما سنتناوله فيما يلي، ونختم هذا المطلب بالتعرض للأحكام المشتركة بين نوعي المصنف المشترك، لذا رأينا أن نتبع التقسيم التالي: -

الفرع الأول: أحكام الاشتراك المطلق.

الفرع الثاني: أحكام الاشتراك النسبي.

الفرع الثالث: الأحكام المشتركة بين نوعي المصنف المشترك.

الفرع الأول

أحكام الاشتراك المطلق

الاشتراك المطلق يعني ذوبان شخصية جميع المؤلفين في المصنف على نحو لا يمكن الفصل فيه بين إسهام وإبداع كل منهم، وفى هذا النوع من الاشتراك، يقوم أكثر من مؤلف بالاشتراك في تأليف مصنف، فيمتزج كل عمل بالآخر، كحالة المصمم المعماري الذي يشترك معه آخر في تصميم نموذج مصغر لمبني، والنحات الذي يشترك مع آخر في نحت تمثال [64].

([64]) ويدخل برنامج الحاسب الآلي في هذه النوعية من المصنفات فلا يمكن فصل عمل أحد المؤلفين عن الآخر فضلا عن صعوبة التمييز بينهم، ومن ثم فأنه يجب أن يتفق كافة المؤلفين على طريقة استغلال البرنامج.

ويمكن استظهار أحكام المصنف المشترك المطلق من خلال عرض نصوص التشريعات الخليجية بهذا الخصوص، ففي التشريع البحريني نجد أن المادة 32 فقرة 1 قد نصت على أن " إذا ساهم أكثر من شخص في تأليف مصنف مشترك، اعتبر الجميع أصحاب الحق في المصنف بالتساوي فيما بينهم، ولا يجوز لأحدهم الانفراد بمباشرة حقوق المؤلف بشأن هذا المصنف، وذلك كله ما لم يتفق كتابة على خلافه"، وهو ذات ما قرره المشرع العماني بقوله " كل من ساهم في تأليف مصنف مشترك على نحو لا يمكن معه فصل مساهمته فيه عن مساهمة باقي الشركاء، يكون صاحب حق على المصنف بالتساوي مع باقي الشركاء، ولا يجوز لأحد الشركاء الانفراد بمباشرة حقوق المؤلف على هذا المصنف، ما لم يتفق كتابة على غير ذلك." (المادة 21 من قانون حق المؤلف العماني).

قريب من ذلك ما قرره المشرع الكويتي في المادة 26 من قانون حق المؤلف والحقوق المجاورة لسنة 2019، بقوله "يعتبر كل مؤلف في المصنف المشترك شريكاً بالتساوي في الحقوق المالية ما لم يتفق كتابة على غير ذلك، وفي هذه الحالة لا يجوز لأي منهم الانفراد بمباشرة حقوق المؤلف إلا باتفاق مكتوب"[65].

كما تقرر ذات الحكم في المادة 25 فقرة 1 من التشريع الإماراتي والتي جاء فيها " اذا اشترك عدة أشخاص في تأليف مصنف بحيث لا يمكن فصل نصيب أي منهم عن الأخر اعتبر جميع الشركاء مؤلفين للمصنف بالتساوي فيما بينهم، ما لم يتفق كتابة على غير ذلك، وفي هذه الحالة لا يجوز لأحدهم الانفراد بمباشرة حقوق المؤلف إلا باتفاق مكتوب مسبق بينهم"،

وهو ذات ما قرره المشرع القطري مع اختلاف الصياغة حيث نص في المادة 33 فقرة 1 على أنه" إذا اشترك عدة أشخاص في تأليف مصنف، يكون المؤلفون المشاركون هم المالكون الأصليون للحقوق المالية في ذلك المصنف. ولا يجوز لأحد الشركاء منفرداً مباشرة الحقوق المترتبة على حق المؤلف، إلا باتفاقهم جميعاً كتابة. وإذا وقع خلاف بينهم يكون الفصل فيه من اختصاص القضاء. ولكل من المشتركين في التأليف الحق في رفع الدعوى عند وقوع أي اعتداء على حق المؤلف. كما ينتقل ذلك الحق إلى ورثة أي منهم".

وهي ذات الأحكام التي قررها نظام حقوق المؤلف السعودي في المادة التاسعة فقرة 1 والتي جاء فيها أنه "إذا اشترك عدة أشخاص في تأليف مصنف بحيث لا يمكن فصل دور أي منهم في المصنف يعتبرون جميعاً شركاء بالتساوي في ملكية المصنف، ولا يجوز لأي منهم منفرداً مباشرة حقوق المؤلف المقررة بمقتضى هذا النظام ما لم يتلق كتابة على خلاف ذلك".

ويتضح مما سبق أن الأحكام التي يخضع لها هذا النوع من المصنفات تتلخص في الآتي: -

1 – حقوق المؤلف مملوكة لكافة المشاركين في العمل، **والأصل**، في هذا النوع من الاشتراك، أن يكون نصيب كل مؤلف مشترك في ملكية المصنف **مساويا** لنصيب بقية الشركاء.

2 - لا يجوز لأي مؤلف مشارك في إعداد المصنف أن ينفرد بمباشرة الحقوق المترتبة عليه، فمثلاً، لا يجوز نشر العمل، إذا لم يكن قد نشر فعلا، ولا يجوز تعديله أو استخدامه بشكل مختلف عن النشر الأول دون موافقة جميع المؤلفين المشاركين. ومع ذلك في حالة الرفض غير المبرر لواحد أو أكثر من المؤلفين المشاركين،

([65]) وكانت المادة 18 من قانون حق المؤلف الكويتي رقم 22 لسنة 2016 تنص على أنه " إذا اشترك أكثر من شخص في تأليف مصنف بحيث لا يمكن فصل نصيب أي منهم في العمل المشترك عن نصيب الآخرين اعتبر الجميع أصحاب المصنف بالتساوي فيما بينهم إلا إذا اتفق على غير ذلك كتابة. وفي هذه الحالة لا يجوز لأحدهم مباشرة الحقوق المترتبة على حق المؤلف إلا باتفاق جميع المؤلفين المشتركين فإذا وقع خلاف بينهم فيكون الفصل فيه من اختصاص المحكمة الكلية".

وكان من شأن هذا الرفض الإضرار باستغلال المصنف، جاز لصاحب المصلحة اللجوء إلى المحكمة المختصة لاستصدار تصريح بالنشر أو التعديل أو الاستخدام الجديد للمصنف، ومرجع ذلك أن هذا النوع من المصنفات يستلزم الإدارة المشتركة من قبل كافة المؤلفين، وليس الإدارة المنفردة أو المنفصلة، ومن ثّم يلزم لمباشرة الحقوق المترتبة عليه أن يكون ذلك بإجماع آراء المؤلفين[66].

3 – الأحكام السابقة ليست من النظام العام فيجوز للمؤلفين في المصنف المشترك الاتفاق على خلافها، فيجوز مثلا الاتفاق على أن يكون نصيب كل مؤلف مختلف عن نصيب الآخر، كما يجوز الاتفاق على أن تكون إدارة المصنف بالأغلبية وليس الأجماع، أو يتم تفويض أحدهما في إدارة المصنف واستغلاله، على أن أغلب التشريعات، محل المقارنة، قد اشترطت للاتفاق على خلاف ما ورد من أحكام متعلقة باستغلال المصنف المشترك، أن يتم هذا الاتفاق كتابة[67].

4 - يجوز للمؤلف المطالبة – وفقاً للقواعد العامة في القانون - منفرداً بالتعويض عن الضرر الذي لحقه، إذا كان هناك أي مساس بالحقوق المعنوية الخاصة به[68]، لأن الضرر الذي يصيبه ما هو إلا ضرر شخصي، وإن نجم عن المساس بالمصنف المشترك.

الخلاصة أن في مثل هذا النوع من المصنفات المشتركة يجب استيفاء شرطين. **الأول موضوعي**: ويتمثل في عدم التمييز وعدم الانفصال بين مساهمات المؤلفين، **والشرط الثاني: شرط شخصي**، يتمثل في اتجاه إرادة المؤلفين، وموافقتهم، على أن العمل المشترك الذي يجمعهم هو شيء أكثر من مساهمة شخصين تم تجميعهما معًا، أي أن إرادتهم قد اتجهت إلى إيجاد كيان جديد واحد يمثل شيئًا أكثر من مجرد مجموع المساهمات الأولية للمؤلفين[69].

الفرع الثاني

أحكام الاشتراك النسبي

يقصد بالاشتراك النسبي اشتراك أكثر من مؤلف في تأليف المصنف على نحو لا يندمج نصيب كل منهم بالآخر وبحيث يمكن تمييز مساهمة كل منهم وفصله عن مساهمة الآخر.

([66]) Thomas Margoni & Mark Perry - OWNERSHIP IN COMPLEX AUTHORSHIP: A COMPARATIVE STUDY OF JOINT WORKS IN COPYRIGHT LAW-2011 - https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=1992610- p.3.

([67]) وهو ما نص عليه القانون البحريني والإماراتي والقطري والكويتي فضلا عن نظام حقوق المؤلف السعودي، على خلاف ذلك نجد أن التشريع العماني هو التشريع الوحيد الذي لم يستلزم الكتابة عند الاتفاق على ما يخالف أحكام المصنف المشترك المطلق..

([68]) والحق في التعويض هنا مقصور على الحقوق المعنوية المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بشرف وسمعة كل مؤلف مشارك (الحق في التأليف والحق في النزاهة)، ومن ُذم لا يمكن للمؤلف الدفاع منفردا عن الحقوق المعنوية المتبقية إلا بإجماع المؤلفين المشاركين. ومرجع هذا التمييز أن الفئة الثانية من الحقوق المعنوية (المتمثلة في الحق في الانسحاب والحق في النشر بداءة) مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعمل المشترك.

Thomas Margoni & Mark Perry – op.cit- p.5.

([69]) Thomas Margoni & Mark Perry – op.cit- p.4.

ومن أمثلة ذلك اشتراك أكثر من شخص في تأليف كتاب نسب كل جزء من أجزائه إلى من كتبه أو عندما يشترك عدد من الأشخاص في أغنية فيكون أحدهم كاتباً للكلمات والآخر ملحناً (العمل الموسيقي المصحوب بكلمات)، والأعمال الدرامية[70] وغيرها من الأعمال المركبة [71].

ويمكن استظهار أحكام الاشتراك النسبي من خلال استعراض نصوص التشريعات الخليجية في هذا الخصوص، حيث تضمن التشريع البحريني النص على أن "إذا كانت مساهمة كل من المؤلفين في المصنف المشترك تندرج تحت نوع مختلف من الفن ومميزة بحيث يمكن فصلها، كان لكل منهم الحق في استغلال الجزء الذي ساهم به على حدة بشرط ألا يضر ذلك باستغلال المصنف المشترك، ما لم يتفق كتابة على غير ذلك". (مادة 32 فقرة 2 من التشريع البحريني بشأن حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة).

قريب من ذلك نص المادة 25 فقرة 2 من التشريع الإماراتي، والتي جاء فيها أنه " فإذا كان اشتراك كل من المؤلفين يندرج تحت نوع مختلف من الفن داخل ذات المصنف، كان لكل منهم الحق في استغلال الجزء الذي ساهم به على حدة، بشرط الا يضر ذلك باستغلال المصنف بالنسبة للباقين ما لم يتفق كتابة على غير ذلك". والمادة التاسعة فقرة 2 من النظام السعودي، والتي نصت على أن "إذا اشترك عدة أشخاص في تأليف مصنف بحيث يمكن فصل دور كل منهم في المصنف المشترك، كان لكل منهم الحق في استغلال الجزء الخاص به على حدة بشرط ألا يضر ذلك باستغلال المصنف المشترك ما لم يتفق على غير ذلك".

كذلك وردت ذات الأحكام في المادة 33 فقرة 2 من القانون القطري، والتي جاء فيها أنه " وإذا اشترك عدة أشخاص في تأليف مصنف مشترك، كان لكل منهم الحق في استغلال الجزء الخاص به على حدة، وبشرط ألا يضر ذلك باستغلال المصنف، ما لم يتفقوا على غير ذلك". وهو ما تضمنته أيضا – مع اختلاف الصياغة – المادة (21) من القانون العماني والتي نصت على أنه " ..... وفي الحالة التي تندرج فيها مساهمة كل من المؤلفين الشركاء تحت نوع مختلف من الفن على نحو يمكن معه فصل مساهمة كل منهم عن مساهمة الآخرين، يكون لكل منهم الحق في استغلال الجزء الذي ساهم به على حدة شريطة ألا يكون ذلك من شأنه الإضرار باستغلال المصنف المشترك، ما لم يتفق كتابة على غير ذلك. ".

ووردت ذات الأحكام أيضا في المذكرة الإيضاحية للقانون الكويتي رقم 75 لسنة 2019 الخاص بحقوق المؤلف والحقوق المجاورة[72]

([70]) Deborah E. Bouchoux -ntellectual Property – op-cit- p.195.

([71]) و تتميز فئة المصنفات المركبة بأن مساهمات المؤلفين فيها يمكن تمييزها، على الرغم من عدم فصلها عن بعضها. كما في المصنف الخاص بتأليف موسيقي مع كلمات، أو في عمل سينمائي، فالأجزاء المختلفة مثل الموسيقى والكلمات والموسيقى التصويرية والصور، يمكن تمييز كل نوع منها عن غيره وله خصائصه الخاصة به. ومع ذلك، فقد تم إنشاؤها كعمل مشترك موحد.

Thomas Margoni & Mark Perry – op.cit- p.4.

([72]) وكانت المادة 19 من القانون الكويتي لسنة 2016 (الملغي) تنص صراحة على أنه "إذا اشترك أكثر من شخص في تأليف مصنف بحيث يمكن فصل الجزء الخاص بكل منهم كان لكل من المشتركين الحق في استغلال الجزء الذي ساهم به على حدة بشرط ألا يضر ذلك باستغلال المصنف المشترك ما لم يتفق على غير ذلك كتابة".

وبناء على هذه النصوص يتضح الآتي:

1 – أن لكل شريك الحق في أن ينفرد في استغلال الجزء الذي ساهم به[73]، وذلك ما دام هذا الجزء لا يندمج مع غيره، فيكون له الحق في استخدامه، وإعداد أعمال مشتقة منه، وتنفيذه، وعرضه، وغير ذلك من صور الاستغلال المالي، وذلك دون طلب إذن من المؤلف المشارك الآخر. نظرًا لأن لكل منهما حقوق منفردة في هذا العمل، ومن ثّم لا يجوز لأحدهما أن يستبعد الآخر من استخدام العمل أو ممارسة حقوق المؤلف على الجزء الخاص به[74]، بشرط عدم الإضرار بالمصنف المشترك كما لو ساهم المشترك بنصيبه في مؤلف مشابه ([75]). وقد ورد هذا الحكم في كافة التشريعات محل المقارنة، مع ملاحظة أن هذا الحكم ليس من النظام العام، فيجوز الاتفاق على خلافه.

2 – أن التشريعات الخليجية – محل المقارنة – قد انقسمت إلى قسمين فيما يتعلق باشتراط الكتابة من عدمه، حيث الزم التشريع البحريني والإماراتي والكويتي والعماني أن يكون الاتفاق بين المؤلفين على خلاف هذه الأحكام مكتوباً، على الخلاف من ذلك لم يشترط المشرع السعودي والقطري الكتابة في هذه الحالة.

الفرع الثالث

أحكام مشتركة بين نوعي المصنف المشترك

بادئ ذي بدء، يجدر الإشارة إلى أن هناك أحكاما تسري على نوعي المصنف المشترك وهذه الأحكام سنتعرض لها بإيجاز في النقاط التالية:

أولاً – **الحق في رفع الدعاوي لحماية حقوق المؤلف في المصنف المشترك**:

وهذا الحق مكفول لكافة المؤلفين فرادى أو جماعة، وهو ما قررته الفقرة الثانية من المادة 32 من التشريع البحريني بقولها " ولكل من الشركاء في المصنف المشترك الحق في رفع دعوى أمام المحكمة المختصة لاتخاذ أية إجراءات تحفظية أو لمنع التعدي على أي من حقوق المؤلف بشأن هذا المصنف".

وهو ذات ما قررته الفقرة 3 من المادة (25) من التشريع الإماراتي بقولها " ولكل منهم الحق في رفع الدعاوى عند وقوع اعتداء على اي حق من حقوق المؤلف المحمية بهذا القانون". ولا يختلف التشريع القطري في تقرير ذلك الحق عن التشريعين البحريني والإماراتي إلا في الصياغة، حيث نصت المادة 33 فقرة (1) من التشريع القطري على أنه" ..... ولكل من المشتركين في التأليف الحق في رفع الدعوى عند وقوع أي اعتداء على حق المؤلف. كما ينتقل ذلك الحق إلى ورثة أي منهم".

ومن الجدير بالذكر في هذا الإطار أن القانون العماني والكويتي ([76])، ونظام حقوق المؤلف السعودي لم يرد فيهما ثمة ذكر لمثل هذه الأحكام.

([73]) Thomas Margoni & Mark Perry – op.cit- p.3.

([74]) Deborah E. Bouchoux -ntellectual Property – op-cit- p.230.

([75]) د. صبري خاطر – مرجع سابق – ص 41. د. أسامة نائل – مرجع سابق – ص 176.

([76]) وكانت المادة (18) من قانون حق المؤلف الكويتي لسنة 2016 (الملغي) تنص على أن " ..... ولكل من المشتركين في التأليف الحق في اتخاذ الإجراءات التحفظية والمستعجلة عند وقوع أي اعتداء على حق المؤلف والحق في رفع الدعوى للمطالبة بنصيبه في التعويض عن الضرر الذي لحقه بسبب هذا الاعتداء" ..

ويستفاد من ذلك أنه يجوز للشريك – في بعض التشريعات الخليجية - الانفراد باتخاذ الإجراءات المستعجلة عند وقوع أي اعتداء على حق المؤلف، مثل الإجراءات التحفظية أو منع التعدي. (القانون البحريني والقطري والإماراتي).

ثانياً – انتقال حقوق المؤلف المالية على المصنف المشترك:

في حالة وفاة أحد الشركاء في المصنف المشترك – أيا كان نوع الاشتراك – تنتقل حقوقه إلى ورثته، أما إذا توفى أحد المؤلفين الشركاء دون أن يترك ورثة، فقد اختلف حكم هذه الحالة بين التشريعات الخليجية فهناك من قرر أنه، يؤول الجزء الخاص به إلى باقي الشركاء أو خلفهم([77])، وهناك من قرر أن نصيب الشريك المتوفى يؤول إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب([78]) وهناك أخيرا من قرر أنها تؤول إلى من يستحقه حسب أحكام الشريعة الإسلامية([79]).

ولكن هذه التشريعات – باستثناء النظام السعودي - قد أجازت الاتفاق على خلاف الحكم السابق، على أن يكون هذا الاتفاق كتابة.

ثالثاً – مدة حماية حقوق المؤلف المالية على المصنف المشترك:

حرصت التشريعات الخليجية على تحديد مدة حماية لحقوق المؤلف في المصنفات المشتركة، يستوى أن يكون الاشتراك مطلق أو نسبي، وهذه الحماية لا تقتصر على مدة حياة المؤلفين المشتركين، وإنما امتدت أيضا إلى ورثتهم، وكانت مدة هذه الحماية في أغلب هذه التشريعات خمسين سنة تبدأ من أول السنة التالية لوفاة آخر المؤلفين، هذا فضلا عن مدة حياة المؤلف ذاته، وهو ما تقرر صراحة في التشريع الإماراتية([80])، والقطري([81])، والكويتي([82])، والعماني([83]).

في حين نجد أن نظام حماية المؤلف السعودي قد اتفق مع التشريعات السابقة في المدة، واختلف معها في بداية حماية هذه الحقوق بعد وفاة المؤلف، حيث جعل بدايتها اعتبارا من تاريخ وفاة آخر من بقي حيا من مؤلفي المصنفات المشتركة([84]).

([77]) وقد ورد هذا الحكم في المادة 21 من القانون العماني، يقابلها المادة 25 من القانون الاماراتي.

([78]) وهو ما قرره القانون الكويتي لحقوق المؤلف، في المادة 26 منه بقوله "وإذا توفى أحد المشتركين ولم يترك ورثة تؤول حصته إلى المجلس ما لم يكن قد اتفق على غير ذلك كتابة"..

([79]) وهو ما قرره النظام السعودي لحقوق المؤلف، في الفقرة 3 من المادة 17 بقوله "إذا كان المصنف عملاً مشتركاً وتوفي أحد المؤلفين بلا وارث فإن نصيبه يؤول إلى من يستحقه حسب أحكام الشريعة الإسلامية".. ذات الحكم قررته المادة 29 فقرة (2) من قانون حماية المؤلف القطري بقولها "إذا توفي مؤلف المصنف، أو توفي أحد مؤلفي المصنف المشترك بلا وارث، فإن نصيبه يؤول على من يستحقه وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية".

([80]) وهو ما قرره القانون الاماراتي لحقوق المؤلف، في الفقرة 2 من المادة 20 بقوله "تحمى الحقوق المالية لمؤلفي المصنفات المشتركة مدة حياتهم جميعاً وخمسين سنة تبدأ من أول السنة الميلادية التالية لسنة وفاة آخر من بقي حياً منهم".

([81]) وهو ما قرره القانون القطري لحقوق المؤلف، في المادة 15 بقوله "تستمر الحقوق المالية للمؤلف مدة حياته، والخمسين سنة من أول السنة التالية لوفاته، وتستمر الحماية بالنسبة للمصنفات وفقاً للمدد التالية -1 : المصنفات المشتركة لمدة خمسين سنة تبدأ من أول السنة التالية لوفاة آخر المؤلفين".

([82]) وهو ما قرره القانون الكويتي لحقوق المؤلف، في الفقرة 2 من المادة 23 بقوله "مدة حماية الحقوق المالية لمؤلفي المصنفات المشتركة مدى حياتهم جميعا ولمدة خمسين سنة من تاريخ وفاة آخر من بق حيا منهم، تحسب اعتبارا من الأول من شهر يناير من السنة التي تلي وفاة آخر من بقي منهم على قيد الحياة".

([83]) وهو ما قرره القانون العماني لحقوق المؤلف، في المادة 27 بقوله " تحمى الحقوق المالية لمؤلفي المصنفات المشتركة مدة حياتهم وسبعين سنة تبدأ من بداية السنة الميلادية التي تلي سنة وفاة آخر من بقي منهم حيا ".

([84]) وهو ما قرره النظام السعودي لحقوق المؤلف، في المادة 18 بقوله "١ - تكون حماية حق المؤلف في المصنف مدى حياة المؤلف، ولمدة خمسين سنة بعد وفاته .٢ - تحسب مدة الحماية للمصنفات المشتركة من تاريخ وفاة آخر من بقي حيا من مؤلفيها".

واختلف التشريع البحريني في مدة الحماية المقررة لحقوق مؤلفي المصنفات المشتركة، فجعلها أطول من نظرائه، مع اتفاقه معهم في بداية الحماية عقب وفاة المؤلف، حيث قرر في المادة (38) بحريني أن الحقوق المالية لمؤلفي المصنفات المشتركة تخضع لحماية مدة حياتهم جميعا، وسبعين سنة تبدأ من أول السنة الميلادية التالية لسنة وفاة آخر من بقي حيا منهم.

الخاتمة:

بعد هذا العرض لا يسعنا في الخاتمة إلا أن نبرز أهم النتائج والتوصيات التي انتهينا إليها، وهي كالآتي:

1 – إن التشريعات الخليجية - فيما عدا التشريع القطري – قد أخذت بالمعنى الموسع لفكرة الاشتراك، ومن ثّم اعترفت بنوعين من الاشتراك والتعاون في ابتكار المصنف، الاشتراك المطلق، والاشتراك النسبي في حين اقتصر التشريع القطري على الاشتراك النسبي، عند تعريف المصنف المشترك، على الرغم من تمييزه بين النوعين في الأحكام.

2 – إن ما يميز العمل المشترك عن العمل الجماعي، هو وجود نية الاشتراك بين المؤلفين في العمل المشترك، فكلا منهم إرادته متجه إلى إعداد عمل تعاوني أو الاشتراك في المصنف، ووجود شخص موجه في المصنف الجماعي يتكفل بنشر المصنف باسمه وتحت إدارته. ويحدد الهدف العام من المصنف.

3 - إن المصنف المشترك لا يكون محمياً في نظر القانون إلا إذا توافرت فيه ذات الشروط الواجب توافرها لحماية المصنفات الفردية، وهي شرطان، الأول: ويتمثل في شرط الابتكار أو الإبداع الذي يقدمه المؤلف، والثاني: يتمثل في التعبير عن المصنف، وإخراجه إلى حيز الوجود المحسوس.

4 – إن التشريعات الخليجية قد جعلت نصيب كل مؤلف مشترك في ملكية المصنف **مساويا** لنصيب بقية الشركاء. ولم تجز لأي منهم أن ينفرد بمباشرة الحقوق المترتبة عليه إذا كان المصنف مما لا يمكن فصل عمل كل شريك فيه عن عمل الآخر (الاشتراك المطلق)، ما لم يكن هناك اتفاق على خلاف تلك الأحكام، ونرى ضرورة أن يكون هذا الاتفاق كتابة، لتوفير أفضل حماية لحقوق المؤلفين، وهو ما نص عليه القانون البحريني والإماراتي والقطري والكويتي ونظام حقوق المؤلف السعودي، ولم ينص عليه القانون العماني، ونتمنى منه النص على هذا الحكم.

5 - إن التشريعات الخليجية قد أجازت لكل شريك الانفراد في استغلال الجزء الذي ساهم به، ما دام هذا الجزء لا يندمج مع غيره (الاشتراك النسبي)، وذلك دون طلب إذن من المؤلف المشارك الآخر. بشرط عدم الإضرار بالمصنف المشترك كما لو ساهم المشترك بنصيبه في مؤلف مشابه. وقد ورد هذا الحكم في كافة التشريعات محل المقارنة، إلا أن هذه التشريعات قد أجازت الاتفاق على خلافه. وانقسمت هذه التشريعات فيما يتعلق باشتراط الكتابة من عدمه إلى قسمين، حيث الزم التشريع البحريني والإماراتي والكويتي والعماني أن يكون الاتفاق بين المؤلفين على خلاف هذه الأحكام مكتوباً، على الخلاف من ذلك لم يشترط المشرع السعودي والقطري الكتابة في هذه الحالة، ونرى ضرورة أن يكون أي اتفاق يخالف الأحكام المتعلقة بالمصنف المشترك مكتوبا لحسم النزاع بين المؤلفين.

6 - إن التشريعات الخليجية اتفقت فيما بينها – عدا التشريع البحريني - فيما يتعلق بمدة حماية حقوق المؤلف في المصنفات المشتركة، حيث جعلتها خمسين سنة بعد وفاة آخر مؤلف، مع اختلاف بدايتها، من تشريع لآخر، ونرى أن تبدأ الحماية اعتبارا من أول السنة التالية لوفاة آخر المؤلفين، لتسهيل حساب المدة، هذا من ناحية،

ومن ناحية أخرى جعل المشرع البحريني مدة حماية حقوق المؤلفين في المصنف المشترك سبعين سنة بعد وفاة آخر مؤلف، وفي هذا الاقتراح، نرى أن تكون المدة خمسين سنة فقط، بعدها يكون المصنف في الملك العام، على اعتبار أن هذه المدة كافية لاستفادة الورثة، وتوحيدا للتشريع في دول مجلس التعاون الخليجي فيما يتعلق بحقوق المؤلف.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

1. د. أسامة نائل المحيسن – الوجيز في حقوق الملكية الفكرية – دراسة الثقافة – عمان – الطبعة الأولى – 2011 .
2. د. بلال عبد الله – حق المؤلف في القوانين العربية - المركز العربي للبحوث القانونية والقضائية – جامعة الدول العربية – بيروت – طبعة 2018.
3. بوشامة هاجر، عقون بشري – الحماية القانونية للمصنف الجماعي – رسالة ماجستير – كلية الحقوق والعلوم السياسية – جامعة 8 ماي 1945 – سنة 2016.
4. د. حسام الأهواني - حماية حقوق الملكية الفكرية في مجال الإنترنت – بحث منشور بموقع الدليل الالكتروني للقانون العربي – www.arablawinfo.com-.
5. د. حسام لطفي - المرجع العلمي في الملكية الأدبية والفنية في ضوء آراء الفقه وأحكام القضاء – طبعة 1999.
6. د. حمدي أحمد سعد – الحماية القانونية للمصنفات في النشر الإلكتروني الحديث – دار الكتب القانونية – المحلة الكبرى – طبعة 2007
7. د. حلو أبو حلو، ود. سائد المحتسب– بحث بعنوان " مقدمة في الملكية الفكرية والحماية القانونية لبراءات الاختراع " منشور بموقع الدليل الالكتروني للقانون العربي – www.arablawinfo.com-
8. د. رقية عواشرية - الحماية القانونية لحق المترجم والمصنفات المترجمة في الوطن العربي والتحديات الراهنة - مجلة علوم انسانية WWW.ULUM.NL السنة السابعة: العدد 43: خريف 2009.
9. د. سعيد عبد السلام – الحماية القانونية لحق المؤلف والحقوق المجاورة في ظل قانون حماية حقوق الملكية الفكرية رقم 82 لسنة 2002 – دار النهضة العربية – طبعة 2004.
10. د. شحاته غريب شلقامى – الملكية الفكرية في القوانين العربية – دار الجامعة الجديدة – طبعة 2009 .
11. د. صبري خاطر – الملكية الفكرية دراسة مقارنة في القانون البحريني – جامعة البحرين – الطبعة الأولى – طبعة 2007.
12. صلاح عبد الغني محمد ـ موسوعة المرأة المسلمة ـ الحقوق العامة للمرأة ـ الجزء الأول ـ الدار العربية للكتاب ـ طبعة 1998 -
13. د. طارق كاظم عجيل – حماية حقوق المصمم المعماري وفقاً لقانون حق المؤلف – دراسة مقارنة – بحث مقدم للمؤتمر الثامن عشر بشأن عقود البناء والتشييد بين القواعد القانونية التقليدية والنظم القانونية المستحدثة.
14. د. عبد الرشيد مأمون -حماية حق المؤلف في إطار المصنفات المشتركة – الدليل الالكتروني للقانون العربي.

15. د. عبد الله النجار – الحق الأدبي للمؤلف في الفقه الإسلامي والقانون المقارن – دار المريخ للنشر – الرياض – طبعة 2000.
16. على الصادق – الحماية الجنائية لحقوق الملكية الفكرية – مقال منشور بمجلة معهد القضاء.
17. د. فتحي الدريني – حق الابتكار في الفقه الإسلامي المقارن – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية – 1981.
18. د . كمال سعدي – الملكية الفكرية – الجزء الأول – حق الملكية الأدبية والفنية – الطبعة الأولي -2004.
19. لويس هارمس – إنفاذ حقوق الملكية الفكرية – كتاب قضايا – الويبو – الطبعة الثالثة – 2012.
20. د. محمد النجار – حقوق المؤلف في ضوء الثورة المعلوماتية الحديثة – دراسة مقارنة – دار الجامعة الجديدة – طبعة 2014.
21. محمد فواز – المصنفات الأدبية والفنية – دراسة في التشريع الأردني والمصري – بحث منشور بالدليل الإلكتروني للقانون العربي – www.arablawinfo.com
22. د. محمد شكري سرور -النظرية العامة للحق ـ دار النهضة العربية -طبعة 1990 ـ
23. د. محمد محى الدين عوض – حقوق الملكية الفكرية وحمايتها قانوناً – بحث مقدم إلى أكاديمية نايف للعلوم الأمنية – مركز الدراسات والبحوث -الطبعة الأولى – 2004.
24. د. مختار القاضي – حق المؤلف – الكتاب الأول – مكتبة الأنجلو المصرية – طبعة 1958.

ثانياً: التشريعات:

1 – في مملكة البحرين: قانون رقم 22 لسنة 2006 بشأن حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة المعدل بموجب القانون رقم (5) لسنة 2014.

2 – في المملكة العربية السعودية: نظام حماية حقوق المؤلف الجديد 1424 ه ولائحته التنفيذية الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/ 41 بتاريخ 2 رجب 1424.

3 – في دولة الإمارات العربية المتحدة: القانون الاتحادي رقم 7 لسنة 2002 في شأن حقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

4 – في سلطنة عمان: مرسوم سلطاني رقم 65 / 2008 بإصدار قانون حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

5 – في دولة الكويت: قانون رقم 75 لسنة 2019 في شأن حقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

6 – في دولة قطر: قانون رقم (7) لسنة 2002 بشأن حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1. Catherine Colston, LLB, LLM- Principles of Intellectual Property Law- Cavendish Publishing Limited -First published in Great Britain 1999.
2. Caroline G. Ouellet, Oeuvre créée ou non créée en collaboration? Là est la question, LEGER ROBIC RICHARD/ROBIC, 2004.
3. Chapitre préliminaire Présentation de la propriété littéraire et artistique –https://www.editions-ellipses.fr/PDF/9782340015739_extrait.pdf

4. CNIPA and WIPO, Intellectual Property Basics: A Q&A for Students China National Intellectual Property Administration (CNIPA), Switzerland, 2019.
5. Claudia Gestin-Vilion, La protection par le droit d'auteur des creations générées par intelligence artificielle, Université Laval Québec, Canada Maître en droit (LL.M.) et Université Paris-Saclay Sceaux, France, 2017.
6. Deborah E. Bouchoux -ntellectual Property - The Law of Trademarks, Copyrights, Patents ،and Trade Secrets - Fourth Edition-Printed in the United States of America.
7. Distinction œuvre de collaboration/ œuvre collective - recherche.unicaen.fr/.../com.univ.collaboratif.utils.LectureFichierg.
8. L.T.C. Harms, A Casebook on the Enforcement of Intellectual Property Rights, 4th Edition, Switzerland, WIPO, 2018.
9. Patrick Ager, AUTHORSHIP AND JOINT, AUTHORSHIP OF MUSICAL WORKS: A QUEST FOR COMMON STANDARDS IN EU COPYRIGHT LAW, King's College London, 2013.
10. Suhail HADDADIN, ESSAI SUR UNE THEORIE GENERALE EN DROIT D'AUTEUR, Thèse pour le doctorat en droit présentée et soutenue publiquement le 22 novembre 2008, UNIVERSITE DE POITIERS, FACULTE DE DROIT ET DES SCIENCES SOCIALES.
11. Thomas Margoni & Mark Perry - OWNERSHIP IN COMPLEX AUTHORSHIP: A COMPARATIVE STUDY OF JOINT WORKS IN COPYRIGHT LAW-2011 - https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=1992610

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.19.1

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار التاسع عشر
تأريخ الإصدار: 20 مايو 2021م

صحافة الحروب (تأثير برنامج "الصحفي المرابط" على أخلاقيات العمل الصحفي)

War Journalism: The Impact of the Embedded System into the Journalistic Ethics

د. عبد الناصر بن أحمد بن عبد الله العبري

دكتوراه في الإعلام وسياسات الثقافة، كلية الدفاع الوطني، وزارة الدفاع، سلطنة عمان

Email: anabri25@hotmail.com

الملخص:

تعد موضوعات "الإعلام والحروب" أحد أهم القضايا الإستراتيجية التي يتناولها الفكر العسكري وأدبيات الصراع المسلح في ظل التحولات الراهنة التي يشهدها العالم على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية والتكنولوجية. ولا شك أن انعكاس تلك التحولات سلبا أم إيجابا على العلاقات الإعلامية- العسكرية وضمن إطار التعاون العسكري-المدني أثناء الازمات، وفي سياق تداخل قضايا الحرب والسلام في نموذج "الحروب الجديدة" يؤثر على عمل المراسلين الحربيين في مناطق الصراع. ويهدف هذا البحث الى دراسة تداعيات نموذج "الحروب الجديدة "في ادبيات الصراع المسلح على حرية عمل المراسلين الحربيين من خلال تحليل الأساليب التي انتهجتها المؤسسة العسكرية وخاصة البريطانية في تأمين وصول المراسلين الحربيين الى مناطق النزاع بما عرف بنظام الصحفي المرابط في الوحدات العسكرية The Embedded System، وتأثيره على الممارسات الصحافية في مناطق النزاع. وقد استخدم الباحث المنهج النوعي باستخدام أداة المقابلة غير المقننة مع عينة مختارة من المراسلين الحربيين المحترفين ممن ينتمون إلى كبريات المؤسسات الإعلامية في المملكة المتحدة كشبكة الإذاعة البريطانية (BBC)، وصحيفة الجارديان (The Guardian)، وصحيفة هيرالد الأسكتلندية (The Herald) وذلك في الفترة من 2016 الى 2018م. كما تم تحليل عدد من الوثائق العسكرية التي أصدرتها وزارة الدفاع البريطانية ذات الصلة بالتنظيم الإعلامي في الحروب. ويسعى هذا البحث الى الاجابة على السؤال البحثي عما إذا كان نظام الصحفي المرابط The Embedded System قد نجح في تحقيق أهدافه آخذا في الاعتبار القيود المهنية التي تؤثر على أداء الصحفي في تغطية الحروب. وقد كشفت النتائج عن انتشار حالة من عدم الثقة من جانب الصحفيين حول السياسات العسكرية في "النظام الصحفي المرابط" أثناء وبعد حرب العراق (2003) والتي انعكست سلبا على حرية عمل المراسلين الحربيين، وصعوبة التزامهم بالقيم الليبرالية في ممارسة الصحافة تحت الإشراف المباشر من قبل المؤسسة العسكرية خاصة ما يتعلق بالمحافظة على الحياد والموضوعية وحرية التعبير والإبلاغ عن العنف المنظم ضد المدنيين.

الكلمات المفتاحية: الحرب الجديدة، تغطية الحروب، العلاقات الإعلامية-العسكرية، النظام الصحفي المرابط، القيود الأخلاقية

IJRSP
المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار التاسع عشر
تأريخ الإصدار: 20 مايو 2021م

War Journalism: The Impact of the Embedded System into the Journalistic Ethics

Abstract

Topics of "Media and Wars" are among the most important strategic issues addressed by the military schools and armed conflict literature amid the current transformations taking place in the world at the political, economic, social, security and technological levels. There is no doubt that the implications of these transformations, either negative or positive, on the media-military relations within the framework of military-civil cooperation during crises affect the work of war correspondents in conflict zones, particularly under the interface of war and peace issues in the model of "new wars".

This paper aims at studying the implications of the "new wars" model on the correspondents' freedom of work in armed conflict literature by analyzing the military approaches, especially in Britain, in securing access to conflict zones for war correspondents in what is known as embedded journalism and their impact on journalistic practices. The researcher adopted the qualitative approach, namely the unstructured interviews conducted between 2016 and 2018 with selected professional war correspondents from major media institutions in the UK including the BBC, the Herald, and the Guardian. Additionally, the paper analyzed a number of military documents issued by the British Ministry of Defence related to media regulation in wartime.

This paper seeks to answer the research question whether the embedded journalism has succeeded in achieving its objectives or not, taking into account the professional restraints that affect the journalist's performance.

The findings revealed a widespread lack of confidence amongst journalists regarding the military policies in "embedded journalism" during and after the Iraq war (2003), which negatively affected war correspondents' freedom of work. Findings also showed how difficult for war correspondents, under a direct supervision of a military institution, to commit to liberal values in practicing journalism such as maintaining neutrality, objectivity, freedom of expression and reporting of organized violence against civilians.

Keywords: The new war, covering wars, media-military relations, the embedded system, journalistic ethics.

المقدمة:

كثيرا ما توصف تقارير الحروب بأنها صعبة دائمًا سواء على الصحفي أو المتلقي، وخاصة عندما تكون الأخبار سيئة وتحمل مظاهر العنف والدمار حيث يواجه المراسلون الحربيون تحديات عدة في سبيل الإبلاغ عن الحقيقة، والمحافظة على الحياد أثناء تأدية عملهم في خطوط المواجهة. تجادل هذا المقالة في أن مراسلي الحرب يواجهون مشاكل معقدة من أجل تأمين دخولهم لساحات القتال في أنماط الصراعات المعاصرة بسبب تغير طبيعة الصراع، واتساع الرقعة الجغرافية لمسرح العمليات، وتنوع أشكال الرقابة الصارمة لوحدات الجيش وحرس الحدود في تقييد حرية الدخول والخروج من المنافذ الرسمية، وصعوبة اختراق المناطق التي يسيطر عليها العدو أو الجماعات شبه العسكرية دون تنسيق مسبق مع السلطات الرسمية.

يناقش هذا البحث مجموعة الفرص والتحديات التي توفرها الحروب الجديدة للمراسل الحربي المحترف، والمراسلين المحليين، وصانعي المحتوى، ومستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي لممارسة العمل الصحفي مع الأخذ في الاعتبار جملة التشريعات والقوانين والضوابط التي تحددها السياسات العسكرية الإعلامية أثناء العمليات الفعلية والتي تنظم العلاقة المهنية بين المؤسسة العسكرية ووسائل الإعلام والتي تأمل من خلالها المؤسسة العسكرية الى دمج وسائل الإعلام في المجهود الحربي للدولة. يقدم هذا المبحث شهادات عدد من الصحفيين المتعلقة بأسلوب عملهم وتجاربهم في تغطية الصراعات المسلحة في عدد من الحروب التقليدية وغير التقليدية مثل حرب المجاهدين في أفغانستان (1979- 1989)، وحرب تحرير الكويت (1991)، وحرب البلقان (1998)، والحرب على أفغانستان (2001)، والحرب على العراق (2003)، وسلسلة الأزمات التي شهدتها عدد من الدول العربية والإسلامية والتي عرفت بثورات "الربيع العربي".

مشكلة البحث:

يتجاوز الإبلاغ عن الصراع الممارسات التقليدية للصحافة، حيث يتعامل الصحفيون في مناطق النزاع مع أطراف متعددة بعضها يمثل السلطات الرسمية كالجيوش والأجهزة الأمنية ووكالات الإغاثة ووسائل الإعلام ووكالات الانباء والعالمية، وبعضها الآخر غير حكومي كالتنظيمات والميلشيات غير النظامية والمنظمات المحلية والإقليمية والدولية التي تعنى بحقوق الانسان والرعاية الصحية ومراقبة انتهاكات القانون الدولي والإنساني ومراكز الدراسات واستطلاعات الرأي. ونظرا لقلة الدراسات الإعلامية والاجتماعية في مجتمعاتنا العربية المعنية بتحليل ظاهرة الحروب وتأثيرها على عمل المراسلين الحربيين، فقد شعر الباحث أنه من الأهمية بمكان ملء الفراغ في مجال دراسات صحافة الحروب من خلال تحليل ونقد التجربة البريطانية بحكم عراقتها في تغطية الحروب والصراعات حتى يتكون لدى القارئ والباحث والصحفي العربي معرفة متعمقة بالمخاطر التي يواجهها المراسلون الحربيون في الوصول الى مناطق النزاع لا سيما في النزاعات التي شهدتها عدد من الدول العربية والاسلامية والتي لا زالت تعاني بعضها من أزمات داخلية وحروب طاحنة وعدم استقرار في أمنها الداخلي.

إن مشكلة البحث تتمحور في الإجابة على السؤال البحثي الرئيسي لهذه الدراسة في الآتي:

- إلى أي مدى نجح النظام الصحفي المرابط الذي مارسته القوات البريطانية منذ حرب العراق عام 2003م في دمج الصحفيين في المجهود الحربي للدولة؟

- ما أبرز القيود المهنية التي تؤثر على أداء المراسل الحربي في تغطية الصراعات المعاصرة؟

منهجية البحث:

استخدم الباحث المنهج النوعي باستخدام أداة المقابلة غير المقننة مع عينة مختارة من المراسلين الحربيين المخضرمين في عدد من وسائل الإعلام البريطانية مع مجموعة مختارة من المراسلين الحربيين المحترفين ممن ينتمون إلى كبريات المؤسسات الإعلامية في المملكة المتحدة كشبكة الإذاعة البريطانية (BBC)، وصحيفة الجارديان (The Guardian). وصحيفة هيرالد الأسكتلندية (The Herald). وقد التقى الباحث بالمبحوثين إما بصفة شخصية أم عبر الهاتف في فترات زمنية مختلفة بين 2016م الى 2018م أثناء دراسته لمرحلة الدكتوراة في جامعة جلاسجو بإسكتلندا. وبالرغم أن حجم العينة صغيرا نوعا ما باعتبار أن المشتغلين في تغطية الحروب هم قلة مقارنة بالأقسام الصحافية الأخرى بسبب حجم المخاطر التي يتعرض لها الصحفيون في مناطق القتال، فقد أتاح الحديث مع المبحوثين الى تلمس آراءهم حول التحديات التي تواجه الصحافة في حياتنا المعاصرة فيما إذا كانت مهنة الصحافة لا زالت قادرة على اعلام الجمهور بما يحدث بشكل واقعي وموضوعي وبتجرد من الآراء الشخصية في ساحات القتال دون أن تتعرض المجموعات الصحفية لمضايقات او ضغوط من جانب الفاعلين الرئيسيين في ساحة المعركة خاصة من جانب الفاعلين غير الحكوميين. كما قام الباحث بتحليل عدد من الوثائق العسكرية التابعة لوزارة الدفاع البريطانية تم الحصول عليها من المواقع العسكرية المتاحة في شبكة الإنترنت.

أهداف البحث:

انطلاقا من مشكلة البحث فإن هذه الورقة الى دراسة تداعيات الحروب الجديدة على حرية عمل المراسلين الحربيين من خلال مقارنة الأساليب التي اتبعها هؤلاء المراسلين لتأمين وصولهم الى مناطق النزاع وارسال تقاريرهم الإخبارية من مختلف المواقع على أرض المعركة، والتي شملت: 1) الالتحاق بأحد الوحدات العسكرية في الجيوش النظامية للمشاركة في تغطية إخبارية بالتنسيق مع إدارة العمليات الإعلامية العسكرية كما كان الحال في الحروب التقليدية التي خاضتها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وحلف شمال الأطلسي في أفغانستان وكوسوفو والعراق. 2) العمل بشكل مستقل مع الاستفادة من الخدمات التي تقدمها الحكومات المحلية او المجموعات شبه العسكرية في المناطق التي تسيطر عليها مثل تلك العمليات العسكرية التي تستهدف مكافحة التمرد كما حدث في أفغانستان والعراق وسوريا وليبيا واليمن طوال العقدين الماضيين.

وتكمن أهمية البحث في الآتي:

- تحليل ونقد العلاقات الهيكلية والمؤسساتية التي تربط القطاع العسكري بصحافي الحروب أثناء الأزمات مع التركيز على تجربة وزارة الدفاع البريطانية في إدارة الإعلام اثناء بعض الحروب الحديثة.

- استعراض الاتجاهات الحديثة في بيئة الاتصال والتحديات التي تواجه الصحفيين في الإبلاغ عن الحقيقة وتقصي الأخبار.

- استشراف طبيعة عمل الصحفيين في بيئات الصراع وأنماط العلاقة مع أطراف الحروب سواء مع الجيوش النظامية أم التنظيمات غير الحكومية.

- توضيح المخاطر التي يواجهها المراسلون الحربيون في الوصول الى مناطق النزاع لا سيما في النزاعات التي شهدتها عدد من الدول العربية والاسلامية والتي لا زالت تعاني بعضها من أزمات داخلية وحروب طاحنة وعدم استقرار في أمنها الداخلي.

النظام الصحفي المرابط The Embedded System

هناك ارتباط وثيق بين الإعلام والسياسة والحرب في عالمنا المعاصر، فالإعلام لم يعد أحد أدوات العمل السياسي والعسكري في عصر العولمة والرقميات وحسب بل أصبح مدمجا في العملية السياسية ومن الصعب فصله عن مشاهد الحياة اليومية بكل ما فيها من عراك سياسي، واعمال عنف، وصراع قوى، وأزمات اقتصادية، وانتشار أوبئة معدية، وكوارث طبيعية، وقضايا أخرى متعلقة بالبيئة والمناخ والتعليم والسكان والهجرة (Galtung, 2002; Galtung, 2003; Lee & Maslog, 2005; Lynch & Galtung, 2010; Nohrstedt & Ottosen, 2014; Neumann & Fahmy, 2016). ولذلك فإن المؤسسة العسكرية لا سيما في الولايات المتحدة وحلفائها في أوروبا تكافح من أجل ممارسة الهيمنة على قطاع الإعلام أثناء الصراعات المسلحة والتحكم فيما يتم بثه ونشره بهدف التأثير في الراي العام الداخلي وضد الطرف الآخر المعادي وهي ذريعة تستخدمها القوى الكبرى لبسط هيمنها السياسية والاقتصادية والإعلامية على بنية النظام الدولي ومؤسساته حتى لو كان التهديد حقيقيا كما كان الحال مع الاتحاد السوفيتي من بعد الحرب العالمية الثانية (أمين، 2003). ولا شك أن الولايات المتحدة أصبحت بعد انهيار الاتحاد السوفييتي القوة العسكرية والاقتصادية والثقافية الأبرز في العالم معلنة انتهاء نظام القطبين ومدشنة لمرحلة جديدة من الهيمنة على مختلف المستويات بسبب الازدهار في الصناعة والتكنولوجيا والبحث العلمي، والتقدم الكبير في مجال الرقميات والنظم المعلوماتية. ولعل تكريس نظام التبعية والغزو الثقافي من خلال دمج الثقافات الاخرى في نظام رأسمالي متوحش اقتصاديا وثقافيا بسبب الفجوة بين الغرب المتقدم والدول النامية، واستخدام التفوق العسكري والتكنولوجي للتدخل بذرائع سياسية دون غطاء من مجلس الامن والمنظمات الدولية والمجتمع العالمي مرة بدواعي القضاء على خلايا الإرهاب وحماية المدنيين، وأخرى بمحاسبة الدول المارقة التي تسعى لإنتاج أسلحة دمار شامل من اهم ملامح النظام العالمي الجديد (أمين، 2003).

وقد تباينت أشكال تلك الهيمنة ما يتعلق بالتغطيات الإعلامية للصراعات المسلحة بين:

أ. اعلان استراتيجية الضربة الاستباقية (Pre-emptive Strike) بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م لحماية مصالح الأمن القومي الأمريكي وذلك باستغلال الشبكات الإخبارية الدولية كشبكة CNN وحلفائها في أوروبا مثل شبكة BBC ووكالات الانباء العالمية وفق حملات ممنهجة بتشويه عدو إرهابي مصطنع حسب الطلب وتلفيق الأدلة له من أجل تسويغ استهدافه عسكريا (Kutz, 2013). يعقب ذلك فرض قيود صارمة على النشر، وتقييد حركة الصحفيين في مناطق النزاع دون وضع اعتبار لسلطة القانون الدولي والإنساني ومبادي حريات الصحافة وحماية المصادر كما أقرتها التشريعات والنظم الصحفية العالمية.

ب. هيمنة الولايات المتحدة على سوق الإعلام والاعلان والتسويق وصناعة السينما ودور النشر. ويشار إلى أن هناك 6700 محطة إذاعية تجارية، وما يزيد على 700 محطة تلفزيونية، و1500 صحيفة يومية ومئات الدوريات في الولايات المتحدة ما يجعلها تمارس دور الاستبداد السياسي والثقافي (عطوف، 2019). وقد مكنها ذلك التفوق من استخدام قدراتها الإعلامية والنفسية والسينمائية والترفيهية الضخمة في التحكم في السيطرة على حركة التدفق الإعلامي والمعلوماتي من أجل تسويق القيم الغربية،

وتشويه صورة الآخر، وتعزيز اجندات محددة مما يجعل الرأي العام غير محصن ضد حملات التضليل الإعلامي Disinformation، والاخبار المزيفة Fake News (عطوف، 2019). ولذلك فإن قيم وأسس الديمقراطية تصبح مهددة في ظل الاختراقات ونشر الأخبار المزيفة. وقد أكدت دراسة عن أسباب نمو وانتشار الأخبار المزيفة في منصة الكترونية مثل شبكة تويتر خلال وبعد حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2016م والتي رصدت فيها أكثر من 10 مليون تغريدة من حوالي 700 ألف حساب ترتبط بأكثر من 600 منصة إخبارية مزيفة أنه لا يزال 80% من تلك الحسابات نشطا وتقوم بإرسال أكثر من مليون تغريدة في اليوم الواحد (Hindman & Barash, 2018).

ج. ممارسة الهيمنة الأيديولوجية وربطها بمفاهيم "صراع الحضارات" و "نهاية التاريخ" و "القوة الناعمة" والتي أعادت تشكيل العالم وفقاً لاعتبارات ثقافية في السياسة الكونية من أجل خلق أعداء جدد وفق عقائد قتالية تتناسب وطبيعة الصراعات المعاصرة. وقد انبثق عن تلك التوجهات تركيز وسائل الإعلام على مفاهيم محورية في الحروب الجديدة مثل: التطرف الديني، والإرهاب الفكري، ونشر الديمقراطية على متن الدبابات (قاعود، 2017).

د. انتهاج أساليب صارمة في محاولة السيطرة على الفضاء الإعلامي والمعلوماتي أثناء العمليات العسكرية وتشمل منع الصحفيين من مرافقة الوحدات العسكرية واختيار من يكون معهم بناء على قاعدة "مع" و"ضد" (Nohrstedt & Ottosen, 2014; Neumann & Fahmy, 2016). كما تجاوز الأمر الطابع السلمي ليتحول إلى استهداف بعض مقرات وسائل الإعلام التي يعتقد ان القيادة العسكرية المعادية تتخذها مقرا لها وهو ما أدى إلى انتشار الفوضى، واختلال النظام الإعلامي العالمي مما شكل عقبات جديدة للمراسلين الحربيين في نشر الحقائق، والحفاظ على المصداقية في النشر (جالوا، 2004).

ولذلك لم تجد وسائل الإعلام الغربية التي تدافع عن الحريات وتتمسك بالقيم الليبرالية في ضمان حقوق الفرد في الحصول على المعلومات بدا من خوض معركة كبيرة ضد الهيمنة التي تمارسها القوات الأمريكية والبريطانية خاصة بعد حرب أفغانستان عام 2001م، وممارسة الضغط عليها لتمكينها من ممارسة أعمالها والسماح لها بالالتحاق بالوحدات العسكرية عندما كان كلا البلدين يحضران لعملية غزو العراق في عام 2003م (Shanker & Sanger, 2002). وهنا يظل الخيار الليبرالي ممكنا للمحافظة على التجربة الديمقراطية الغربية ومحاولة ثني القوى المتحكمة في رأسمال البشري والعسكري والاقتصادي والتكنولوجي عن ممارسة الهيمنة والتي لا تكترث كثيرا برعاية المصالح الاجتماعية وحق الجمهور في معرفة الحقائق. ونظرا لصعوبة السيطرة على قطاع المعلومات في أنماط الحروب الحديثة وتنوع مصادر الاخبار في القنوات الفضائية وعلى شبكات الانترنت مع ظهور شبكات إخبارية خارج نطاق الدائرة الغربية أصبح لها حضور قوي وسط محطات التلفزة العالمية كقناة الجزيرة مثلا، فلم تجد المؤسستان العسكريتان في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا بدا من محاولة إعادة تنظيم علاقاتهما بالمؤسسات الإعلامية من خلال برنامج يسمح بإلحاق الصحفيين بقواتهما في مسرح العمليات (Shanker & Sanger, 2002). وبناء على دراسة مستجدات البيئة الإعلامية ولتفعيل سياسات العمليات العسكرية الإعلامية التي ترمي إلى سد الفجوة بين الصحافة والقوات المسلحة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة فقد تم تدشين مشروع دمج الصحفيين الغربيين The Embedded Programme في خطة العمليات العسكرية للقوات المسلحة الأمريكية والبريطانية أثناء التحضير لغزو العراق عام 2003م. ولا يزال الكثير من النقاش في الأدبيات الحالية المثيرة للجدل بشأن المسئوليات الأخلاقية والمهنية لمراسلي الحرب اللذين يتم اختيارهم للانضمام للبرنامج،

على سبيل المثال مسؤوليتهم عن توفير تغطية متوازنة للحرب ما بين نشر الاخبار والحقائق واحترام سلامة القوات لا سيما عندما تشارك القوات المسلحة الغربية علنا في الحروب (Dodson, 2010; Lindner, 2009; Tønnessen & Kolstø, 2012). غير أن استمرار القيود التي خضع لها مراسلو الحرب مع انتشارهم مع الوحدات العسكرية ضمن هذا البرنامج مثل القيود على التنقل وفرض الرقابة على المحتوى، والالتزام بقواعد الاشتباك التي يفرضها الجيش ضمن خطط العمليات جعل الصحفيين أكثر قلقا حول مستقبل عملهم في تغطية النزاعات (Cockburn, 2010).

فيما سيأتي، سأستعرض مخاوف صحفيي الحرب حول تأثير نظام "الصحفي المرابط" على المسئولية الأخلاقية والمهنية التي يحرص الصحفيون على احترامها وتؤثر على قيمهم المهنية والشخصية

البعد الأخلاقي Ethical Dimension

بداية لا يمكن فصل البعد الاخلاقي عن الممارسة الإعلامية اثناء الصراعات المسلحة عند الحديث عن تراجع مصداقية الإعلام، وانحسار التعددية الثقافية في ظل العولمة والانفتاح الاقتصادي والثورة في تكنولوجيا الإعلام والاتصال والبيانات الرقمية. يعزو دانيال كورنو أسباب تراجع مصداقية الإعلام إلى "الاستقلالية الهشة للإعلاميين في علاقتهم بباقي السلطات، والخلط بين حرية التعبير التي يمتلكها كل منّا، وحرية الإعلام المحتكرة من لدن البعض فقط، وفي التصرف السلبي في المعلومة،

بما يخدم السباق نحو نسب المتابعة عوض عكس الواقع" (اليحياوي، 2014، ص 7). ويشير أيدن وايت (2017) مؤسس الشبكة الأخلاقية التي تضم أكثر من ستين مجموعة من الصحافيين والمحررين وأصحاب الصحف حول العالم لتعزيز الأخلاقيات والحوكمة أن أسس الديمقراطية تصبح مهددة بفعل الأخبار الزّائفة والدعاية السياسية والمؤسسية إضافة إلى الانتهاكات الوقحة المتداولة عبر الإنترنت. ويضع المفكر والناقد الفرنسي سيرج لاتوش الإعلام المعاصر ضمن دائرة تأثير شبكة العولمة التكنو-اقتصادية الثقافية التي تختزل فيها أدوات الصراع والاحتكار والمنافسة وتتسم بوجود قوى تمكنها من تفكيك منظومة القيم الثقافية وتوليد أزمات أخلاقية على بنية النظام السياسي كالتأثير على التعددية والديمقراطية وحرية التعبير (حيدر، 2008). وفي المقابل، فإن التطورات الهائلة التي طالت ميدان الإعلام والمعلومات والاتصال كظاهرة الاندماج القوي بين قطاعات المعلوماتية والاتصالات السلكية واللاسلكية والمسموع والمرئي أدت إلى تقويض احتكار النخبة والشركات متعددة الجنسيات على قطاع الإعلام والمعرفة، وسد الفجوة المعلوماتية في مجتمع الإعلام بأبعاده الثقافية والاجتماعية من خلال تجسيد مبادئ التشاركية في انتاج، وتخزين، وتوزيع، وترويج، واستهلاك المعرفة وعلى نطاق دولي واسع (اليحياوي، 2014، ص 7). وتحرص المؤسسات الإعلامية الكبرى ذات السمعة العريقة كالصحف وشبكات التلفزيون ومحطات الإذاعة على الحفاظ على سمعتها كمصادر موثوقة ومعتمدة، ولا تراهن على ذلك بنشر معلومات غير موثوقة، وتسعى إلى الالتزام بأخلاقيات الممارسة الصحفية في النزاعات المسلحة حتى لو تعارضت مع سياسات أمن العمليات (Butler, 2005; JSP 580, Operational Security Policies 2013).

أثارت المسألة الأخلاقية للصحافة في الإبلاغ عن الحرب جدلاً حول مسؤولية الصحفيين عندما يجدون أنفسهم تحت المسئولية المباشرة للقيادة العسكرية في مناطق العمليات، وفي وضع يجب أن يكونوا مشاركين فيه كشاهد عيان، بدلاً من مجرد الإبلاغ عن العنف المنظم الذي يمارس أمام أعينهم (Olsson, 2017). ويشمل ذلك فهم مبادئ وحدود مسؤولياتهم في مسرح الحرب،

من خلال النظر إلى مجموعة من القيود السياسية والهيكلية التي تشكل تحديا مهنيا ووطنيا في آن واحد للمراسلين الحربيين كدورهم في حماية مصالح بلدانهم وأمنها القومي، وحماية مسار العمليات وخطط الحرب، والحفاظ على أمن الضباط والجنود والحلفاء والمنظمات الإنسانية غير الحكومية. كما تشمل ايضا الالتزام بالسياسة التحريرية للمؤسسة الصحفية التي يمثلونها، والاهتمام بمسارهم المهني، وحماية منجزاتهم وطموحاتهم، وبما يعكس شخصياتهم في المجتمع كمشاهير وكتاب وأكاديميين ومدونين وهواة يمثلون احد أدوات صناعة الرأي العام وتشكيل الصورة الذهنية، ولهم قاعدة واسعة من المتابعين والمشاهدين والقراء التي تم تكوينها على مراحل زمنية مختلفة (Rees, 2007). يقول الصحفي الفلسطيني محمد أبو قمر الذي غطى الحروب الثلاثة التي شنتها إسرائيل على قطاع غزة منذ العام 2008م وحتى 2014م(أبو قمر، 2020، ص 2): 'تجربة العمل في أوقات الحروب تكشف أنه لا يمكن للصحفي أن يفكر كثيرا في ضوابط العمل وما المسموح له أن يفعله، وما المحظور عليه من ناحية نظرية كان قد درسها في الكتب الإعلامية المتخصصة، فأمام المشاهد الإنسانية لا يمكن تنحية المشاعر جانبا، وألا تذرف الدموع وأنت تشاهد امرأة مسنة تطوف كل أقسام المستشفى بحثا عن أبنائها الخمسة المفقودين'. ويعلق المصور الفوتوغرافي جيمس ناشتوي (2007) الذي وثق بعدسته الضوئية أغلب الصراعات العالمية في أكثر من 30 دولة حول أمنيته أن تتحول أعماله الضوئية شاهد عيان للحروب المعاصرة: ' أحد الأشياء التي توجب عليّ تعلمها كصحفي كان هو التحكم في غضبي. كان يتوجب على القيام به، تمرير غضبي، وتحويله إلى شيء يقوم بتوضيح رؤيتي، بدلاً عن تهميشه. في الصومال،

انهارت الحكومة المركزية واندلعت الحرب العشائرية. غادر المزارعون أراضيهم، ودُمرت المحاصيل والماشية أو سُرقت. كان التجويع يُستخدم كسلاح للدمار الشامل- بدائي لكنه فعّال بشدة. مئات الآلاف من الناس تم إبادتهم، ببطء وبكل ألم.. أنا شاهد، وأريد أن تكون شهادتي صادقة وغير خاضعة للرقابة. وأيضاً أريدها أن تكون قوية وبليغة، ولتخدم أقصى ما يمكن العدالة لتجربة الناس الذين أقوم بتصويرهم'. ولا شك أن صور المآسي الإنسانية التي قدمها جيمس في مسيرته الصحافية كانت استكمالا لمسيرة زملائه في المهنة اللذين كان لهم اسهامات مهمة في كشف الزيف وتعبئة الرأي العام الدولي بسبب التجاوزات واستهداف المدنيين والنساء والأطفال كما هو الحال مع المصور "ورست فاس" الذي كان يعمل لصالح وكالة الاسوشيتدبرس في حرب فيتنام، والمصور الأمريكي الشهير "إدي آدامز" الذي التقط صورة الجنرال الجنوبي "نيغون نوغ" وهو يصوب المسدس على رأس السجين "نجوين فان ليم" الذي كان مقاتلاً في الفيتونغ" التابعة لفيتنام الشمالية، إلى جانب المصور الفيتنامي الامريكي "نيك أوت" الذي حصد شهرة عالية بعد صورته الشهيرة التي أطلق عليها "فتاة النابالم" يوم 8 يونيو/حزيران 1972 خلال حرب فيتنام (الغزالى، 2019).

لقد أثرت التحديات الناشئة المتعلقة بالثورة التكنولوجية في الاتصال، وحفظ البيانات والتطور في العقائد القتالية، وصعود وسائل الإعلام الجديدة على مهنة المراسلين الحربيين ممن يلتحقون بالوحدات العسكرية ضمن نظام "الصحفي المرابط" وأصبحت لدى المتلقي وسائل بديلة ومؤثرة للحصول على الأخبار الفورية من غير القنوات الرسمية. ولذلك فإن سياسة العمليات الإعلامية التي تعتمدها القوات المسلحة البريطانية مثلا تجبر الصحفيين ممن يمثلون وسائل الإعلام البريطانية على توقيع وثيقة طلب الانضمام إلى الوحدات العسكرية في الجيش البريطاني قبل السماح لهم بالانتشار مع وحداتهم العسكرية لضمان السرية في النشر الإعلامي

ودعم خطط العمليات المعلوماتية. توفر الوثيقة العسكرية للجيش البريطاني التي يطلق عليها (الكتاب الأخضر) The Green Book جميع أحكام وشروط هذا الاتفاق.

ويمكننا القول بأن مجمل الانتقادات التي وجهها الصحفيون الحربيون اللذين تم مقابلتهم حول برنامج "الصحفي المرابط" تتمحور حول تأثير هذا الاتفاق على ممارسة الصحافة المهنية من حيث ظهور ممارسات تتعارض مع القيم في المجتمعات الليبرالية، مثل منع وصول الصحفيين إلى مناطق القتال، وتأثير ذلك على أطر المرجعية الصحفية (الإنصاف، والدقة، وحرية التعبير)، فضلاً عن التدخل التحريري، وفقدان الحياد، وتضارب المصالح مع المؤسسة العسكرية وأطراف الصراع الأخرى في ميدان وساحات الحرب. في هذا الإطار يشير جوناثان بيليJonathan Beale، وهو مراسل هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) منذ عام 2017، وعمل لمدة عامين كمراسل للهيئة في بروكسل، فضلا عن تغطية الانتخابات النصفية الامريكية لعام 2006 التي تزامنت مع الانتخابات البلدية أو المحلية، وتغطية اتصالات غوانتانامو العسكرية في عام 2009، إلى تاثير برنامج "الصحفي المرابط" على حرية التعبير خلال الأزمات السياسية أو الحروب حيث قال: ' سواء أكنت مع القوات البريطانية أو الامريكية عليك أن تلتزم بقواعد صارمة. على سبيل المثال، سيطلبون رؤية المواد الصحفية لأسباب أمنية عملية للتأكد من أنك لا تعرض قواتهم للخطر. البريطانيون يجعلونك توقع على شيء يسمى (الكتاب الأخضر). والكتاب الأخضر هو، أن نكون صادقين، يسلب حريتك بعيدا... وسوف يتم عليك املاء ما يمكنك وما لا يمكنك تصويره.

وسوف يرغبون في رؤية البنود التي تم تحريرها' (مقابلة، لندن، 3 نوفمبر 2016). ان برنامج "الصحفي المرابط" كما يشير إليه بيل في تعليقه على القيود التي يفرضها الكتاب الأخضر تؤثر بشكل مباشر على حرية التعبير بسبب عدم قدرة الصحفيين عن الإفصاح عن القضايا الحساسة المحيطة بسرية وأمن العمليات العسكرية خاصة ما يتعلق بمصادر ودقة المعلومات الاستخبارية، ومشروعية قصف الأهداف خاصة غير العسكرية، وتكتيكات تحرك القوات العسكرية، ولأن سياسة الإعلام العسكري البريطاني كانت أكثر تعقيداً وصرامة في نطاقها مقارنة بنظيرتها الأمريكية. وبما أن بريطانيا كانت شريك رئيسي في حرب العراق عام 2003، وقبل ذلك شاركت في العديد من الصراعات العالمية في مواقع وظروف جغرافية مختلفة، مثل حروب الفوكلاند وأفغانستان وانشغالها في عدد من الحروب الصغيرة وعمليات حفظ السلام (Badsey, 1996)، مارست المؤسسة العسكرية البريطانية عدة اشكال من الرقابة المباشرة على مضامين الصحافة وتقييد تحركات الصحفيين في مسرح العمليات. وعلى الرغم من أن كلاً من الولايات المتحدة وبريطانيا دافعتا بشدة عن سياساتهما المتمثلة في عدم دمج الصحفيين في أفغانستان لحماية سرية العمليات، اتخذ كلاهما خطوات جادة قبل حرب العراق لإنشاء "معسكر إعلامي" لتدريب الصحفيين الذين سيغطون وحدات الخطوط الأمامية في العراق (Shanker & Sanger, 2002). وفي هذا الصدد أشارت ليز دوسيت Lyse Doucet رئيسة قسم المراسلين الدوليين في هيئة الإذاعة البريطانية (BBC) إلى أن المؤسسة العسكرية الغربية فقدت السيطرة على حركة تدفق المعلومات الواردة من ساحات القتال منذ حرب أفغانستان لأن عدد من الصحفيين الذين يصنفون أنفسهم كصحفيين مستقلين تمكنوا من دخول أفغانستان والحصول على مصادر الأخبار من مصادر أخرى غير مصادر القوات الأمريكية والبريطانية. وتحظى دوسيت بسمعة وخبرة واسعة في تغطية الصراعات المسلحة اذ غطت جميع الحروب الكبرى في الشرق الأوسط كما كانت على علاقة وثيقة بعدد من الرؤساء وقادة الحروب من بينهم الرئيس الأفغاني السابق حامد كرزاي (Doucet, 2014).

وقالت دوسيت عن تجربتها عندما عملت بالقرب من مجموعات المجاهدين في بعض أجزاء أفغانستان في الحرب السوفيتية الأفغانية (1979-1989): ' في أفغانستان، التحقت بنظام شبيه بهذا ولكن في الغالب كان مع الجانب الأفغاني، لذلك لم أعتمد حقاً على الجيش أو الحكومة الأفغانية للحصول على المعلومات لأنني أستطيع الذهاب والتحدث إلى السكان المحليين على الفور. انني أدرك وجهات نظر الجيش وواجبهم الوطني في توفير الحماية للقوات وذلك لتجنب أي تهديد غير متوقع من خلال تواجدهم في خط المواجهة' (مقابلة، لندن، 14 نوفمبر 2016). وبالنظر إلى المخاوف التي ابدتها الصحفية الكندية ليز دوسيت من قلة الفرص المتاحة للصحفيين الملتحقين بالوحدات العسكرية للتحدث إلى السكان المحليين، فإن غياب الموضوعية في تقديم وجهة نظر محايدة تجاه النزاع وترسيخ فكرة التبعية الإعلامية للسلطات كان له أثر كبير في أسلوب تقديم القصة الخبرية. وفي هذا الصدد، أشار بول آدم Paul Adam مراسل الشؤون العالمية لهيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) في القيادة المركزية الأمريكية في قطر في حرب العراق، إلى أن هذا الإطار من العلاقة بين المؤسسة العسكرية والصحافة، يوفر للصحفيين درجات معينة من الأمن، وفي الوقت نفسه يتيح للجيش الفرصة لتبرير أعمالهم العسكرية للرأي العام في الداخل وللعالم أجمع، حيث قال: إنها نوع من أشكال التفاوض، التي تتيح للطرفين كسب أشياء، والتنازل عن أشياء أخرى" (مقابلة، لندن، 3 نوفمبر 2016). يشير جوناثان ستيلي Jonathan Steele، مؤلف العديد من الكتب في الشؤون الدولية، وهو مستقل وكان يعد أحد أعمدة المراسلين الدوليين في صحيفة الغارديان البريطانية، إلى أن للصحفيين دور مشروعً يلعبونه في ساحة المعركة تماماً، مثل دور المؤسسات الحكومية، وغير الحكومية الأخرى، لذا يتعين على الجيش الاعتراف بالدور المتطور لوسائل الإعلام في النزاعات ودعم عملها،

حيث قال: "معظم الصحفيين المستقلين لا يقومون بأعمال دعائية أو أنشطة علاقات عامة لأية جماعة في منطقة الحرب، لذلك يتعين على الجيش أو الحكومة، أو الأطراف الأخرى المشارِكة في النزاع، أن يثقوا في هؤلاء الصحفيين، ويسهلوا مهمتهم، من خلال السماح لهم بجمع معلوماتهم بأقل قدر ممكن من القيود الأمنية" (مقابلة، لندن، 3 نوفمبر 2016). لذلك، يتعين على مراسلي الحرب خوض معركتهم الخاصة، من أجل الحفاظ على التوازن بين المستوى العام للصحافة في حالة حرب، وما تهدف الاستراتيجيات العسكرية إلى تحقيقه.

ومع ذلك، يسعى بعض الصحفيين إلى الحفاظ على حيادهم في تقارير الحرب لكن ذلك لا يعني أن الصحفي يجب أن يكون محايداً في الحديث عن القوات أو ضحايا الحرب. ان الالتزام بالحياد كما يؤكد الصحفي البريطاني الشهير باتريك كوبرن (2010) يكمن في البحث عن أساليب متعددة لجمع المعلومات دون الاقتصار فقط على الرواية التي يقدمها الجيش، اذ أن عدم التنوع في تقديم الرؤى المتعددة حول الصراعات المتطورة يحول الموضوعات الصحفية إلى قصص ناقصة ومتحيزة. ولذلك، يجب على الصحفي ان يقدم وجهات نظر متوازنة بشأن الصراع. ومع ذلك، فإنه من غير العملي أن يغطي الصحفيون كافة أطراف الصراع في نفس الوقت وبنفس الأهمية. يشير فوكس (2005) إلى انه عند مقارنة التغطية الإعلامية لحرب الخليج الأولى عام 1991 بالتغطية الثانية في عام 2003، يلاحظ بأنه تم إضافة بعض اللمسات الإنسانية على القصص الإخبارية حيث قام الصحفيون الملتحقون بوحدات الجيش بعرض صور لجنود بريطانيين وأمريكيين يعملون بجد ويخاطرون بحياتهم من أجل تحرير الشعب العراقي من صدام حسين ومساعدتهم.

كما أنه تم عرض صور التفجيرات من أجل تقديم التفوق المزعوم للقوات المتحالفة وما يسمى بـ "العمليات النفسية" ضد العدو يتم شنها من خلال استخدام وسائل الإعلام مما جعل الحرب تتحول إلى حدث اعلامي كبير يحظى بمتابعة عالمية على مدار الساعة وتباع التغطية كسلعة ترفيه منزلية (فوكس، 2005).

لقد أثرت التحديات الناشئة المتعلقة بالثورة التكنولوجية في الاتصال وحفظ البيانات والتطور في العقائد القتالية وصعود وسائل الإعلام الجديدة على مهنة المراسلين الحربيين ممن يلتحقون بالوحدات العسكرية ضمن نظام "الصحفي المرابط"، وأصبحت لدى المتلقي وسائل بديلة ومؤثرة للحصول على الأخبار الفورية من غير القنوات الرسمية. ولذلك فإن سياسة العمليات الإعلامية التي تنتهجها القوات المسلحة البريطانية مثلا تجبر الصحفيين ممن يمثلون وسائل الإعلام البريطانية على توقيع وثيقة طلب الانضمام الى الوحدات العسكرية في الجيش البريطاني قبل السماح لهم بالانتشار مع وحداتهم العسكرية لضمان السرية في النشر الإعلامي، ودعم خطط العمليات المعلوماتية. توفر الوثيقة العسكرية للجيش البريطاني التي يطلق عليها (الكتاب الأخضر) The Green Book جميع أحكام وشروط هذا الاتفاق.

وعلى غرار معظم الصحفيين الحربيين، واجه ديفيد برات David Pratt، المراسل الدولي لصحيفة هيرالد الأسكتلندية، لحظات حاسمة من عدم اليقين في تاريخ علاقته بصحافة الحروب عندما قرر ما إذا كان سيعمل بشكل مستقل أو ينضم إلى قوات التحالف، وخاصة القوات الامريكية. ديفيد برات هو مؤلف ومذيع وله اهتمام خاص بالعالم العربي والإسلامي، عمل سابقاً في رويترز ومعهد تقارير الحرب والسلام، قال عن تجربته في حرب العراق: 'في بداية الحرب، عُرضت عليّ في الواقع الانضمام الى الفرقة الأسكتلندية "بلاك ووتش" في البصرة. وفي الحقيقة رفضت ذلك لأنني لم أكن مؤمناً بالالتحاق بأي وحدة عسكرية وذلك لاعتقادي أنه يتعارض مع الممارسة الصحفية الجيدة.

لذا دخلت إلى العراق بطرق خاصة لكن في الواقع كان صعبا جدا لأنك ستكون منبوذا من قوات التحالف، ليس كثيرا من البريطانيين، ولكن من قبل القوات الأمريكية لان وجهة نظرهم كانت إما أنك معنا أو ضدنا (مقابلة، غلاسكو، 6 ديسمبر 2016). هل هناك فاصل بين مسئولية الصحافة من الناحية الوطنية وبين دورها الأخلاقي كباحث عن الحقيقة وشاهد لأحداث التاريخ؟

ان العلاقة بين ما تقدمه ووسائل الإعلام من محتوى والذي قد يعكس الواقع او يكون مصطنعا واستجابة الجمهور له يكشف عن الحدود الوهمية بين مهمة الصحفي كناقل للخبر، ومهمته الاخرى كمناضل يعبر عن موقفه تجاه المتغيرات في بيئته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. يشير بنصالح (2020) أن هناك مدرستان صحفيتان في هذا الجانب: الأولى ترى أن دور الصحفي ينحصر في نقل الوقائع والتثبت من صدقية الأخبار، وأن الموضوعية والنضال ضدان لا يلتقيان. ان هذه المدرسة تعد البحث عن الحقيقة ومكابدة المتاعب والتعرض للأخطار واثارة الرأي العام هي في حد ذاتها نضالا بهدف فصل الصحافة عن الاجندات السياسية، والاختلافات الدينية، والنعرات الطائفية، والمعارك الفكرية. أما المدرسة الثانية فترى أن الصحفي من خلال تعريته للواقع وكشفه الحقائق وبحكم موقعه لا يمكن ان يفصل نفسه عن قضايا الشأن العام وينبغي عليه كنوع من الالتزام المهني أن يسجل موقفه بوضوح في ظل التحولات التي تشهدها البيئة السياسية والاقتصادية والتكنولوجية من حوله خاصة ما يتعلق بقضايا الحروب والأزمات والتكنولوجيا وثورة الاتصال والذي افرز ما يعرف بـ "المواطن الصحفي" انتعشت خلالها صحافة الناشطين ومدونات يوميات الحرب (الزيبق، 2020).

ويسوق بنصالح (2020) مثالا على التداخل في الأدوار بين الصحفي والمناضل عندما أقدم الصحفي البريطاني غرين غرينوالد من جريدة "الجارديان" البريطانية نشر تسريبات موظف وكالة الامن القومي الأمريكية إدوارد سنودن عن برامج التجسس في الولايات المتحدة والذي حظي باهتمام العالم أجمع وشكل أضخم سبق صحفي في الصحافة المعاصرة كشف عن تجاوزات الإدارة الامريكية في مسألة حريات الافراد والخصوصية لكن ذلك لم ينزع عنه صفة الصحفي. وهنا يتبادر إلى الذهن ماهية الحدود الفاصلة بين الصحفي الذي يختار لنفسه الحياد والموضوعية والاتزان في طرحه للقضايا الوطنية والأمنية، وبين الاخر الذي يمزج بين الخبر والرأي في تناوله للقصص الإخبارية والاصطفاف في خندق واحد مع أولئك الذي يشاطرهم الفكر فيما يرونه من قضايا شعبية مشروعة في خلق حالة من الصراع مع السلطة تسهم في التحول السياسي نحو الديمقراطية. لكن هناك أيضا طرف ثالث اختار لنفسه عبر مستويات مختلفة ممارسة الدجل، والتضليل، ونشر الشائعات، والاخبار الكاذبة كجزء من آلة الدعاية والعمليات النفسية.

لا شك أن تضارب مصالح المراسلين في زمن الحرب عند التحاقهم بوحدات الجيش قد يؤثر على أدائهم كما أسلفنا سابقا إذا لم تحاط العلاقة التي تربط الصحفيين بالوحدات العسكرية بإطار من الثقة والاحترام المتبادل. وقد أكدت كارولين وايت Caroline Wyatt مراسلة هيئة الإذاعة البريطانية (BBC)، التي كانت مع مجموعة الصحفيين التي تم تضمينهم لدى وحدات الجيش البريطاني في حرب العراق، أن العلاقة الناجحة مع الجيش في المعسكرات والثكنات وساحات المعارك يجب أن تنطوي على درجة عالية من الثقة والاحترام من كلا الجانبين لتحقيق المصالح المتبادلة، على الرغم من تعقد استراتيجيات التفاوض حيث قالت: ' من أجل أن نحصل على القصة الخبرية لنقلها للجمهور قدر الإمكان، كنا نحاول دائما أن نتفق مع الوحدات العسكرية أين سنكون؟ وفي أي وحدة؟ ومع من؟ ونحن نحاول أن نكون مع الناس الذين يفعلون الأشياء الأكثر إثارة للاهتمام.

ولكنها بالفعل مقايضة إذا قمت بتضمينها. إنها صفقة.. إنها صفقة.. إنها صفقة' (مقابلة، لندن، 3نوفمبر 2016). وفي هذ الصدد كشفت دراسة أعدها مشروع التميز في مركز أبحاث الصحافة (2003) حول الصحافة المرابطة أن "الغالبية العظمى من القصص الصحفية التي تمت دراستها، 94٪ منها كانت في الأساس ذات طبيعة واقعية". أن التقارير كانت إلى حد كبير وفقًا للحقائق لا يعني أنها جميعًا تحدثت عن حقيقة الحرب (فوكس، 2005). ويتساءل فوكس (2005) حول مدى تمثيل تلك النتائج على الواقع الموضوعي: ما الحقائق المعروضة؟ وما هي الحقائق التي لم يتم عرضها أو حذفها؟ ما هي اللغة والرموز المستخدمة لوصف القوات والأفراد الأمريكيين والعراقيين؟ هل سياق الصور المعروضة معروض بشكل كافٍ؟ ما هي المعاني الناشئة التي طرحتها التقارير؟ هل توجد مؤشرات على أن التقارير يمكن أن تتلاعب بالرأي العام أو تؤثر عليه في اتجاه معين؟ هل يتمتع الصحفيون المدمجون بمساحة كافية من الحجج المؤيدة للحرب وهل يمكنهم الحفاظ على هذه المسافة من الحدث في تقاريرهم؟ إلى أي مدى تمثل التقارير الآراء والتجارب الشخصية للصحفيين المرابطين؟ وما إذا كانت "الحقائق" المبلغ عنها تمثل الواقع أو تحرفه لم يتم بحثها؟

ويعد جيرمي بوين Jeremy Bowen أول محرر في هيئة الإذاعة البريطانية في الشرق الأوسط في عام 2004 وأول صحفي بريطاني يجري مقابلة مع الرئيس الليبي السابق معمر القذافي في عام 2011 بالاشتراك مع ماري كولفين وكريستيان آمانبور من شبكة ABC News كما أجرى مقابلة مع الرئيس السوري بشار الأسد.

وعندما التقيت بجيرمي بوين في مبنى هيئة الإذاعة البريطانية كان على وشك السفر لإسرائيل ومن ثم الولايات المتحدة الأمريكية ولم يمنحني الا جزء قصير من وقته. لدى جيرمي بوين مفاهيمه واعتقاداته الخاصة حول دور الصحفي في نقل أخبار الحروب حيث لا يعتقد كثيرا بوجود الحياد الإيجابي أثناء تغطية الصراعات بل يرى أن الحياد يمكن تلمسه ضمنيا في سياق عرض وجهات النظر لكن بدون الإشارة لذلك تصريحا، حيث قال: ' ما أحاول أن أقدمه من تقارير اخبارية هو ما تسميه هيئة الإذاعة البريطانية ب "الحياد". والحياد في نظري هو أن أكون عادلاً في تفسير الأشياء وأحاول إظهار جميع وجهات النظر المختلفة حسب الاستطاعة، أو وجهات النظر الرئيسية، ولكنك في الاخبار لا تقول، "اثنين زائد اثنين يساوي أربعة". بل تشير إلى ما يقوله الطرف الأول وما يقوله الطرف الآخر والحقيقة تكمن فيما بينهما' (مقابلة، لندن، 8 فبراير 2017). ومما لا شك فيه أن هوية الصحفيين هي إحدى المفاهيم التي يحرص مراسلو الحرب على الحفاظ عليها في أوقات الصراع وذلك بحكم عملهم كوسطاء في نقل المعلومات والبيانات وتحليل المواقف السياسية للجمهور (Tønnessen & Kolstø, 2012). ولا شك أن المراسلين الحربيين يسعون جاهدين أثناء مرافقتهم للقوات المسلحة، لا سيما في أوقات ما بعد الصراع، برصد آراء المدنيين فيما يتعلق بالجهود الدولية لمساعدتهم على التعافي من الأعمال العدائية، ومنع تصعيد الازمات، وبناء الثقة للحفاظ على السلام، واستعادة الحكم الفعال (Orgeret and Tayeebwa, 2016). على سبيل المثال، عندما سلمت القوات البريطانية (البصرة) إلى القوات الامريكية بعد أن تم اعلان الإطاحة بالنظام العراقي السابق، أشارت كارولين وايت إلى أن هيئة الإذاعة البريطانية تمكنت من تكليف بعض الصحفيين المحليين بالعمل كمراسلين من البصرة، بينما كانت هي ترافق القوات البريطانية في مواقع أخرى لرصد تحركات القوات البريطانية وذلك لاستكمال أبعاد التغطية الصحفية المتكاملة من خلال الحصول على وجهات نظر متعددة. ويتضح أن المراسلين المرابطين تتاح لهم في بعض الظروف فرصا نادرة ومفيدة للدخول بصفة قانونية وتحت غطاء القوات المسلحة إلى المناطق التي تسيطر عليها قواتهم المسلحة أو القوات الصديقة أكثر من نظرائهم من الصحفيين المستقلين.

وفي المقابل أيضا تتاح للصحفيين المحليين الفرصة اثبات قدراتهم في العمل الصحفي والتعاون مع كبار الصحفيين العالميين واخذ الخبرة منهم وربما التفوق عليهم. وهذا ما جعل جائزة الشجاعة الصحفية التي تقدمها منظمة "مراسلون بلا حدود" سنويا، تذهب عام 2016 إلى الناشط السوري هادي العبد الله الذي أصبح من أبرز مراسلي الحرب المستقلين في سوريا (الزيبق، 2020).

الخلاصة:

لقد تناول هذا البحث تطور علاقة وسائل الإعلام بالحروب مع الآخذ في الاعتبار جانبا من التجربة البريطانية الثرية في إدارة العمليات الإعلامية والمعلوماتية. ولقد تم مناقشة الهيكل الحالي لبنية العلاقات بين المراسلين الحربيين وأطراف الصراع الفاعلين في الحرب المعاصرة مع النظر في التغييرات في المذاهب العسكرية، ونموذج الحرب، وتكنولوجيا الاتصالات. وقد تسبب ما سُمّي بنموذج "الحرب الجديدة" في أدبيات الصراع المسلح في إحداث خلل في منظومة القيادة والسيطرة المعلوماتية مما جعل القيادات العسكرية خاصة الأمريكية والبريطانية تمارس ضغوطا على أهمية دمج وسائل الإعلام في جهودها الحربية والتي أضحت أكثر تعقيداً، لا سيما على المستوى التكتيكي.

ان الهدف من هذا البحث هو المساهمة في فهم المتغيرات التي طرأت على الممارسات الصحفية في الحروب والنظر في الآثار المترتبة على نظام "الصحفي المرابط" مع القوات المسلحة مما أدى إلى شكل جديد من العلاقات بين الجيش ووسائل الإعلام التقليدية والجديدة في صراعات اليوم. وعلى الرغم من الفوائد الاستراتيجية والتكتيكية للنظام "الصحفي المرابط" في تحقيقه لبعض أهداف استراتيجية العمليات العسكرية، فقد حان الوقت للتخلي عن النموذج القديم في المذاهب الإعلامية الموجهة لإدارة صحافة الحروب لأننا اليوم نعيش في عالم سريع التغير في قطاع الاخبار ونقل المعلومات وتداول البيانات وتطور شبكات الاتصالات. يناضل المراسلون الحربيون اليوم لتأمين سلامتهم في ظل حالة من الاقتتال الداخلي الذي لا يرحم في بلدان ذات أوضاع أمنية هشة مثل سوريا وليبيا وأوكرانيا واليمن وشمال العراق، وهي مناطق تسيطر فيها خليط من الجماعات النظامية وجماعات الميليشيات ذات المصالح السياسية والأيديولوجيات والأعراق المتقلبة. كما تم التركيز أيضا في هذا البحث على تأثير تكنولوجيا المعلومات على دور مراسلي الحرب فيما يتعلق بالوصول إلى منطقة الحرب، ومستوى الاستقلالية والجوانب المتعلقة بالعمل الصحفي.

أظهر هذا البحث أن هناك حالة من عدم الثقة سادت بين الصحفيين عقب حرب العراق (2003) حول النظام "الصحفي المرابط" من حيث المنظورات الأخلاقية والأدوار الوظيفية والعلاقات الانسانية. ويمكننا القول بان نقد المفهوم يقع ضمن منظورين داخل العمل الصحفي الحربي:

أولاً، أولئك الذين لديهم منظور عملي تجاه حل المشكلات الميدانية على خط المواجهة، ويدعون أنه من الصعب تحقيق علاقة غير مشروطة مع الجيش في وضع غير مؤكد حيث أصبح الصحفيون أنفسهم هدفا عسكريا ماديا في المفهوم الجديد للحرب.

كان على المراسلين المضمنين توقيع اتفاقية مع الجيش تم تحديدها في الكتاب الأخضر؛ تغطي هذه الوثيقة القضايا العملية والمتعلقة بالسياسة بما في ذلك المتطلبات الأمنية لوزارة الدفاع وقضايا السلامة وتوفير الإسناد اللوجستيكي والدعم الإعلامي. الغرض من هذه الاتفاقية هو "تمكين وسائل الإعلام من اكتساب فهم أعمق لطبيعة المهمة التي يشاركون فيها وعلاقتهم بالقيادات العسكرية والجنود " (JSP 580، 2013، ص 9). ان تداعيات اتفاقية "الكتاب الأخضر" على عمل المراسلين كبيرة. فقد أكد الصحفيون ممن تم مقابلتهم إنهم حققوا بعض النجاح في الاندماج مع القوات المسلحة لأغراض الحماية الشخصية، وتأمين الوصول إلى السكان المحليين والتحدث إليهم ونقل معاناتهم، وبناء علاقة ثقة مع القادة في مناطق العمليات للحصول على أخبار حصرية، لا سيما المصنفة منها. هذا يوفر طريقة بديلة لأن يكون الصحفي شاهدا على أحداث القتال. ومع ذلك، كان الصحفيون مدركين لعواقب هذا الاتفاق على قيمهم المهنية، حيث انهم يغطون مساحة صغيرة من ساحة المعركة بما يمكن القيادة العملياتية من قدرتها على فرض الرقابة على المواد الإعلامية للحفاظ على المستوى المطلوب من الأمن المعلوماتي.

ثانياً، تشير مجموعة أخرى من مراسلي الحرب إن الاستقلالية أمر حيوي لممارسة "الصحافة الجيدة" ضمن المبادئ والقيم الإخبارية والمعايير التحريرية للثقافة الليبرالية لتحقيق الموثوقية، والمصداقية، والموضوعية في تغطية الحروب. إن جودة الأعمال الصحافية هي مسألة تثير القلق عند محاولة تحديد أفضل نسخة للتعبير عن الحقيقة، وتجنب الذاتية فيما يتعلق بنقد الأحكام المتعلقة بالأعمال العسكرية. وإذا كان الصحفيون يؤيدون سرد بعض القصص بطريقة معينة،

فمن المحتمل افتقارهم إلى المصداقية عندما يناقشون قضايا مثيرة للجدل مثل الادعاءات الكاذبة لتبرير الغزو العسكري كما حدث في الحرب على العراق عام 2003م، والأضرار الجانبية غير المقصودة، ومقتل الجنود، واستخدام الطائرات بدون طيار، وهذا يمكن أن يغذي أيضاً الاتهامات بالتحيز. ويبدو أن الصحفيين المستقلين رفضوا الادعاء بأن عقد صفقة مع الجيش لمقايضة سلامتهم بحرية التعبير أمر لا مفر منه اثناء الازمات لضمان الوصول للمعلومات.

ويعتقد الباحث ان دراسة ما بعد مرحلة "الصحفي المرابط" والتي تحول فيها شكل الصراع المسلح من الصراع التقليدي بين جيوش محترفة الى صراعات غير تقليدية ضد عناصر وقوى غير حكومية سيفتح المجال لتقديم مزيدا من الرؤى والأبحاث للوقوف على مستقبل العلاقة بين المؤسسة العسكرية ووسائل الإعلام في ظل ظاهرة تراجع دور الصحافة الجادة في نقل الوقائع من مناطق العمليات بسبب صعود وسائل تقنية ومعلوماتية أخرى في مشهد الأحداث.

المراجع

المراجع باللغة العربية:

أبو قمر، م. (2020) يوميات صحفي فلسطيني تحت النار، معهد الجزيرة للاعلام، https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/1068، 25 أغسطس، 2020.

أمين، س. (2003) ما بعد الرأسمالية المتهالكة، ترجمة: فهمية شرف الدين وسناء أبو شقرا، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، بيروت، لبنان.

الزيبق، م. (2020) من ميادين الثورة إلى غرف التحرير، العدد (17) السنة الخامسة I ربيع 2020 مجلة فصلية، معهد الجزيرة، شبكة الجزيرة العالمية.

بنصالح، أ. (2020) الصحافة والنضال والحدود الرمادية، العدد (17) السنة الخامسة I ربيع 2020 مجلة فصلية، معهد الجزيرة، شبكة الجزيرة العالمية.

جالوا، أ. (2004) حماية الصحفيين ووسائل الإعلام في أوقات النزاع المسلح، تم الاسترجاع من الرابط https://www.icrc.org/ar/doc/assets/files/other/journalists-protection-army-conflict.pdf، 8 يونيو 2020م، International Review of the Red Cross, Vol. 86, No. 853.

حيدر، م. (2004) البعد الأخلاقي في الإعلام المعاصر"أدلجة الخبر والصورة"، الدفاع الوطني اللبناني، العدد 64.

عطوف، ز. (2019) هيمنة الإعلام والسينما وسلطان الصورة، TRT عربي، تم الاسترجاع من الرابط https://www.trtarabi.com.

علي، م. (2016) "المصلحة الوطنية" تهزم الموضوعية' معهد الجزيرة للإعلام، تم الاسترجاع من الرابط https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/587،

الغزالى، ر. (2019) الصورة.. الوجه الحقيقي للحرب!، معهد الجزيرة للإعلام، تم الاسترجاع من الرابط https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/216.

قاعود، ي. (2017) الهيمنة الأمريكية وتحولات النظام السياسي الدولي، المركز الديمقراطي العربي، تم الاسترجاع من الرابط https://democraticac.de/?p=47492.

لجنة حماية الصحفيين (2015) دليل التغطية الصحفية للأوضاع الخطرة، تم الاسترجاع من الرابط https://cpj.org/wp-content/uploads/2020/05/safety_guide_arabic.pdf.

موقع الجزيرة (2003) NBC تفصل بيتر أرنيت بسبب تصريح لتلفزيون العراق، تم الاسترجاع من الرابط https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2003/3/31D9%84%D8%AA%D9%84%D9%81%D8%B2%D9%8A%D9%88%D9%86، 12 يونيو 2020م،

موقع الجزيرة (2017) القضاء البريطاني: قواتنا انتهكت حقوق المدنيين بالعراق، تم الاسترجاع من الرابط https://www.aljazeera.net/news/arabic/2017/12/15D8%AD%D9%82%D9%88%D9%82.

ناشتوي، ج. (2007) أمنيتي: أن تصبح صوري شاهدة عيان، موقع تيد، تم الاسترجاع من الرابط https://www.ted.com/talks/james_nachtwey_my_wish_let_my_photographs_bear_witness?nolanguage=ar%22+%5Cl+%22t-98495.

وايت، أ. (2017) أخلاقيات مهنة الصحافة تعود الى الواجهة، مجلة رسالة اليونسكو، العدد 2017/2.

اليحياوي، ي. (2014) الأخلاق في مجتمع الإعلام، مركز الجزيرة للدراسات، تم الاسترجاع من الرابط https://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2014/09/2014997515340375.htm.

المراجع باللغة الإنجليزية

Badsey, S. (2009) *The British Army in Battle and its Image* 1914-1918. London: Bloomsbury Publishing

Butler, J. (2005) Photography, War, Outrage [online], *Modern Language Association*, Available from: https://www.jstor.org/stable/pdf/25486216.pdf?refreqid=excelsior%3A45be3b33c471805b53b06fda74604e36 [Accessed 27 April 2017].

Cockburn, P. (2010) Embedded Journalism: A Distorted View of War, [Online] *The Independent.* Available from: https://www.independent.co.uk/news/media/opinion/embedded-journalism-a-distorted-view-of-war-2141072.html, [Accessed 27 April 2017].

Dodson, G. (2010) Australian Journalism and War, *Journalism Studies*, 11:1, pp. 99–-114. DOI: 10.1080/14616700903119768.

Galtung, J. (2002) Peace journalism – A challenge. In W. Kempf and H. Luostarinen, (ed.). *Journalism and the New World Order,* Vol. II, Goteborg, Sweden: Nordicom.

Galtung, J. (2003) Peace journalism, *Media Asia*, Vol. 30:3, pp. 177–-180, DOI: 10.1080/01296612.2003.11726720.

Hindman, M. and Barash, V. (2018) Disinformation 'Fake News' and Influence Campaigns on Twitter, Knight Foundation, Miami, USA.

JSP 580 (2013) *Green Book: MoD Working Arrangements with the Media for Use throughout the Full Spectrum of Conflict* [Online], Shrivenham, UK: MoD. Available from: https://assets.publishing.service.gov.uk/government/uploads/system/uploads/attachment_data/file/70682/greenbook_v8_20130131.pdf, [Accessed 29 April 2017].

Kutz, M.S. (2013) Just Wars and Persuasive Communication: Analyzing Public Relations in Military Conflicts. In Seethaler, J. (ed.) *Selling War: The Role of the Mass Media in Hostile Conflicts from World War I to the 'War on Terror'*, European Communication Research and Education Association (ECREA), intellect Bristol, UK/ Chicago, USA.

Lee, S. and Maslog, C. (2005) Asian Newspaper Coverage of Conflicts, *Journal of Communication*, Volume 55, Issue 2, 1 June 2005, pp. 311—329, DOI: https://doi.org/10.1111/j.1460-2466.2005.tb02674.x.

Lindner, A. M. (2009) Among the Troops: Seeing the Iraq War through Three Journalistic Vantage Points, *Social Problems*, Volume 56, Issue 1, pp. 21—48. DOI: https://doi.org/10.1525/sp.2009.56.1.21.

Lynch, J. and Galtung, J. (2010) *Reporting Conflict: New Directions in Peace Journalism*. Queensland: University of Queensland Press.

Lynch, J. and McGoldrick, A. (2013) Responses to Peace Journalism, *Journal of Journalism,* 14(8), pp. 1041—1058, DOI: org/10.1177/1464884912464175.

Neumann, R. and Fahmy, S. (2016) Measuring Journalistic Peace/War Performance: an Exploratory Study of Crisis Reporters' Attitudes and Perceptions, *International Communication Gazette*, 78(3), pp. 223—246. DOI: 10.1177/1748048516630715.

Nohrstedt, S. and Ottosen, R. (2014) *New Wars, New Media and New War Journalism: Professional and Legal Challenges in Conflict Reporting*. Sweden: Nordicom, University of Gothenburg.

Olsson, P. (2017) Rescue or Report? The Ethical and Editorial Dilemmas of Crisis Journalism [Online], Available from: http://www.lse.ac.uk/media@lse/Polis/documents/Rescue-or-report.pdf, [Accessed 12 Sep 2018].

Orgeret, K. and Tayeebwa, W. (2016) *Journalism in Conflict and Post-Conflict Conditions: Worldwide Perspectives*. NORDICOM.

Rees, S.D. (2001) Understanding the Global Journalist: A Hierarchy-of-Influences Approach, *Journalism Studies*, Volume 2, Number 2, 2001, pp. 173—187.

Shanker, T. and Sanger, D. (2002) A Nation Challenged: The Military; US Envisions Blueprint on Iraq Including Big Invasion Next Year [Online], *New York Times* 28 April. Available from: http://select.nytimes.com/search/restricted/article?res=F00C10FD355A0C7B8EDDAD0894DA404482 (Accessed 17 February 2017).

Tønnessen, H. and Kolstø, P. (2012) Journalistic Identities and War Reporting: Coverage of the 2008 Russian-Georgian War in the Russian Press, *Scando-Slavica*, 58:1, pp. 101–-121. DOI: 10.1080/00806765.2012.669917.

قائمة بالمراسلين الحربيين ممن تم مقابلتهم في المملكة المتحدة في الفترة من 2016-2018م

م	الاسم	المؤسسة الإعلامية
1	جيرمي بوين Jeremy Bowen	هيئة الإذاعة البريطانية BBC
2	جوناثان بيليJonathan Beale	هيئة الإذاعة البريطانية BBC
3	ليز دوسيت Lyse Doucet	هيئة الإذاعة البريطانية BBC
4	ديفيد برات David Pratt	صحيفة هيرالد الأسكتلندية
5	كارولين وايت Caroline Wyatt	هيئة الإذاعة البريطانية BBC
6	بول آدم Paul Adam	هيئة الإذاعة البريطانية BBC
7	جوناثان ستيلي Jonathan Steele	صحيفة الجارديان

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.19.2

Volume 2 – Issue 19
Issued on: 20 May 2021
International Journal of Research and Studies Publishing
المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
ISSN: 2709-7064
IJRSP

The Role of Entrepreneurial Marketing in Developing Economic Countries (Saudi Arabia Case Study for SME)

Jwdah Farouq Bati[1*], Meshary Mohammad alfaqeih[1], Sami Abdullah Albishri[1], Mowffaq Oreijah[1,2] , and Tahar Lazhar Ayed[1,3]

1 Institute of Innovation and Entrepreneurship, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia

2 Mechanical Engineering Dept., College of Engineering, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia

3 Marketing Dept., College of Business Management Umm Al-Qura University, Saudi Arabia

January 2021

*Email: jodah.farouq@gmail.com

Abstract

The Kingdom of Saudi Arabia is growing into an economic power in the Middle East. However, small- and medium-sized business establishments continue to struggle to break the local market. The challenges faced by the businesses result from the lack of adequate information, poor technological infrastructure, untrained human resource personnel, and consumer behaviors.

Entrepreneurial marketing provides an adequate means through which business organizations in Saudi Arabia can build a competitive advantage and penetrate the market more efficiently and effectively. The approach enables value creation, resource manipulation/utilization, opportunity focus, innovation, risk-taking, customer intensity, and proactive practices, allowing businesses to become competitive. The study evaluates the connection between competitive advantage and entrepreneurial marketing, informing business stakeholders and policymakers on the best marketing practices to ensure the success and sustainability of small- and medium-sized firms in Saudi Arabia.

The study employed the qualitative approach to facilitate data gathering. The study involved fourteen participants recruited from a WhatsApp group and interviewed over the phone. The study findings established differences from sector to sector in terms of marketing opinions and skill. The subjects identified value creation, resource manipulation/utilization, opportunity focus, innovation, customer intensity, and proactive practices to be critical to building a competitive advantage, with risk-taking considered insignificant. Given the source of challenges facing small and medium organizations in Saudi Arabia, there is a need to ensure education and access to information for SME stakeholders. Similarly, the Saudi government needs to put in place adequate technology infrastructure to facilitate the growth and development of the businesses.

Keywords: small and medium enterprises, Competitive Advantage, Enterprises Entrepreneurial Marketing, Saudi Arabia.

Introduction

The business environment is increasingly becoming dynamic and fiercely competitive. Business organizations, particularly small and medium enterprises (SME), operate under a rapidly changing environment, where ambiguity, complexity, uncertainty, fragmentation, and chaos shape the market conditions. In regards, there is a need for the redefinition of business approaches and practices to ensure survival. Entrepreneurial marketing provides a paradigm shift from the traditional marketing practices, allowing business organizations to maneuver the turbulent business world more efficiently and effectively. The concept integrates entrepreneurship with vital marketing elements to transform marketing practices into entrepreneurial actions. The business environment in Saudi Arabia is increasingly becoming more turbulent, characterized by stiff competition and uncertainty, among other forms of chaos that characterize the business world. In response, business organizations are considering Entrepreneurial marketing to safeguard their business interests. Entrepreneurial marketing provides the opportunity for value development,

Communication, and delivery to the target client and the tools for customer management with an orientation towards organizational and stakeholder gains.

Entrepreneurial marketing provides an intersection between marketing and entrepreneurship that encourages the establishment and promotion of market concepts and value creation by developing new ideas. Morris et al. (2002) perceive entrepreneurial marketing as acquiring and retaining a valuable customer base through innovative value creation, resource leveraging, and risk management practices. Therefore, entrepreneurial marketing provides a better platform through which small and medium enterprises with limited resources can advance their marketing practices and profitability. Ordinarily, the concept is associated with small and medium-sized business organizations' marketing enterprises (Kraus et al., 2010). However, entrepreneurial marketing can apply to any firm irrespective of its size; the concept encompasses marketing activities based on entrepreneurial principles, but the processes and meaning may differ between large corporations and small enterprises.

Study Problem Statement:

According to Morris et al. (2002), the business environment worldwide is increasingly becoming turbulent. Similarly, Saudi Arabia is experiencing a business environment that is frequently fluctuating, owing to factors such as reduced forecasting abilities, increased risks, and heightening competition. Besides, traditional managerial principles remain deeply rooted in the Kingdom, thus the need to consider the structural form that allows and facilitates change creation.

Small and medium enterprise owners need an understanding of the economic transformations and learn to adapt and forecast or predict future trends in the business environment and market demands to ensure continuity and success. The changing business environment is creating additional demands and putting more pressure on businesses to reinvent their marketing practices; small and medium enterprises should be more innovative in terms of marketing practices and tell the likely market changes beforehand (Morris et al., 2002).

The new demands present challenging conditions, hindering competitive advantage in a market that is increasingly becoming volatile.

The intersection between entrepreneurship and marketing provides an opportunity for small- and medium-sized firms to maximize the leveraging of limited resources for improved benefits for both the organization and its stakeholders. However, various factors, including a lack of adequate information, poor technological infrastructure, untrained human resource personnel, and consumer behaviors, limit market penetration initiatives by the firms. As a result, many small and medium enterprises fail to focus on critical entrepreneurial marketing strategies, including value creation, leveraging resources, focusing on opportunities, innovation, calculated risk-taking, and proactive practices. The limitations that characterize small and medium business organizations render them incapable of establishing a competitive advantage in their respective industries. This study investigates the challenges that the enterprises encounter concerning entrepreneurial marketing and suggests possible solutions to the problem.

Objectives of the Study:

The study will seek to establish the relationship between competitive advantage and entrepreneurial marketing. It will involve evaluating how value creation, resource manipulation/utilization, opportunity focus, innovation, risk-taking, customer intensity, and proactive practices affect the growth and profitability of small and medium firms in the country. The study seeks to realize its objective by responding to the question:

What is the connection between competitive advantage and value creation, resource manipulation/utilization, opportunity focus, innovation, risk-taking, customer intensity, and proactive approaches in small and medium-sized business organizations in Saudi Arabia?

Scope of the study:

The primary focus of the study is the application of entrepreneurial marketing by small- and medium-sized firms in Saudi Arabia.

The study variables considered in the research include the independent variable (entrepreneurial marketing)and the dependent variable(competitive advantage of small and medium firms. Serving as proxies to entrepreneurial marketing include value creation, resource manipulation/utilization, opportunity focus, innovation, risk-taking, customer intensity, and proactive practices. Considering the focus is on small- and medium-sized organizations, the research is limited to SMEs operating in the Saudi Arabian market, eliminating any business organization that does not meet the established criteria. The study will consider small and medium organizations across multiple industries. The struggle to penetrate the market by SMEs despite the country's advancement to an economic powerhouse in the Middle East made the Kingdom of Saudi Arabia an area of interest.

Significance of the Study:

The significance of the study lies in its attempt to establish the connection between competitive advantage in small and medium organizations and entrepreneurship marketing initiatives. The study's findings will lay down the foundation for further research in the area by providing researchers and scholars with the necessary reference. Also, it will provide vital information to small and medium business organizations in terms of understanding and applying entrepreneurial marketing strategies to improve their performance and market positions. As a result, the study will provide valuable insights, enabling small and medium organizations to compete more adequately, increasing their success rates and survival in a highly dynamic and competitive environment. Besides serving business establishment and researchers, policymakers are likely to find relevance in the study; it will inform policy-making decisions regarding the sustainability of small- and medium-sized businesses in the country.

Lastly, the study will illustrate the difference between entrepreneurial marketing and conventional marketing practices, demonstrating marketing practices deemed most effective to small and medium enterprises in the Kingdom and other parts of the world.

Research Methodology:

The study employed a qualitative methodology approach for data collection. The qualitative approach involved interviewing entrepreneurs over the phone, a method decided upon due to time limitations and the current coronavirus situation that has resulted in limited interpersonal contact across the world in general and in Saudi Arabia in particular. Study subjects were identified through a WhatsApp group comprised of Saudi Arabian entrepreneurs in the small- and medium-sized categories. Fourteen study subjects, both male and female, were recruited to participate in the study. Phone interviews were scheduled for a later date after identifying interviewees to facilitate the data collection process.

Sociodemographic characteristics of entrepreneurs within Saudi Arabia. The table below highlights the sociodemographic characteristics of entrepreneurs within Saudi Arabia. The report includes interviews with 14 males and females, considering the educational levels of the sample population.

Target group Table 1

Gender of the entrepreneurs	
Female	**3**
Male	**11**
Level of education of the entrepreneurs	
High School	**2**
University	**9**
Postgraduate	**3**
Location of the facility in the Kingdom	
Al-Baha	**1**
Jeddah	**2**
Mecca	**11**
Sector to which the facility belongs	
Artificial intelligence	**1**
Restaurants and cafes	**4**

Perfumes and clothes	**2**
Human resources and social development	**1**
Food and drinks	**3**
Construction and reconstruction	**2**
Retail sales	**1**
Ownership of the facility	
Partners	**7**
Owner	**7**

Findings:

The study findings revealed significant differences in terms of entrepreneurial marketing perspectives across different industries. The study established that restaurant and café workers recognize simplicity in product presentation, innovation, and knowledgeable customer behavior, whereas workers in artificial intelligence recognize negotiation and customer care. Subject in the clothing industry fell in between the restaurant and artificial intelligence sectors, sharing the marketing characteristic from the two. Further differences were realized in the construction and food and beverage sectors. The food and beverage sector entrepreneurs considered creating growth opportunities and a substantial supply of goods to be critical, while such characteristics were dependent on marketing through communication in the retail sales and the construction sector. The study also discovered the opinion differences in terms of marketing skills necessary for success across different sectors. The retail sales, construction, and food and beverage considered factors such as creativity, negotiation, action timeliness, and realistic analysis essential for survival and success.

Conversely, public relation was necessary for restaurant and cafes. Entrepreneurial marketing perspectives varied further, with the clothing sector deeming the ability to deal with apps critical for continuity. Simultaneously, good knowledge and morals were imperative to human resourcing,

And artificial intelligence and perfume were inclined towards innovation, creativity, and new ideas. Also worth noting is that analytical skills varied from one industry to another, with entrepreneurs from the restaurant and café sector ranking below average and human resources and social development, and the food and beverage sectors ranking above average.

Result Analysis:

Despite being one of the largest markets, small and medium business organizations establishments in Saudi Arabia continue to struggle with building stable customer bases. The study explored a range of opinions from entrepreneurs across different sectors. The outcome indicates that small and medium entrepreneurs lack adequate information regarding proper marketing strategies, lack adequate resources to invest in technological infrastructure, lack sufficient training for human resource personnel, and experience unpredictable consumer behaviors, rendering them unable to perform adequately. Entrepreneurial marketing provides an adequate option through which small- and medium-sized organizations can improve organizational performance.

The various characteristics of entrepreneurial marketing that include value creation, resource manipulation/utilization, opportunity focus, innovation, risk-taking, customer intensity, and proactivity have varying effects on competitive advantage. The study reveals a strong connection between value creation and competitive advantage. Value creation supports exchange; a successful firm advocates for value creation that conform to its strategic objective within the scope of its competitive segment (Amit& Han, 2017). Small- and medium-sized business organizations improve their chances at better results by determining new means of value creation.

Even though not directly linked to competitive advantage development, resource leveraging supports value creation, thus improving an organization's market participation and performance.

The study determined customer intensity to be essential to realizing competitive advantage. The retail and the construction sectors considered communication between the business and customers essential. Business organizations should be aware of consumer perceptions and the public image they convey (Sadiku-Dushi et al., 2019). It allows them to put in place appropriate strategies and work towards realizing customer needs. Another characteristic deemed critical to realizing a competitive advantage is innovation. While customer intensity enables an organization to realize the specific customer needs, innovation allows meeting those needs (Toghraee et al., 2017). Entrepreneurial marketing focuses on creating new ideas about market needs, hence establishing a competitive advantage for small and medium organizations that proactively pursue innovation (Hidayatullah et al., 2019). However, risk-taking did not prove significant to the establishment of competitive advantage.

Therefore, there is a need for adequate information dissemination, business infrastructure, and training for small- and medium-sized enterprise stakeholders. Education and access to information should be made available to small and medium-sized enterprise stakeholders. Business managers and policymakers should have access to adequate information on best business practices to enable informed decisions, achievable through seminars and training sessions. The Saudi Arabian government should facilitate the growth of small and medium enterprises by putting in place the necessary technological infrastructure to enable efficient engagement in e-commerce and the interconnectedness between businesses and customers. Advancements in information dissemination and technology will create growth opportunities for small- and medium-sized business organizations.

Conclusion:

Similar to the rest of the world, the business environment in Saudi Arabia is rapidly changing. It is increasingly becoming complex due to unpredictability, increased risks, and stiff competition.

The last few decades have seen the country undergo tremendous economic growth.

Nevertheless, most small- and medium-sized business organizations continue to struggle with market penetration. The study findings identified poor marketing strategies as a significant contributing factor concerning poor performance witnessed among SMEs in Saudi Arabia. Entrepreneurial marketing provides one of the powerful tools through which these enterprises can boost their competitive advantage. It advocates for proactive orientation and innovativeness, encouraging firms to continuously seek new ideas and creative ways of attaining and improving competitive advantage. Entrepreneurial marketing provides the tools through which SMEs can focus on the customer and realize value creation. Focus on the customer enables an organization to attract, retain, and develop and meet the customers' specific needs. Value creation is a necessity for improving business-customer relationships and transactions. Besides, core to entrepreneurial marketing is opportunity utilization and risk management. Business ventures entail recognizing and pursuing opportunities characterized by the introduction of new goods, services, and raw materials and the application of new strategies. Entrepreneurial marketing also provides a competitive advantage by allowing the identification and mitigation of risk factors.

References:

Amjad, T., Rani, S. H. B. A., & Sa'atar, S. B. (2020). Entrepreneurship development and pedagogical gaps in entrepreneurial marketing education. *The International Journal of Management Education*, *18*(2), 100379.

Claes M. Hultman. (2012). Encyclopedia of New Venture Management. SAGE Publications, Inc. Thousand Oaks

Dubey, P., Bajpai, N., Guha, S., & Kulshreshtha, K. (2019). Entrepreneurial marketing: an analytical viewpoint on perceived quality and customer delight. *Journal of Research in Marketing and Entrepreneurship*.

Edwards, C. J., Bendickson, J. S., Baker, B. L., & Solomon, S. J. (2020). Entrepreneurship within the history of marketing. *Journal of Business Research*, *108*, 259-267.

Ghods, M. A. (2019). Entrepreneurial marketing: the missing link in social enterprise studies. *Journal of Global Entrepreneurship Research*, *9*(1), 39.

Hill, J., & Wright, L. T. (2000). Defining the scope of entrepreneurial marketing: a qualitative approach. *Journal of Enterprising Culture*, *8*(01), 23-46.

Mary Shacklett. (2019). Conversational Marketing. Retrieved from www.destinationCRM.com

Miles, M. P., Lewis, G. K., Hall-Phillips, A., Morrish, S. C., Gilmore, A., & Kasouf, C. J. (2016). The influence of entrepreneurial marketing processes and entrepreneurial self-efficacy on community vulnerability, risk, and resilience. *Journal of Strategic Marketing*, *24*(1), 34-46.

Nyström, H. (1998). The dynamic marketing–entrepreneurship interface: A creative management approach. *Creativity and Innovation Management*, *7*(3), 122-125.

Petrylaite, E. (2018, September). Application of SME Marketing Model within Higher Education Entrepreneurial Teams. In *European Conference on Innovation and Entrepreneurship* (pp. 1060-XVIII). Academic Conferences International Limited.

Raza, M., Isa, N. M., & Abd Rani, S. H. B. (2019). Effect of Celebrity-Endorsed Advertisement and Entrepreneurial Marketing on Purchase Behavior of Smartphone Consumers in Pakistan. *Journal of Management Sciences*, *6*(1), 15-29.

Sadiku-Dushi, N., Dana, L. P., & Ramadani, V. (2019). Entrepreneurial marketing dimensions and SMEs performance. *Journal of Business Research*, *100*, 86-99.

Sigué, S. P., & Biboum, A. D. (2020). Entrepreneurial Marketing and Social Networking in Small and Medium Service Enterprises: A Case Study into Business Dealings in Cameroon. Journal of African Business, 21(3), 338-354.

Whalen, P., Uslay, C., Pascal, V. J., Omura, G., McAuley, A., Kasouf, C. J., ... & Gilmore, A. (2016). Anatomy of competitive advantage: towards a

contingency theory of entrepreneurial marketing. Journal of Strategic Marketing, 24(1), 5-19.w

Bandara, K., Jayasundara, J., Gamage, S., Ekanayake, E., Rajapackshe, P., Abeyrathne, G., et al. (2020). *Entrepreneurial Marketing & Performance of Small & Medium Enterprises in Developed and Developing Economies: A Conceptual Exploration.* Retrieved from MPRA: https://mpra.ub.uni-muenchen.de/104341/

Khadhraoui, M., Plaisentm, M., Bernard, P., & Lakhal, L. (2017). The Impact of Marketing Skills and Negotiation Skills of Universities Technology Transfer Office on Technology Transfer Success . *Journal of Marketing and Management*, 38-46.

Middleton, B., & Long, G. (1990). Marketing Skills: Critical Issues in Marketing Education and Training. *Journal of Marketing Management*, 325-342.

Shows, D., Albinsson, P., & Stoddard, J. (2017). Entrepreneurship Marketing in North Carolina's Wine Industry. *Atlantic Marketing Journal*, 43-54.

Slavova, M. (2018). Digital Marketing Skills; Can Joint European Master's Degree Contribute to Bridge the Gap? *Bulgarian Journal of Business Research*, 47-61.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.19.3

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار التاسع عشر
تأريخ الإصدار: 20 مايو 2021م

الدعم الاجتماعي المُدرك وعلاقته بإدمان الإنترنت لدى المراهقين

Perceived social support and its relationship to adolescent Internet addiction

إعداد الباحثة/ هنادي بنت يحيى غالب جيلان

ماجستير علم نفس إدمان، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة جازان، المملكة العربية السعودية

Email: hanadi107741@gmail.com

إشراف الدكتورة الفاضلة/ ذكية أحمد عامر أحمد

أستاذ مساعد، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة جازان، المملكة العربية السعودية

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تناول واقع الدعم الاجتماعي المُدرك وعلاقته بإدمان الإنترنت لدى المراهقين في المجتمع السعودي، وذلك من خلال رصد طبيعة هذه العلاقة كما هي في الواقع، ولتحقيق هدف الدراسة استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الارتباطي، وتكونت عينة الدراسة من المراهقين الذين أعمارهم اكبر من 13 سنة، وهم من الطلاب والطالبات الذين يدرسون في المرحلة المتوسطة والثانوية بالمملكة العربية السعودية وقامت الباحثة باستخدام مقياس الدعم الاجتماعي للمراهقين الذي طوره أبو غزال (2009)، واستخدام مقياس مستوى إدمان استخدام الإنترنت من خلال استخدام المقياس التشخيصي لإدمان الإنترنت، والذي قام الراشد (2013) بتقنينه على عينة من المجتمع السعودي، وأظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباطية سالبة ذات دلالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي، كما أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي، على بُعد دعم الوالدين، وبُعد دعم المعلمين، وبُعد دعم الزملاء وجاءت العلاقة سلبية، كما أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود تأثير لمتغير نوع الجنس (ذكور، إناث) في العلاقة بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي. ولمعالجة البيانات إحصائيًّا، استخدمت الباحثة برنامج (SPSS)، ومعامل ارتباط بيرسون، واختبار(فيشر zfesher).

وتوصي الباحثة إجراء المزيد من الدراسات حول الإدمان على الإنترنت لدى فئات مختلفة من المجتمع السعودي وربطها بمتغيرات أخرى غير الدعم الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الدعم الاجتماعي، إدمان الإنترنت، المراهقين

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار التاسع عشر
تأريخ الإصدار: 20 مايو 2021م

Perceived social support and its relationship to adolescent Internet addiction

Abstract:

This study aims to address the reality of perceived social support and its relationship to Internet addiction among adolescents in Saudi society, by monitoring the nature of this relationship as it is in reality, and to achieve the goal of the study, the researcher used the relational descriptive approach, and the study sample consisted of adolescents aged over 13 years. They are male and female students who study in middle and high school in the Kingdom of Saudi Arabia. The researcher used the Adolescent Social Support Scale developed by Abu Ghazal (2009), and the Internet Addiction Level Scale by using the Diagnostic Scale of Internet Addiction, which Al-Rashed (2013) codified On a sample from the Saudi society, and the results of the study showed a negative correlation relationship with statistical significance between perceived social support and Internet addiction among a sample of adolescents (boys and girls) in the Saudi society. The results of the study also showed a statistically significant relationship between perceived social support and Internet addiction among A sample of adolescents in Saudi society, on the dimension of parental support, the dimension of teacher support, and the dimension of peer support. The results of the study also showed that there was no effect of the gender variable (male, female) on the relationship between perceived social support and Internet addiction among a sample of adolescents in the Saudi society. To treat the data statistically, the researcher used the (SPSS) program, the Pearson correlation coefficient, and the (Fischer Zfesher) test.

The researcher recommends conducting more studies on Internet addiction among different groups of Saudi society and linking them to variables other than social support.

Keywords: Social Support, Internet Addiction, Adolescents

الإطار العام للدراسة

المقدمة:

يعد الدعم الاجتماعي المُدرك perceived socil support من المصادر الهامة و الفاعلة التي يحتاجها الإنسان، حيث يُمكن أنْ يرتبط مستوى الدعم الاجتماعي بكيفية إدراك الأفراد للمشكلات والضغوطات النفسية المختلفة، وأساليب مواجهتها والتعامل معها، وكنتيجة فالدعم الاجتماعي ربما يرتبط أيضاً بالصحة والسعادة النفسية للأفراد، من خلال مستوى العلاقات الاجتماعية المتبادلة بينهم (civitci,2015) . وتأتي هذه الأهمية للدعم الاجتماعي الذي يُدركه الفرد كونه -الدعم الاجتماعي-مجموعة التفاعلات الاجتماعية التي توفر للأفراد المساعدة الحقيقية، التي ينظر إليها الفرد على أنها رعاية أو محبة .(lmutiri, 3,2017). وبالتالي فإنّ الدعم الاجتماعي يعكس تصورات الفرد المعرفية للجهات الداعمة له والموثوق بها من الآخرين، التي أثرت بدورها في مختلف سلوكياته الحياتية ونشاطاته Koc-Epli & Klkn, (2011). ويشير عبد الهادي (2013) إلى أن الأفراد يحتاجون إلى الدعم الاجتماعي، كونه من المصادر الأساسية للمسؤولية المجتمعية، وذلك للتخفيف من العناء، والشعور بمزيد من السعادة، مما يولد المشاعر الإيجابية وزيادة الثقة بالذات، ويقلل من التأثير السلبي للأحداث الخارجية، وكذلك تنمية جوانب السلوك الاجتماعي البناء، والذي يمثل في الإيثار وتحمل المسؤولية وكفاءة التفاعل مع المحيطين داخل البيئة والأسرة. فعلى سبيل المثال أشارت بعض الدراسات في البيئة العربية (الزغبي، كري،2019) إلى ارتباط الدعم الاجتماعي بالاكتئاب، حيث تم الكشف عن وجود علاقات ارتباطية سالبة ذات دالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي المُدرك، والاكتئاب لدى الشباب المراهقين، إضافة إلى وجود فروق بين الذكور و الإناث في إدراك الدعم الاجتماعي ومن ثم تأثير ذلك على مستوى الاكتئاب، حيث كان إدراك الإناث المراهقات للدعم الاجتماعي الذي يتحصلون عليه قليل، وكانوا أكثر شعوراً بالاكتئاب. يتعرض المراهقون في هذا العصر للعديد من الضغوطات والصعوبات والمتاعب الناجمة عن التغيرات المتلاحقة، والمواقف غير المألوفة، والمفاجآت المزعجة التي تظهر خلال سعيه إلى تحقيق ذاته وبلوغ أهدافه. وكلما كان المراهق فاعلاً ومتحركاً في بيئته وكلما علا سقف آماله وطموحاته، ربما ازدادت العقبات في طريقة، وازدادت الضغوط، مما قد يجعله عرضة لبعض المشكلات، والتي منها ربما إدمان الإنترنت، حيث من المُحتمل أن يجد المراهق من خلال الدخول إلى العوالم الحقيقية والافتراضية على الشبكة العنكبوتية معرفة ذاته ومحاولة استكشاف إمكانياته ومكانته وهُويته وقدراته.

على الرغم من ذلك، فإن الدخول إلى عالم الإنترنت قد يتحول من جهة أخرى إلى مشكلة حقيقية يواجهها الفرد حين يصل به الأمر إلى قضاء جل وقته في استخدام الإنترنت متنقلا بين المواقع والتطبيقات الذكية للاستمتاع بما هو موجود على الشبكة العنكبوتية من وفرة معرفية على صعيد تغذية العلاقات الاجتماعية وتكوين الصداقات والبحث مع ما يتسق وثورة نموه في المجالات المختلفة ومنها على سبيل المثال الديني والأخلاقي والسياسي والجنسي والعلمي، وهذا التواجد المُفرط على الإنترنت كما تُشير الدراسات قد يؤدي بدوره مع استمراره إلى ظهور مشكلات أخرى تقف عائقا أمام صحة الفرد النفسية (الحضيف، 2018؛ حامدي، 2015؛ الزيدي، 2014؛ عباس، 2010؛ Ron & Niels, 2009).

حيث يتجاوز الأمر إلى عدم القدرة على ضبط عدد مرات أو أوقات الدخول إلى الشبكة والوقت المُستغرق لاستخدامها، وعدم القدرة على التحكم في هذا السلوك أو حتى يتفاقم إلى عدم القدرة على التوقف عن استخدام الإنترنت، وهذا ما عبر عنه يونغ وردجرز (Rodgers & Young, 1998) بأن إدمان الإنترنت هو اضطراب أو اعتلال في القدرة على ترك الاستخدام المفرط للإنترنت، ويتميز بأعراض انسحابيه ومشكلات نفسية وأكاديمية ومهنية واجتماعية (مقدادي، وسمور 2008).

وفي التعامل الغير صحي للمراهق باستخدامه الإنترنت وبما قد ينعكس عليه من سلبيات تُعيق صحته النفسية، فأنه ربما يحتاج فيها إلى ما قد يُساعده على تجاوز هذه الحاجات النمائية التي يجد في الإنترنت مجالاً خصباً لإشباعها ولكن بالشكل الذي لا يؤثر عليه أو ينعكس أثره على نموه الاجتماعي والمعرفي والعقائدي الفكري والدراسي، وحتى مفهومه عن ذاته وهويته. في هذا السياق، رُبما يكون للبيئة الاجتماعية الصحية دوراً مهماً في مساعدة الفرد على مواجهة هذه الحاجات واستكشاف ذاته وذلك من خلال البدائل والفرص الذي يُتيحها هذا المحيط الاجتماعي للمراهق للتعرف على ذاته وتكوين خبراته في إطار اجتماعي يُساعد الفرد على الاندماج الاجتماعي والنمو بشكل متسق مع منظومة القيم الاجتماعية للمجتمع الذي يعيش فيه، وفي ذات الوقت مُحققاً لهويته وذاته على الصعيد الفردي بما يوفر له تحقيق التوازن وتجاوز هذه التحديات النمائية في هذه المرحلة بإيجابية.

ولعل أهم ما قد يُساعد الفرد على الوصول إلى هذه النتيجة هو ما يُدركه الفرد من الدعم الاجتماعي المُقدّم له من الأسرة والمدرسة وحتى الأصدقاء، حيث تُشير بعض الدراسات إلى أن الدعم الاجتماعي من المصادر الهامة والفاعلة التي يحتاجها الإنسان، حيث يرتبط بالصحة والسعادة للأفراد، ويؤثر مستوى الدعم الاجتماعي في كيفية إدراك الأفراد للمشكلات والضغوط المختلفة (Gok, Leiert, & Lne, 2017; Virtue et l., 2015; You & Zho, 2012)

ومع ما توصلت إليه هذه الدراسات من أهمية للدعم الاجتماعي المُدرك في مساعدة الأفراد للتعامل مع ضغوطات الحياة والانتقال إلى الإيجابية ومواجهة المتغيرات بصلابة نفسية أكبر، وبالنظر إلى ما قد يواجه المراهقين خلال مراحل نموهم العديد من الأزمات النفسية و الاجتماعية و الضغوط الحياتية في الجوانب الاجتماعية و الأكاديمية و الاقتصادية، والذي قد يكون إدمان الإنترنت أحد اهم مظاهر هذه التحديات النمائية، فإنه يُمكن ربما الافتراض بأنّ مستوى الدعم الاجتماعي الذي يُدركه المراهق قد ينعكس ربما في تعامله مع استخدام الإنترنت لتبقى في حدودها التي لا تؤثر على إيجابية المراهق ونموه الصحي. هذا ما توصلت إليه بعض الدراسات في مجتمعات مختلفة منها على سبيل المثال الصين وأمريكا وتركيا، والتي اقترحت أهمية الدعم الاجتماعي للأفراد في توجيه استخدام الإنترنت والمساعدة المؤثرة في تجنب المراهق لإدمان الإنترنت (Zhng et l., 2018; Gunuc, & Dogn, 2013;) وبالتالي، عند النظر للدعم الاجتماعي على أنه ربما يكون آلية وقائية ضد الأزمات ومنها إدمان الأنترنت عند المراهق كما أشارت تلك الدراسات في الثقافة غير العربية، فإنّ الدراسة الحالية ترى أنه ربما هناك حاجة لرصد هذه العلاقة الافتراضية بين الدعم الاجتماعي الذي يُدركه المراهق وإدمان الإنترنت لدى المراهقين في المجتمع السعودي.

مشكلة الدراسة:

تُشير الإحصائيات في المملكة العربية السعودية إلى تزايد معدلات استخدام الإنترنت بين الأفراد، فقد بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في عام (2019م) 32,2 مليون (93% من السعوديين) بزيادة 15% عن عام (2018م) بينما وصل عدد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي إلى 25 مليون. ونظراً لأنّ الشباب يُمثلون نسبة 36,7% من إجمالي سكان المملكة العربية السعودية وفقاً لمسح الهيئة العامة للإحصاء عام 2019، فإنّ مشكلة الدراسة الحالية مبنية على ما تشير إليه نتائج أبحاث الدراسات السابقة في ثقافات مختلفة من احتمالية ارتفاع معدلات إدمان الإنترنت لدى المراهقين بشكل عام، حيث يواجهون عددا كبيرا ومتكررا من مصادر الضغوط النفسية و الاجتماعية والمؤثرات الشديدة من مصادر متعددة كالمنزل والمدرسة والبيئة المحيطة والمجتمع، التي تتسبب فيها التعقيدات الكبيرة في أساليب الحياة، والمواقف الأسرية الضاغطة، وطبيعة الحياة الاجتماعية، مما قد يؤدي الى عدم التوافق النفسي، الاجتماعي، الاقتصادي. وعليه يُمكن القول أنّ فئة الشباب في المجتمع السعودي ربما هم بحاجة إلى جعل استخدام الإنترنت وسيلة معرفية وترفيهية في حدودها التي لا تؤثر على نمو الفرد المراهق بطريقة غير صحية على الصعيد النفسي المعرفي والاجتماعي والانفعالي الذي يُمكن أنْ يكون أحد أهم أسبابه إدمان الإنترنت.

وبالإضافةً إلى احتمالية الاستخدام المُفرط للإنترنت من قبل المراهقين، فان المراهق قد يتعرض أيضاً للكثير من الضغوطات التي تختلف في درجتها وقوتها باختلاف قوة البناء النفسي للشخص، والمناعة النفسية التي قد تحول بينه وبين تحول هذه الضغوط النفسية الحياتية، الى اضطرابات ثابته تصل بهم إلى الإدمان على الإنترنت. ووفقاً لهذا التصور، فإنّ الدعم الاجتماعي المُدرك الذي قد يجده الشباب السعودي من محيطهم الاجتماعي على صعيد الأسرة والمدرسة والأصدقاء قد يُساهم في تجاوز هذه العقبات النمائية بشكل صحي على الصعيد النفسي، بما في ذلك ما قد يلعبه الدعم الاجتماعي من دور في تقنين مسألة التعامل مع الإنترنت بصور إيجابية وبما قد يجنب المراهقين الانزلاق إلى إدمان الإنترنت وبما قد يتبع ذلك من تأثير على مستوى الصحة النفسية للفرد.

وعليه، فإن الدراسة الحالية تحاول التعرف إلى مدى ما يُمكن أن يلعبه الدعم الاجتماعي من دور في استخدام المراهق للإنترنت بصورة صحية، وذلك من خلال المحاولة في الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي للدراسة:

ما طبيعة العلاقة بين الدعم الاجتماعي المُدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي؟

ويتفرع منه السؤالين التاليين:

1- هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي المُدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي؟

2- هل يوجد تأثير لمتغير نوع الجنس (ذكور، إناث) في العلاقة بين الدعم الاجتماعي المُدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تناول واقع الدعم الاجتماعي المُدرك و إدمان الإنترنت لدى المراهقين في الثقافة السعودية، وذلك من خلال رصد طبيعة هذه العلاقة كما هي في الواقع، ومن ثم تقديم بعض المقترحات والتوصيات لتطوير أو تحسين هذا الواقع وصياغة آليات فعالة من شأنها أن تجعل قوة الدعم الاجتماعي من الأسرة والمدرسة والأصدقاء أحد الروافد المهمة في تعامل الأفراد مع الإنترنت دون الوصول إلى مرحلة الإدمان، الأمر الذي قد ينجم عنه مساعدة هؤلاء الأفراد في تحقيق ذواتهم وإنجازاتهم وسلامة صحتهم النفسية و الاجتماعية، من اجل نفسهم اولا و لمجتمعهم في المستقبل .

أهمية الدراسة:

تتبلور أهمية الدراسة الحالية في الآتي:

الأهمية النظرية:

- تكمن أهمية الدراسة في تحديد مستوى إدمان الإنترنت لدى شريحة مهمة من المجتمع وهي فئة المراهقين التي ينبغي رعايتها لمواجهة الثورة المعلوماتية التي تغزو العالم.
- إلقاء الضوء على طبيعة الأهمية الافتراضية للدعم الاجتماعي المُدرك في الوقاية من إدمان الإنترنت لفئة المراهقين، وذلك بهدف التخفيف من الضغوط الحياتية والوصول الى مستوى اعلى من الاندماج الاجتماعي والقدرات الكامنة لمرحلة المراهقة.
- إسهام نتائج هذا البحث -بصورة غير مباشرة -في المساعدة في نشر ثقافة الوعي لدى المراهقين للتخفيف من الاستخدام المفرط للإنترنت وتوجيههم نحو الاستخدام الصحيح والفعال بالاستفادة من المعلومات التي يوفرها.
- تسعى هذه الدراسة الى فتح المجال أمام الباحثين في موضوع تأثير استخدام الإنترنت وارتباطه مع متغيرات أخرى محتملة لدى المراهقين.

الأهمية التطبيقية:

- إنّ تساهم نتائج هذه الدراسة في توجيه اعداد وتصميم البرامج التي من شأنها مساعدة الأسرة والمدارس في تفعيل دورها فيما تقدمه من دعم للأفراد بشكل عام وللطلاب المراهقين بشكل خاص.

- إن تساهم نتائج الدراسة في مساعدة ذوي الاختصاص من المرشدين ومقدمي الرعاية في عائلات المراهقين إلى كيفية توجيههم في التعامل مع الإنترنت واستخدامه بشكل مناسب، وبما يتفق مع طبيعة العلاقات الاجتماعية في الأسرة أو المدرسة.

مصطلحات الدراسة:

1- الدعم الاجتماعي المُدرك:

يُشير حنفي (2007) إلى أن الدعم الاجتماعي المُدرك يتمثل بأساليب المساعدة المختلفة التي يتلقاها الفرد من أسرته وأصدقائه، والتي تتمثل في تقديم الرعاية والاهتمام والتوجيه والنصح والتشجيع في مواقف الحياة كافة،

والتي تشبع حاجاته المادية والروحية للقبول والحب والشعور بالأمان، فتجعله يثق بنفسه ويدركها، ما يزيد من كفاءته الاجتماعية.

وسوف يتم التعامل مع مفهوم الدعم الاجتماعي المُدرك إجرائياً من خلال المقياس الذي سوف تستخدمه الباحثة لقياس الدعم الاجتماعي.

2. إدمان الإنترنت:

عرفته الزيدي (2014) بأنه الاستخدام المطول لشبكة الانترنت لمدة ستة ساعات وأكثر في اليوم وعدم قدرة الفرد الاستغناء عنه) (الزيدي، 2014 ص8). وسوف يتم تحديد مُصطلح إدمان الإنترنت إجرائياً من خلال المقياس الذي سوف يُستخدم لغرض الدراسة.

3. **المراهقين:**

المراهقين في المجتمع السعودي الذين تكون أعمارهم العمرية الممتدة من 13-18 سنة، من الجنسين. حيث تقابل الشباب المراهق الذين يدرسون في المرحلة المتوسطة والثانوية.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: تتحدد في الدعم الاجتماعي المُدرك وإدمان الإنترنت لدى المراهقين.

الحدود الزمنية: يتم تطبيق هذه الدراسة في العام 1442هـ.

الحدود المكانية: المجتمع السعودي.

الحدود البشرية: المراهقون في المجتمع السعودي.

الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: الإطار النظري:

1- الدعم الاجتماعي المُدرك

مفهوم الدعم الاجتماعي المُدرك:

مفهوم الدعم الاجتماعي ينطلق من إدراك الفرد أن الأخرين يحبونه ويرغبونه ويعتبرونه ذو قيمه (الصبان، 2003). وربما يظهر ذلك التقييم لمستوى الدعم الاجتماعي في أوقات المحن والتعرض للمشكلات ومواجهة الضغوطات، حيث ربما ينتظر الفرد في هذه الحالات الحصول على المساعدات أو مشاركته لمشكلاته وظروفه التي يمر بها بقصد رفع روحه المعنوية وحمايته من الأثار النفسية السيئة لأحداث الحياة الضاغطة (الهلول و الميحسن، 2013: 218).

وعليه، فإنه يمكن القول أن الدعم الاجتماعي يعكس قوة اتصالات الفرد بالأخرين في بيئته الاجتماعية، بمعنى درجة التكامل الاجتماعي للفرد أو حجم وتركيب الشبكة الاجتماعية للفرد، وهذا التكامل الاجتماعي قد يرفع من مستوى الصحة (الرشيدي، 2018).

فالدعم الاجتماعي ليس هو شبكة العلاقات الاجتماعية التي يتفاعل معها الفرد، ولكن تقدير الفرد لإدراكه لقيمة شبكته الاجتماعية باعتبارها الأطر التي تشتمل على أولئك الأشخاص الذين يثقون فيهم ويستندون على علاقاتهم بهم (العتيبي، 2008). ولهذا فالدعم الاجتماعي يُمكن يأتي من عدة مصادر (أقارب أصدقاء جهات مجتمعية ..الخ) وقد يكون هذا الدعم على شكل مساندة انفعالية (رعاية، ثقة، تجارب، تقدير، احترام...الخ) وقد تكون مساعدة بالمعلومات (استشارات أو مهارات تعين على مواجهة مشاكل الحياة اليومية) وقد يتم الدعم من خلال التدعيم الأدائي (المساعدة في العمل أو المساعدة المادية) (العتيبي، 2008).

فإدراك تقديم هذه المساندة الاجتماعية يتمثل في مختلف صورها وأشكالها، وذلك يسهم في زيادة قدرة الفرد على مواجهة المشكلات وضغوط الحياة المتنوعة، بما يحقق له الاستقرار الاجتماعي والتوافق النفسي. فالتأثير الإيجابي للمساندة الاجتماعية لا يرتبط بكم الدعم الاجتماعية وإنما بمدى رضا الشخص عن تلك الدعم المقدم له، أي بمدى إدراكه لعمق علاقاته بالأخرين وكفاية ما يقدمونه له من دعم ومساندة (العتيبي، 2008)،

ليس فقط في أوقات المحن فحسب، وإنما إدراك الفرد أنه يلقى الاهتمام والرعاية والقبول حتى في تعزيز سلوكياته والوقوف إليه في إنجازاته ومسراته. وعليه فإنه يُمكن القول أن الدعم الاجتماعي لا يتمركز فقط في أن يدرك الفرد أن لديه عدد كاف من الأشخاص في حياته يمكنه أن يرجع اليهم عند الحاجة، ولكن أنْ يكون لدى الفرد أيضاً درجة من الرضا عن هذا الدعم المتاح له في كل الأوقات (الصبان، 2003).

ويشير فوكس "Vux" المشار إليه في (علي، 2005) أن الدعم الاجتماعي ليس خاصية ثابته نسبة للفرد أو البيئة المحيطة به، ولكنها عملية ديناميكية معقدة تتضمن التفاعل الإيجابي المشترك بين الفرد وبين شبكة العلاقات الاجتماعية النابعة من الدعم الاجتماعي الذي يبحث دائماً في سلوكه عن إشباع حاجاته المختلفة، والتي يدركها بأنها العملية الديناميكية التي تمكنه من تخفيف الأثار النفسية السلبية التي تحدثها أحداث الحياة اليومية الضاغطة، والتي تساهم في إحساسه بالتوافق مع منظومة حياته.

تتنوع المصادر المختلفة للدعم الاجتماعي في أبعادها وفي مدى فعاليتها طبقاً للظروف المتاحة لها، وتشير المصادر السيكولوجية في هذا الجانب، إلى أنّ أبرز مصادر الدعم الاجتماعي تتمثل في الدعم الاجتماعي الذي يجده الفرد داخل العمل وهو يتمثل في رؤساء العمل، وزملاء العمل، والمحيطين ببيئة العمل، والدعم الاجتماعي خارج العمل والذي يتثمل من خلال أفراد الأسرة والأقارب والأصدقاء والجيران، بالإضافة إلى شبكة العلاقات الاجتماعية التي يتفاعل معها الفرد في حياته اليوم (Drolet & rcnd,2013). ويلخص (الربابعة،2017) مصادر الدعم الاجتماعي في ثمانية مصادر أساسية، هي: الزوج، الزوجة، الأسرة، الأقارب، الجيران، زملاء العمل، زملاء الدراسة، والأفراد الذين يوفرون الرعاية الصحية والنفسية، والإرشادية بمختلف مجالاتها.

إن أسلوب التفاعل الاجتماعي الذي يقوم به الفرد داخل شبكة علاقاته الاجتماعية يتأثر بمدى التقدير الذي يجده من خلال الدعم الاجتماعي الذي يقدمه المحيطين به، وهذا يبرز مدى أهمية الكيفية التي يدرك فيها الفرد المقومات الأساسية التي تدفعه إلى هذا التفاعل الاجتماعي الإيجابي، وطبيعة دور الدعم الاجتماعي في تكوينه وتقديره. ويشير (Lzrus) إلى إن العلاقات الاجتماعية للفرد تقوم على مقوم انفعالي معرفي تدعمه أساليب مواجهة الفرد وأنشطة

الآخرين، وتقدير هذا النوع يساعد الفرد على تحديد الوقت والظروف التي يحتاج إليها في تقديم مصادر الدعم الاجتماعي المطلوبة له (صقر،2001).

وظائف الدعم الاجتماعي وأهميته:

يؤدي الدعم الاجتماعي المُدرك دوراً أساسياً في حياة الأفراد وعلاقته الشخصية بالأخرين ويتمثل الدور النمائي في أن الأفراد الذين لديهم علاقات اجتماعية متبادلة مع الأخرين يدركون أن هذه العلاقات تسير بهم في اتجاه السواء، ويكونون أفضل في الصحة النفسية مع الأخرين الذين يفتقدون هذه العلاقات، أما الدور الثاني فهو دور وقائي ويتمثل في أن المساعدة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد من خلال الجماعات التي ينتمي اليها كالأسرة والأصدقاء والزملاء تقوم بدور كبير في خفض الأثار السلبية للمشكلات والاضطرابات النفسية والسلوكية(السلطان، 2009). على هذا، فإنه تظهر أهمية كبيرة للدعم الاجتماعي في حياة الفرد، حيث يؤثر حجم الدعم الاجتماعي ومستوى الرضا عنه في كيفية إدراك الفرد لأحداث الحياة الضاغطة المختلفة وأساليب مواجهتها،

وكيفية تعامله مع هذه الأحداث، وقد تتمثل وظيفة الدعم وأهميتها فيما يلي:

1- حماية الذات: ويشير حنفي (2007) إلى أن الدعم الاجتماعي يقوم بمهمة حماية الشخص لذاته وزيادة الإحساس بفعاليته، بل إن احتمالات إصابة الفرد بالاضطرابات النفسية والعقلية تقل عندما يدرك الشخص أنه يتلقى الدعم الاجتماعي من شبكة العلاقات الاجتماعية المحيطة به ولا شك أن هذا الدعم يؤدي دوراً مهما في تجاوز أي أزمة قد تواجه الشخص. ويذكر (ايت وفاضلي ومسلي، 2011) أن للدعم الاجتماعي تأثيراً فورياً على نظام الذات حيث يؤدي إلى زيادة تقدير الذات والثقة بها والشعور بالسيطرة على المواقف، كذلك يولد درجة من المشاعر الإيجابية والتي تجعل الفرد يدرك الأحداث الخارجية على أنها أقل مشقة. ويشير بطرس (2005) إن للدعم الاجتماعي دوراً إيجابياً في تخفيف حدة التأثيرات السلبية للمعاناة التي يتلقاها الفرد، وأن انخفاض مستوى الدعم الاجتماعي في الأسرة والعمل له تأثير سلبي على التوافق لدى الفرد، وأن للدعم الاجتماعي تأثيراً قوياً على مواجهة الإحباط، كما أنها ذات أثر كبير وعامل مهم يمنع الوقوع في العزلة الاجتماعية.

2- الوقاية من الأمراض و الاضطرابات: لما للدعم الاجتماعي من آثار عامة على الصحة البدنية والنفسية، حيث إن الشبكات الاجتماعية الكبيرة يمكن أن تزود الفرد بخبرات إيجابية منتظمة، ومجموعة من الأدوار التي تتلقى مكافأة من المجتمع، وهذا النوع يمكن أن يرتبط مع السعادة (الشناوي وعبدالرحمن، 1994). وأظهرت الدراسات أيضاً أن المشاركة في الأنشطة الاجتماعية يساعد على خفض الضغوط النفسية، كما أن للدعم من جانب الأسرة والأصدقاء دوراً كبيراً في توافق الفرد، حيث إن الأفراد يتمتعون بقدر كبير من الدعم هم أقل عرضة للاضطرابات والضغوط والمشكلات النفسية.

3- مواجهة ضغوط الحياة: يرى (Downye,1991 & Coyne) أن الدعم الاجتماعي أثر مخففا للأحداث الضاغطة، فالأشخاص الذين يعانون من التوتر والقلق والاكتئاب يحتاجون لعلاقات مساندة وودودة لهم، إذ كلما أنخفض مقدار الدعم الاجتماعي تزداد احتمالية التعرض لاضطرابات نفسية.

شروط تقديم الدعم الاجتماعي:

هنالك بعض الشروط التي يجب أن تتوافر في عملية المساندة النفسية والاجتماعية عند تقديمها ومن أهمها:(ملكوش،2000).

- كمية الدعم: لابد إن يكون معدل الدعم الاجتماعي والنفسي معتدل عند تقديمه للفرد حتى لا يجعله أكثر اعتمادية، وينخفض بالتالي تقديره لذاته.
- اختيار التوقيت المناسب لتقديم الدعم: ويحتاج هذا البعد الى الكثير من المهارات الاجتماعية لدى مقدم الدعم حتى يؤدي الى نتائج جيدة لدى المتلقي.
- مصدر الدعم: لابد أن تتوافر بعض الخصائص لدى مقدمي الدعم، والتي تتمثل في المرونة، النضج، الفهم الكامل لطبيعة المشكلة التي يمر بها المتلقي حتى يساهم بقدر فعال في تقديم الدعم.
- كثافة الدعم: إن مصادر الدعم الاجتماعي والنفسي لدى المتلقي تؤدي سريعاً إلى حل المشكلات التي يمر بها المتلقي، وتساعده سريعاً على تخطي الأزمات التي يمر بها في حياته.
- نوع الدعم: ويتمثل هذا البعد في القدرة والمهارة والفهم لدى مقدمي الدعم في تقديمها بما يتناسب مع ما يدركه ويرغبه المتلقي من تصرفات وسلوكيات تتناسب مع نوع وطبيعة الدعم الذي يقدم إليه.
- التشابه والفهم والتعاطف: ويقصد به الدعم الاجتماعي يمكن تقبله في حالة التشابه النفسي والاجتماعي للمقدم والمتلقي، ويكون فاعلاً لدى المتلقي إذا كانت الظروف التي يمر بها المقدم والمتلقي متشابهة.

أشكال الدعم الاجتماعي المُدرك:

يقسم الدعم الاجتماعي إلى أربع فئات حسب الوظيفية التي تؤديها (Rchel,2007):

- **الدعم العاطفي:**

يمكن وصفها بأنها السلوك الذي يؤكد للفرد بأنه محبوب ومقدر كإنسان بغض النظر عن أخطائه أو إنجازاته، ويمكن تعريفها أيضاً بأنها الشعور بالتعاطف والتعبير عن الاهتمام والحب والقبول وابداء فهما خاصا، وتبدو أهمية الدعم العاطفية في أنها تزيد من تقدير الفرد لذته، وتقليل حدة الاكتئاب والقلق، وزيادة الدافعية للتعايش مع الضغوط.

- **الدعم المعلوماتي:**

وتشمل المساعدة على الفهم والتعايش مع الظروف المتنوعة، وتأخذ شكل النصيحة أو التوجيه أو المساعدة في حل المشكلات. وفائدة الدعم المعلوماتية هي أنها تساعد الفرد على الحصول على الخدمات اللازمة وذلك عن طريق زيادة كم المعلومات النافعة للفرد.

- **الرفقة الاجتماعية:**

هي الوقت الذي يقضيه الفرد مع الأخرين في بيئة ترفيهية وفرص للمعاشرة وللانتماء مما يشكل هذا النوع من المساعدة الاجتماعية، وفائدة هذا النوع أنه ينتج تأثيرات إيجابية ويسمح بتحرر الفرد من التفكير في المتطلبات الحياتية وبصرف انتباهه عن التأمل كثيراً في مشكلاته.

- **الدعم الأدائي:**

تنطوي على المساعدة في العمل والمال، وفائدة الدعم الأدائية تظهر في حل مشكلات عملية وتسمح بزيادة الوقت المتاح للراحة والاسترخاء. وتضييف (Kren) شكل آخر هو الدعم التقويمي: وهي التي تنطوي على التغذية الراجعة المتعلقة بآراء الفرد أو سلوكه (الصبان، 2003).

إن المساندة الاجتماعية تبدو بصورة أفضل على أنها بناء متغير يتضمن ثلاثة مكونات رئيسة هي:
موارد شبكة المساندة الاجتماعية.

- **السلوك المساند:**

التقديرات الذاتية للمساندة وهذا يشير إلى أن المساندة الاجتماعية من هذا المفهوم يعني أنها عملية ديناميكية ذات تأثير متبادل بين الفرد وشبكة العلاقات الاجتماعية التي تمده بالدعم في المواقف الاجتماعية. (حداد والزيتاوي، 2002).

ومن خلال نتائج الأبحاث التي قام بها كل من كوهين وويلز(Cohen nd wills) المشار إليهما في (علي، 2005) لمعرفة الدور الذي تقوم به مصادر الدعم الاجتماعي، قدما نموذجين أساسيين يؤديان إلى تمتع الفرد بصحته الجسمية، والنفسية، والعقلية وهما:

النموذج الأول: نموذج الأثر الرئيس The Min Effect Mode

يصور هذا النموذج الدعم الاجتماعي على أنه تفاعل اجتماعي منظم أو الاندماج في الأدوار الاجتماعية المختلفة داخل المجتمع الذي يعيش فيه الفرد. ويفترض هذا النموذج أن الزيادة في حجم وكمية الدعم الاجتماعي تولد لدى الفرد الإحساس بالرضا عن الحياة، والتوافق مع البيئة المحيطة. ويقوم بالتخفيف أو حماية الأفراد الذين يتعرضون إلى كثير من أنماط أحداث الحياة الضاغطة لتقليل الأثار السلبية الجسمية والنفسية على الفرد وتزويد الفرد بخبرات إيجابية متعددة وبمجموعة من الأدوار الاجتماعية المقبولة من المجتمع، وتفعيل دوره في توفير إحساس الفرد بالاستقرار في مواقف حياته المختلفة، وتقدير الذات والشعور بالكفاءة الشخصية والتوافق مع شبكة العلاقات الاجتماعية، ومساعدته في تجنب الخبرات المؤلمة ومحاولة إبعاده عن آية اضطرابات أو مشكلاته نفسية سلبية.

وهذا النموذج المشتق من مصادر الدعم الاجتماعي له تأثير على الصحة الجسمية للفرد يتمثل ذلك في: زيادة الهورمونات العصبية نتيجة مواجهة الفرد لبعض المواقف الانفعالية في البيئة المحيطة،

والتي تؤدي إلى انخفاض كفاءة جهاز المناعة لدية، وهذا أيضاً له تأثير على أنماط السلوك الإنساني ويظهر من خلال: زيادة تدخين الفرد، أو تعاطيه الخمور، أو إدمانه للمخدرات، أو البحث عن المساعدات الطبية الأخرى.

ويؤثر هذا النموذج أيضاً سلبياً على الجوانب الاجتماعية للفرد، والتي تتمثل في: انخفاض مستوى المشاركة الاجتماعية مع الأخرين، والإحساس بالعزلة، والوحدة النفسية، والاغتراب، وانخفاض مستوى التفاعل الاجتماعي مع البيئة المحيطة بالفرد.

النموذج الثاني: نموذج الأثر الواقي أو المختلف للضغوط النفسية The uffering Model

يرى كوهين وويلز Cohen nd Wills أن أحداث الحياة الضاغطة تنشأ عندما يتعرض الفرد إلى موقف ما يحس أنه مهدد له حياته، ويفتقد الاستجابة الإيجابية لمواجهته أو التعامل مع هذه الأحداث. وأنه من الضروري للفرد أن يدرك أحداث الحياة الضاغطة، ويحاول مواجهتها ولكنه يفتقد أساليب المواجهة الإيجابية لتلك الأحداث ويتعرض بالتالي إلى الأثار السلبية الجسمية والنفسية.

ويشير هذا النموذج كذلك إلى أن الدعم الاجتماعي سواء أكان دعماً عاطفياً أم مساعدة عملية في المواقف الضاغطة الصعبة تمنحنا الوقاية من التعرض إلى الأثار النفسية السلبية، وأن أحداث الحياة الضاغطة المرتفعة تؤدي إلى أحداث الكثير من الاضطرابات السلوكية والأمراض النفسية لدى الفرد إذا ما انخفض مستوى الدعم الاجتماعي الذي يتلقاه الفرد من الأخرين، وأن ارتفاع مستوى الدعم الاجتماعي يقي الفرد من الوقوع بهذه الأفراد من الأخرين، أن ارتفاع مستوى الدعم الاجتماعي يقي الفرد من الوقوع بهذه الأمراض، ويؤدي إلى الرضا عن حياته وعن عمله.

ويشير الشناوي وعبد الرحمن (1998) إلى أن الدور الرئيس الذي يقوم به الدعم الاجتماعي كنموذج يخفف من الأثار السلبية لأحداث الحياة الضاغطة يمكن أن يظهر في ثلاثة محاور أساسية هي:

المحور الأول: يظهر في أن الدعم يمكن أن يتدخل بين الحدث الضاغط أو توقعه، وبين رد فعل هذا الحدث حيث يقوم بتخفيف أو منع استجابة تقدير الموقف الضاغط،

بمعنى أن إدراك الفرد بأن الأخرين يمكنهم أن يقدموا له المصادر والإمكانات اللازمة التي تجعله يعيد تقدير إمكانية وجود ضرر يواجه من الموقف الضاغط، أو تقوي لديه القدرة على التعامل مع المطالب التي يفترضها عليه الموقف الضاغط، ومن ثم فإن الضرر لا يقدر الموقف الضاغط على أنه شديد التأثير.

المحور الثاني: يتمثل المحور الثاني في تقديم الدعم في الوقت المناسب لتقليل أو استبعاد رد فعل الحدث الضاغط حتى تنعكس نتائجه السلبية على العمليات الفسيولوجية للفرد، أو من خلال تقديم حل للمشكلة لإزالة أية أثار سلبية يمكن أن يحدثها هذا الحدث الضاغط، أو بالتخفيف من الأهمية التي يدركها الفرد لهذه المشكلة.

المحور الثالث: يمثل المحور الثالث نموذج العلاقات المتداخلة بين مظاهر الدعم الاجتماعي، وأساليب المواجهة وأن أسلوب التفاعل الاجتماعي الذي يقوم به الفرد داخل شبكة علاقاته الاجتماعية التي يقدمها المحيطون به، وهذا يبرز مدى أهمية كيف يدرك الفرد المقومات الأساسية التي تدفعه إلى هذا التفاعل الاجتماعي الإيجابي، وما هو دور الدعم الاجتماعي في تكوينه وتقديره.

وقد ركز باريرا واينلاوي المشار إليهما في السلطان (2009) على إن الدعم الاجتماعي يقوم بعدة وظائف هي:

- المساعدة المادية: وتتمثل في تقديم النقود والأشياء المادية والعينية.
- المساندة السلوكية: وتشير إلى التفاعل مع الأخرين ومشاركتهم في مشاعرهم والتعبير عن التقدير والاهتمام.
- التوجيه: ويتمثل في تقديم النصيحة وإعطاء المعلومات والتعليمات.
- التغذية الراجعة: وتعني إعطاء الفرد فكرة سلوكه ومشاعره وتوضيح أفكاره وتبريرها.
- التفاعل الاجتماعي الإيجابي: ويشير إلى المشاركة في التفاعلات الاجتماعية بهدف المتعة والترفيه والتسلية والمشاركة الإيجابية الهادفة.

2- إدمان الإنترنت :

مفهوم الإدمان وإدمان الإنترنت

إن القضية المركزية بالنسبة للإدمان هي أنه يتضمن الاعتماد على مادة أو فعالية (نشاط)، ويتصف الاعتماد بمجموعة خصائصها منها: الإفراط في الاستمتاع، الانسحاب، الرغبة القوية فيما أدمن عليه (سواء كان مادة مثل الكحول والمخدرات أو كان نشاطاً، وأخيراً فقدان السيطرة. وعلى الرغم من أن الاعتماد أصلاً يرتبط مع إساءة استخدام المواد فقط، إلا إن هناك اعترافاً متنامياً بالإدمانات السلوكية مثل: الإفراط في تناول الطعام، الإدمانات الجنسية، إدمان العمل، إدمان التسوق، إدمان المخاطرة بالألعاب الرياضية الخطرة، مثل التزحلق على الجليد في الأماكن الخطرة، وغيرها، الإفراط في مشاهدة التلفزيون، الإدمان على العاب الفيديو، الأفراط في استخدام الحواسيب. فالإدمان في هذه الحالة هو سلوك تدفع اليه رغبة عارمة وملحة، وحاجة غالبة للاستمرار، والتعود على شيء ما، حتى تشبع حاجاته، بحيث لو حرم منه تظهر أعراض معينة. (العمر، 2009).

أما الإدمان على الإنترنت فهو حالة عقلية تتميز بالاستخدام المفرط للإنترنت، وعادة ما يضر المستخدم، وعموما يُفهم هذا الإدمان على أنه اضطراب عقلي ينطوي على السلوك القهري، عندما يكون شخص ما متصل بالإنترنت باستمرار، يمكن وصفه على ذلك بأنه شخص مدمن. (Zhng, 2007,p.244). وقد ذكرت بعض المصادر إنه يُمكن القول أن إدمان الإنترنت يتمثل في استخدام الإنترنت أكثر من ثمان وثلاثين ساعة أسبوعيا، حيث يكون هناك استخدام مكثف للإنترنت، وعدم القدرة على التحكم في هذا الاستخدام الذي يؤدي الى ضرر جدي على حياة الأفراد (العباجي،2007).

وأشار الدليل الإحصائي والتشخيصي الأمريكي الرابع للاضطرابات النفسية (mericn Psychologicl ssocition,2000) الصادر عن الجمعية النفسية الأمريكية إلى معايير إدمان الإنترنت، والتي تتمثل في: توق شديد أو نوع من القسر لاستخدام الإنترنت، وانخفاض السيطرة على الوقت الذي يستخدم فيه الفرد الإنترنت، وأعراض الانسحاب اذا لم يستخدم الفرد الإنترنت، أو ما انخفض الذي يستخدم فيه الفرد الإنترنت، وتختفي هذه الأعراض الخاصة عند استخدام الإنترنت ثانية، ونمو القدرة على التحمل تجاه الإشباع في استخدام الإنترنت، ومن ثم زيادة الجرعة، أي إن الفرد لا يعود راضياً أو لا يشعر بالإشباع من استخدام الإنترنت، ويتوق دائماً إلى المزيد، وتضيق الحياة على استخدام الإنترنت، وبشكل خاص إهمال مظاهري أخرى، مثل: الشريك، والأسرة، والمهنة، والمتع الأخرى أو مجالات الاهتمام الأخرى. ويتزايد استهلاك الوقت المستخدم في "الجلوس على الإنترنت" واستخدامه، وينقص الوقت الذي يستريح فيه الفرد واستمرار استخدام الإنترنت على الرغم من العواقب الشديدة المضرة، وإدراك الفرد لهذه العواقب والأضرار أو إن كان عليه إن يعرفها مسبقاً.

عوامل مُساعدة للإدمان على الإنترنت:

هناك ثلاثة عوامل رئيسية ربما تُساهم في أن يكون استخدام الإنترنت ممارسة قابلة للإدمان، وهي:

- **السرية:**

إن الإمكانية التي يوفرها الإنترنت في الحصول على المعلومات، طرح الأمثلة، والتعرف على الأشخاص دون الحاجة إلى تعريف النفس بالتفاصيل الحقيقية توفر شعورا لطيفا بالسيطرة، إلى جانب ذلك فإن القدرة على الظهور كل يوم بشكل أخر حسب اختيارنا تعتبر تحقيقا لحلم بالنسبة لأكثر من الناس مما يقوم البعض إلى إدمان الإنترنت.

- **الراحة:**

الإنترنت هي وسيلة مريحة للغاية ولا يتطلب الخروج من البيت والسفر أو استعمال المبررات من اجل استعماله، هذا التيسير يوفر حضورا عاليا وبسهولة فيما يتعلق بتحصيل المعلومات.

- **الهروب:**

يوفر الإنترنت الهروب من الواقع إلى الواقع البديل، ويجد الإنسان الانطوائي لنفسه أصدقاء ويستطيع كل إنسان أن يبني لنفسه هوية مختلفة، وأن يحصل من خلالها على كل ما ينقصه في الواقع اليومي، والحقيقي مما يؤدي لإدمان الإنترنت. (جلال، ومحمد، 2005، ص 406).

ولقد أشارت بعض الدراسات أن من أهم الأسباب التي يُمكن أن تقود إلى الوقوع في إدمان الإنترنت هي: ضعف في كيفية التعامل مع الضغوط الحياتية اليومية، وضعف مواجهة المشكلات، كذلك ضعف شغل وقت الفراغ بهوايات متنوعة، وأيضا ضعف إقامة علاقات اجتماعية جيدة بسبب الخجل أو الانطواء على النفس. والشعور بالخواء النفسي، والوحدة.

وربما الهروب من الواقع بضرب من الخيال في علاقات تفتقد فيها الحميمية مع الأخرين، وتجنب مواجهة الأخر، وجهاً لوجه سواء كان الأخر الأسرة أو الزوجة. والمعاناة من بعض الاضطرابات النفسية المتمثلة بالاكتئاب، القلق، اضطرابات النوم، التلعثم، الرهاب الاجتماعي... وغيرها من الاضطرابات والأمراض النفسية والهروب من مداوتها على يد متخصصين.

والافتقاد الى الحب، العاطفة، والبحث عنه من خلال النت. والاغتراب النفسي، وما يحيط به من أعراف وتقاليد وقوانين منظمة تفرض ضروباً من القيود على الأفعال، والكلام مما يدفع الشخص الى الانفصال عن حياته، ونفسه، والدخول في شخصية أخرى من ضرب خياله (تناقض وجداني) يعمل على عدم نضج الشخص، ويعوق نموه النفسي، وغيرها من المسببات التي تدفع بالفرد الى الإدمان على شبكة الإنترنت. (هاني،2012).

آثار إدمان الأنترنت:

لإدمان الأنترنت آثار كثيرة يعاني منها المدمن كما يعاني منها المقربون إليه. إن المدمن يقع فريسة لقهر الإنترنت لاسيما إن كانت الظروف المحيطة به لا تساعده على الإقلاع عن الإدمان بل تزيد من انغماسه فيه، ومن آثار إدمان الأنترنت نجد:

الأضرار الجسدية:

تعتبر "كمبرلي" أن الأخطار الجسدية التي ينطوي عليها الإدمان على الإنترنت والتي تمت ملاحظتها لحد الآن ضئيلة نسبياً، وفي نفس الوقت المستغرق ليس عاملاً مباشراً في تعريف إدمان الأنترنت. وعموماً فإن المستخدمين المدمنين يستخدمون الإنترنت في أي مكان من 40-80 ساعة في الأسبوع مع جلسة واحدة يمكن أن تستمر حتى 20 ساعة، ولاستيعاب هذا الاستخدام المفرط فإن طريقة النوم عادة ما تتعطل بسبب ولوج الإنترنت في وقت متأخر من الليل، ويبقى المريض عادة حتى تمضي ساعات النوم، وقد يقرر البقاء على الخط حتى الساعة الثانية أو الثالثة أو الرابعة صباحاً مع الاضطرار إلى الاستيقاظ للعمل أو المدرسة في السادسة صباحاً في الحالات القصوى. ويستخدم الكافيين لتسهيل جلسات الإنترنت الأطول، هذا النقص في النوم يسبب التعب المفرط وفي كثير من الأحيان يجعل الأداء الاكاديمي والمهني ضعيفاً، ويقلل من قدرة جهاز المناعة أيضاً، فيصبح المريض عرضة للمرض كما أن الاستقرار أمام الكمبيوتر لفترات طويلة قد يمنع ممارسة التمارين السليمة، ويؤدي الى خطر متلازمة النفق الرسغي وإجهاد العين وسلامة الظهر. إن طول مدة الجلوس أمام شاشة الكمبيوتر يسبب ركود الدورة الدموية ما قد يسبب أيضاً جلطات دماغية وقلبية وضعف أداء الأجهزة الحيوية بالجسم، ويؤدي التعرض للإشعاعات المنبعثة من الجهاز الى زيادة توتر القشرة المخية مما يضعف الانتباه وينقص القدرة على التمييز.

المشاكل العائلية:

أشارت بعض الدراسات الأمريكية أن تزايد استخدام الإنترنت في المنزل زاد من الشعور بالغربة والتجاهل بين أفراد الأسرة الذين أصبحوا يقضون مع بعضهم البعض وقتاً أقل بعد توافر الإنترنت، وهو يقل باستمرار مع النمو السريع والمتزايد لمواقع التواصل الاجتماعي واهتمام الأفراد بها.

وقد وجدت كمبرلي يونغ في دراسة سنة 1996م أن 53% من مدمني الإنترنت الذين شملهم الاستطلاع أبلغوا عن مشاكل جدية تعرضوا لها، فالزواج والعلاقات القديمة وعلاقات الإباء والأبناء قد تعطلت بشكل كبير بسبب الاستخدام المفرط (Net inges) والمرضى سيقضون في حياتهم الطبيعية وقتا أقل مع الناس في مقابل الوقت الذي يقضونه بشكل انفرادي أمام الكمبيوتر. ويبدو أن الزواج هو الأكثر تضرراً نظراً لان استخدام الإنترنت يتعارض مع المسؤوليات والالتزامات المنزلية. فعادة ما يأخذ الزوج على عاتقه الأعمال الملهمة ويشعر بمزاج سيبراني "Cyer ffirs". إن مدمني الإنترنت يميلون الى استخدام الإنترنت لتجنب مختلف متطلبات الحياة،

كما أن الاستخدام المدمن يتجلى من خلال ردود الفعل الغاضبة والاستياء من الأخرين الذين يحاولون سلب المدمنين هذا الوقت الذي يستخدمون فيه الإنترنت، وفي غالب الوقت يدافعون عن استخدامهم له أمام أزواجهن أو زوجاتهن بقولهم على سبيل المثال" ليست لدى مشكلة" أو "أنا استمتع" أو "اتركني لوحدي" إنها ردود المدمن عندما يشك في استخداماته أو يسأل عنها. وترى كيمبرلي إن محامو الزواج قد لاحظوا ارتفاعا في حالات الطلاق الناجمة عن تكوين ما يسمى بالأعمال السيبرانية "Cyer ffirs" فالأفراد يمكن أن يكونوا على الخط وعلاقات تؤدي مع مرور الوقت إلى تضاؤل الوقت الذي يقضونه من الناس في الحياة الحقيقية، ويعزل الزوج المدمن أو الزوجة المدمنة نفسها اجتماعياً، ويرفضان الانخراط في الأمور المفضلة لدى الأزواج كالخروج لتناول وجبات خارج البيت وحضور النوادي الرياضية والمجتمعية أو السفر ويمكن أن يفضل المرافق على الخط على المرافق الحقيقي.

إن أكثر مواقع الإنترنت إدمانا هي المواقع الإباحية ويتجلى ذلك في التحميل القهري للمواد الإباحية أو الاتجار فيها أو مشاهدتها، ويتضمن هذا مختلف أشكال التفاعل مع المحتويات الجنسية في غرف الدردشة والخطوط الساخنة على الإنترنت والتواصل مع الغرباء الذين يدعونهم الى الاتصال الجنسي.

إن القدرة على ممارسة العلاقة العاطفية والجنسية على الخط يضعف استقرار حياة الأزواج الحقيقية، فالمريض يستمر في الانسحاب عاطفيا واجتماعيا من الزواج ويبذل الجهد للحفاظ على العشاق الذين تم اكتشافهم على الخط. وهكذا فان استخدام الإنترنت يؤدي الى تداخل العلاقات الشخصية للحياة الحقيقية لأولئك الذين هم على مقربة من مدمن الإنترنت ويستجيبون بارتباك وإحباط وكذلك بغيرة إزاء الحاسوب.

ويعتقد بعض علماء الاجتماع إن الاستخدام المتزايد للإنترنت لاسيما أسلوب التفاعل فيها وانشداد الأسر المستمر حد الإدمان سيؤدي الى قطع عرى التواصل بين أفرادها، وكذلك إلى عزلة الأسر عن بعضها البعض، ثم الى انقطاعها عن الحياة الاجتماعية والمشاركة في الحياة العامة، بحسب الدراسة التي أجراها ريسمان Riesmn.

المشاكل الأكاديمية:

قد يجد الباحث والتلميذ أو الطالب نفسه تحت تأثير حب الاطلاع أو إجراء بحث أو فهم مهنة وما شابه ذلك، يقوم ببحث مكثف عن معارف ومعلومات في قواعد البيانات على الإنترنت لاستغلالها أو لتخزينها ومعالجتها مستقبلاً. وعلى الرغم من إن الإنترنت أداة تعليمية رائدة لاسيما في المدارس تؤكد "كيمبرلي" إن دراسة واحدة كشفت إن 86% من المجيبين من المعلمين، وأمناء المكتبات،

ومنسقي الكمبيوتر يعتقدون أن استخدام الإنترنت من قبل الأطفال لا يحسن الأداء مبررين ذلك بكون المعلومات على الإنترنت غير منظمة للغاية وقد لا تكون لها علاقة بالمناهج الدراسية أو الكتب، كما كشفت الباحثة أن 58% من الطلاب أشاروا الى تدني عاداتهم الدراسية وهبوط كبير في درجاتهم وتخليهم عن حصصهم وكذلك وضعهم تحت المراقبة حسب إدمان واستخدام الإنترنت المفرط، فالطلاب يتصفحون مواقع غير ذات صلة على شبكة الإنترنت وينخرطون في غرف الدردشة ويتحدثون مع الأخرين، ويمارسون العابا تفاعلية على حسب نشاطهم المفيد.

النظريات المفسرة للإدمان:

أولاً: الاتجاه السيكوديناميي:

يعتمد على خبرات مرحلة الطفولة وارتباط ذلك بسمات الشخصية والاضطرابات والميول والنزعات الموروثة لدى الفرد، فقد يكون لدى الفرد استعداد نظري لإدمان الإنترنت، ولكنه لا يقع في الإدمان إلا إذا توافرت ظروف وأحداث ضاغطة في حياته تدفعه إلى إدمان الإنترنت، ومن ثم يصبح الفرد عرضة للإدمان، ويرى هذا الاتجاه أن إدمان الإنترنت هو استجابة هروبيه من الإحباطات والرغبة في الحصول على لذة بديلة تحقق الإشباع والرغبة في النسيان. (السلطان، 2015).

ثانياً: الاتجاه السلوكي:

يعتمد هذا الاتجاه على إن إدمان الإنترنت هو سلوك متعلم يخضع لمبدأ المثير والاستجابة والتعزيز والأشراط، حيث يقوم الفرد بمجموعة من السلوكيات والأنشطة للحصول على المكافأة أو التعزيز وهذا ما ينطبق على إدمان الإنترنت وما تقدمه تلك الشبكة له من راحة ومتعة نفسية، بجانب أنها طريقة سهلة وبسيطة للهروب من الواقع للحصول على معززات السلوك (بو بعاية، 2016).

ثالثاً: الاتجاه الطبي:

يعتمد الاتجاه الطبي تفسيراً قائماً على أساس سلوكيات الأفراد تحكمها مجموعة من العوامل الوراثية الجينية وتغيرات كيميائية في المخ والناقلات العصبية،

وما يتعلق بها من تغيرات في الكروموسومات والهرمونات والمواد الكيميائية الضرورية لتنظيم نشاط المخ والجهاز العصبي، حيث أظهرت بعض الدراسات في هذا المجال أنه توجد عقاقير قد تحدث خلل في التواصل العصبي، مما يترتب عليه إرسال المخ لمعلومات غير صحيحة كأن يتوهم الفرد باعتدال المزاج لممارسة نشاط معين، مثل تناول العقاقير أو المخاطرة أو المقامرة وينطبق مثل هذا التفسير على حالة الاعتماد على الإنترنت، حيث يتيح للفرد الشعور بالمتعة والإثارة (السلطان، 2016).

مراحل الإدمان على الإنترنت:

المرحلة الأولى: وهي تحدث عندما يكون الشخص وافدا جديدا ومجربا جديدا للإنترنت أو مستخدما لنشاط جديد ويطلق على هذه المرحلة مرحلة الاستحواذ أو الافتتان.

المرحلة الثانية: المرحلة الأولى هي مرحلة الإدمان حتى يصل الشخص الى المرحلة الثانية هي مرحلة التحرر من الوهم وفي هذه المرحلة يقل اهتمام الشخص بالنشاط على الإنترنت ويتحقق هذا بشكل كامل في المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة التوازن وهي ترمز الى الاستخدام الطبيعي للإنترنت ويتحقق هذا عندما يجد الشخص نشاطا جديدا مثيرا للاهتمام، جروس (Gross, 2004).

ويذكر أن أول من وضع مصطلح "إدمان الإنترنت" (Internet ddiction) هي عالمة النفس الأمريكية كيمبرلي يونغ (Kimerly Young) التي تعد من أولى أطباء النفس الذين عكفوا على دراسة هذه الظاهرة في الولايات المتحدة منذ عام 1994م.

وتعرف يونغ (Young) إدمان الإنترنت بأنه استخدام الإنترنت أكثر من 38 ساعة أسبوعيا، كما إنها قامت عام (1994م) بتأسيس إدارة مركز الإدمان على الإنترنت (Center for Online ddiction) لبحث وعلاج هذه الظاهرة، وقد أصدرت كتابين حول هذه الظاهرة هما الوقوع في قبضة الإنترنت (Cught in Net)، والتورط في الشبكة (Tngled in the We).

وعرفته يونغ (Young,1996,) بأنه اضطراب السيطرة على الاندفاع في استخدام الإنترنت والذي لا يتضمن السكر أو فقد الوعي.

وعرفته أورزاك (Orzck,1998) بأنه ذلك المصطلح الذي يصف هؤلاء الذين يقضون على الإنترنت وقتاً طويلاً جداً، ويصبحون معزولين عن أصدقائهم وأسرهم ولا يبالون بأعمالهم وأخيراً يغيرون إدراكهم عن العالم من حولهم.

وفي تعريف أخر هو استخدام الإنترنت لفترات طويلة دون وجود سبب وظيفي أو أكاديمي يدفع إلى ذلك، مع وجود اربع سمات أو مظاهر هي: الرغبة الملحة، والأعراض الانسحابية، عدم السيطرة أو التحكم، والتحمل. (أبو غزالة، 2010، ص 61)

بحسب منظمة الصحة العالمية تم توسيع نطاق مصطلح الإدمان المرضي ليتضمن جميع أشكال الإدمان التي يقبل عليها الشخص بشكل غير طبيعي، بحيث تؤثر على حياته ليشمل أي أمر يرافقه استمرار في الرغبة والسلوك بشكل يستحوذ على الإنسان، فيعطي على احتياجاته الرئيسية، مثل نشاطات الحياة والعمل والعلاقات الاجتماعية. (القبس، 2010م).

هذا وقد بينت الدراسات النفسية إن أكثر الأفراد تعرضاً لخطر الإصابة بمرض إدمان شبكة الإنترنت، هم الأفراد الذين يعانون من العزلة الاجتماعية،

والفشل في إقامة علاقات إنسانية طبيعية مع الأخرين والذين يعانون من مخاوف غامضة أو قلة احترام الذات، الذين يخافون من إن يكونوا عرضة للاستهزاء أو السخرية من قبل الأخرين، هؤلاء هم أكثر الناس تعرضاً للإصابة بهذا المرض، وذلك لان العالم الإلكتروني قدم لهم مجالاً واسعا لتفريغ مخاوفهم وقلقهم وإقامة علاقات غامضة مع الأخرين تخلق لهم نوعا من الألفة المزيفة فيصبح العالم الجديد الملاذ الأمن من خشونة وقسوة عالم الحقيقة، كما يعتقدون حتى يتحول عالمهم هذا الى كابوس يهدد حياتهم الاجتماعية، والشخصية للخطر. (هاني، 2012).

كما صنفت Young (1999) إدمان الإنترنت إلى خمسة أنواع رئيسية تتمثل بما يلي:

إدمان الفضاء الجنسي (المواقع الإباحية)، إدمان العلاقات عبر الفضاء المعلوماتي (علاقات قاعات الدردشة).

إلزام الإنترنت (مثل المغامرة والشراء عبر الإنترنت). الإفراط المعلوماتي كالبحث عن المعلومات الزائدة عن الحد عبر الإنترنت، الإدمان على العاب الإنترنت بشكل زائد عن الحد الطبيعي.

وقد أكد TORI أن المواقع الإلكترونية تتميز بفقدان السيطرة لزائرها، وهو مؤشر على السلوك القهري لا يقاوم النشاط السيكو دينامي نحو الشبكة، بالإضافة الى إنها تسمح لهم بإقامة علاقات اجتماعية بديلة عن العلاقات الاجتماعية الحقيقية التي تحمل المشاكل والمسؤوليات الواجبات والتحديات. (Tori, 2000).

لقد سلطت الضوء كمبرلي يونغ على الإدمان على الإنترنت وتؤكد أن واحدا من كل خمسة مدمنين على الإنترنت يشتركون بطريقة أو أخرى في نشاط جنسي أثناء قضائهم الوقت على الإنترنت. (العباجي، 2007).

وفي الدراسة التي قدمتها كمبرلي يونغ حول الإدمان على الإنترنت وجدت هنالك خلال جوانب مهيمنة على المدمن تتمثل في: فكرة المجتمع: تجمع الأصدقاء على الخدمة أو الشبكة. التخيلات: التخيلات الجنسية أو اعتماد شخصيات إلى الأشخاص. السلطة والقدرة على التحكم للوصول الفوري إلى المعلومات أو الأشخاص.

هذا ما يفسره حالة الفرد عندما يتوقف عن إدمانه فنجده يعاني من اختلال ما يدور بها من أعراض مرضية يختلف باختلاف طبيعية الإدمان. (مصباح، 2004).

وكذلك ربطت روبرت (Lynne Roerts) بين الاستخدام المكثف للإنترنت والآثار الفيزلوجية حيث توصلت إلى:

وجود استجابات شرطية (ارتفاع في ضغط الدم)، شدة التركيز المبالغ بعالم الشاشة، عدم الانتباه أو الاستجابة للمؤثرات الخارجية أثناء ارتباطه بالحياة الرقمية، أحلام اليقظة. (Jsuler,2002).

أعراض إدمان الإنترنت

هناك عدة أعراض لإدمان شبكة الإنترنت وهي كالآتي:

- قضاء ساعات طويلة على شبكة الإنترنت بشكل يتعارض مع أداء المهام اليومية، واتخاذ القرارات، وأكثر من الوقت المعتزم، الإحساس بالعجز عند خفض عدد ساعات الاستخدام، الانهماك الكامل في شبكة الإنترنت، الإحساس بالقلق، والكآبة عند التوقف لأيام عن استخدام شبكة الإنترنت. (القبس،2010).
- الشعور بالفزع أو الضجر أو الاكتئاب عندما يكون غير قادر علي استخدام الكمبيوتر والاتصال بشبكة الإنترنت أو عندما يعطل من استخدامه. (جاد،2006).
- وقد لاحظ الباحثون إن الذكور أكثر عرضة من الإناث لهذا الخطر، وان كل من يتجاوز استخدام شبكة الإنترنت (20) ساعة اسبوعياً، تتزايد لدية احتمالات الإدمان. (القبس، 2010).

طرق الوقاية من إدمان الإنترنت:

هناك بعض من المهارات المعرفية السلوكية التي تمكن الفرد من كسر قيود السلوك الإدماني والتحرر منه من خلال:

على الفرد إن يحرر نفسه من النمطية في حياته، وكذلك أن يدرب نفسه على أسلوب حياة صحي، في مواعيد النوم، والاستيقاظ، ومواعيد لتناول الوجبات دون أسقاط بعض الوجبات.

وتعلم المزيد من المهارات المختلفة: رسم، عزف على الة موسيقية، تعلم حرفة من الحرف، أو الاشتراك في الأعمال الخيرية أو التطوعية، أو الأنشطة الاجتماعية من خلال منظمات وجمعيات المجتمع الأهلي.

وأيضا إن يخطط لممارسة مجموعة من الأنشطة المشتركة مع الأصدقاء أو أفراد الأسرة، وربما يسعى لتكوين نسيج اجتماعي من العلاقات مع الأخرين، ويدعم هذه العلاقة، بشكل يؤثر على الفرد ويخرجه من عزلته.

محاولا إن يقاوم فكرة الجلوس أمام شاشة الكمبيوتر بكل عزم، وقوة بإرادة قوية واعية من خلال الإلهاء السلوكي، والذهني فعندما يشعر الفرد بحاجة ملحة للجلوس أمام شاشة الكمبيوتر يقوم ببعض من الأعمال، والأنشطة اليدوية.

وان يتعلم ويدرب نفسه على مهارات الاسترخاء البدني، والذهني، وممارسة رياضة التأمل لراحة الجهاز العصبي، وتجديد الطاقة البدنية، والذهنية.

ويفضل في النهاية أن يستعين مريض الإدمان على الإنترنت طلب المساعدة من الاختصاصي النفسي المدرب على علاج الإدمان، والعودة للتعافي منه من خلال البرامج العلاجية المتنوعة، وبرامج العلاج الجمعي، ومنع الانتكاسة والتأهيل للعودة مرة أخرى معافى من السلوك السلبي. (فخري، 2008).

وهناك حلول علاجية لحالات الإدمان على شبكة الإنترنت، اقترحت يونغ عدداً من الاستراتيجيات السلوكية منها:

ممارسة العكس Prctice the opposite : ويتطلب تحديد نمط استخدام الفرد لشبكة الإنترنت ثم محاولة كسر هذا الروتين أو العادة عن طريق تقديم أنشطة محايدة ومعتدلة.

ضع أهداف مسبقة Setting gols : فمن المفيد جداً وضع مخطط مسبق لجميع أيام الأسبوع بحيث يحدد بوضوح كم عدد الساعات المخصصة لاستخدام شبكة الإنترنت فعلى المدى البعيد يولد هذا السلوك لدى الفرد شعوراً بقدرته على التحكم في استخدام شبكة الإنترنت.

بطاقات التذكير Reminder crds : ينصح الفرد بكتابة الآثار السلبية للاستخدام المفرط لشبكة الإنترنت على بطاقات كمشاكل في العمل مثلاً وكذلك كتابة فوائد الحد من استخدام شبكة الإنترنت فحمل هذه البطاقات بشكل مستمر بهدف التذكرة يساعد الفرد على تجنب سوء استخدام الإنترنت.

استخدام ساعات التوقف Stop-wtches : إذ تساعد هذه المنبهات في تذكير الفرد بموعد انتهاء وقت استخدام شبكة الإنترنت.

عمل قائمة شخصية Personl inventory : عادة ما يهمل مدمنو شبكة الإنترنت جوانب كثيرة من حياتهم نظراً لقضاء أوقات طويلة على شبكة الإنترنت فوضع قائمة بهذه الأنشطة والاهتمامات المهملة يساعد على أحيائها مرة أخرى.

وجدير بالذكر في هذا الإشارة إلى دور عوامل إيجابية أخرى في العلاج كعامل الثقافة والدين والقيم الاجتماعية والأخلاقية المتعارف عليها والالتزام بها لكي يتجنب الفرد مخاطر إدمان شبكة الإنترنت الاجتماعية والنفسية والجسمية. (أحمد، نهلة آمين، 2010).

ثانيا: الدراسات السابقة:

الدراسات التي تناولت الدعم الاجتماعي المُدرك

أجرى دراسة السبيعي وآخرين (lsuie et l..2019) هدفت الى اختبار تأثير المختلف لمصادر الدعم الاجتماعي على رفاهية الطالب الجامعي، تكونت عينة الدراسة من (461) طالباً (82% منها إناث بمتوسط عمري 62-20) طبق عليهم استبيان صحة المريض، مقياس الدعم الاجتماعي متعدد الأبعاد، مقياس جودة الحياة، بينت النتائج إن الدعم من العائلة والأصدقاء تنبأ بأعراض الاكتئاب، وارتبط بشكل سلبي دال بهذه بأعراض الاكتئاب .

وهدفت دراسة (الربابعة، 2017) الى التعرف على مصادر الدعم المعرفي والاجتماعي والوقاية من المخدرات بين عينة من (20) طالباً وطالبة في المدارس الثانوية في الأردن، ولتحقق هدف الدراسة اعتمد الباحث المنهج النوعي من خلال المقابلات المنظمة مع العينة، وأشارت نتائج الدراسة الى إن هناك تسعة مصادر لدعم الاجتماعي والمعرفي مرتبة تنازلياً على النحو التالي ؛ الآباء و المعلمين ووسائل الإعلام ووسائل الإعلام الاجتماعي والأقران ووسائل الإعلام المدرسية والمناهج الدراسية والمستشار النفسي والندوات والمؤتمرات والقراءة.

دراسة (العتيبي 2015) هدفت الى معرفة العلاقة بين المساندة الاجتماعية والاكتئاب وانخفاض تقدير الذات وبعض المتغيرات الأخرى، تكونت عينة الدراسة من (500) مطلقة تراوحت أعمارهن ما بين (50-15) سنة، طبق عليهن مقياس المساندة الاجتماعية، ومقياس الاكتئاب، ومقياس تقدير الذات، بينت النتائج وجود علاقة ارتباطية عكسية سلبية بين المساندة الاجتماعية والاكتئاب لدى المطلقات، ووجود علاقة موجبة بين المساندة الاجتماعية وتقدير الذات.

وهدفت دراسة (حسين، وعباس 2014) الى إن تعرف العلاقة بين المساندة الاجتماعية والتحصيل الدراسي، وتم اختيار العينة بالطريقة العشوائية من مجتمع البحث الأصلي والبالغ عددهن (27) طالبة من طالبات المرحلة الرابعة في كلية التربية للبنات، قسم التربية الرياضية تم استجابة (20) طالبة من المجتمع الأصلي، واستخدمت الباحثتان المنهج الوصفي بالأسلوب المسحي، وكذلك مقياس المساندة الاجتماعية بعدد فقرات (27) فقرة، وأشارت نتائج الدراسة الى إن هناك مجموعة من الاستجابات، منها تمتع الطلبة بمقدار من المساندة الاجتماعية، وهناك علاقة ارتباط معنوي بين المساندة الاجتماعي والتحصيل الدراسي .

هدفت دراسة (النصاصرة 2012) الا إن تعرف مستوى الدعم الاجتماعي وعلاقته بالسعادة لدى طلبة الصف التاسع في منطقة بئر السبع، وتكونت عينة الدراسة من (644) طالباً وطالبة وتم استخدام المنهج المسحي من خلال استخدام أدوات الدعم الاجتماعي والسعادة النفسية، وقد أشارت نتائج هذه الدراسة الى إن مستوى الدعم الاجتماعي جاء متوسطاً، وجاء مجال الدعم الاجتماعي بالمركز الأول، ومجال تشجيع الأخرين في المرتبة الأخيرة وأظهرت النتائج أيضاً انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للجنس باستثناء الدعم المادي وجاءت الفروق لمصلحة الذكور، ووجود فروق تعزى للتحصيل في مستوى الدعم الاجتماعي وجاءت الفروق لمصلحة التحصيل المرتفع .

أجرى الخالدي (2008) دراسة هدفت إلى معرفة مستوى الدعم الاجتماعي لدى المراهقين. حيث تكونت عينة الدراسة من (164) طالبا وطالبة من المرحلة الأولى من كلية المعلمين في جامعة الموصل في العراق. وتم تطبيق مقياس الإسناد الاجتماعي ومقياس الصحة النفسية. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن مستوى الإسناد الاجتماعي جاء بدرجة مرتفعة، مع وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الإناث في مستوى الإسناد الاجتماعي، ووجود فروق في الصحة النفسية تعزى إلى الإسناد الاجتماعي.

دراسة (خميسة 2006) هدفت الى معرفة طبيعة العلاقة القائمة بين بعض المتغيرات النفسية الاجتماعية والمتمثلة في الدعم الاجتماعي المدرك والاكتئاب، والجانب البيولوجي الذي يتمثل ببعض مكونات الجهاز المناعي (الغلوبيلينات والخلايا المناعية)، تكونت عينة البحث من (60) مصاباً بالتهاب الكبد"C" منهم 32 ذكور و 28إناث، تتراوح أعمارهم بين 21و 68 سنة بمتوسط عمر 47 سنة، طبق عليهم مقياس الدعم الاجتماعي المدرك اختبار بيك للاكتئاب، والاختبارات الخاصة بالجهاز المناعي،

وكان من أهم النتائج وجود علاقة ارتباطية سلبية دالة إحصائياً بين درجة الدعم الاجتماعي المدرك ودرجة الاكتئاب لدى المصابين بالتهاب الكبد"C"، وعدم وجود فروق بين الجنسين ذات دلالة إحصائية في درجة الدعم الاجتماعي المدرك و الاكتئاب .

ولقد أجريت العديد من الدراسات التي تناولت موضوع الدعم الاجتماعي لدى الطلبة الجامعيين في مختلف الدول وهدفت دراسة سيزر ايسجور (sezer & isgor 2017) إلى تحليل ما إذا كان دعم الأفراد الاجتماعي الذين يتلقونه من البيئة المحيطة، وأسلوب الحياة الذي يتبناه الأفراد، يؤثر في الوقت يقضونه، وتكونت عينة الدراسة من (303) من طلبة الجامعات والمحاضرين، وتم استخدام مقياس الدعم الاجتماعي متعدد الأبعاد وأساليب الحياة، و اشارات نتائج الدراسة الى إن الدعم الاجتماعي الذي يتصوره الأفراد و أنماط الحياة تؤثر حسب الوقت الذي يقضيه الأفراد في بيئة الإنترنت .

وهدفت دراسة لاني وليبيرت وجوكا (Lne: Leiert & Gok 2017) إلى تعرف أثر الحياة الانتقالية في ظهور ارتباط البالغين، بالدعم الاجتماعي، والرفاه والسعادة؛ مقارنة متعددة المجموعة، وتكونت عينة الدراسة من (378) طالباً من البالغين وقد أشارت نتائج هذه الدراسة الى إن نموذج الحياة الانتقالية أظهر مستويات أقل من الرضا عن الحياة، كما أظهرت آثار توسط أقل وأضعف للدعم الاجتماعي.

وأجرى (Guo 2017) دراسة هدفت الى تعرف تأثير الدعم الاجتماعي في السلوك الاجتماعي الإيجابي لطلبة الجامعة، وتكونت عينة الدراسة من (270) طالباً وطالبة من طلبة عشر جامعات مختلفة في مركز قوانغتشو (Gungzho) في جمهورية الصين، تم استخدام مقياس الدعم الاجتماعي، ومقياس السلوك الإيجابي، ومقياس الثقة بين الأشخاص، وأشارت النتائج الى إن الدعم الذاتي واستغلال دعم طلبة الجامعة يؤثر بشكل مباشر وغير مباشر في السلوك الاجتماعي الإيجابي من خلال تأثير الثقة العاطفية والثقة النوعية، وكذلك فأن الثقة بين الأشخاص تلعب دوراً متوسطاً في تأثير الدعم الاجتماعي في السلوك الاجتماعي الإيجابي .

وهدفت دراسة راهات وايهان (Rht &Ihn 2017) الى تعرف مدى إسهام أساليب التكيف، والدعم الاجتماعي وبناء التبادل الذاتي، وسمات المرونة، في قدرة الطلبة على تنظيم حياتهم الجامعية في السنة الأولى، وتكونت عينة الدراسة من (527) طالباً وطالبة من الطلبة المعرضين للخطر والملتحقين بجامعة حكومية في تركيا، وتم استخدام نموذج المعلومات الشخصية، ومقياس إدراك الدعم الاجتماعي، وقد أشارت نتائج الدراسة الى إن للترابط الذاتي والدعم الاجتماعي المدرك، وأساليب التكيف والمرونة بين طلبة الجامعة مع بعض سمات الخطر المحدد، دوراً كبيراً في تنظيم حياتهم الجامعية .

وهدفت دراسة فارتو وآخرين (Virtue et l..2015) الى تعرف مستوى دعم المعلمين الأقران في سلوكيات المراهقين، وتدعيم دافعيتهم ضمن السياقات المدرسية، وتكونت عينة الدراسة من (24) مشاركاً، أظهرت نتائج المقابلات المنظمة مع أفراد الدراسة وجود دور مؤثر لكل من المعلمين والأقران في مستوى الدعم الاكاديمي و الاجتماعي المقدم للطلبة، كما بينت النتائج إن دعم المعلمين يؤثر بشكل مباشر في تحفيز دافعية الطلبة، وزيادة فرص المشاركة في الأنشطة المدرسية والاجتماعية، وتعزيز روح الانتماء للمدرسة وللجماعة.

أما دراسة سيفتك (Civitci 2015) فقد هدفت الى تعرف الأدوار الوسيطة للآثار الإيجابية والسلبية في العلاقة بين الدعم الاجتماعي المدرك وتوتر طلبة الجامعة، وتكونت عينة الدراسة من (479) طالباً وطالبة من طلاب كلية التربية في إحدى الجامعات الحكومية في الولايات المتحدة الأمريكية، كما تم جمع البيانات باستخدام مقياس الدعم الاجتماعي متعدد الأبعاد، ومقياس التوتر المدرك، ومقياس الآثار السلبية والإيجابية، وقد أشارت نتائج الدراسة الى إن الآثار السلبية دوراً وسيطاً في العلاقة بين الدعم الاجتماعي المدرك والتوتر، بينما لا تعمل الآثار الإيجابية بنفس المنهج.

ودراسة وانغ وآخرين ((Wng et l..2014 هدفت الى اختبار الأثر الوسيط للدعم الاجتماعي على العلاقة بين الإجهاد والاكتئاب لدى طلبة الجامعة، تكونت عينة البحث من (632) طالباً جامعياً، طبق عليهم مقياس الدعم الاجتماعي المدرك والاكتئاب، بينت النتائج إبلاغ طلبة الجامعة ذوي الإجهاد المرتفع عن درجات اعلى من الاكتئاب أكثر من الطلبة ذوي الإجهاد والدعم الاجتماعي المنخفض، وعموماً كان تأثير الإجهاد على الاكتئاب أصغر في مجموعة الدعم الاجتماعي المرتفع مقارنة بمجموعة الدعم الاجتماعي المنخفض.

وهدفت دراسة كونج زاهو يو (Kong..Zho You 2012) الى تعرف تأثير الوساطة في الدعم الاجتماعي واحترام الذات للعلاقة بين الذكاء العاطفي ورضا الحياة في مرحلة المراهقة المتأخرة. وتكونت عينة الدراسة من (489) طالباً جامعياً صينياً تتراوح أعمارهم بين (17-23) سنة، وقد أشارت نتائج الدراسة الى إن الدعم الاجتماعي واحترام الذات توسط تماماً العلاقة بين سمة الوساطة ورضا الحياة في آواخر المراهقة، وعلاوة على ذلك، أشار تحليل متعدد المجموعات الى إن التكور الذين يحصلون على دعم اجتماعي مرتفع هم أكثر احتمالا للحصول على رضا أكبر من الحياة النظيرات من الإناث.

وأجرى كيمهى، ايشيل، زايزبيرج وهانتمان Hntmn (Kimhi , Eshel , Zyserg , nd 2010) دراسة هدفت إلى الكشف عن الإحساس بالخوف والدعم الاجتماعي عوامل توسط للضغوط والمحن النفسية لدى المراهقين . وقد تكونت عينة الدراسة من (820) طالبا وطالبة من طلاب المرحلة الثانوية تم اختيارهم عشوائية من مجموعة من المدارس الثانوية في منطقة شمال فلسطين المحتلة. واستخدمت الدراسة مقاييس القلق والاكتئاب واستبانة خاصة بالدعم الاجتماعي في عملية جمع البيانات. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن التماسك الأسري بين أفراد الأسرة يؤدي دورا هاما في مستوى تأثير الدعم الاجتماعي المقدم إلى الطالب الذي يعاني من محنة نفسية. وأن هناك فروقة تعزى إلى متغيرات الجنس والعمر في أثر الدعم الاجتماعي على التعافي من المحنة التي يعاني منها الطالب لصالح الإناث و الفئة العمرية من (10-19) سنة.

وأجرى شرف، وثومبسون، وولش (Shrf , Thompson , nd Wlsh ،2009) دراسة هدفت إلى الكشف عن الآثار الوقائية لتقدير الذات والدعم الاجتماعي ضد سلوكيات وأفكار الانتحار لدى المراهقين المعرضين إلى الخطر . وقد تكونت عينة الدراسة من (849) طالبا وطالبة من الطلاب المتسربين من المدرسة تم اختيارهم عشوائية من أحد مراكز رعاية الشباب في مدينة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية،

واستخدمت الدراسة الاستبانة الخاصة بجمع البيانات والمقابلة المقننة في عملية جمع البيانات. وقد أشارت نتائج الدراسة بأن الدعم الاجتماعي الأسري يلعب دورا توسطية في أثر تقدير الذات على مخاطرة السلوكيات والأفكار الانتحارية لدى المراهقين، وأن هناك فروقا تعزى إلى مستوى الأسرة الاجتماعي في مستوى الدعم الاجتماعي المقدم إلى هذه الفئة من المراهقين، لصالح المراهقين من الأسر ذات المستوى الاجتماعي الأفضل.

وأجرى بيه، الكوبو، مارتيا، شيا، وبتوسك (Yeh , Okuo , Mrte , She nd Pituc 2008 ،) دراسة هدفت إلى الكشف عن التفاعلات الاجتماعية، والالتزامات الأسرية، واستخدام اللغة والدعم الاجتماعي لدى الطلاب المهاجرين من الصين، وقد تكونت عينة الدراسة من (289) طالبة وطالبة من الطلاب الصينيين المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية . واستخدمت في هذه الدراسة استبانة خاصة بعملية جمع البيانات. وقد أشارت نتائج الدراسة أن الدعم الاجتماعي الأسري والدعم الاجتماعي المقدم من الأصدقاء كانا عاملين مهمين في مستوى التفاعل الاجتماعي، واستخدام اللغة الإنجليزية لدى هذه الفئة من الطلاب.

و أجرى سايز (2008، Siyez) دراسة هدفت إلى الكشف عن أثر النزاعات الأسرية، والدعم المقدم من الوالدين والأصدقاء على تقدير الذات والاكتئاب والسلوك المشكل لدى المراهقين . وقد تكونت عينة الدراسة من (10734) من طلاب المرحلة الثانوية في مدينة أنقرة التركية. واستخدمت في الدراسة مقاييس تقدير الذات والاكتئاب واستبانة خاصة بالدعم الاجتماعي المدرك المقدم من الأصدقاء. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية بين ارتفاع مستوى النزاع الأسري وبين انخفاض مستوى تقدير الذات والاكتئاب لدى الطلاب، كما أشارت نتائج الدراسة أن النزاعات الأسرية تؤثر سلبا على مستوى الدعم الاجتماعي المدرك المقدم من الأسرة والأصدقاء.

وأجرت هوربي ايرولا،ونيونين وارو(2007, Hurre , Eerol , Rohlconen ,&ro) دراسة هدفت إلى الكشف عن الدعم الاجتماعي والعلاقة بين الوضع الاجتماعي للأسرة وأعراض الاكتئاب لدى عينة من المراهقين ومتابعتهم حتى مرحلة الرشد . وقد تكونت عينة الدراسة من (2194) طالبة من طلاب المرحلة الثانوية تم اختيارهم عشوائية من إحدى المدارس الثانوية في فنلندة. واستخدمت في الدراسة استبانة خاصة لعملية جمع البيانات، ومقياس بيك لأعراض الاكتئاب، وقد أشارت نتائج هذه الدراسة أن الطلاب الذين لم يتوفر لهم الدعم الاجتماعي الكافي في مرحلة المراهقة كانوا أكثر عرضة إلى تطوير أعراض الاكتئاب في عمر 32 سنة،

وأن هناك أثرا توسطية للوضع الاقتصادي للأسرة في العلاقة بين مستوى الدعم الاجتماعي المقدم وبين الاكتئاب، وأن هذا الأثر يعتمد على مجال الدعم الاجتماعي المقدم، والعمر والجنس.

الدراسات التي تناولت إدمان الإنترنت:

هدفت دراسة سامية ابراهيم (2014) إلى بحث علاقة الشعور بالوحدة النفسية وإدمان الإنترنت لدى عينة من طلبة جامعة أم البواقي بالجزائر، والتعرف على الفروق بين الجنسين في إدمان الإنترنت والشعور بالوحدة النفسية،

تكونت عينة الدراسة من (243) طالبا وطالبة، كان منهم (103 طالبا، 140 طالبة) من معظم كليات جامعة أم البواقي، وتم تطبيق مقياس إدمان الإنترنت ومقياس الشعور بالوحدة النفسية، وأشارت النتائج إلى وجود علاقة ارتباط موجبة بين الشعور بالوحدة النفسية وإدمان الإنترنت، ووجود فروق دالة بين الذكور والإناث في درجة إدمان الإنترنت لصالح الذكور، وفي مستوي الشعور بالوحدة النفسية لصالح الذكور.

وهدفت دراسة (معيجل،2011) بعنوان الإدمان على الإنترنت وعلاقة ببعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة، التعرف على مستوى الإدمان على الإنترنت لدى طلبة الجامعة والمقارنة في الإدمان على الإنترنت وفقا لمتغيرات الجنس والتخصص، وقد تألفت عينة البحث من (200) طالبا وطالبة من كلا التخصصين في جامعة بغداد، وقد جرى استعمال اختبار الإدمان على الإنترنت الذي وضعته عالمة النفس كيمبرلي يونغ (Young) (1996) وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- إن مستوى الإدمان على الإنترنت هو بمستوى متوسط لدى عينة البحث الحالي وتلك نتيجة إيجابية
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الإدمان على الإنترنت لدى طلبة الجامعة وفق لمتغير الجنس (ذكور، إناث)
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الإدمان على الإنترنت لدى طلبة الجامعة وفق متغير التخصص (علمي، إنساني) ولصالح ذوي التخصص الإنساني.

دراسة عبدالمجيد (2006) بعنوان الاتصال عبر الإنترنت وعلاقته ببعض المهارات الاجتماعية لدى طلاب المرحلة الثانوية وتعتبر هذه الدراسة من الدراسات الوصفية واستخدمت المنهج المسحي، واتخذت الباحثة مجتمع الدراسة لطلاب المرحلة الثانوية بمحافظة الشرقية حيث تبلغ عدد مدارس المرحلة الثانوية (127) مدرسة تضم (1999) فصلا موزعة على (17) إدارة تعليمية، وتم تحديد عينة الدراسة بالطريقة العشوائية، وبلغت عينة الدراسة (140) طالبا طلاب المرحلة الثانوية الذين يستخدمون الكمبيوتر ويتعاملون مع شبكات الإنترنت، وأظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية دالة بين مهارة المشاركة الوجدانية والنوع، وجاءت لصالح الإناث، كذلك عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استخدام طلاب المرحلة الثانوية عينة الدراسة للإنترنت ومهارة التعبير الاجتماعي،
كذلك لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين النوع وكل من مهارة الاستقلالية، والمبادأة بالتفاعل، والتعاون، والتقليد، والتعبير الاجتماعي.

ولقد هدفت دراسة العويضي (2004) إلى معرفة أثر استخدام الإنترنت على العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة السعودية. وقامت الباحثة باختيار عينة عرضية عددها (200) أسرة. واستخدمت الباحثة الاستبيان كأداة للتحقق من هدف الدراسة. وتوصلت النتائج بان تأثير استخدام الإنترنت على العلاقات السرية تأثير محدود وبسيط، ونصف المبحوثين تقريبا ينظمون استخدامهم للإنترنت بمستوى متوسط، وكذلك يخضعون لرقابة متوسطة، كما دلت النتائج بان نسبة كبيرة من أفراد العينة يرون بأن الإنترنت له تأثير سلبي على المجتمع السعودي دينيا وخلقيا، وأنه توجد فروق ذات دلالة معنوية بين مدة استخدام الإنترنت، وبين تأثير ذلك على العلاقات الزوجية، كما يرى الآباء بأن العلاقة بينهم وبين أبنائهم تقل كلما زادت مدة استخدام أبنائهم للإنترنت. وأوصت الدراسة بضرورة توعية أفراد المجتمع بشكل عام،

والشباب بشكل خاص بمخاطر الشبكة، وكيفية التعامل الأمثل معها وضرورة الرقابة من قبل الأسرة لاستخدام آمن من قبل أبنائهم للإنترنت.

وأجرى الخواجا (2003) دراسة بعنوان الآثار الاجتماعية لانتشار الإنترنت على الشباب، وبلغ أفراد عينة الدراسة (132) مفحوصا منهم (73) طالبا و(59) طالبا وتقع أعمارهم من (18-35) سنه واتخذت الدراسة المنهج الوصفي والتحليل الناقد، وأظهرت نتائج الاستبانة: نسبة التعارف على الأصدقاء من خلال الإنترنت (35%)، هناك نسبة (49%) قامت بتطوير علاقات اجتماعية عبر شبكة الإنترنت، ظهرت نسبة (67%) تعتبر الإنترنت ضرورة – كانت أثر الإنترنت على سير النشاطات اليومية إيجابيا بنسبة (49%) وعدم وجود تأثير (51%) ولم يظهر أي اثر سلبي.

وأيضا دراسة الحيلة (2000)، بعنوان أثر الاستخدام المنزلي للإنترنت في التحصيل الدراسي لمستخدميه وهدفت الدراسة للكشف عن أثر الاستخدام المنزلي للإنترنت في التحصيل الدراسي لمستخدميه،
واستقصاء أسباب ارتياد الطلبة المراهقين لمقاهي الإنترنت من وجهة نظرهم، وتكونت عينة الدراسة من مجموعتين الأولى من (36) طالبا من طلبة الصف العاشر الأساسي، وتكونت العينة الثانية من (80) طالبا تراوحت أعمارهم (12-18) سنه ممن يرتادون مقاهي الإنترنت واستغرقت الدراسة ثلاثة فصول دراسية، وأظهرت نتائج الدراسة:
وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات المعدلات العامة للطلبة في نهاية الفصل الثالث تعزى إلى طريقة تنظيم الاستخدام المنزلي للإنترنت، (76%) من الطلبة المستجيبين بينوا أن سبب ارتيادهم مقاهي الإنترنت هو التسلية والترفيه من خلال الألعاب، وغرفة المحادثة، والتعارف، ومشاهدة الأفلام، (65%) من الطلبة المستجيبين بينوا أن أثره سلبي في التحصيل الدراسي.

هدفت دراسة مني بلين وآخرون (Min - Pei Line et l. ،2011) إلى فحص كمية انتشار الإدمان على الإنترنت في عينه ممثله من طلبة جامعيين والتعرف على المخاطر الاجتماعية الناتجة عن هذا الإدمان . طبقت مقاييس الدراسة على عينة عشوائية (3616) اختيروا من الكليات بمدينة تايون، وأظهرت النتائج أن انتشار الإدمان على استعمال الإنترنت بالنسب التالية 15,3 % كانت نسبة التأكد فيها 95% وتراوحت النسبة ما بين (14,1%) إلى (16,5%) حيث كانت أبرز تأثيرات الإنترنت على طلبة علامات إحباط كبيرة، مخرجات إيجابية عالية لفترات أطول لاستعمال الإنترنت، عدم الرضا من العلامات المحصلة، كل هذه العلامات كانت نتائج الإدمان على الإنترنت، الخلاصة إن انتشار الإنترنت بين الطلبة الجامعيين في تايوان كان عاليا جدا، وكذلك المتغيرات المذكورة أعلاه دلت بطريقة أو بأخرى على استعمال الإنترنت بشكل مستقل فيما بينها.

هدفت دراسة تونكي (Tuncy ، 2010) إلى التحليل للآثار المتصلة بالاكتئاب، العزلة، واحترام الذات في التنبؤ بمستويات الإدمان على الإنترنت في طلبة المرحلة الثانوية، أجريت الدراسة حسب نموذج الطريقة المستعرضة 21 وهي إحدى نماذج البحث، طبقت الدراسة على عينة قوامها (292) طالبا عام (2010) في ترابزون،

واستخدمت الدراسة مقياس بيك للاكتئاب، ومعيار يوكلا الخاص بالعزلة، ومعيار روزمبيرغ الخاص باحترام الذات . وأظهرت نتائج البحث أن هنالك علاقة إيجابية ذات مستوى متوسط وكذلك علاقة مهمة للإدمان على الإنترنت عندما أخذت المتغيرات المتعلقة بالاكتئاب، والعزلة، واحترام الذات مع بعضها البعض. وهذه المتغيرات توضح بأن (14%) من المتغيرات تعود إلى الإدمان على الإنترنت.

أوضحت دراسة مادل ومونسير (Mdell & Nuncer ،2007) طرق التحكم في مستوى التفاعلات الاجتماعية لدى عينة من الشباب مكونة من (18-20) مستخدم، من استخدامي الإنترنت والهواتف النقالة، وقد أظهرت نتائج الدراسة : سيطرة الإنترنت والهواتف النقالة على وسائل التواصل لدى عينة الدراسة الأمر الذي جعلها بديلا للتفاعلات الاجتماعية المتعارف عليها ، الأمر الذي سمح لهم بالاحتفاظ بالطبيعة التحادثية التفاعلات الاجتماعية عبر تلك الأجهزة، وليس وجها لوجه مع الأخرين.

التعقيب على الدراسات السابقة:

1. التعقيب على الدراسات التي تناولت الدعم الاجتماعي:

- **من حيث الهدف**: تعددت أهداف الدراسات السابقة التي تناولت الدعم الاجتماعي، فقد هدف بعضها إلى اختبار تأثير مصادر الدعم الاجتماعي على رفاهية الطالب الجامعي، وهدف بعضها إلى التعرف على مصادر الدعم المعرفي والاجتماعي والوقاية من المخدرات، ومعرفة العلاقة بين المساندة الاجتماعية والاكتئاب وانخفاض تقدير الذات وبعض المتغيرات الأخرى، ومنها هدف إلى تعرف مستوى الدعم الاجتماعي وعلاقته بالسعادة لدى عينة من طلاب المدارس، وتعرف تأثير الدعم الاجتماعي في السلوك الاجتماعي الإيجابي لطلبة الجامعة، والكشف عن الآثار الوقائية لتقدير الذات والدعم الاجتماعي ضد سلوكيات وأفكار الانتحار لدى المراهقين المعرضين إلى الخطر، والكشف عن أثر النزاعات الأسرية، والدعم المقدم من الوالدين والأصدقاء على تقدير الذات والاكتئاب والسلوك المشكل لدى المراهقين.

- **من حيث المنهج المستخدم:**

اعتمدت الدراسات والبحوث السابقة على المنهج الوصفي.

- **من حيث العينة:**

تعددت أنواع العينات في الدراسات السابقة، حيث شملت عينة من طلبة المدارس، وعينة من طلبة الجامعات، وعينة من المراهقين، وعينة من النساء المطلقات.

- **من حيث الأدوات:**

معظم الدراسات السابقة استخدمت مقياس الدعم الاجتماعي، وبعضها استخدم مع المقياس المقابلة المقننة.

- **من حيث النتائج: ضمنت النتائج الآتي:**

  - بينت النتائج أن الدعم من العائلة والأصدقاء تنبأ بأعراض الاكتئاب.

- أن مصادر لدعم الاجتماعي والمعرفي هي: الآباء والمعلمين ووسائل الإعلام ووسائل الإعلام الاجتماعي والأقران ووسائل الإعلام المدرسية والمناهج الدراسية والمستشار النفسي والندوات والمؤتمرات والقراءة.
- وجود علاقة ارتباطية عكسية سلبية بين المساندة الاجتماعية والاكتئاب لدى المطلقات، ووجود علاقة موجبة بين المساندة الاجتماعية وتقدير الذات.
- وجود علاقة ارتباط معنوي بين المساندة الاجتماعي والتحصيل الدراسي.
- أن الدعم الذاتي واستغلال دعم طلبة الجامعة يؤثر بشكل مباشر وغير مباشر في السلوك **الاجتماعي** الإيجابي.
- أن دعم المعلمين يؤثر بشكل مباشر في تحفيز دافعية الطلبة، وزيادة فرص المشاركة في الأنشطة المدرسية والاجتماعية، وتعزيز روح الانتماء للمدرسة وللجماعة.

2. التعقيب على الدراسات التي تناولت الإدمان على الإنترنت:

- **من حيث الهدف: تعددت أهداف الدراسات السابقة لتشمل:** كشف علاقة الشعور بالوحدة النفسية وإدمان الإنترنت، والتعرف على مستوى الإدمان على الإنترنت لدى طلبة الجامعة، وأثر استخدام الإنترنت على العلاقات الأسرية، وأثر الاستخدام المنزلي للإنترنت في التحصيل الدراسي لمستخدميه، واستقصاء أسباب ارتياد الطلبة المراهقين لمقاهي الإنترنت، وفحص كمية انتشار الإدمان على الإنترنت في عينه ممثله من طلبة جامعيين.
- **من حيث المنهج المستخدم:** اعتمدت الدراسات والبحوث السابقة على المنهج الوصفي.
- **من حيث العينة :** تنوعت عينة الدراسة حسب الفئة المطبق عليها حيث شملت الطلبة الجامعيين، وطلبة المدارس.
- **من حيث الأدوات:** تنوعت الأدوات في الدراسات، ولعل أغلبها استخدم مقياس الإدمان على الإنترنت، وبعضها استخدم الاستبيان، وبعضها استخدم المقابلة.
- **من حيث النتائج: بينت الدراسات السابقة عددا من النتائج أهمها:** وجود علاقة ارتباط موجبة بين الشعور بالوحدة النفسية وإدمان الإنترنت، وإن مستوى الإدمان على الإنترنت هو بمستوى متوسط، وأن سبب ارتياد مقاهي الإنترنت هو التسلية والترفيه من خلال الألعاب، وغرفة المحادثة، والتعارف، ومشاهدة الأفلام، وسيطرة الإنترنت والهواتف النقالة على وسائل التواصل لدى عينة الدراسة الأمر الذي جعلها بديلا للتفاعلات الاجتماعية المتعارف عليها.

3. أوجه الشبه والاختلاف بين الدراسات والبحوث السابقة والدراسة الحالية:

- تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في الدعم الاجتماعي.
- تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات التي تناولت الإدمان على الإنترنت.
- تتفق الدراسة الحالية في اتباع المنهج الوصفي.
- تختلف الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في الربط بين الدعم الاجتماعي والإدمان على الإنترنت.
- تختلف الدراسة الحالية في الفئة المستهدفة وهي المراهقين.

4. أوجه استفادة الدراسة الحالية من الدراسات والبحوث السابقة:

- إثراء محاور الدراسة في الإطار النظري.
- تحديد أداة الدراسة وأبعادها وفقراتها.
- اختيار الأساليب الإحصائية المناسبة.
- بناء فروض الدراسة.
- المقارنة العلمية بين نتائج الدراسة والدراسات السابقة وتفسير النتائج.

فروض الدراسة:

يمكن صياغة فروض الدراسة على النحو التالي:

1- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي المُدرك و إدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي.

2- يوجد تأثير لمتغير نوع الجنس (ذكور، إناث) في العلاقة بين الدعم الاجتماعي المُدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي.

منهج الدراسة وإجراءاته:

يتناول هذا الفصل منهجية الدراسة والإجراءات التي يتم استخدامها، حيث يعرض منهج الدراسة ومجتمع الدراسة الأصلي للعينة، والعينة الاستطلاعية والعينة النهائية للدراسة، كما يتم تناول أدوات الدراسة من حيث بنائها وتقنينها، وكذلك الخطوات الإجرائية والأساليب الإحصائية المستخدمة في معالجة البيانات.

١- **منهج الدراسة** : سوف تقوم الباحثة باستخدام المنهج الوصفي.

٢- **مجتمع الدراسة** : يتمثل مجتمع الدراسة من المراهقين في المجتمع السعودي من البنين والبنات.

٣- **عينة الدراسة** : سوف تكون عينة الدراسة من المراهقين الذين تكون أعمارهم اكبر من 13 سنة. وهم الطلاب والطالبات الذين يدرسون في المرحلة المتوسطة والثانوية بالمملكة العربية السعودية. حيث سيتم إرسال دعوة للمشاركة في الاستجابة على أدوات الدراسة للعينة من خلال رابط الكتروني، وسوف يتم تقييد المشاركة فيه بالنطاق العمري المُحدد.

والجدول التالي يبين توزيع عينة الدراسة حسب متغيراتها:

الجدول (1) توزيع العينة على المتغيرات

المتغير	أبعاد المتغير	العدد	النسبة المئوية
النوع الاجتماعي	ذكر	86	27.4%
	انثى	228	72.6%
العمر	من 13 الى	44	14%
	من 16 الى	65	20.7%
	19 سنة	205	65.3%
	المجموع	314	100%

٤ـ أدوات الدراسة:

أولا: مقياس الدعم الاجتماعي المُدرك:

لقياس الدعم الاجتماعي المُدرك، سوف تقوم الباحثة باستخدام مقياس الدعم الاجتماعي للمراهقين الذي طوره أبو غزال (2009) والمكون من (25) فقرة بحيث يجيب عنها الطلبة في ضوء مقياس ليكرت (Likert) خماسي التدريج (كبيرة جداً، كبيرة، متوسطة، قليلة، قليلة جداً) وقد توزعت الفقرات على ثلاثة أبعاد هي (دعم الوالدين، دعم المعلمين، دعم الزملاء) وتمثل هذه الأبعاد الفقرات الثلاثة: البعد الأول: دعم الوالدين، وتمثله الفقرات (1-10) البعد الثاني: دعم المعلمين، وتمثله (11-18) البعد الثالث : دعم الزملاء،

وتمثله الفقرات (19-25). ومن الأمثلة على فقرات المقياس: "يحبني والدي كما أنا- لدي أصدقاء حميمون يتفهموني فعلاً – يعاملني معلمي كإنسان له أهمية واعتبار- لدي أصدقاء حميمون يتفهموني فعلاً.

الخصائص السيكو مترية لمقياس الدعم الاجتماعي:

صدق البناء

تم التحقق من صدق البناء لمقياس الدعم الاجتماعي في الدراسة الحالية من تطبيق المقياس على أفراد من مجتمع الدراسة ومن خارج عينتها، ثم تم إيجاد معاملات الارتباط بين الفقرة والبعد، وكذلك بين الفقرة والدرجة الكلية للمقياس. والجدول رقم (2) يبين هذه النتائج:

الجدول (2)

معاملات الارتباط بين الفقرات والدرجة الكلية للبعد المنتمية له والدرجة الكلية لمقياس الدعم الاجتماعي

الابعاد	رقم الفقرة	الارتباط مع البعد	الارتباط مع الدرجة الكلية
الدعم الوالدي	1	.696	.633
	5	.838	.701
	8	.390	.432
	11	.677	.582
	15	.544	.465
	18	.770	.674
	21	.732	.684
	23	.503	.643
	24	.697	.525
	25	.710	.555
دعم الزملاء	2	.490	.344
	7	.698	.380
	10	.656	.308
	12	.449	482.
	14	.707	.313
	17	.791	.242
	20	.331	.446
دعم المعلمين	3	.624	.616
	4	.759	.602
	6	.597	.601
	9	.729	.583

الابعاد	رقم الفقرة	الارتباط مع البعد	الارتباط مع الدرجة الكلية
	13	.316	.382
	16	.592	.559
	19	.737	.647
	22	.708	.548

يبين الجدول (2) أن معاملات الارتباط بين الفقرة والبعد المنتمية له لبعد الدعم الوالدي تراوحت بين (0.390 و 0.838) ، وبين درجة الفقرة لبعد الدعم الوالدي و الدرجة الكلية للمقياس تراوحت بين (0.432 و 0.701)، و معاملات الارتباط بين الفقرة والبعد المنتمية له لبعد دعم الزملاء تراوحت بين (0.331 و 0.791) ، وبين درجة الفقرة لبعد دعم الزملاء و الدرجة الكلية للمقياس تراوحت بين (0.242 و 0.701)، و معاملات الارتباط بين الفقرة والبعد المنتمية له لبعد دعم المعلمين تراوحت بين (0.316 و 0.759) ، وبين درجة الفقرة لبعد دعم المعلمين و الدرجة الكلية للمقياس تراوحت بين (0.382 و 0.647)، وهي قيم مناسبة و تدل على صدق البناء لمقياس الدعم الاجتماعي.

ثبات مقياس الدعم الاجتماعي

للتحقق من ثبات مقياس الدعم الاجتماعي تم تطبيق المقياس على إفراد من مجتمع الدراسة و من خراج عينتها ،و تم التحقق من الثبات بطريقة الاتساق الداخلي باستخدام معادلة كرونباخ الفا، و الجدول التالي بين معاملات الثبات لمقياس الدعم الاجتماعي:

الجدول (3)

معاملات الثبات بطريقة الاتساق الداخلي باستخدام معادلة كرونباخ الفا لمقياس الدعم الاجتماعي

الرقم	الأبعاد	ثبات كرونباخ الفا
1	دعم والدي	0.902
2	دعم زملاء	0.833
3	دعم معلمين	0.870
	المقياس ككل	0.906

يبين الجدول (3) أن معامل الثبات المستخرج بطريقة الاتساق الداخلي باستخدام معادلة كرونباخ الفا لمقياس الدعم الاجتماعي بلغ للمقياس ككل (0.906)، في حين بلغ معامل الثبات لبعد الدعم الوالدي (0.902)، ولبعد دعم الزملاء (0.833)، ولبعد دعم المعلمين (0.870)، وهي قيم مناسبة، وتدل على الثبات بطريقة الاتساق الداخلي لمقياس الدعم الاجتماعي.

ثانيا: مقياس إدمان الإنترنت:

سوف تقوم الباحثة باستخدام مقياس مستوى إدمان استخدام الإنترنت من خلال استخدام المقياس التشخيصي لإدمان الإنترنت، والذي قام الراشد (2013) بتقنينه على عينة من المجتمع السعودي، وهو مأخوذ في صورته الأولية من مقياس كيمبيرلي يونج حيث يتضمن بنودا تقيس المشكلات التي تحدث نتيجة الاستخدام المفرط للإنترنت، ويتكون المقياس الراهن من (20) بند، موزع على أربعة أبعاد هي: المشاكل الناتجة، التحمل، النفي والإنكار. وللتأكد من مدي الكفاءة القياسية للأداة، قام الراشد (2013) بحساب معاملات الثبات للمقياس وذلك باستخراج معامل ألفا كرونباخ lph لكل بعد من الأبعاد الأربعة، وكذلك للدرجة الكلية للأبعاد مجتمعة على المقياس وكانت معاملات الثبات مقبولة حيث تراوحت من (70.0 الى 77.0.) كما حسب الثبات بطريقة التجزئة النصفية split hlf لبنود المقياس وكانت قيمة معامل الثبات 75.0 مما يؤكد أنه أداة مقبولة لقياس إدمان الإنترنت.

الخصائص السيكو مترية لمقياس إدمان الإنترنت:

صدق البناء

تم التحقق من صدق البناء لمقياس إدمان الإنترنت في الدراسة الحالية من تطبيق المقياس على أفراد من مجتمع الدراسة ومن خارج عينتها، ثم تم إيجاد معاملات الارتباط بين الفقرة والبعد، وكذلك بين الفقرة والدرجة الكلية للمقياس. والجدول رقم (4) يبين هذه النتائج:

الجدول (4)

معاملات الارتباط بين الفقرات والدرجة الكلية للبعد المنتمية له والدرجة الكلية لمقياس إدمان الإنترنت

الابعاد	رقم الفقرة	الارتباط مع البعد	الارتباط مع الدرجة الكلية
القهرية	7	.434	.489
	13	.638	.742
	14	.609	.594

الابعاد	رقم الفقرة	الارتباط مع البعد	الارتباط مع الدرجة الكلية
	16	.436	.543
	17	.545	.507
	18	.520	.399
	20	.509	.663
المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب	2	.759	.719
	3	.745	.729
	6	.682	.605
	8	.724	.683
	12	.596	.669
التحمل	1	.624	.623
	5	.378	.555
	11	.569	.753
	19	.608	.641
الأنكار أو النفي	4	.552	.609
	9	.602	.535
	10	.630	.665
	15	.545	.586

يبين الجدول (4) أن معاملات الارتباط بين الفقرة والبعد المنتمية له لبعد القهرية تراوحت بين (0.434 و 0.638) ، وبين درجة الفقرة لبعد القهرية و الدرجة الكلية للمقياس تراوحت بين (0.399 و 0.742)، و معاملات الارتباط بين الفقرة والبعد المنتمية له لبعد المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب تراوحت بين (0.596 و 0.759) ، وبين درجة الفقرة لبعد المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب و الدرجة الكلية للمقياس تراوحت بين (0.605 و 0.729)،

و معاملات الارتباط بين الفقرة والبعد المنتمية له لبعد التحمل تراوحت بين (0.378 و 0.624) ، وبين درجة الفقرة لبعد التحمل و الدرجة الكلية للمقياس تراوحت بين (0.555 و 0.753)،

و معاملات الارتباط بين الفقرة والبعد المنتمية له لبعد الأنكار أو النفي تراوحت بين (0.545 و 0.630) ، وبين درجة الفقرة لبعد الأنكار أو النفي و الدرجة الكلية للمقياس تراوحت بين (0.535 و 0.665)،وهي قيم مناسبة و تدل على صدق البناء لمقياس إدمان الإنترنت.

ثبات مقياس إدمان الإنترنت

للتحقق من ثبات مقياس إدمان الإنترنت تم تطبيق المقياس على إفراد من مجتمع الدراسة و من خارج عينتها ،و تم التحقق من الثبات بطريقة الاتساق الداخلي باستخدام معادلة كرونباخ الفا، و الجدول التالي بين معاملات الثبات لمقياس إدمان الإنترنت:

الجدول (5)

معاملات الثبات بطريقة الاتساق الداخلي باستخدام معادلة كرونباخ الفا لمقياس إدمان الإنترنت

الرقم	الأبعاد	ثبات كرونباخ الفا
1	القهرية	0.797
2	المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب	0.871
3	التحمل	0.746
4	الأنكار أو النفي	0.776
	المقياس ككل	0.932

يبين الجدول (5) أن معامل الثبات المستخرج بطريقة الاتساق الداخلي باستخدام معادلة كرونباخ الفا لمقياس إدمان الإنترنت بلغ للمقياس ككل (0.932)، في حين بلغ معامل الثبات لبعد القهرية (0.797)، ولبعد المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب (0.871)، ولبعد التحمل (0.746)، ولبعد الأنكار أو النفي (0.776) وهي قيم مناسبة، وتدل على الثبات بطريقة الاتساق الداخلي لمقياس إدمان الإنترنت.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

يتناول هذا الفصل نتائج البحث التي تم الحصول عليها باستخدام أدوات البحث بناء على التحليل الإحصائي، ووفقا لفرضيات البحث، وسيتم عرض النتائج ومناقشتها، كما يتضمن الفصل أبرز التوصيات التي قدمتها الباحثة في ضوء أهداف ونتائج الدراسة.

أولا: عرض وتفسيرالنتائج المتعلقة بالسؤال الرئيسي:

ما طبيعة العلاقة بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج معامل ارتباط بيرسون بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي والجدول التالي يبين هذه النتائج:

الجدول (6)

معامل ارتباط بيرسون بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي

		إدمان الإنترنت
الدعم الاجتماعي	معامل الارتباط	0.292-
	مستوى الدلالة	0
	العدد	314

**دال إحصائيا عند مستوى 0.01

يبين الجدول (6) إن طبيعة العلاقة بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي جاءت علاقة سلبية. حيث بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي (0.292-)، وهي قيمة سالبة ودالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01، أي انه يوجد علاقة ارتباطية بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي، ويدل الارتباط السالب على إن الزيادة في الدعم الاجتماعي يؤدي إلى نقصان إدمان الإنترنت لدى المراهقين، والنقصان في الدعم الاجتماعي يؤدي إلى زيادة إدمان الإنترنت لدى المراهقين.

ثانيا: النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي.

للإجابة عن هذه الفرضية تم استخراج معامل ارتباط بيرسون بين أبعاد الدعم الاجتماعي المدرك وأبعاد إدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي والجدول التالي يبين هذه النتائج:

الجدول (7)

معامل ارتباط بيرسون بين أبعاد الدعم الاجتماعي المدرك وأبعاد إدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي

		إدمان الإنترنت					
الدعم الاجتماعي		القهرية	المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب	التحمل	الأنكار أو النفي	المتوسط الكلي لإدمان الإنترنت
دعم والدي	معامل الارتباط	.173-	.344-	.254-	.240-	.290-
	مستوى الدلالة	.002	.000	.000	.000	.000
دعم زملاء	معامل الارتباط	.066-	.153-	.082-	.122-	.121-
	مستوى الدلالة	.245	.007	.145	.031	.032
دعم معلمين	معامل الارتباط	.163-	.314-	.256-	.198-	.267-
	مستوى الدلالة	.004	.000	.000	.000	.000
المتوسط الكلي للدعم	معامل الارتباط	.174-	.348-	.257-	.239-	.292-
	مستوى الدلالة	.002	.000	.000	.000	.000

**دال إحصائيا عند مستوى 0.01

يبين الجدول (7) إن قيمة معامل ارتباط بيرسون بين بعد الدعم الوالدي من مقياس الدعم الاجتماعي المدرك و أبعد إدمان الإنترنت (القهرية ، المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب، التحمل، الأنكار و النفي و المتوسط الكلي لإدمان الإنترنت) بلغت على الترتيب (0.173- ، 0.344-، 0.254-، 0.240-، 0.290-) وهي قيم سالبة و دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01، أي انه يوجد علاقة ارتباطية بين بعد الدعم الوالدي من مقياس الدعم الاجتماعي المدرك وجميع أبعاد مقياس إدمان الإنترنت والدرجة الكلية للمقياس لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي، أي إننا نقبل الفرضية التي تنص على " **توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي، لبعد الدعم الوالدي" و جاءت العلاقة سلبية.** ويدل الارتباط السالب على إن الزيادة في الدعم الوالدي يؤدي إلى نقصان إدمان الإنترنت لدى المراهقين، والنقصان في الدعم الوالدي يؤدي إلى زيادة إدمان الإنترنت لدى المراهقين لجميع الأبعاد.

ويبين الجدول (7) إن قيمة معامل ارتباط بيرسون بين بعد دعم الزملاء من مقياس الدعم الاجتماعي المدرك وأبعد إدمان الإنترنت (القهرية، المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب، التحمل، الأنكار والنفي والمتوسط الكلي لإدمان الإنترنت) بلغت على الترتيب (0.066-، 0.153-، 0.082-، 0.122-، 0.121-) وهي قيم سالبة ودالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01 لأبعاد (المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب والإنكار والنفي والمتوسط الكلي لمقياس الإدمان.) أي انه يوجد علاقة ارتباطية بين بعد دعم المعلمين من مقياس الدعم الاجتماعي المدرك أبعاد (المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب والإنكار والنفي والدرجة الكلية للمقياس) وعدم وجود علاقة ارتباطية بين بعدي (القهرية و التحمل) لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي، أي إننا نقبل الفرضية التي تنص على " **توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي، لبعد دعم المعلمين وبين أبعاد المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب والإنكار والنفي و المتوسط الكلي لمقياس الإدمان " و جاءت العلاقة سلبية.**

ويدل الارتباط السالب على إن الزيادة في دعم المعلمين يؤدي إلى نقصان إدمان الإنترنت في أبعاد المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب والإنكار والنفي والمتوسط الكلي لمقياس الإدمان لدى المراهقين، والنقصان في دعم المعلمين يؤدي إلى زيادة إدمان الإنترنت لدى المراهقين لجميع الأبعاد.

ويبين الجدول (7) إن قيمة معامل ارتباط بيرسون بين بعد دعم المعلمين من مقياس الدعم الاجتماعي المدرك وأبعد إدمان الإنترنت (القهرية، المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب، التحمل، الأنكار والنفي والمتوسط الكلي لإدمان الإنترنت) بلغت على الترتيب (0.163-، 0.314-، 0.256-، 0.198-، 0.267-) وهي قيم سالبة ودالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01،

أي انه يوجد علاقة ارتباطية بين بعد دعم المعلمين من مقياس الدعم الاجتماعي المدرك وجميع أبعاد مقياس إدمان الإنترنت والدرجة الكلية للمقياس لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي، أي إننا نقبل الفرضية التي تنص على " **توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي، لبعد دعم المعلمين" وجاءت العلاقة سلبية.**

ويدل الارتباط السالب على إن الزيادة في دعم المعلمين يؤدي إلى نقصان إدمان الإنترنت لدى المراهقين، والنقصان في دعم المعلمين يؤدي إلى زيادة إدمان الإنترنت لدى المراهقين لجميع الأبعاد.

ويبين الجدول (7) إن قيمة معامل ارتباط بيرسون بين الدرجة الكلية لمقياس الدعم الاجتماعي المدرك و أبعد إدمان الإنترنت (القهرية ، المشاكل المرتبطة باستخدام الحاسوب، التحمل، الأنكار و النفي و المتوسط الكلي لإدمان الإنترنت) بلغت على الترتيب (-0.174 ، -0.348، -0.257، -0.239، -0.292) وهي قيم سالبة و دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01، أي انه يوجد علاقة ارتباطية بين الدرجة الكلية لمقياس الدعم الاجتماعي المدرك وجميع أبعاد مقياس إدمان الإنترنت والدرجة الكلية للمقياس لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي، أي إننا نقبل الفرضية التي تنص على " **توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي، " و جاءت العلاقة سلبية.** ويدل الارتباط السالب على إن الزيادة في الدعم الاجتماعي المدرك يؤدي إلى نقصان إدمان الإنترنت لدى المراهقين، والنقصان في الدعم الاجتماعي المدرك يؤدي إلى زيادة إدمان الإنترنت لدى المراهقين لجميع الأبعاد.

ثالثا: النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية: يوجد تأثير لمتغير نوع الجنس (ذكور، اناث) في العلاقة بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي.

للإجابة عن هذه الفرضية تم استخراج معامل ارتباط بيرسون بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي والجدول التالي يبين هذه النتائج:

الجدول (8)

معامل ارتباط بيرسون بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت بين الذكور والاناث

		إدمان الإنترنت	
		ذكور	اناث
الدعم الاجتماعي	معامل الارتباط	-.337	-.279
	مستوى الدلالة	0.002	0
	العدد	86	228

****دال إحصائيا عند مستوى 0.01**

يبين الجدول (8) إن قيمة معامل ارتباط بيرسون بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى الذكور في المجتمع السعودي بلغت (-0.337)، ولدى الإناث بلغت (-0.279) وهي قيم دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01،

ولمعرفة تأثير الذكور والإناث على العلاقة بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت نستخدم مربع معامل الارتباط حيث بلغ التأثير (التباين المفسر) لعينة الذكور (0.114)، أي أن تأثير عينة الذكور بلغت (11.4%). وبلغ التأثير (التباين المفسر) لعينة الإناث (0.078)، أي أن تأثير عينة الإناث بلغت (7.8%). ولمعرفة حجم الأثر للعلاقة بين عينة الذكور وعينة الإناث تم إجراء اختبار كوهين Cohen's q لحجم الأثر، حيث بلغت قيمة Cohen's q (0.064)، وهي قيم تدل على عدم وجود أثر بين معامل الارتباط بين الذكور والإناث.

ولمعرفة دلالة الفروق في العلاقة بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي بين الذكور و الإناث، تم استخدام اختبار (ز فيشر Z fesher) والجدول التالي يبين هذه النتائج:

الجدول (9)

اختبار (ز فيشر Z fesher) بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت بين الذكور والاناث

الجنس	قيمة معامل الارتباط	العدد	قيمة z الفشرية	p-value
ذكر	-0.337	86	-0.499	0.309
انثى	-0.279	228		
المجموع		314		

يبين الجدول (9) إن قيمة "ز" فيشر بلغت (-0.499)، وهي قيمة غير دالة عند مستوى الدلالة 0.05، أي انه لا توجد فروق في العلاقة الارتباطية بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت بين الذكور والإناث.

هدفت مناقشة وتفسير نتائج الدراسة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين الدعم الاجتماعي المدرك، وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي ويتمثل ذلك من خلال التالي:

مناقشة نتائج السؤال عن ماهية **طبيعة العلاقة بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي؟**

لقد أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباطية سالبة ذات دلالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين (بنين وبنات) في المجتمع السعودي، ويدل الارتباط السالب على أن الزيادة في الدعم الاجتماعي يؤدي إلى نقصان إدمان الإنترنت لدى المراهقين، والنقصان في الدعم الاجتماعي يؤدي إلى زيادة إدمان الإنترنت لدى المراهقين.

وترى الباحثة أن هذه النتيجة منطقية، ويمكن تبريرها من خلال أن الدعم والمساندة الاجتماعية للطلاب والطالبات المراهقين التي تسهم في بناء علاقات اجتماعية، ومهارات اجتماعية تقلل من مستوى الانعزال والوحدة،

والشعور بالقلق والاكتئاب مما يساعد في التقليل من الإدمان على الإنترنت؛ حيث أن الإدمان هو نوع من الهروب من واقع فيه الضغوط والقلق والاكتئاب إلى واقع آخر افتراضي الأمر الذي لا يتطلب الخروج من البيت، وهو نوع من الهروب من البيت بطريقة انطوائية، وهو وسيلة ورغبة في الخروج من الواقع والحصول على أمور تشعره بنوع من الرضا والسعادة، حيث فيه إشغال لوقته، وهروب من عدم المقدرة على مواجهة ضغوطات الحياة.

كما أن الدعم الاجتماعي المُدرك يؤدي دوراً أساسياً في حياة الأفراد وعلاقته الشخصية بالآخرين. ويتمثل الدور النمائي في أن الأفراد الذين لديهم علاقات اجتماعية متبادلة مع الآخرين يدركون أن هذه العلاقات تسير بهم في اتجاه السواء، ويكونون أفضل في الصحة النفسية مع الآخرين الذين يفتقدون لمثل هذه العلاقات.

أما الدور الأساسي الأخر فهو دور وقائي يتمثل في المساعدة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد من خلال الجماعات التي ينتمي إليها كالأسرة، والأصدقاء، والزملاء التي تقوم بدور كبير في خفض الآثار السلبية للمشكلات والاضطرابات النفسية والسلوكية.

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة الحطاب والعتوم(2015) التي بينت وجود أثر للدعم الاجتماعي لدى طلاب المرحلة الأساسية العليا على مستوى الإدمان على الإنترنت؛ وأنه كلما زاد الدعم الاجتماعي يقل مستوى الإدمان على الإنترنت وهو ما يتفق مع نتيجة دراسة إبراهيم(2015) التي بينت وجود علاقة عكسية بين الدعم الاجتماعي للعائلة، والأصدقاء، والمؤسسات الاجتماعية وبين مستوى الإدمان على الفيسبوك.

كما تتفق هذه الدراسة مع نتيجة دراسة عامر(2011) التي بينت وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المساندة الاجتماعية والإدمان على الإنترنت لدى طلبة المرحلة الأساسية، والثانوية، والجامعية.

وتتفق أيضا مع نتيجة دراسة كريج (Craig,2002) التي بينت وجود علاقة ارتباطية بين مستوى الدعم الاجتماعي، وعلاقته بالإدمان على الإنترنت لدى طلاب وطالبات الصفوف من (9- 12).

مناقشة وتفسير النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي.

أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي، في بُعد دعم الوالدين، وبُعد دعم المعلمين، وبُعد دعم الزملاء وجاءت العلاقة سلبية.

وترى الباحثة أن هذه النتيجة منطقية؛ فالدعم والمساندة الاجتماعية التي يتلقاها المراهقون من الوالدين: كالحب، والتقدير، والافتخار بهم، والتعامل معهم بلطف، ومساعدتهم في الإجابة عن الأسئلة التي تحيرهم، والحديث عنهم بإعجاب أمام الآخرين، جميعها تعد عناصر مهمة تقلل من مستوى الإدمان على الإنترنت، واستخدامه دون إدمان لأن ما يبحث عنه المراهقون من العاطفة والحب وغيرها؛ يوفره لهم الوالدان الأمر الذي يساعد في زيادة مستوى ثقتهم بأنفسهم وزيادة دافعيتهم للتعايش مع الضغوط.

وهذا يتفق مع نتيجة دراسة كيمهى، وايشيل، وزايزبيرج وهانتمان (Kimhi , Eshel , Zyserg &Hntmn, 2010 التي أشارت إلى أن التماسك الأسري بين أفراد الأسرة يؤدي دوراً مهماً في مستوى تأثير الدعم الاجتماعي المقدم إلى الطالب الذي يعاني من مشكلات نفسية.

كما أن المعلمين يساهمون في الدعم الاجتماعي للمراهقين الطلاب والطالبات بأساليب عديدة تعزز المساندة والدعم الاجتماعي من الوالدين، من خلال التعرف على الأسباب التي تجعلهم متضايقين، والمساعدة في حل المشاكل التي تواجههم، وتقديم العديد من النصائح التعليمية والاجتماعية المفيدة فضلاً عن معاملة الطلاب بعدالة وهو ما يساعد في التخفيف من الإدمان على الإنترنت. وهذا التفسير يتفق مع دراسة (Virtue etal, 2015) التي بينت أن الدعم الاجتماعي الذي يقدمه المعلمون يؤثر في مستوى دافعية الطلبة، وزيادة فرص المشاركة في الأنشطة المدرسية والاجتماعية، وروح الانتماء للجماعة.

بالإضافة إلى ذلك نجد إن الزملاء يلعبون دورا كبيرا لا يقل عن دور الوالدين، والمعلمين في التخفيف أو منع الإدمان على الإنترنت، ويكون ذلك من خلال اهتمام الطلاب بكل ما يقوله الطالب، ومبادلة الطلاب لبعضهم بالحب، والاهتمام، والتقدير. ومما لا شك فيه بأن هذه المرحلة للمراهقين تتميز بخصائص نفسية، واجتماعية تحتاج بصورة كبيرة إلى المساندة والدعم الاجتماعي من كل المحيطين بهم، من الأسرة، والمدرسة، والأصدقاء.

وهذا يتفق مع نتيجة دراسة بيه، الكوبو، مارتيا، شيا، وبتوسك (Yeh , Okuo , Mrte , She & Pituc 2008) التي بينت أن الدعم الاجتماعي المقدم الأصدقاء والمدرسة كانا عاملين مهمين في مستوى التفاعل الاجتماعي لدى الطلبة.

ولقد أشارت بعض الدراسات أن من أهم الأسباب التي يُمكن أن تقود إلى الوقوع في إدمان الإنترنت هي: الضعف في كيفية التعامل مع الضغوط الحياتية اليومية، والضعف في مواجهة المشكلات، وكذلك الضعف في شغل وقت الفراغ بهوايات متنوعة، وأيضا الضعف في إقامة علاقات اجتماعية جيدة بسبب الخجل أو الانطواء على النفس، والشعور بالخواء النفسي، والوحدة (هاني، 2012).

وهذا ما توصلت إليه بعض الدراسات في الصين وأمريكا وتركيا، التي اقترحت أهمية الدعم الاجتماعي للأفراد في توجيه استخدام الإنترنت والمساعدة المؤثرة في تجنب المراهق لإدمان الإنترنت (Zhng et l., 2018; Gunuc, & Dogn, 2013)وهوما أشارت إليه دراسة إبراهيم (2004) بوجود علاقة ارتباطية بين الإدمان على الإنترنت وبين الشعور بالوحدة النفسية. كما تتفق مع نتائج دراسة جو(Guo, 2017) التي بينت أن الدعم الاجتماعي له دور كبير ومهم في السلوك الإيجابي لدى الطلبة، وفي مستوى الثقة بين الأشخاص.

مناقشة وتفسير النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية: يوجد تأثير لمتغير نوع الجنس (ذكور، إناث) في العلاقة بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي.

وقد أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود تأثير لمتغير نوع الجنس (ذكور، إناث) في العلاقة بين الدعم الاجتماعي المدرك وإدمان الإنترنت لدى عينة من المراهقين في المجتمع السعودي. وهذا يعني أن الدعم الاجتماعي المقدم للمراهقين الذكور أو الإناث يسهم في الحد والتخفيف من الإدمان على الإنترنت على حد سواء. وترى الباحثة أن هذه النتيجة منطقية، ويمكن تبريرها من خلال أن البيئة التي يعيش فيها المراهقين بالمدارس المتوسطة والثانوية - عينة الدراسة - هي بيئة اجتماعية واحدة تقريبا من حيث الثقافة الاجتماعية، والبيئة المحافظة، وعدم الانفتاح الثقافي الواسع. فالعلاقة بين المراهقين وآبائهم متقاربة ولا يفرقون بين الذكور والإناث وبالتالي لم تظهر فروق تعزى لمتغير الجنس.

ثم إن الدعم الاجتماعي في أصله يراعي الفروق بين الذكور والإناث ويتناسب مع طبيعتهم النفسية والاجتماعية والدينية. حيث يسهم الدعم الاجتماعي في البناء النفسي والعاطفي لدى المراهق ويزيد من ثقته بنفسه وفي أسرته، ومدرسته، وزملائه ويزيد من مستوى الدافعية لديهم. وهذا كله يعمل على التقليل من الرغبة في استخدام الإنترنت مما يعني التخلص من الإدمان أو الوقوع فيه. ولم تجد الباحثة دراسة سابقة تناولت هذه العلاقة لمقارنتها مع الدراسة الحالية.

التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة توصي الباحثة بالآتي:

- إجراء المزيد من الدراسات حول الإدمان على الإنترنت لدى فئات مختلفة من المجتمع السعودي وربطها بمتغيرات أخرى غير الدعم الاجتماعي.
- عمل دورات تدريبية متخصصة لمعلمي المدارس حول كيفية تقديم الدعم الاجتماعي لدى مدمني الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بالمملكة العربية السعودية.
- عمل ندوات متخصصة لأولياء أمور الطلبة حول أهمية الدعم الاجتماعي في الحد من الإدمان لدى الطلبة بشكل عام، والإدمان على الإنترنت بشكل خاص.
- إجراء دراسة حول الأسباب المؤدية إلى الإدمان على الإنترنت لدى طلبة المدارس أو الجامعات.
- تنمية مهارات الدعم الاجتماعي لدى الطلبة المراهقين بما يسهم في تنمية الثقة بالنفس لديهم، والتخفيف من الإدمان على الإنترنت.

المراجع:

المراجع العربية:

- أبو غزالة، سميرة علي جعفر. (2010). فاعلية برنامج للإرشاد بالواقع في خفض حدة إدمان الإنترنت ورفع تقدير الات لدى طلاب الجامعة. مجلة الإرشاد النفسي، مركز الارشاد النفسي، كلية التربية، جامعة عين شمس، مصر (25) ص (61).
- أحمد، نهلة أمين. (2010). إدمان الإنترنت وآثاره الجسدية والنفسية. مجلة الحرية النفسية.(8)، مسترجع من www.efttody.com بتاريخ 3/15/ 2013م.
- أسعد، أحمد عبد اللطيف والغرير، أحمد. (٢٠٠٩). التعامل مع الضغوط النفسية. ط ١، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله. فلسطين.

أنطوني غيدنز : علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط04، سنة 2009، ص 526.

- بطرس، حافظ بطرس(2005): المساندة الاجتماعية وأثرها في خفض حدة الضغوط النفسية للأطفال المتفوقين عقلياً ذوي صعوبات القراءة.- المؤتمر السنوي الثاني عشر للإرشاد النفسي، الارشاد النفسي من اجل التنمية في عصر المعلومات، المجلد الأول (جامعة عين شمس).
- الحيلة، محمد محمود (2000) أثر الاستخدام المنزلي للإنترنت في التحصيل الدراسي لمستخدميه. المجلة العربية ، تونس، 20 (2)، ص 150 – 169.
- الحضيف، 2018، إدمان الإنترنت وعلاقته ببعض الاضطرابات النفسية لدى تلاميذ التعليم الثانوي،
- الخروف، الاء داود، (2012) دور الدعم الاجتماعي المدرك من الأسرة والأصدقاء في الصلابة النفسية لدى طلبة جامعة اليرموك.
- الخالدي، جاجان(2008). دور الإسناد الاجتماعي في تدعيم الصحة النفسية للمراهقين. مجلة الآداب، جامعة الموصل. 10(1)، 15-30.
- الدليمي، عبدالرزاق محمد(2011) الإعلام الجديد والصحافة الإلكترونية.(ط1): دار الفكر وائل للنشر. عمان.
- الربابعة، حمزة(2017)، مصادر الدعم المعرفي الاجتماعي والوقاية من المخدرات، مجلة الدراسات التربوية والنفسية، جامعة السلطان قابوس، 11(3) 594-616.
- الرشيدي، فاطمة سحاب، (2018)، مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، مجلد (4،) العدد (2 / 2018 | 142)
- الرشيدي، فاطمة سحاب، (2018) الدعم الاجتماعي المدرك لدى طلبة كلية التربية في جامعة القصيم في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية.
- الراشد، سعد بن عبدالله(2013) إدمان الإنترنت لدى طلاب الجامعة في المملكة العربية السعودية دراسة اختبارية للاستبيان التشخيصي لـ كيمبيرلي يونج، مجلة جامعة الشارقة.
- الزيدي، أمل علي(2014). إدمان الإنترنت وعلاقته بالتواصل الاجتماعي والتحصيل الدراسي لدى طلبة جامعة نزوى.
- الزغبي، كري، (2019) الدعم الاجتماعي المُدرك وعلاقته بالإكتئاب، مجلة جامعة تشرين. الآداب والعلوم الإنسانية المجلد(41)العدد(5).
- السلطان، ابتسام (2009). المساندة الاجتماعية وأحداث الحياة الضاغطة. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- السلطان، عبد الله صالح(2016)، إدمان شبكات التواصل الاجتماعي وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحافظة الإحساء، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك عبدالعزيز،2015.
- السعيدين، فريال سالم. (2018) الإدمان على الإنترنت وعلاقته بإدارة الوقت والتوافق الدراسي لدى طلبة المرحلة الثانوية بمحافظة العقبة، جامعة مؤته.
- الشناوي، محمد محروس، ومحمد السيد عبد الرحمن(1994): المساندة الاجتماعية والصحة النفسية، مراجعة نظرية ودراسات تطبيقية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- الشناوي، محمد وعبد الرحمن، محمد السيد (1998). العلاج السلوكي. القاهرة: دار قباء للنشر.

- الصبان، عبير (2003). المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالضغوط النفسية والاضطرابات السيكوسوماتية لدى عينة من النساء السعوديات المتزوجات العاملات في مدينتي مكة المكرمة وجدة. رسالة دكتوراة (غير منشورة). كلية التربية للبنات، جدة: قسم الفلسفة في علم النفس.
- القبس. (2010). إدمان الإنترنت يزيد فرص إيذاء النفس، السنة 39، (13312) 20 يونيو، ص 43.
- العتيبي، بندر (2008). اتخاذ القرار وعلاقته بكل من فاعلية الذات والمساندة الاجتماعية لدى عينة من المرشدين بمحافظة الطائف، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم القرى، السعودية.
- العتيبي، رسمية. (2015). المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالاكتئاب وتقدير الذات وبعض المتغيرات لدى المطلقات في مدينة الرياض. المجلة التربوية الدولية المتخصصة، 11(4)، ص259-276.
- العمر، خليل(2009) علم الاجتماع الانحراف.(ط1) دار الشروق للنشر والتوزيع. عمان.
- العويضي، الهام فريج. (2004) أثر استخدام الإنترنت على العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للاقتصاد المنزلي والتربية الفنية، جدة
- الغامدي، صالح يحيى (2020)، مستويات إدمان الإنترنت وعلاقتها ببعض المتغيرات لدى طلاب وطالبات الدراسات العليا في جامعة تبوك للعلوم الإنسانية والاجتماعية. مجلة جامعة تبوك للعلوم الإنسانية والاجتماعية.
- المصدر تقديرات أولية في منتصف العام (2019) مبنية من واقع نتائج المسح الديموغرافي 2016م مسح الخصائص السكانية 2018 - الهيئة العامة للإحصاء.
- المقروض، زين العابدين. (2019)، إدمان الإنترنت وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلاب التعليم الثانوي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية/ جامعة بابل.
- الهاشمي، محمد الهاشم(2004) تكنولوجيا وسائل الاتصال الجماهيري. (ط1): دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان.
- الهلول، إسماعيل والمحيسن، عون(2013) المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالرضا عن الحياة والصلابة النفسية لدى المرأة الفلسطينية فاقدة الزوج، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد 27(11).
- بدرانه، ليلى(2012). مصادر الدعم الاجتماعي وعلاقتها باسلوك التنمري لدى المراهقين. (رسالة ماجستير) جامعة عمان، كلية العلوم التربوية والنفسية.
- بو بعاية، سمية (2016). (الإدمان على الإنترنت وعلاقته بظهور اضطراب النوم لدى عينة من الشباب الجامعي: دراسة ميدانية بجامعة محمد بو ضياف بالمسلية)، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة محمد بوضياف بالمسلية.
- جلال، خالد أحمد، ومحمد، السعيد عبد الصالحين (2005، أكتوبر) تأثير استخدام المفرط للإنترنت على بعض المتغيرات الشخصية لدى طلاب جامعة المينا، المجلة المصرية للدراسات النفسية،15 (19)، 406.
- جاد، محمد عبد المطلب، (2006). بعض الأساليب المعرفية لدى مدمني الإنترنت دراسة تفاعلية على عينة من طلاب كلية التربية النوعية. مجلة التربية المعاصرة، السنة 23، (73)ص 5-8.
- حداد، عفاف والزيتاوي، عبد الله(2008). العلاقة بين الدعم الاجتماعي والاكتئاب لدى طلبة جامعة اليرموك في ضوء بعض المتغيرات. المنارة. 8 (3). 9-35.

- حسين، عليا وعباس، ماجدة (2014)، المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى طالبات المرحلة الرابعة، مجلة العلوم الرياضية، 7(6)، 124-114.
- حمد، أمل كاظم(2019)، إدمان الأطفال والمراهقين على الإنترنت وعلاقته بالانحراف، جامعة بغداد/كلية التربية-ابن الهيثم، قسم التربية وعلم النفس. العدد (19).
- حمودة سليمة: الإدمان على الإنترنت: اضطراب العصر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعي، جامعة قاصدي مرباح، العدد21، ص 221.
- حواشين، مفيد نجيب (2018). التعبير الانفعالي والدعم الاجتماعي المُدرك وعلاقتهما بالإدمان على الفيسبوك. جامعة عمان الأهلية-الأردن-عمان.
- خواجا، ماجد عبد العزيز. (2003) الآثار الاجتماعية لانتشار الإنترنت على الشباب، جامعة الملك عبد العزيز، كلية المعلمين بحافظة جدة، المملكة العربية السعودية
- خميسه، قتون. (2006) الدعم الاجتماعي المدرك وعلاقته بالاكتئاب لدى المصابين بالأمراض الإنتانية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر.
- راضي، (2020) اضطراب إدمان الإنترنت وعلاقته بالعزلة الاجتماعية لدى طلبة الجامعة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ مركز البحوث النفسية. مجلة كلية التربية. جامعة واسط.
- سامية ابراهيم (2014). الشعور بالوحدة النفسية وعلاقتها بإدمان الإنترنت لدى طلبة جامعة أم البواقي في الجزائر. مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية)، المجلد 28 (10)، ص 2309-2340.
- صقر، ايمانة(2001). النموذج السلبي للعلاقة بين ضغوط احداث الحياة والمساندة الاجتماعية وأساليب مواجهة الضغوط والاكتئاب لدى طلاب الجامعة، رسالة ماجستير (غير منشورة). جامعة الزقازيق، كلية التربية.
- علي، علي عبدالسلام(2005). المساندة الاجتماعية وتطبيقاتها العملية في حياتنا اليومية. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ومكتبة النهضة العربية، ومكتبة الأنجلو المصرية ومكتبة زهراء الشرق.
- عطون، إخلاص (2018). الضغط النفسي وعلاقته بالدعم الاجتماعي لدى مرضى سرطان الثدي. (رسالة ماجستير) جامعة القدس- فلسطين.
- عبد المجيد، همت حسن. (2006). الاتصال عبر الإنترنت وعلاقته ببعض المهارات الاجتماعية لدى طلاب المرحلة الناثوية، دراسات طفولة يناير، جامعة الزقازيق
- فخري، أحمد، (2008) الإدمان على الإنترنت.. ملاحظات. جامعة عين شمس، مسترجع من www.hythfs.com بتاريخ 2013/10/2م.
- فيلالي، كنزة(2016) الإدمان على الإنترنت وعلاقته بالعزلة الاجتماعية لدى المراهق. جامعة العربي بن مهيدي*ام البواقي* كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.
- كياس، عبد الرشيد (2018). إدمان الإنترنت: بعض العوامل والنتائج. جامعة سطيف 2. العدد السادس جوان2018.
- معيجل، سهام مطشر. (2011). الإدمان على الإنترنت وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة. مجلة جامعة الآنبار للعلوم النفسية، (4)، كانون الأول، جامعة بغداد: مركز الدراسات التربوية والأبحاث النفسية .

- هاني، أحمد فخري. (2009). الاستخدامات التربوية للإنترنت وأهم معوقاتها. جمهورية مصر العربية، المنصورة: المكتبة العصرية.

Reference:

Nelson, P. . (1989). Socil support, self-esteem, nd depression in the institutionlized elderly. Issues in Mentl Helth Nursing, 10(1), 65-68.

Coyne, j. & Downey, G. (1991): Socil fctors nd psychology: stress, socil; support nd coping processes nnul review of psychology, vol. (35), 139-212.

uunk, . p., & Hoorens, V. (1992). Socil Support nd Stress: The Role of Socil Comprison nd Socil Exchnge Processes. ritish Journl of Clinicl Psychology, 31 (4), 445-457.

Young K.S.(1996).Internet ddiction :the emergence of new clinicl disorder. Pper presented t the 104 th meeting of the mericn Psychologicl.

.Jo nn M.(2001). Computer-Medited Communiction, Socil Skills nd loneliness

ville www.llcdemic.com. 17/2/2013

Scherer, K ostJ.(2002) Internet Use Pterns. Pper presented t the 10 nnul Convention of the .mericn Psychologicl ssocition, Chicgo, Iinois

Hrdy, M. (2004): Life eyond the Screen: Emodiment nd identity through the internet, The Sociologicl Reviews, Vol. 50, No. 4, pp. 570- 585

Gross, E. (2004). dolescent internet use: wht we expect, wht teens report? Journl of pplied Developmentl Psychology, (25), 633 – 649.

Rchel, K. (2007). n ttriutionl nlysis of Predicted socil support towrds Women with lung cncer in comprison to women with rest Cncer, United Sttes, Pro Quest In formtion nd Lerning Compny.

Zhng, Y. (2007) Development nd vlidtion of n internet use ttitude scle, Vol. 49, Computers & Eduction Journl, No. 49, pp. 243-253.

Hurre, T; Eerol, M; Rohlconen, O nd ro, H (2007). Does Socil Support ffect the Reltionship etween Socio economic Sttus nd Depression? Longitudinl Study from dolescence to dulthood. Journl of ffective Disorders. 199(1/3), 55-64.

Mdell, D.E, Muncer, S.J. (2007). Control over socil interctions: n importnt reson for young people use of the internet nd moile phone for communictions? V.10, N.1, P.P.137-40

Yeh, C., Okuo, Y.; Mrte, P. She, M., Pituc S. (2008). Chinese Immigrnt High School Students Culturl Interctions, cculturtion, Fmily Oligtions, Lnguge use nd Socil Support. dolescence, 43(172), 775-790.

Siyez, D (2008). dolescents, self-Esteem, prolem ehviors nd perceived socil support in Turkey. Socil ehvior nd personlity, 36(7),973-984.

Cheung, C (2010). Gender Differences in Devint Friends' influence on Children's cdemic Self- Esteem. Children& Youth Services Review, 32 (12), 1750-1757.

Kimhi, S; Eshel, Y, Zyserg, L; nd Hntmn, S (2010). Sense of Dnger nd Fmily Support s Meditors of dolescents' Distress nd Recovery. Journl of Loss nd Trum, 15: 351-369.

Tuncy ys (2010) Reltion etween Depression, Loneliness, Self-Esteem nd Internt ddiction, .Eduction, 133(3), 283-290

Min-Pei Lin, M. S., Hue-Chen Kop, P. D., nd Jo Yung-Wei Wu, M. . (2011), Prevlence nd Psychosocil Risk Fctors ssocited with Internet ddiction in Ntionlly Representtive Smple College Students in Tiwn. Cyersychology, ehvior, n Socil Networking, (14), Numer 12,2011.

Kong, F, Zho, J& you, x . (2012). Emotionl intelligence nd life stisfction in chinese university students: The mediting role of self – esteem nd socil support personlity nd individul differences, 35(8),1039-1043.

Gunuc,S. & Dogn, . (2013). The impct of perceived socil support on students' pthologicl internet use: The mediting effect of perceived personl discrimintion nd moderting effect of emotionl intelligence. Computers in Humn ehvior, 29 (6), 2197-2207.

Chen, L., Wng, L., Qiu, X. H., Yng, X. X., Qio, Z. X., Yng, Y. J., & Ling, Y. (2013). Depression mong Chinese university students: Prevlence nd socio-demogrphic correltes. PloS one, 8(3),

Wng, X., Ci, L., Q, J., & Peng, J., S. (2014). Socil support modertes stress effects on depression. Interntionl Jornl of Mentl Helth Systems, 41(8).

Guo, Yun(2017). The Influence of socil support on the prosiclly ehvior of college students: The Mediting Effect sed on Interpersonl Trust. English Lnguge Teching: 10(12), 158-163.

Zhng, S., Tin, Y., Sui, Y., Zhng, D., Shi, J., & Wng, P. et l. (2018). Reltionships etween socil support, loneliness, nd internet ddiction in Chinese postsecondry students: longitudinl cross-lgged nlysis. Frontiers in Psychology, 9(1707), 1-13. https://doi.org/10.3389/fpsyg.2018.01707

lsuie, M. M., Stin, H. J., Wester, L. . D., & Wdmn, R. (2019). The role of sources of socil support on depression nd qulity of life for university students, Interntionl Journl of dolescence nd Youth, DOI: 10.1080/02673843.2019.1568887

Kimerly S. Young: Internet ddiction, Symptoms, Evlution nd Tretment. Op. cit, p04.

Kimerly S. Young: Internet ddiction, Symptoms, Evlution nd Tretment. Op. cit, p05.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.19.4

المجلة الدولية لنشر البحوث
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار التاسع عشر
تأريخ الإصدار: 20 مايو 2021م

ترجمة معاني القرآن بين التشدد العنصري والمغالطات المغرضة

Translation of the meaning of the Qoran between racial segregation and fallacious inaccuracies

إعداد الباحث/ اجديرة يَس
طالب باحث في سلك الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية
E-mail : gyassine@hotmail.com
Tel. 0032 493165659

ملخص:

لقد دخلت الإنسانية بحمد الله في الإسلام بالملايين منذ أن بزغت شمسه في جزيرة العرب وتنزلت كلمات الله عز وجل على رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام برسالة سمحة، فياضة بكل المكارم والخيرات على كل الأقوام والشعوب في كل أرجاء الأرض مهما اختلفت أشكالهم وألوانهم وحضاراتهم وثقافاتهم وكذلك لغاتهم.

لقد أظهرت كل الدراسات الحديثة المبنية على أدق التقنيات العلمية أن كل بني البشر سواسية، فلا فضل ولا فروق بينهم الا بالتقوى وأن أصلهم واحد يعود إلى أبوينا آدم وحواء، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم: " يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " سورة النساء، 1. فكُذِّبت بالتالي كل النظريات والأفكار التي كانت تقر بعدم تساوي الأعراق وبأفضلية بعضها على بعض وصدق الله العظيم ورسوله عليه أفضل الصلوات. قال ربنا جل جلاله في سورة آل عمران، الآية 64: " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"، فمن أجل تبليغ رسالة الله عز وجل ودعوة البشرية برمتها، باختلاف أديانها، السماوية منها وغيرها، الى هدى الله جل وعلا، اتفق علماء الإسلام على جواز ترجمة معاني القرآن، بل وبوجوبها حتى تعم منافعه على كل ذوي البصائر النَّيِّرة ويحق القول على ذوي القلوب العمياء، وكذلك من أجل حماية كتاب الله تبارك وتعالى من الترجمات المُغرضة لأعداء الدين الحنيف الذين يتربصون بنا الدوائر. لهذا أصبحنا ملزمين بالتدقيق في ترجماتنا وبتوحيد جهودنا في ترجمة معاني القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: ترجمة، معاني القرآن، العنصرية، التمييز اللغوي، الاستشراق.

المجلة الدولية لنشر البحوث
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار التاسع عشر
تأريخ الإصدار: 20 مايو 2021م

Translation of the meaning of the Qoran between racial segregation and fallacious inaccuracies

Abstract

Humanity has entered Islam in millions since its sun began on the island of Arabia. Allah's words have come down on his Holy Messenger with a message of indulgence. All recent studies have shown that all human beings are equal.

There are no differences between them and that they have one origin in Adam and Eve's parents, as Allah stated in his wise book:" O humanity! Be mindful of your Lord Who created you from a single soul, and from it He created its mate,1 and through both He spread countless men and women. And be mindful of Allah—in Whose Name you appeal to one another—and ˹honour˺ family ties. Surely Allah is ever Watchful over you". Women (An-Nissa')1. So all the theories and ideas that recognized the inequality of races and the preference for each other fell, and the truth came from Allah and his messenger. " Say, ˹O Prophet,˺ "O People of the Book! Let us come to common terms: that we will worship none but Allah, associate none with Him, nor take one another as lords instead of Allah." But if they turn away, then say, "Bear witness that we have submitted ˹to Allah alone˺." " Family of Imran (Ali ' Imran) 64. In order to convey God's message and to call upon all mankind, in all its religions, divine and other religions, to the right path, Islamic scholars have agreed that the meaning of the Koran may and must be translated for the benefits of the Koran. That is why we are obliged to scrutinize our translations and to unite our efforts in translating the meaning of the Holy Koran.

Keywords: Translation, meaning of the Koran, racism, linguistic discrimination, orientalism

ـمقدمة:

قال الله ﷻ في كتابه الكريم: "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" سورة ص، الآية 29. الإسلام انتشر بمشيئة الله بانتشار رسالته السمحة في كل ربوع العالم حيث يختلف الناس عن أهل جزيرة العرب، مكان نزول الرسالة الإلهية على محمد ابن عبد الله ﷺ، في الشكل واللون، والحضارة، والثقافة واللغة. واستقبل المسلمون الجدد الإسلام والقرآن والحكمة النبوية بصدر رحب لأنهم وجدوا فيهم السبيل الأوحد للخروج من ويلات الجاهلية وعتمة الظلمات الى نور الله ﷻ طاعة له وطمعا في الفوز العظيم والخلد في جنات النعيم. لكن لو رجعنا الى الآية الافتتاحية و"تدبرنا" قول الله ﷻ ستتبادر الى أذهاننا وبطريقة تلقائية أسئلة قد تحير البعض، ولكن بالتدبر والتفكر سنجيب عليها بإذن الله ﷻ: كيف دخلت الإنسانية في الإسلام بالملايين، عبر التاريخ ومنذ بزوغ شمس الإسلام، على تنوع لغاتها واختلافها عن لغة القرآن؟ هل الدعوة الى الله ﷻ كانت تتم بلغات الشعوب الأخرى، فتُرجمت بالتالي معاني القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ من العربية الى هاته اللغات منذ بدايات انتشار الرسالة أم أن كل من أراد اعتناق الدين الحنيف، أو حتى مجرد التعرف عليه، كان يتعلم العربية، فأصبح بذلك تعلمها واجبا وجوب الشهادة أو الصلاة؟ كيف للمسلمين الجدد أن يتدبروا القرآن في لغة أجنبية عن لغتهم الأم؟

العقل الإنساني هو عبارة عن وعاء يحتوي على عدة معلومات وتفسيرات وتصنيفات للأشياء المحيطة بنا، يستخدم عدة أساليب توجه طُرق تفكيرنا وإدراكنا للأمور. وهذا الفرز الذي يتكون لدينا يوفّر لنا المخزون الفكري الذي نحتاجه للتعامل مع هذا الوسط الذي نعيش فيه، ويمكننا من تحليل كل المعلومات التي تستقبلها أدمغتنا عبر كل فترات حياتنا. فنحن بالتأكيد نرى الآخر من خلال إطار مرهون بتجاربنا الملموسة بالإضافة للمعلومات التي نستقيها عنه وتتم مقاسمتها من طرف الأفراد المكونين للمجتمع الذي ننتمي إليه أو الغرباء عنه، أو من خلال ما نقرأه ونسمعه أو ما نتعلمه في المدارس والجامعات، وكل هذا يعطينا نظريات مختلفة عن الوسط المحيط بنا وما يحتوي عليه. وتبدأ الأفكار التي تتكون لدينا في سلك مسار سيء حين نبدأ في التعامل مع الآخر أو المجتمع الآخر بثقافته ولغته وموروثه الحضاري بصورة سلبية، حسب الكيفية التي تريد بها عقولنا بطبيعتها تقسيم عالمنا الى تفرعات ثنائية، وهذه الثنائيات تتمثل جليا في لغتنا: "أنا" و"الآخر" أو "أنا" ضد "الآخر". إذن فباستطاعتنا الجزم بأن للتفرقة العنصرية أثر عميق على اللغة، كما أنّ اللغة تلعب دورًا حاسمًا في بثها، أيْ أنّ علاقتهما هي علاقة قطبين مختلفين ولكن تجمعهما مساحة من التشارك. وهذا يعني أنّ دراسة التمييز والتفرقة والأفكار المسبقة لا تكتمل إلا بالنظر في اللغة ودورها وآثارها، إذ لا يمكن لأحد فهم ثقافة أو مجتمع ما دون المرور بدور اللغة فيهما وبالتالي في تكوُّن الأفكار المُسبقة عند الأفراد والجماعات. لأن اللغة، فضلا عن كونها طرفا في الهوية الشخصية، سواء الفردية أو الجماعية، فهي ليست فقط وسيلة لنقل الأفكار الإنسانية فحسب، بل هي أيضًا جزء لا يتجزأ من نظام المعلومات الذي يجعل المعطيات تتكون لدينا.

لقد تطورت العنصرية والأفكار العرقية مع ازدياد عدد بني البشر على وجه الكرة الأرضية وتَفَرُّقهم في سائر نواحيها وتحول حالاتهم الفيزيولوجية في اللون والشكل وخصوصا في اختلافهم في كل ما يتعلق بالثقافات واللغات والآثار الحضارية. والعنصرية، كفكرة فقط، هي نابعة من العقل البشري، إذن فلمواجهتها وجب على الإنسانية إيجاد الحل لكل أنواع التمييز والتفرقة بين أعضائها في المعالجة النفسية لتلك الأوهام الناتجة عن مجموعة من النظريات الواهية، التي تكونت عبر تاريخ بني آدم، المتحدثة عن اختلاف العناصر البشرية وتَفَوُّق عرق على عرق أو أعراق على أخرى. قال تعالى: " قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ "، سورة البقرة، الآية، 263،

وقال رب العزة أيضا: " وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)"، سورة آل عمران، الآية 104، وقد أتى في لسان العرب لابن منظور أن: "العرف والعارفة والمعروف واحد: ضد النكر، وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتبسأ به وتطمئن إليه" (ابن منظور، 1997). فالعنصرية ناتجة بالأساس عن الخوف من الغريب النكر، ذلك الشخص الذي نجهله فلا تطمئن إليه قلوبنا، فتتكون بذلك لدى الإنسان ردة فعل سلبية اتجاه كل من نجهله بدل طلب معرفته بطريقة سلمية إيجابية بالدعوة الى الخير والأمر بالمعروف. ألم يقل الله ﷻ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ". سورة الحجرات، الآية 13. لهذا فالعنصرية ليست محصورة على العرق أو اللون أو الدين، بل هي تتجلى في التحيز الثقافي واللغوي أيضا من خلال كل تعبيراتهما وفي مختلف مجالاتهما. حيث، بما أن اللغة هي محور هذه الدراسة، يمكننا القول أنّها تلعب دورًا حاسمًا في التعامل العنصري بالتأثير على جميع أشكال العلاقات السلمية بين بني الإنسان.

ـ أهمية البحث:

- قال الله ﷻ في مُحكم كتابه: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (2) كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (4) وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُون(5) " سورة فصلت، الآيات 1-5. قد يتحدث البعض عن عربية القرآن فيضعها موضع الخطاب الإلهي جاعلا منها لغة مقدسة غير قابلة للترجمة الى لغات العالم حيث لا يمكن أن يتم فهم القرآن إلا بها ومنها وأن كل ترجمة، ولو كانت لمعاني القرآن فقط، إنما هي تطاول وتجرُّؤ على آيات الله ﷻ معللا تأويله بهذه الآيات الكريمة. رغم أننا نعلم أن المُخاطبين فيها هم كفار قريش، حيث جاء في تفسير القرطبي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ" ... قِيلَ: إِنَّ أَبَا جَهْلٍ اسْتَغْشَى عَلَى رَأْسِهِ ثَوْبًا وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ. اسْتِهْزَاءٌ مِنْهُ. حَكَاهُ النَّقَّاشُ وَذَكَرَهُ الْقُشَيْرِيُّ. فالحجاب هنا الثَّوْبُ. "فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ" أَيِ اعْمَلْ فِي هَلَاكِنَا فَإِنَّا عَامِلُونَ فِي هَلَاكِكَ، قَالَهُ الْكَلْبِيُّ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: اعْمَلْ لِإِلَهِكَ الَّذِي أَرْسَلَكَ، فَإِنَّا نَعْمَلُ لِآلِهَتِنَا الَّتِي نَعْبُدُهَا. وَقِيلَ: اعْمَلْ بِمَا يَقْتَضِيهِ دِينُكَ، فَإِنَّا عَامِلُونَ بِمَا يَقْتَضِيهِ دِينُنَا. وَيَحْتَمِلُ خَامِسًا: فَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ فَإِنَّا نَعْمَلُ لِدُنْيَانَا، ذكره الماوردي." ويمكن كذلك أن نقرأ في سورة الشورى، الآية 7: " وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ" أي أن القرآن لم يُنَزَّل فقط من أجل العرب الذين يحسنون العربية، بل الى كل من هم حول أم القرى من أعاجم في كل أنحاء الأرض. وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة، حيث سنحاول الإجابة على كل التساؤلات التي بإمكانها أن تبرهن على أن القرآن عربي اللغة، ذو أسلوب ونظم معجز، أي نعم، ولكن من الواجب ترجمة معانيه من أجل تبليغ الرسالة لأكبر عدد من الناس في مشارق الأرض ومغاربها: " *فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ*"، سورة الحجر، الآية 94، جاء تفسير هذه الآية في الميسر — مجمع الملك فهد:" فاجهر بدعوة الحق التي أمرك الله بها، ولا تبال بالمشركين، فقد برَّأك الله ممّا يقولون."

ـ أهداف البحث:

1- من المؤكد أن ما يهمنا من خلال كتابة هذا البحث هو تقديم منظور علمي في ميدان الترجمة وخصوصا الترجمة الدينية والتركيز على مجهود ترجمة معاني القرآن الكريم.

2- حيث، في البداية وبما أن ميدان الترجمة مرتبط بشكل وطيد بالعلاقات الاجتماعية الإنسانية، سنحاول تقديم تحليل للمشاكل المتصلة بالتعامل البشري على مستوى الثقافات واللغات، وكيف أن رفض الآخر والتعامل السلبي الناجم عنه يمكن أن يؤدي بالإنسانية الى عواقب غير محمودة.

3- وسنركز على أهم الجوانب التاريخية التي أثرت على الانغلاق الذي عرفته الثقافة العربية والإسلامية المنبثقة عنها، بتخصيص الجزء الأكبر والأهم للغة العربية، لغة القرآن. وسيتم ذلك بطريقة تدريجية لربطه بعد ذلك بمشاكل ترجمة المعاني القرآنية في حد ذاتها والحلول المقترحة لها من أجل الباحثين والمترجمين.

4- سنحاول ربط كلية عرض البحث بتوصيات في الموضوع، مؤكدين على وجوب ترسيخ وتوحيد كل مشاريع ترجمة القرآن الكريم وإرسائها على قواعد وأسس علمية محضة مع احترامها للمعايير الإسلامية في ترجمة الخطاب الإلهي المحفوظ بإذن الله ﷻ.

5- ثم سنسلط الضوء على ضرورة دعم سبل انفتاح كل مجهود في الترجمة القرآنية على الإنجازات العلمية والتكنولوجية التي يعرفها ميدان الترجمة بشكل خاص في ظل كل وسائل المعرفة الحديثة التي أتت بها ظروف العولمة وانكماش العالم الى قرية صغيرة.

قال الله ﷻ في القرآن الكريم: " إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" سورة البقرة، الآية 23، وهنا يخاطب الله ﷻ قريشا، وهم أهل فصاحة وبلاغة وبراعة في العربية، فيقول لهم أنهم على علمهم بلغتهم إن ارتابوا في معجزة القرآن الذي تَنَزَّل على محمد رسول الله ﷺ فليأتوا ولو بسورة مثله، لكنهم عجزوا عن ذلك الأمر، فكان ذلك حجة على نبوة محمد ﷺ وبرهانا على معجزة القرآن، الذي هو كلام الله ﷻ والذي لم يتقوله ولم يختلقه رسوله الكريم ﷺ، لقريش ولكل الناس أجمعين في كل الأزمنة والأماكن. ولكن وراء هذا الريب المُبدد بإعجاز كلام الله ﷻ تتوارى مشكلة هذه الدراسة: أنَّى لنا أن نترجم الخطاب الإلهي إذا قبلنا بمُسَلَّمة أن الترجمة هي ليست إلا مجهودا بشريا، مُعَرَّضاً للخطأ بطبيعته، يعتمد على إعادة صياغة النص المترجم في لغة القارئ المُستَقْبِل؟ إذن فهذا المجهود يتطلب نوعا من الإبداع، بينما نحن نتكلم عن نص مُنَزَّل من الله ﷻ ومُنَزَّه من كل خطأ، لا يقبل أي تبديل أو تغيير. هذا وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه، في خطبة الجمعة: "*خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة*". وأسند النسائي بإسناد حسن: "*وكل ضلالة في النار*"، وقال أيضا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: "*إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة*"، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: "*من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد*" وقال عليه الصلاة والسلام: "*من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد*" أخرجه مسلم في صحيحه.

قال الله ﷻ في سورة يوسف، الآية 2: "*إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*" وقد أتى في تفسير الميسر ـــ مجمع الملك فهد: "إنا أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب؛ لعلكم -أيها العرب- تعقلون معانيه وتفهمونها، وتعملون بهديه." إذن فالقرآن نزل بلغة العرب على العرب ليعقلوه ويتدبروه،

ولكن ألم يأت فيه أيضا؟ "لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا " وهذه الآية إن دلت على شيء فهي بالتأكيد تدل على أن هذا القرآن نزل على الرسول الكريم ﷺ لكيلا يبقى حصرا على العرب وأن يُنشر كلامه ورسالته في كل بقاع العالم.

1- العنصرية والوحدة الكلية البشرية:

لقد أصبح مفهوم العُنصر البشري والعِرْق في منظور العلوم الحديثة وخصوصا علم الجينات، مفهوما متجاوزا مجردا من أي ثوابت أو أسس علمية. حيث أمكن اليوم استنادا الى أحدث الاكتشافات في علم الجينات ومن خلال قراءة الجينوم البشري أن يُبْطَل مبدأ التقسيم العرقي وأن يُثْبَت ببراهين وحجج لا تقبل النقاش أنه لا وجود إلا لعنصر بشري واحد يجمع كافة البشر وأن النظريات التي كانت تقر بتعدد الأعراق بل وبتفوق بعضها على البعض هي واهية، قال الله ﷻ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"، سورة الحجرات، آية 13.

لقد تعايش الإنسان منذ القدم مع مفاهيم العنصرية والعرقية المسخرة أساسا من طرف إيديولوجيات قومية تعزز ثقافة الهوية والانتماء عند الأفراد والجماعات لتبرير الانتهاكات من جرائم وإبادات. لكن إذا درسنا عن قرب كل هذه التجاوزات الدرامية التي عرفها تاريخ البشرية لوجدنا أن هدفها الرئيس كان (ولم يزل) هو استعباد الجماعات المغلوبة والاستيلاء على الثروات، لأن "*المال عصب الحرب*"[1] كما يقول المثل.

أما من وجهة نظر الدين، فالديانات السماوية كلها لم تختلف حول تعريف الجنس البشري الذي يرتكز على مبدأ انتساب البشرية جمعاء الى آدم وحواء. قال ﷻ:"

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا "، سورة النساء، آية 1. وفي الكتاب المقدس، العهد القديم: "*7 وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفسا حية... 21 فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق، وفيما هو نائم أخذ إحدى أضلاعه وسد مكانها بلحم. 22 وبنى الرب الإله امرأة من الضلع التي أخذها من آدم فجاء بها الى آدم.*"، سفر التكوين إصحاح 2: 7-21-22.

وهذه الفكرة بحكم تعريفها تؤيد المنظور العلمي الحديث، وتؤكد الأصل الإنساني الواحد الذي يجب على البشرية أن تلتف حوله. روى أبو هريرة في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ قال: " النَّاسُ بنو آدمَ، وآدمُ خُلِق من ترابٍ"، أخرجه الترمذي، فهذه النقطة المشتركة بين العلم الحديث والدين تستبعد كل الفروقات المبنية على الانتماء الإثني، الشكلي أو حتى الثقافي واللساني، لأن الثقافات واللغات على اختلافها وتوزيعها في أركان الأرض تبقى متساوية، فمن غير المعقول أن أرجح كفة لغة أو ثقافة ما على أخرى مستذرعا برؤية ما أو ذو ق لأنها حصيلة عملية ذاتية يصعب، بل يستحيل، إثباتها علميا.

1 "المال عصب الحياة": مثل لاتيني "Pecunia est nervus belli" يعود للخطيب الروماني سيسيرون، يعني أن المال هو الدافع الأساس للحروب. قياسا، يستعمل هذا المثل للتعليق على كل مشكل أصله وحله ماليّان.

1-1 التفوق العرقي:

لقد بدأت المبادئ الفلسفية التي تنادي بعدم التساوي بين الجماعات البشرية تنتشر مع مطلع عصر النهضة الأوروبي، كمبدأ تعدد الأصول[2] الذي نفى انحدار الجنس البشري من أصل زوج واحد وتبنى فكرة وجود أصول متعددة للإنسان ومن تم زعم بأن تعدد الأجداد تولد عنه تنوع، بل وفوارق بين الجماعات البشرية.

في سنة 1859 نشر عالم الطبيعة الإنجليزي تشارلز داروين كتابه الشهير "*أصل الأنواع*"[3] حيث وضع تصوره لمفهوم تطور الكائنات الحية حسب التغييرات العشوائية التي تطرأ من جيل لآخر من أجل التلاؤم مع المحيط الطبيعي. ولم يكتف داروين بتطبيق نظريته على الحيوانات غير الناطقة بل أكد أن منظوره ينطبق على الإنسان كذلك بحكم انتسابه أساسا لجنس الحيوان قبل كل شيء. هذه الدراسة أحدثت ثورة علمية بعد نشرها ونتجت عنها بطبيعة الحال مقاطعة وشرخ عظيم مع الفكر الديني الذي يداول ويؤيد عقيدة آدم وحواء كأول أسلاف للبشر.

وفي نفس القرن أخذ بعض علماء الطبيعة والبيولوجيا وكذلك بعض علماء النفس على عاتقهم مهمة تصنيف وترتيب "الأعراق" البشرية هرميا حسب معطيات لون البشرة، ملمس الشعر وحجم الجمجمة، الذي يعطي فكرة، على حد زعمهم، على درجة الذكاء عند الجنس المدروس. ومن هنا تم الإقرار بدونية أعراق مقارنة بأخرى وطبعا تم وضع الإنسان الأبيض البشرة، الجنس الآري، في قمة هذا الترتيب الهرمي وتم اعتبار عرقه كأصل للإنسانية وأن كل الأعراق الأخرى باختلاف ألوانها وأشكالها ما هي إلا تحولات فيزيولوجية جاءت نتيجة لفعل عوامل الزمن والتنقلات البشرية عبر أنحاء الأرض.

من فكرة التفوق العنصري انبثقت في بعض الأوساط العلمية فكرة أفظع تتبنى على ضرورة تجويد الجنس البشري بتطهيره من العناصر التي تعتبر دونية ومتخلفة. الفرنسي آرتور دو جوبينو ألف كتابا في هذا السياق ونشره سنة 1853 تحت عنوان "*مقال حول عدم المساواة بين الأجناس البشرية*" [4] أكد فيه على تفوق الجنس الآري (الهند-أوروبي) وضرورة الخضوع لمفهوم الانتقاء الطبيعي لمجموعات بشرية أقوى على حساب من هي أضعف. هذه الدراسة ودراسات أخرى تلتها كان لها تأثير كبير على أنصار النظريات العنصرية في أوروبا عامة وفي ألمانيا بشكل خاص حيث ألهمت مُنَظِّرِي وزعماء مذهب القومية-الاشتراكية والفكر الفاشي والنازي.

بالتالي فالملاحظ هو أنه انطلاقا من أفكار ودراسات قد تبدو هينة في الوهلة الأولى تطورت التأويلات والتعليلات ليبدأ البعض في المطالبة بنقاء وصفاء عرق ما على حساب الآخرين،

---

2 تعدد الأصول: (polygénisme) بمعنى أن البشر لا ينحدرون من نفس الأصل. استخدمت هذه النظرية كمقدمة لنظرية تراتبية الفصائل البشرية لتبرير الإساءات التي كان يقترفها المستعمرون الأوروبيون ضد السكان المحليين.

3 داروين، تشارلز.، (2004). ترجمة مجدي محمود المليجي. أصل الأنواع، نشأة الأنواع الحية عن طريق الانتقاء الطبيعي أو الاحتفاظ بالأعراق المفضلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة. القاهرة، مصر: المجلس الأعلى للثقافة،

4 مقال حول عدم المساواة بين الأجناس البشرية:

Comte de Gobineau J.-A., 2015, Essai sur l'inégalité des races humaines, Crissier, Suisse : FB Editions

فتخرج تلك المطالبة من وراء ستار البحث العلمي الى الجهل المقنع لتتمأسس وتظهر للعالم في صورة درامية، صورة وصمة لا زالت تلطخ تاريخ بعض الأفراد والجماعات وجرح غائر لا يلتئم في جسد آخرين: نظام مبني على الانتماء العرقي وحكم العنصرية.

2- الميز اللغوي:

2-1 القومية العربية:

لقد ابتدأ وعي العرب بانتمائهم لما يشبه كتلة واحدة، أي كجماعة مختلفة عن غيرها، قبل ظهور الإسلام. حيث ظهر هذا الوعي بضرورة الوحدة ردا على محاولات الغزو التي كانت تأتي من الجيران المباشرين لجزيرة العرب: الروم البيزنطيون في الشمال والغرب، الفرس الساسانيون شرقا والأحباش جنوبا. لكن مع بزوغ شمس الإسلام حلت وحدة الدين محل أي فكرة أخرى لتنجح في لم شمل العرب والعجم باختلاف ألوانهم وألسنتهم وثقافاتهم، قال الله ﷻ في كتابه الكريم:" *وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)*"، سورة الأنفال، الآيات 62-63. وقد جاء في تفسير الطبري: " *حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن إبراهيم الخوزيّ، عن الوليد بن أبي مغيث، عن مجاهد قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا غُفِر لهما. قال قلت لمجاهد: بمصافحةٍ يُغفر لهما؟ فقال مجاهد: أما سمعته يقول: (لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم)؟ فقال الوليد لمجاهد: أنت أعلم مني*".

لكن "القومية" العربية بالمعنى الحديث للاصطلاح، أي الشعور بالانتماء للعنصر العربي المبني أساسا على الوحدة اللغوية وضرورة جعله رابطا أساسا بين الشعوب العربية لم تولد الا في القرن التاسع عشر. حيث جاءت هذه الولادة كردة فعل على تدهور حال الإمبراطورية العثمانية وأحوال بلاد الإسلام، أو ما كان يطلق عليه أنداك "الأمة الإسلامية"، الخاضعة لحكم السلطان، أمير المؤمنين. بحيث أن الدين الإسلامي، بشكل عام، كان هو المقياس الأساس في التقسيم السياسي والمحدد الرئيس للانتماء الجماعي.

بداية كانت مطالب القوميين مُقتصرة على بلاد الشام ومحصورة في الإصلاح داخل مُكونات الدولة العثمانية، والمُناداة باعتماد اللغة العربية في التعليم والإدارات المحلية. ثم تكاثرت بعد ذلك المشاعر القومية تزامنا مع انهيار قوة السلطان والإمبراطورية العثمانية في بدايات القرن العشرين وازدياد أطماع الدول العظمى في احتلال المنطقة العربية بتأجيج نيران الكره للأتراك في أنفس العرب. وقد ظهر العديد من المفكرين والكتاب العرب الذين تبنوا نظرة المُنَظِّرين الغربيين للقومية وبدأوا يبشرون بميلاد المُقومات الأولى للقومية العربية في العالم العربي. نجيب عازوري كان من بين هؤلاء الرواد في كتابه "يقظة الأمة العربية"[5]، الذي كتبه لسبب ما باللغة الفرنسية، والذي دعا فيه إلى تحدث عنها المفكرون القوميون الغربيون مثل أرنست رينان في كتابه الشهير "ما هي الأمة؟"[6] الذي وجد أنداك انفصال العرب عن سلطة العثمانيين وتأسيس دولة عربية خاصة بهم،

5 يقظة الأمة العربية:

Azoury Negib, Le réveil de la nation arabe, Kessinger Publishing, 2009.

6 ماهي الأمة:

Renan Ernest, Qu'est-ce qu'une nation ? République des Lettres, 2012.

لأنه اعتبر أن للعرب كل مقومات الأمة التي صدى كبيرا لدى الطلاب والمفكرين العرب وأثر على أفكارهم بالغ التأثير، خاصة أن رينان، اعتبر أن اللغة والثقافة هما المكونتين الرئيستين لمفهوم القومية.

وقد كان للإنجليز دور مهم في دعم بدايات القومية العربية لكسر شوكة الدولة الإسلامية وتكريس فكرة "فرق تسد"، حيث قاموا من خلال توماس إدوارد لورنس، الجاسوس البريطاني الذي اشتهر بانخراطه في حياة العرب وعُرف بلقب "لورنس العرب"، بتحريض الشريف حسين على القيام بثورة عربية ضد العثمانيين. فتم النصر للقبائل الموالية لفيصل ابن الشريف حسين. لكن رغم ذلك فشلت القومية العربية في إقامة المملكة العربية المبتغاة بقيادة الملك فيصل الأول، وفي المقابل تم لبريطانيا وحلفائها مرادهم ونجحوا في تمزيق أمة الإسلام الى دويلات تعتبر محيطها الجغرافي وطنا وتزعم بأن لها خصائصها الثقافية التي تنفرد بها وتذود عنها.

2-2 الصحوة الإسلامية:

هذا المقال هو عبارة عن محاولة لكشف "النقاب"، إن صح القول ودون اللعب على الكلمات، عن نوع من أنواع العنصرية الذي لا يقل خطورة عن الأنواع الأخرى، لأنه، أولا، موجود منذ زمن طويل، ثانيا، لأنه يقرن في كثير من الأحيان بالمقدس والعقيدة، مما يضفي عليه نوعا من التأصيل الديني الذي لا يقبل النقد والمناقشة عند المتدينين، المتشددين منهم على وجه الخصوص. فالدين له خصوصية تجعل أنه يجذبنا الى المركز فيفقدنا هويتنا الإنسانية الاجتماعية التي تجعلنا نشع الى الخارج، فنفقد بالتالي المعرفة السببية ومن تم نفقد قدرتنا في الحكم على الأشياء بطريقة عقلانية. لأن الدين أو الديانات باختلافها واختلافاتها جاءت حصريا من أجل الإنسان القابل للمعرفة، معرفة الله من خلال معرفة خلقه. الله سبحانه وتعالى في حكمته العظيمة،

وهنا أختص بالذكر أهل الكتب السماوية بصفة عامة، أراد من الإنسان أن يتفكر وأن يطلب المعرفة من أجل الوصول الى الحقيقة. واللغة بحكم تعريفها هي الوسيلة الوحيدة لنقل المعرفة، " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ"، سورة الروم، آية 22. إذن فاختلافات بني البشر هي آية من آيات الله ﷻ التي تتطلب التدبر والتفكر من أجل المعرفة وهي موجهة للناس أجمعين باختلاف انتماءاتهم "إن في ذلك لآيات للعالمين".

بعد فشل القومية العربية في سد الفراغ الوحدوي الذي أنتجه سقوط الدولة الدينية والشتات الذي أصاب "الأمة الإسلامية"، ظهرت في مجتمعاتنا تجليات الغياب الديني في سياسة أمور الناس، نظرا للتجاذبات الجيوستراتيجية المتولدة عن الحرب الباردة بين المعسكر الشيوعي السوفيتي والمعسكر الرأسمالي الغربي وأيضا كنتيجة حتمية للهزائم المتوالية التي لحقت بالجيوش العربية على يد جُوَيْشِ الكيان الصهيوني.

ابتداء من سبعينيات القرن الماضي، وبشكل أقوى عن ما مضى، ارتبط مصطلح "الصحوة الإسلامية" بكل أنواع "إعادة أسلمة" المجتمع العربي من طرف الأحزاب والمنظمات ذات المرجعية الإسلامية والتي تمارس الإسلام السياسي، سواء تلك التي تزاول نشاطاتها علنا والمصرح لها من طرف السلطات أو تلك المحظورة والتي ما فتئت تشتغل في ظلام اللاشرعية؛ رغم أنه يمكن الجزم بأن السلطات الممثلة غالبا في حكومات تتبنى الفكر القومي العلماني العربي (البعثية والناصرية، والقذافية) كانت دائما حذرة اتجاه الأولى وكانت تشن حربا شعواء على الثانية،

نظرا للخطاب والنهج السياسيين اللذان كانت تعتمدهما تلك التنظيمات، حيث أنه في غياب مرجعية إسلامية حكومية ذات مصداقية وفشل الحكومات في تقديم بديل عن ما كان ينظر إليه كأمجاد الماضي الإسلامي، أصبح المجتمع في أغلبية خطيرة يشعر رويدا رويدا بالانتماء لهذا الفكر المُحدث. فلاحظنا الظهور المكثف لحركات يمكننا تسميتها "بالإسلامَوِيَّة"، لممارستها إغراء إيديولوجيا على الجماهير المتعطشة لبديل للقومية العَلمانية. وقد جاء ذلك من خلال العمل السياسي بطريقة غير واضحة المعالم أي بدون برنامج سياسي يبين نواياها المستقبلية العملية اتجاه الأمة. والهدف الأول لهذه التنظيمات، كما يمكن أن يستوضح عنه أي باحث في الشأن السياسي العربي، هو تعبئة الجماهير من أجل خدمة مصالحها. "الإسلاموية" تعني الشعبوية التي تتخذ من الدين الإسلامي ذريعة لخطابها السياسي النَّزيء وترفع شعار: "الإسلام هو الحل" لتخاطب بطريقة تضليلية معاناة الشعوب، وفي نفس الوقت فهي تتخذ من الدين حجة لمواجهة خصومها واستبعاد كل من لا يناصر أفكارها من ساحة الحل السياسي، بل هناك من يمضي أبعد من ذلك – وهم للأسف ليسوا بقلة داخل هذا التوجه- فيضع المنافس والمناهض و المناوئ في سلة واحدة بتكفير كل من يرفض أفكارهم. قال الله ﷻ : " إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" سورة الأنعام، الآية: 159، وقد جاء تفسيرها في الميسر — مجمع الملك فهد: *"إن الذين فَرَّقوا دينهم بعد ما كانوا مجتمعين على توحيد الله والعمل بشرعه، فأصبحوا فِرَقًا وأحزابًا، إنك -أيها الرسول- بريء منهم، إنما حكمهم إلى الله تعالى، ثم يخبرهم بأعمالهم، فيجازي من تاب منهم وأحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته."*

فالملاحظ أن واقع الحال منذ ظهور هذه "الصحوة" مليء في الحقيقة بما يناقض هذا المصطلح، لأن تعدد المذاهب والطوائف والفرق بين شيعة وسنة وصوفية وسلفية وتكفيرية وإخوان وقاعديين وداعشيين، إلخ.. جعل منها مرادفا لفتنة شاملة أبطلت مبادئ الوحدة التي تدعو لها، في ظاهر الأمر.

لقد لمسنا عند مناصري هذه الصحوة نظرة لا تقل دونية وتحقيرا للآخر عن مثلائهم الموالين لأفكار القومية والعرقية، نظرة استعلاء للثقافة بشكل عام وللثقافات واللغات "الأعجمية" بشكل خاص، رغم أن أغلب من يدينون بالإسلام في أنحاء الأرض، من رفعوا راية هذا الدين في عنان السماء ودافعوا عنها بأموالهم وأنفسهم وأعطوا المثل الحسن لكل من أراد أن يعتنقه، كانوا ولا يزالون من العجم. بل يمكن القول إن هذه الحركة الصَّحَوِية في تكريسها لعقلية الإقصاء والانفراد بالرأي ورفض الآخر وإن كان من نفس العقيدة، أتت بقراءة جديدة للدين من خلال تقديس اللغة العربية اعتباطا واعتبارها بدون علة جائزة أول لغة تكلم بها سيدنا آدم وأنها لغة الآخرة، أي لغة الحساب ولغة أهل الجنة. روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: *"أنا عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي"*. قال الألباني في السلسلة الضعيفة رقم 161: موضوع.

وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: بماذا يخاطب الناس يوم البعث؟ وهل يخاطبهم الله تعالى بلسان العرب؟ وهل صح أن لسان أهل النار الفارسية وأن لسان أهل الجنة العربية؟

فأجاب: " الحمد لله رب العالمين لا يُعلم بأي لغة يتكلم الناس يومئذ، ولا بأي لغة يسمعون خطاب الرب جل وعلا؛ لأن الله تعالى لم يخبرنا بشيء من ذلك ولا رسوله عليه الصلاة والسلام، ولم يصح أن الفارسية لغة الجهنميين، ولا أن العربية لغة أهل النعيم الأبدي، ولا نعلم نزاعا في ذلك بين الصحابة رضي الله عنهم، بل كلهم يكفون عن ذلك لأن الكلام في مثل هذا من فضول القول... ولكن حدث في ذلك خلاف بين المتأخرين، فقال ناس: يتخاطبون بالعربية، وقال آخرون: إلا أهل النار فإنهم يجيبون بالفارسية، وهي لغتهم في النار. وقال آخرون: يتخاطبون بالسريانية لأنها لغة آدم وعنها تفرعت اللغات.

وقال آخرون: إلا أهل الجنة فإنهم يتكلمون بالعربية. وكل هذه الأقوال لا حجة لأربابها لا من طريق عقلٍ ولا نقل بل هي دعاوى عارية عن الأدلة والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم "، (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 299/4، 1995)

3-2 الميز اللغوي وتبليغ الرسالة:

الميز بين الناس في اللغة هو ظاهرة تجلت منذ القدم، وخير مثال على ذلك الخطاب الديني التوراتي الذي جسد هذا النوع من العنصرية من خلال رواية البلبلة التي تصور تنوع ألسنة البشر كانتقام إلهي منهم لخوفه منهم، والعياذ بالله من هذا الوصف، وتضفي نوعا من القدسية على اللغة الموحدة:

"1) وكان لأهل الأرض كلّها لغةٌ واحدة وكلام واحد.2) فلمّا رحلوا من المشرق وجدوا بقعةً في سهل شِنْعار، فأقاموا هناك.3) وقال بعضهم لبعض: تعالوا نصنع لِبْنًا ونشويه شيّا، فكان لهم اللِّبْن بدل الحجارة والتراب الأحمر بدل الطين. 4) وقالوا: تعالوا نَبْنِ لنا مدينة وبرجًا رأسُه في السماء. ونُقِمْ لنا اسمًا فلا نتشتّتُ على وجه الأرض كلِّها. 5) ونزل الربّ لينظرَ المدينة والبرج اللذين كان بنو آدمَ يبنونهما. 6) فقال الربّ: ها هم شعب واحد، ولهم جميعًا لغةٌ واحدة! ما هذا الذي عمِلوه إلا بدايةً، ولن يصعُبَ عليهم شيء ممّا ينْوون أن يعملوه! 7) فلننزلْ ونُبلبلْ هناك لغتَهم، حتى لا يفهمَ بعضُهم لغةَ بعض. 8) فشتّتهمُ الربُّ من هناك على وجه الأرض كلِّها، فكفّوا عن بناء المدينة."* سفر التكوين 11: 1-8

أما بخصوص الدين الإسلامي فالقرآن جعل من اختلاف ألسنة البشر وتنوعها آية من آيات الله تعالى، أي معجزة من معجزات الله ﷻ التي يجب التوقف عندها والتأمل فيها كباقي صنعه تعالى: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" سورة الحج، آية، 46.

والمعنى في الاختلاف والتنوع أنه على كثرة الناس وتباينهم، رغم أن الأصل واحد ومخارج الحروف واحدة لا تتشابه الأصوات ولا طرق الكلام، والله ﷻ قَدَّر ذلك الاختلاف لكيلا يقع التشابه فيحصل الاضطراب بين خلقه.

لقد بُعث الرسول ﷺ إلى كافة البشر ليُظهر لهم أنه بُعث فيهم ليزيح الظلم والبغي وليزيل عنهم ويلات العنصرية المبنية على اختلافات الدين والوطن واللون واللسان. أي نعم هو نبي عربي أرسله الله بلسان عربي مبين، قال ﷻ: " وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" سورة الشعراء، الآيات 192-193-194-195. ولكن الله أرسل محمدا ﷺ للبشرية جمعاء لكي يهديها أولَ ميثاقٍ متكاملٍ لحقوق الإنسان: "*يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فيبلغ الشاهد الغائب*"، حديث صحيح حدثنا به الألباني في شرح الطحاوية، وهنا ومن خلال خاتمة هذا الحديث الشريف يمكن ملاحظة التوكيد على أهمية تبليغ الرسالة.

لكن المؤسف هو أن قراءة البعض للخطاب القرآني ولأحاديث ضعيفة رُفعت الى رسول الله ﷺ، تميل الى التحيز للغة العربية، مانحة إياها طابعا قوميا يصغر من حجم عالمية الرسالة التي أتى بها محمد ابن عبد الله ﷺ .

التحيز اللغوي كان دائما نتيجة لأسباب عرقية صِرْفه، حيث كان العرب ومنذ القدم يتفاخرون بلغتهم ويتحيزون لها ويتباهون بها بينهم وأمام غيرهم من الأقوام الى درجة أنهم أطلقوا على كل الشعوب الأخرى إسم "العجم"؛ أتى في معجم المعاني الجامع: " العَجَمُ: خلافُ العَرَبِ، الواحد: عَجَمِيٌّ، نَطَقَ بالعربية أو لم ينطِق"، ويقال لشخص في كَلاَمِهِ عُجْمَةٌ أي فيه إِبْهَامٌ وعَدَمُ الإِفْصَاحِ فِي الْكَلاَمِ.

وفي هذا نوع من الاحتقار للشعوب الأخرى لأنه أتى في نفس المعجم أن العجماء هي البهيمة وأن الأعجم هو الأخرس عند العرب. أما الإسلام لما نزل في جزيرة العرب فقد استنكر هذه النزعة العنصرية وحرمها لقوله ﷻ: " إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ"، سورة الفتح، الآية 26. فالإسلام جاء سمحا يحترم كل بني البشر على اختلافهم ولم يجعل التفاضل بينهم بالعرق أو باللون أو بالثقافة أو اللغة ولكن بالتقوى فقط: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم". إن هذا الدين هو الذي ساوى بلال ﷺ الأسود البشرة الحبشي بسادة قريش ولم يفرق بينهم، وهو من آخى بين صهيب الرومي ﷺ الأعجمي مع المسلمين العرب دون تمييز ولا تفضيل. وقد اعتبر النبي ﷺ أن كل من يدعو للعصبية أيا كان نوعها فهو خارج عن دين الله ﷻ حيث انه فيما أخرجه أبوداود في كتاب الأدب، باب في العصبية، عن جبير بن مطعم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ "لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ".

لكن، وللأسف، لقد جعل بعض الغُلاة للغة فقها ومن فقه اللغة أداة للغلو والانغلاق والتقوقع، أقصى غاياته الافتخار بالعربية بطريقة مبالغ فيها، بإجلال السلف من شعراءها وأدباءها واعتبارها معجزة إلهية على الرغم من تواجدها قبل نزول القرآن الكريم وعلى الرغم من كونها في حقيقة الأمر واسطة شكلية لنقل الخطاب الإلهي: "إِعْجازُ القُرْآنِ: مَعانيهِ البَليغَةُ بِأَبْلَغِ الأساليبِ مِمَّا يَعْجِزُ عَنْهُ النَّاسُ"، كما جاء في معجم المعاني الجامع. إذن إذا استندنا الى هذا التعريف اللغوي فإعجاز القرآن الكريم يكمن في الخطاب نفسه وليس في أداته وإلا فلم لا نمنح العبرية والأرمية والسريانية صفة الإعجاز لكونهن أيضا أدوات لغوية خاطب بها الله ﷻ المؤمنين السابقين من الديانات التي سبقت نزول الإسلام، ألم يقل الله ﷻ في كتابه الحكيم: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "، سورة إبراهيم، الآية 4. فهذه الشوفينية اللغوية هي متطفلة على رسالة القرآن لأن رب العزة ﷻ قال في محكم كلامه: "إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ"، سورة يوسف، الآية 104، وقد جاء تفسيرها في الميسر — مجمع الملك فهد: "إن الذي أُرسلتَ به من القرآن والهدى عظة للناس أجمعين يتذكرون به ويهتدون."

2-4 الدعوة الى الله وكونية الرسالة:

قال رب العزة جل وعلا: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ"، سورة البقرة، الآية 159. وقد جاء تفسير هذه الآية في تفسير السعدي كالآتي: "هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول ﷺ وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بِكِتمان ما أنزل الله (مِنَ الْبَيِّنَاتِ) الدالات على الحق المظهرات له، (وَالْهُدَى) وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا للناس ما منّ الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين، كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك (يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ) أي: يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته.

(وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير، يصلي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم، وقربهم من رحمة الله، فجوزي من جنس عمله، فالكاتم لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد."

القرآن الكريم هو كتاب الله ﷻ ولا أحد بإمكانه أن ينفي أن نزوله على نبي الله محمد ﷺ رفع من شأن اللغة العربية ووضعها في مرتبة عالية لأنها أضحت الواسطة التي تحمل كلام الله ﷻ الى نبيه محمد ﷺ الذي بلغ رسالة ربه على أحسن وجه كما كان الحال بالنسبة لعبرية التوراة التي تنزلت على سيدنا موسى وآرامية وعبرانية الأناجيل على لسان سيدنا عيسى.

لكن هل وقفت الدعوة الى الله تعالى عند الرسول الكريم ﷺ؟ لا شك أن تبليغ الرسالة لم يقف عند رسول الإسلام ﷺ بل وجب على أصحابه وعلى أمته من بعده لكي يعم خيرها على الناس جميعا على اختلاف ألسنتهم، فقد جاءت الأدلة متعددة في الكتاب كما في السنة على وجوب تبليغ الرسالة المحمدية والدعوة إلى الله، منها قوله ﷻ: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" سورة آل عمران، الآية 104؛ وقوله ﷻ: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"، سورة النحل، الآية 125؛ وقوله أيضا ﷻ :"وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" سورة القصص، الآية 87؛ و قول رب العزة في سورة يوسف، الآية 108: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي". فقد أمر الرسل وكذلك من اتبعهم بدعوة الناس إلى توحيد الله وطاعته بالإنذار من هول عذاب الله لمن عصاه وأشرك به وبالتبشير بنعيم الجنة للمؤمنين. والدعوة مهمة جسيمة وعظيمة وشرف كبير لكل من هداه الله ﷻ للقيام بها كما امرنا الله بها، حيث قال الله ﷻ: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"، سورة فصلت، الآية 33.

وقد جاء في حديث عَن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رَسُول اللَّه □ قَالَ: " مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا" رواهُ مسلمٌ في صحيحه. فهذا الحديث إن دل على شيء فإنما هو يدل على حث رسول الله ﷺ على ضرورة التبليغ للناس كافة وأجر الدعوة لله، فالداعي إلى الله يجري له ثواب من اهتدى بدعوته. وجاء في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي مسعود الأنصاري قال رسول الله ﷺ: "مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ"، فكل مؤمن أرشد إلى خير يكون له إذن مثل أجر من هداه. وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما|: عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: "لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه"، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال صلى الله عليه وسلم: "أين علي بن أبي طالب ﷺ؟"، فقالوا: يشتكي من عينيه يا رسول الله، قال: "فأرسلوا إليه فأتوني به"، فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: علي ﷺ يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم"، هذه الوصية من النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه تبين لنا بجلاء حرص النبي عليه الصلاة والسلام على تحقيق الرحمة بين الناس جميعا على اختلافهم واختلاف انتماءاتهم. وحمر النّعم هي الإبل الحمر وكان يضرب بها المثل في نفاسة الشيء، حيث أراد الرسول الكريم ﷺ بها أن يُذَكِّر الناس بأجر الدعوة لله ﷻ وأنه أعظم من كل متاع الدنيا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى: "ثبوت أحد الضدين يستلزم نفي الآخر". من هنا وبعد تلاوة كل هذه الآيات والأحاديث تتبادر منطقيا أسئلة أخرى الى الأذهان لا يسعنا إلا الإجابة عنها بمنهجية واضحة لإثبات صحة نظرتنا ونفي ضدها: إذا وجبت دعوة شعوب العالمين لرسالة الإسلام فكيف السبيل الى ذلك وقد اختلفت ثقافات ولغات بني آدم؟

إذا كان الإسلام يدعو بصريح العبارة الى التدبر والتفكر في خلق الله أي أنه يدعو الى اتباع سبيل المعرفة ونهل العلم بشتى أنواعه، قال الله ﷻ: "وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً"، سورة طـه، الآية 114، و قال ﷻ: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"، سورة الزمر، الآية 9،

وخرج الترمذي من حديث أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "*إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير*". وصححه الترمذي؛ فهل تَعَلُّم لغات الأقوام واجب على المسلمين حتى يتمكنوا من نقل كلام الله وحديث رسوله الى لغاتهم أم أن قدسية العربية، كما يعتقد البعض، تمنع وتحرم هذا العمل؟

ربما، لتبرير هذا السؤال وجب علينا قبل كل شيء أن ننطلق من هذه المسلمة عند بعض أُصولِيِّي اللغات والتي تفيد أن "النص المترجم لا يمثل إلا بديلا رديئا للنص الأصلي": منطقيا وانطلاقا من هذا الجملة، لا يمكن للجواب إلا أن يأتينا بسهولة ووضوح: لا شك أنه سيتعذر علينا ان نضع ضرورة الترجمة دائما في موضع الريبة بالانزواء في نظرة متطرفة عقيمة تقدم الجهل بالثقافات الأجنبية والديانات السابقة للإسلام، و ربما اللاحقة أيضا، كإقصاء لمجهود أو لهدف قيل عنه أنه غير مثالي، مقارنة بقدسية الأصل، فنقع في التناقض الفكري: الترجمة "ضرورة تافهة". لأنه يجب أن نعترف يوما ما أن المجهود الترجمي والترجمات كنتيجة له يُكَوِّنان حقلا فكريا خصبا لكل التوجهات العلمية الدينية منها والدنيوية.

الترجمة هي عملية نحاول من خلالها الربط بين البعيد والقريب فهي تمثل في نفس الوقت تباعدا عن الأصل وتقريبا له وهنا يكمن سر مزاولتها، فهي كشعرة معاوية إذا مدت وجب إرخائها وإذا أرخيت وجب مدها. والإنسان عادة لا ينقل إلا الفكرة التي هو مقتنع بها ليضع نفسه في حيز ثقافي مشترك مع الآخر. إذن فهذا الجهد يجعلنا نندرج في فكرة العطاء ونبتعد عن أفكار العداء، داخل ما يمكن أن نسميه بيتا واحدا تظل أبوابه مفتوحة على مصراعيها لكل عضو جديد؛ خصوصا إذا تعلق الأمر بترجمة نص مقدس أو لغة تنسب لها القدسية، حيث يتولد لدينا سلوك يشجع على التفكر والتدبر في هذا الغموض الذي يميز علاقة البعيد بالقريب والمتواجد في صلب الجهد الترجمي.

للأسف كثيرهم من يظنون أن عملية الترجمة، قبل أن تكون خيانة للنص وللغة المنبع، كما يقول المثل الإيطالي الشهير "*Traduttore, traditore*" أي "الترجمة خيانة" (وهنا اعتمدت عن قصد ترجمة لمعنى المثل، حتى يكون النص الهدف أكثر بيانا للمتلقي العربي ومناسبا في تركيبه للغة الهدف)، هي أيضا عبارة عن إستيلاء على المجهود الفكري والثقافي في مصدره ونقله للغة الهدف بطريقة قد يعتبرها البعض باللبقة في أفضل الأحوال، بينما يصفها آخرون بقرصنة فكرية ذات نوايا مسبقة ومغرضة.

ولكن هناك سؤال يبقى محيرا أكثر بالنسبة لمؤيدي الترجمة، لماذا احتقر العرب الترجمات الدينية والقرآنية من العربية الى اللغات الأجنبية؟ وماهي العوامل الأساسية التي أثرت في الرأي المتطرف الذي يستصغر ويحرم ترجمة القرآن الى لغات العجم؟

2-5 الاستشراق والترجمة من العربية:

قال الله ﷻ في كتابه العزيز:"وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ"، سورة البقرة، الآية 120.

إن الاستشراق هو مشتق من كلمة "شرق" أي "مطلع الشمس" ومعناه لغة: طلب الشرق. إذن فكلمة "الاستشراق" تدل على علم يهتم بما يحتوي عليه الشرق من علوم ومعارف وثقافات وميزات حضارية. أما "المستشرق" فهو العالم الذي وهب نفسه للبحث والاهتمام بما يتعلق بالشرق وما يضمه من علوم ومعارف في مجالات عديدة ومختلفة.

ومفهوم الاستشراق يختلف عند العلماء والباحثين، حيث أبدى العلماء آراء متنوعة حول مفهوم الاستشراق اصطلاحا:

1 -قال الدكتور إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق": "إن لفظ الاستشراق لفظ أكاديمي صرف، والمستشرق هو من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه، وكل ما يعمله هذا المستشرق يسمى استشراقاً... وهو بإيجاز أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه". (سعيد. إ.، 2006، ص44)

2-وفي رأي الدكتور محمد فتح الله الزيادي: "*هو دراسة الشرق عموما ودراسة الإسلام والمسلمين خصوصا بقصد التشويه والتشكيك*". (الزيادي. م. ف.، 1998، ص61)

3 -وقال الدكتور شكري النجار: "*إن الاستشراق هو أسلوب غربي لفهم الشرق والسيطرة عليه، ومحاولة إعادة توجيهه والتحكم فيه*." (النجار. ش. 1983، 31ع/71ص)

4- قال الدكتور محمود حمدي زقزوق: "الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة "مستشرق" بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله؛ أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته، وآدابه وحضارته وأديانه. ولكننا هنا لا نقصد هذا المفهوم الواسع، وإنما كل ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعنى "الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام. وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق." (زقزوق. م. ح.، 1983، ص 24-25)

لا شك في أنه من الصعب جدا تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، كما عرفناه ونعرفه حاليا، رغم أنه ابتداء من مجمع فيينا الكنسي في عام 1312م قُرِّر إنشاء عددٍ من الكراسي المخصصة للغة العربية في عدد من الجامعات في أوربا. ولكن مع ذلك فليس هناك دليل قاطع يدل على البداية الحقيقية والمنظمة للاستشراق، حيث اختلف الباحثون في نشأته وبدايته. ربما ذلك بسبب اختلافهم حول مفهوم الاستشراق أو بيان الأسباب والدوافع للاستشراق؟

ربما أن كلمتي "الإستشراق" و"المستشرق" اللتين تحيلان على دراسة اللغات والحضارات الشرقية بطريقة حديثة ومنظمة ترجعان تاريخيا فقط الى القرن التاسع عشر. حيث يمكن اعتبار أن في هذه الحقبة تكونت العلوم المختصة عن الشرق. رغم أن جذور وأصول هذا العلم عميقة ففي فترة عصر النهضة مثلا، ظهرت أولى الميول لدراسة اللغة العبرية ثم اللغات الشرقية الأخرى الضرورية للوصول الى أصول النصوص الإنجيلية. وفي القرن السابع عشر أيضا، كانت البحوث المجراة من طرف الغرب عن الشرق لا تتعلق بمسألة الهيمنة بقدر ما كانت تمثل رغبة الأوروبيين في التعرف على أصولهم الدينية في إطار جو تنافسي عقدي. فتكونت بذلك ثقافة عن المشرق تجمع بين الرغبة في معرفة الأصول الدينية والثقافية الأوروبية وإرادة إرساء سيطرة ومشروعية داخل الصراعات المندلعة بين الكاثوليك والبروتستانت أي بين المنشقين داخل الحركات التي تأتت من الإصلاح من جهة والقوى المنافسة الأخرى داخل الكنيسة الكاثوليكية من جهة أخرى.

صدق الله ﷻ حين قال في كتابه الحكيم: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ" سورة آل عمران، الآية 118.

وقال أيضا ﷻ : "إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ" سورة آل عمران، الآية 120.

لقد تبين فيما بعد أن الاهتمام الكبير الذي أولته الدول الأوروبية للشرق عامة بكل مكوناته الثقافية والجغرافية وموارده الطبيعية وللمناطق ذات الأغلبية المسلمة منه بصفة خاصة كان هو نقطة البداية للحركة الاستشراقية كما هي معروفة لدينا الآن، حيث تزامنت هذه البداية، كما أرخ لذلك العلماء، مع انطلاق حملة نابليون في مصر. وانتشرت بعد ذلك الحركة في كل أنحاء الغرب جاعلة من دراسة الثقافة الشرقية في كل جوانبها أولوية كبرى في إطار التوسع الأوروبي وتطلعات الدول الأوروبية لبسط نفوذها على الشرق من أدناه الى أقصاه. إذن فالاستشراق الذي يهمنا ويعنينا هو ذلك التيار الفكري الذي يُعنى بفهم الثقافة الاسلامية والمسلمين خاصة ويضم كل الدراسات الغربية التي تهتم بالعقيدة والسنة والشريعة والتاريخ الإسلامي، إلخ.

لقد زود المستشرقون بلدان الغرب بمعلومات كثيرة عن الإسلام وحضارته، وعن عادات المسلمين، ولغاتهم، خصوصا اللغة العربية، حتى تيسرت لهم كل السبل لمعرفة مكامن قوة وضعف الأمة لينقضوا عليها ويمزقوا جسدها. ولا مجال للشك في أن مهمة المستشرقين كانت دائما مرتبطة بالترجمة. فهدف المستشرق هو إعطاء تصور للعربي وللمسلم الشرقي (علما أن المشرق الإسلامي في نظرة الغرب المستشرق يمتد من بلاد المغرب الى تخوم المشرق الأقصى) وتقديمه في قالب حقيقة، تعرض هذا التصور أو التأويل الثقافي على المتلقي الغربي في لغته الأم أي اللغة الهدف بالنسبة للمترجم. وهنا نرجع مرة أخرى إلى هذا الرابط الذي يجمع بين البعيد والقريب بفعل الجهد الترجمي، حيث يستورد المترجم المستشرق نصوصا غريبة عن ثقافته ثم يعالجها حسب منظوره الخاص، مغرضا كان أو نزيها، لينقلها الى اللغة المستقبلة. لهذا فإن التصور الغربي للثقافة والحضارة الإسلامية تجلى بشكل ملحوظ أكثر من خلال ترجمات المستشرقين للموروث الإسلامي في إطار تصور مبني في أغلب الأحيان على رؤية التميز والمثالية في كل ما هو أوروبي والدونية فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين، خصوصا أن بدايات الاستشراق تزامنت مع تطور مفاهيم الانتقاء الطبيعي والآراء العنصرية التي كنا قد ذكرناها سابقا والتي طبعت القرن التاسع عشر في أوروبا. ويظهر ذلك جليا من خلال جهل المترجم المستشرق لضوابط اللغة العربية ولثوابت الإسلام وعدم إخضاع ترجمته لمنهج العلمي يقتضي اطلاعه على أهم المؤلفات الإسلامية في اللغة وعلوم القرآن والحديث. فقد أسس المستشرقون نظرياتهم عن الإسلام بالتشكيك في حقائقه وثوابته، من أجل إعطاء صورة شنيعة عنه، فأولوا اهتمامهم الشديد بالقرآن الكريم من خلال ترجمة معانيه وتأليف الكتب المتعلقة بعلومه.

انطلاقا من هذا المنظور الذي يرى في المستشرق ناقلا متحيزا لأصوله ومتحاملا على كتاب المسلمين، القرآن الكريم وعلى الدين الإسلامي ومترجما مغرضا الى لغة ذويه من أهل الغرب، وكذلك انطلاقا من العداء الغربي الذي أحس به العرب والمسلمون في قراءة المستشرقين لحضارتهم، لدينهم وللغتهم بتحقيرهم مقارنة بالحضارة الغربية القائمة على الترفع وحب السيطرة، نشأ في صدور العرب والمسلمين بصفة عامة حقد وضغينة اتجاه الاستشراق والمستشرقين استمرا منذ بدايات الحركة الاستشراقية، بتزامنها مع إرادة الهيمنة الاستعمارية الأوروبية على الدول الإسلامية التي سقط فيها حكم الخلافة الإسلامية وتفشت فيها المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الى يومنا هذا. وربما هنا يكمن سر إعراض المسلمين وتحريمهم للترجمة القرآنية، لأن باطن عقولهم ونفوسهم ربط بين ويلات الاستعمار التي عانوا منها من جهة وذلك المجهود الاستشراقي الذي ابتذل دينهم وثقافتهم وحضارتهم ولغتهم ومهد لدخول المستعمر لبلادهم. وللأسف لا يمكننا إنكار أن كل هذه العوامل حاضرة الى يومنا هذا في الذاكرة الجماعية العربية والإسلامية ولها تأثير غير محمود على علاقاتنا مع الغرب.

العلاقة بين العرب والمسلمين والغرب مسألة حضارية من الأهمية بمكان، اكتسبت مع مرور الوقت تأثيرا مهما نظرا لما شهده وما يشهده العالم من تحولات جذرية في كينونته. لهذا فإن البحث في كل ما يتعلق بحركة وعلم الاستشراق أضحى مهمة جسيمة بالنسبة لنا في ظل تقلص الفواصل بين الشعوب وتداخل المعارف والثقافات. ولكن يجب الأخذ بالاعتبار أن الرؤى الاستشراقية في دراسة العرب والمسلمين تعددت وتفرعت، لذلك وجب علينا أيضا من ناحيتنا ألا نرى الغرب من جانب واحد، الجانب السلبي. ومن خلال هذه الدراسة سوف نعيد رسالتنا التي تنفر من كل أنواع العصبية والعنصرية بلفت الانتباه الى أنه كما كانت المقاصد مختلفة ومتباينة، فكذلك هي الأعمال. صحيح أن الجوانب السلبية للاستشراق تتمثل في تعدد الأخطاء الشائنة في البحوث التي تناولت سمات الدين الإسلامي البارزة والثقافة العربية بلغتها، المتعمدة منها أو النابعة من الجهل بالآخر، والتي لا تخفى على كل ذي عقل راجح، لكن من جهة أخرى، فالنواحي الإيجابية تتجلى في العديد من الأمثلة، كقيام بعض المستشرقين بمجموعة غير هينة من الدراسات اللغوية النافعة والموسوعات المفيدة وكذا العناية التي أولوها بالمخطوطات العربية حيث قاموا بفهرستها وتحقيق عدد كبير منها.

3- ترجمة القرآن الكريم:

3-1 ترجمة ألفاظه أو ترجمة معانيه؟

تطرقت العديد من الأبحاث في علم الترجمة لمشكلة الترجمة الحرفية المتساوية والفرق بينها وبين الترجمة التي تهتم أكثر بالنص في لغة المستقبل، بحيث يحاول فيها المترجم إعطاء الأولوية لفهم معاني النص الأصلي أو النص المنبع ونقلها الى اللغة الهدف في الصورة الأقرب الى فهم المتلقي للمعلومة.

بالنسبة للترجمة الحرفية للقرآن، من المهم أن نعلم أن كتاب الله ﷻ نزل لهدفين رئيسين:

الهدف الأول: القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ الذي تنزل على رسوله محمد ﷺ وهو معجزة من معجزات الله ﷻ تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في الرسالة التي بلغته من رب العزة، أي كلام الله المعجِز للبشر الذي لا يستطيعون أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا مع الجن على ذلك. ويكمن إعجاز كتاب الله تعالى في خواصه النحوية واللغوية والبلاغية التي لا يمكن نقلها إلى اللغات الأخرى مهما كانت لها خواصها هي أيضا. لهذا السبب استحالت الترجمة الحرفية، لأنه لو تُرجم القرآن حرفيا ستضيع بكل تأكيد هذه الخواص الفريدة المقصورة عليه، وستُنزع عنه صفة الإعجاز ودلالته على صدق نبينا ﷺ.

الهدف الثاني: قال الله ﷻ في كتابه الكريم:"

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"، سورة البقرة، الآية 185. إذن فالقرآن تنزل على رسول الله ﷺ من أجل هداية البشر لما فيه نفعهم في الدنيا والآخرة من خلال استنباط الأحكام والعظات منه. لكن إذا كانت المعاني الأصلية للقرآن سهلة الترجمة وإمكانية استنباط الأحكام منها حتى في اللغات الأخرى، فإن هناك معان أخرى ثانوية في كتاب الله ﷻ توجب اجتهادات العلماء والأئمة من أجل جهد استنباط الأحكام والمواعظ، ويستحيل منطقيا في هذه الحالة أن تتمكن الترجمة الحرفية من إعطاء المعنى المبتغى.

أما عن الترجمة التي تُعنى بمعاني القرآن الكريم: فهي عبارة عن نقل لمعاني الآيات بلغة المُستقبِل دون الاكتراث بالنظم العربي وترتيب الكلمات العربية، بحيث توجب على المترجم أن يفهم المعنى القرآني جيدا ثم يحاول نقله الى لغة المتلقي وفق قواعدها وتركيبها.

من خلال هذا التقديم لقسمي الترجمة الأساسين ومدى قابلية النص القرآني للتوافق مع أحدهما، أضحى بإمكاننا الإقرار بجواز ترجمة معانيه، لأنها ترجمة تحاول تبليغ معاني آيات كتاب الله ﷻ بلغة مغايرة للعربية التي نزل بها القرآن الكريم على محمد ابن عبد الله ﷺ.

وعلما أنه انعقد إجماع علماء المسلمين على جواز تفسير معاني القرآن الكريم بالعربية، فقد تكونت لدينا قناعة أن ترجمة معانيه جائزة بهذا الإجماع. لأنه إذا كان تفسير القرآن هو شرح نص الكلام الإلهي من أجل فهمه، تدبره، بيان معانيه، شرح الغامض فيه، واستنباط هدى الله ﷻ منه، فالترجمة التي تعنى بالمعنى تدخل في نفس هذا النطاق بما أنها ترجمة للمعنى لا للنص القرآني كما أُنزل باللغة العربية، حتى لا تلتاث الأمور على أحد ونعرف أن هذه المعاني المترجمة ليست كلام الله وإنما هي فقط كلام المترجم. وبالتالي فالصلاة لا تجوز بها وكل مسلم حديث الدخول للإسلام مجبر على تعلم بعض السور من القرآن باللغة العربية كي تصح بذلك صلاته.

2-3 ترجمة القرآن من أجل إدراك معانيه واتباع هدى الله:

إن الترجمة القرآنية وحدها هي القادرة على إظهار ثوابت الإسلام لغير المسلمين لطرح سبل الحوار معهم وتوضيح موقف ديننا الحنيف من كل ما يتعلق بالدنيا والآخرة بصراحة وإيجابية في التعامل. لأن وصول الإسلام كان مشوهاً إلى كثير من الناس وكان عاملا مهما في خلق التوترات مع أهل الديانات الأخرى على مر الزمن. لأنهم للأسف، وهنا أخص بالذكر أهل الغرب، لم يعرفوا الإسلام إلا عن طريق المستشرقين وتصوراتهم المغلوطة عن الإسلام، التي حجبت عن معظم أهل هذه الديانات رفعة مبادئ دين الله ﷻ الحنيف ومكارم أخلاق الرسول ﷺ وأتباعه. وبالتالي فإن الترجمة الصحيحة الصارمة التدقيق والصادقة في النوايا لمعاني القرآن هي الكفيلة بفتح قلوبهم وبصائرهم أمام دعوة الله جل وعلا، وهي التي بإمكانها إعانة الدعاة في واجبهم الدعوي من أجل تبليغ رسالة الإسلام على أحسن وجه وإطلاع شعوب العالم على الهدي القرآني في لغاتهم التي شبوا عليها.

وفي كتابه الذي جاء تحت عنوان "الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية" أيد الكاتب محمد فريد وجدي فكرة ضرورة ترجمة القرآن الكريم لأنه رغم تنزله بلسان عربي مبين، فالله ﷻ أمرنا بتبليغه للعالم بأسره بكل إمكانياتنا بما في ذلك من نقل لمعانيه إلى اللغات الأخرى. ولم يخطئ بتاتا حين قال دفاعا عن مشروع ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية وردا على معارضة الأستاذ محمد مصطفى الشاطر قائلا: "*نحن نعتقد ان القرآن كتاب لا تنقضي عجائبه ولا يدرك غوره، كما يعتقد الاستاذ (الشاطر) ولكنا لا نذهب بالغلو في هذا المعنى إلى درجة التعطيل، واعتباره طلسما تضل العقول في فهمه، ولا تصل منه إلى حقيقة ثابتة فإن هذا الفهم يصطدم بالقرآن نفسه، فقد وصفه الله في غير آية بأنه آيات بينات، وبأنه منزل ليتدبر الناس هذه الآيات، حتى قال: "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر"*، اي سهلناه للاتعاظ وكررت هذه الآية أربع مرات في سورة واحدة..."*"، وقال أيضا: "*وهنا يسوغ لنا أن نقول: إذا جرينا على مذهب الأستاذ الشاطر في تفسير الآيات وترجمتها، ثم رجع العلم عن رأيه الأول، أنعيد إذ ذاك ترجمة القرآن،*

أم نترك الترجمة على خطائها ولكن الترجمة على الأسلوب الذي ذكرناه فلا تجعل محلا لمثل هذا الندم، لأن الكلمة قد تبدلت إلى ما يرادفها في الإفادة، من دون التعرض للشرح والبيان، تاركين ذلك إلى فهم القراء، كما هو الحال بالنسبة إلى الكلمة في موضعها من القرآن" (وجدي. م. ف.، 1936، ص28-29).

قال الله تعالى: "وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" سورة ألنحل، الآية 44. لقد جعل العُلماء التفسير من فروض الكفاية، لأن وجود المفسرين في الأمة هو من واجبات الدين، وأنه علم وجب تعلمه. إذن فنحن نبني استنتاجنا على هذا الأساس: بما أن ترجمة معاني القرآن هي نقل لمعانيه فقط للقرآن بلغة أخرى وشرح لها، إذن فهي من الأمور الواجبة على المسلمين لما ينشأ عنها من منافع، كتعريف معاني القرآن وإيصال هدى الله جل جلاله لكل من لا يفهم اللغة العربية بتبليغ عقيدة ديننا الصحيحة وشرائعه الكريمة التي تضمن للإنسان سبل العيش الكريم وتجيب على متطلبات حياته ماديا وروحيا، وأيضاً هي السبيل للدفاع عن كتاب الله ﷻ بتبيان تدليس من تعمد الإخطاء في ترجمته ليُظهره لكل من جهل لغته في صورة سلبية تبعد من يريد اعتناق الإسلام عن سبيل الرشاد والهدى.

3-3 مشاكل ترجمة معاني القرآن وشروطها: (الأمير. أ.، بدون)

أولا يمكننا أن نصنف المشاكل التي تصادف المترجم في الترجمة القرآنية في ثلاث أقسام:

1 -**مشاكل خاصة:** وهي مشاكل تخص المتلقي في لغته المغايرة للعربية والخلفيات التي قد تؤثر على فهمه للنص المترجم.

1-1 الخلفية التاريخية:

يجب أن يعرف المترجم أن المتلقي غير العربي لا يتوفر على خلفية تاريخية عن الأحداث التي وردت في كتاب الله التي تخول له وضع النص في سياقه التاريخي من أجل فهمه وربما قد تتكون لديه أحكام مغلوطة عن هذه الأحداث إذا لم ينتبه المترجم إلى ذلك، لهذا فيجب عليه تناول الآيات بطريقة توضح ظروفها التاريخية.

2-1 الخلفية الدينية:

كل مترجم للقرآن ملزم بأن يعلم أن المتلقي الأجنبي عن لغة القرآن هو أيضا أجنبي عن أحكامه وإرشاداته. إذن من أجل ألا يقع المتلقي في حكم خاطئ على الإرشادات والأحكام التي نزلها الله ﷻ في كتابه المجيد وجب على المترجم لكلام الله أن يوضح كل غموض قد يلفها إيضاحا جليا في ترجمته حتى وإن اضطر الى الإسهاب في ترجمته.

3-1 الخلفية اللغوية:

اللفظ العربي القرآني جامع لعدة معاني، أما القارئ الأجنبي عن لغتنا فهو لا يتوفر على أي خلفية لغوية عربية، لهذا فإنه موجب على المترجم أن ينقل المعنى الذي يصوره اللفظ القرآني في إدراك المتلقي العربي إلى إدراك المتلقي غير العربي بألفاظ مناسبة في لغته، تحافظ على المعنى السليم، وتجنب التعامل مع المتلقي في اللغة الهدف على أنه مدرك لألفاظ القرآن ومفاهيمها.

4-1 الخلفية الثقافية:

لكل ثقافة آدابها ودلالاتها، ولها مصطلحاتها التي قد لا تُفهم بل وتصبح كلمات مبهمة إذا تُرجمت إلى لغة أخرى دون مراعاة الاختلاف الحضاري والثقافي. لهذا فيجب على المترجم القرآني أن يحترم هذه الفروق حتى يعطي نصا سلسا سهل الفهم بالنسبة للمتلقي.

5-1 احترام الحس النقدي عند المتلقي:

بما أن اللفظ العربي القرآني جامع لعدة معاني فإن الترجمة موجبة بأن تراعي الحس النقدي لدى المتلقي باختيار الترجمة الصحيحة للآيات التي قد توحي بلبس بعد ترجمتها، علما بأن المتلقي قد تكون له أحكام مسبقة عن ديننا والتي تكونت لديه من خلال تراجم ومؤلفات أخرى مُغْلِطَة.

2 - **مشاكل عامة:** تتعلق بالصفات والميزات التي يجب أن تتوفر في المترجم القرآني حتى يكون مجهوده موفقا.

1-2 تخصص المترجم في الترجمة الدينية:

الترجمة القرآنية هي عمل من الأهمية بمكان ولا تحتمل الارتجال والابتداه، لذلك فمن المستحب أن يكون المترجم ممن عمل في مجال الدعوة لغير المسلمين حتى يتمكن من فهم عقلية المتلقي ويستطيع الوصول إليها بأدق العبارات وأصح الألفاظ. ومن جهة أخرى يجب أن يكون المترجم متخصصا في مجالات الفقه الإسلامي وعلوم القرآن وعلوم التفسير مطلعا على أهم المؤلفات التي نشرت في هذه التخصصات حتى تخلو ترجمته من الأخطاء الناتجة عن جهل بهذه العلوم.

2-2 المهارة الأدبية وإلمام المترجم بثقافة اللغة الهدف:

إن لم يكن المترجم متقنا لفن الكتابة والصياغة فسوف يصل الكتاب للقارئ بصورة مشوهة المعنى والدلالة. من جهة أخرى فعلى المترجم، ناهيك عن إتقانه للغة القرآن الكريم، أن يكون مطلعا على حضارة وثقافة اللغة الهدف حتى تكون ترجمته واضحة سلسة الأسلوب بالنسبة للقارئ الأجنبي لأن اختلاف الثقافات يغير معنى الكلمات عند نقلها من لغة لأخرى.

3-2 الإلمام بعلم الترجمة:

من البديهي أن المترجم بالإضافة لإلمامه بالعلوم الدينية وبحضارة المتلقي وثقافته ولغته يجب أن يكون على دراية تامة بخبايا فن الترجمة وتقنياته وطريقة نقل المعاني القرآنية من لغة الضاد إلى اللغة المستقبلة للمعلومة.

4-2 مشكلة التأهيل في تخصص الترجمة الدينية والقرآنية:

مما يُؤسف له أن تغيب في مدارس الترجمة وكليات الدراسات الإسلامية شعبة خاصة بالترجمة الدينية والقرآنية، حيث أن أغلب التراجم المنجزة من طرف مترجمين مسلمين هي ناتج مجهود شخصي للأُناس لم يتلقوا تعليما أكاديميا علميا مختصا في هذا العلم القائم بذاته والبالغ الأهمية. لهذا، والأمر جلل، استوجب من القائمين على ميدان الترجمة في بلاد العرب والإسلام أن يخلقوا هذا الاختصاص في جامعاتنا ومدارسنا العليا،

الذي سيخول لمترجمينا أن يكتسبوا الخبرة الفنية اللازمة في هذا العلم وطرق ترجمة النص الديني بصفة عامة وترجمة معاني القرآن بشكل خاص.3- المشاكل العملية: وهي المشاكل التي تتعلق بالجانب التنفيذي لجهد الترجمة:

3-1 الابتعاد عن متطلبات الترجمة وعدم احترام معاييرها.

3-2 ابتعاد النص المترجم عن النص الأصلي.

3-3عدم احترام الشروط التي يجب أن تتواجد في النص المنقول إلى اللغة المستقبلة.

4- خاتمة:

4-1 النتائج والتوصيات:

-إذا كانت رسالة القرآن الكريم كونية تنزلت على رسولنا محمد ابن عبد الله ﷺ ليبلغها للناس كافة، فاللغة العربية هي لغة العرب فقط، وغير العرب ليسوا بملزمين بتعلمها وفهم خاصيات ثقافتها من أجل فهم كتاب الله ﷻ بهدف الدخول في دينه الحنيف، لأن التعريف بالإسلام وعقيدته وأحكامه وقرآنه دور منوط بأهل العربية ومن أحسن فهمها والتكلم بها من المسلمين.

- بما أن الترجمات المغلوطة والمُغْلِطَة في يومنا هذا منتشرة بكثرة وفي كل مكان، ترجمات اعتراها القصور واتسمت بإغراض أصحابها، واتصفت بتعدد عيوبها، وهي بتواجدها وتعددها تزيد من الإساءة لدين الله تعالى وللمسلمين، وجب على كل من أنيطت له مهمة نشر الإسلام، خدمةً لكتاب الله ﷻ، نقله وترجمته ونشر تعاليمه المجيدة بكل لغات العالم حتى تعم خيراته على كل الأمم والشعوب ويحق القول على من رفض دعوة الله ﷻ للخير ونُذُرِه.

- إن كانت مهمة نشر الدين أمانة عظيمة في أعناق العلماء والأئمة فهي كذلك أمانة جليلة بالنسبة للمترجمين لأنها من المتطلبات الجوهرية للدعوة إلى الله ﷻ ولأن ديننا الحنيف في حاجة اليوم وأكثر مما مضى إلى إنجاز ترجمات دقيقة وصحيحة لمعاني القران الكريم في كل اللغات، حيث حث رب العزة ﷻ أهل العلم عليها قائلا في كتابه الكريم: " وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"، سورة فصلت، الآية 33، وقبل ذلك أوصى رسولنا ومثالنا الأعلى ﷺ بتبليغ الرسالة المجيدة: " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ "، سورة الحجر، الآية 94.

- العمل على ترجمة القرآن يوجب على كل من يمتهن الترجمة الخضوع لنظرة موحدة شاملة في مجهودهم حتى لا تختلط الأمور على الناس وتشيع الفوضى في التراجم المعروضة وكذا في فهم المعاني المترجمة بالنسبة للمتلقيين الأجانب عن لغة العرب. وبذلك يجب ألا تختلف الترجمات عن النص القرآني الأصلي إلا في أمور بسيطة لا تبدل الصورة التي جاء بها الأصل.

- لقد أجريت محاولات كثيرة لترجمة معاني القرآن الكريم لمختلف اللغات التي يتكلم بها المسلمون وغيرهم، وأظهرت هذه الأعمال صعوبة مهمة المترجم في إيجاد كلمات دقيقة وفية لمعاني مفردات القرآن العربية باللغات المترجم إليها. فلاحظنا تباين تلك الترجمات في جودتها وحصافتها اللغوية، وهذا نظرا لكونها محاولات فردية استدعت من أصحابها سنوات طويلة من الجهد الشاق والمضني. هذا في غياب نظرة موحدة لجميع الدول الإسلامية تستغل التقدم العلمي والتكنولوجي في ميدان المعلوميات والترجميات من خلال خلق قواعد للبيانات متاحة للمترجمين في كل أنحاء العالم، عبر الأنترنت،

تخول لهم الاستفادة من ترجمات موحدة لألفاظ القرآن الكريم بجميع اللغات في إطار عمل جماعي سيمكننا إن شاء الله ﷻ من إنتاج ونشر ترجمات لمعاني القرآن بدون اختلافات مريبة تشكك المتلقي الأجنبي في صدق عقيدتنا ومكارم الأخلاق التي يدعونا إليها ديننا الحنيف.

5- قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

- **التفاسير:**

- الطبري، محمد بن جرير، وآخرون. *الباحث القرآني*. تم الاسترجاع من الرابط www.tafsir.app

- **الصحاح:**

- البخاري، محمد بن إسماعيل، وآخرون، *الدرر السنية*. تم الاسترجاع من الرابط www.dorar.net

- *الكتاب المقدّس*، (1980). الترجمة العربية المشتركة. القاهرة، مصر: دار الكتاب المقدس.

- **المعاجم:**

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. *لسان العرب*. تم الاسترجاع من الرابطwww.lesanarab.com

- معجم المعاني الجامع. تم الاسترجاع من الرابط www.almaany.com

- **الكتب:**

- ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني. (1995). *مجموع الفتاوى*. تحقيق بن قاسم، عبد الرحمن بن محمد. المدينة المنورة، العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

- التمساني، محمد حمادي الفقير. (2001). *تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين ودوافعها وخطرها*. المدينة المنورة، العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

- ديدات، أحمد. (بدون تاريخ). *الحل الإسلامي للمشكلة العنصرية*، ترجمة وتعليق مختار، محمد. القاهرة، مصر: المختار الإسلامي،

- الأمير، أحمد. (بدون تاريخ). *ضوابط ومعايير في ترجمات معاني القرآن الكريم*. أثينا، اليونان: المركز الأوروبي للدراسات الإسلامية.

- ريكور، بول. (2008). *عن الترجمة*، ترجمة خمري، حسين. بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.

- زقزوق محمود حمدي. (1970). *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*. القاهرة، مصر: دار المنار

- الزيادي، محمد فتح الله. (1984). *ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه*. طرابلس، ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.

- سرى، طارق. (2006). *المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي*. القليوبية، مصر: مكتبة النافذة.

- سعيد إدوارد. (2006). *الاستشراق - المفاهيم الغربية عن الشرق*. القاهرة، مصر: دار رؤية.

- العزب، محمود. (2006). *إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم*، القاهرة، مصر، نهضة مصر.

- قارة، عبد العزيز عبد الرحمن. (1995). *الإسلام والعنصرية وتفاضل القبائل وذوي الألوان*. جدة، العربية السعودية: دار البشير.
- قرقوتي، حنان. (2006). *اللغة العربية والخط وأماكن العلم والمكتبات الترجمة وأثارها*. بيروت، لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- الندوي، عبد الله عباس. (1996). *ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب*. *دعوة الحق 174*، مكة المكرمة: دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي.
- وجدي محمد فريد. (1936). *الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن الى اللغات الأجنبية*. مجلة الأزهر، مصر: مطبعة المعاهد الدينية.

- الكتب باللغة الفرنسية:

- Calvet Louis-Jean. (2005). *La guerre des langues - Et les politiques linguistiques*. Paris, France : Hachette Littératures.

- الدراسات والمقالات:

- النجار، شكري. (1983). *لم الاهتمام بالاستشراق*. *الفكر العربي 31*. طرابلس، ليبيا.
- العمري، عادل. (2012). *جذور العنصرية العربية*. *الحوار المتمدن*. *3873*. تم الاسترجاع من الرابط www.ahewar.org/debat/s.asp?aid=327281
- عالم، شوق شاكر. (2006). *الاستشراق: أخطر تحد للإسلام*. *دراسات، 3/ ص. 63-78*، شيتاغونغ: الجامعة الإسلامية العالمية. تم الاسترجاع من الرابط https://www.banglajol.info/index.php/IIUCS/article/view/2675/2271.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.19.5

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار التاسع عشر
تأريخ الإصدار: 20 مايو 2021م

أخبار الجريمة في الصحافة العمانية

(دراسة تحليلية لمضمون عينة من الصحف العربية اليومية خلال عام 2018)

Crime news in the Omani press (Analytical study of the content of a sample of daily Arab newspapers during 2018)

أ.د. حسني محمد نصر

بروفيسور، قسم الإعلام، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

Email: hosnin@squ.edu.om

أ. خالد بن راشد بن محمد العدوي

طالب دكتوراه، معهد الصحافة وعلوم الأخبار، جامعة منوبة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجمهورية التونسية

Email: krmd1980@yahoo.com

الملخص:

تلعب صحافة الجريمة دورا مهما في توعية المجتمع بمختلف القضايا والمشكلات التي يواجهها، وذلك عندما تقوم الصحف بنشر حالات الانحراف والخروج عن القانون والفساد المالي والإداري والأخلاقي في المجتمع.

وقد تزايد الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام بشكل عام والصحافة بشكل خاص في تغطية أخبار الجريمة، في السنوات الأخيرة، خاصة مع تزايد انتشار الصحافة المتخصصة في مجال الجريمة، التي تتابع وتحلل وتفسر أخبار الجريمة بأنواعها المختلفة. وتحتل أخبار الجرائم في الصحف العامة مواقع مهمة، ويتزايد إقبال الجمهور على قراءة صحف الجريمة.

تمثل هذه الدراسة واحدة من الدراسات العمانية الأولى التي تتناول صحافة الجريمة بوجه عام من خلال تحليل مضمون أخبار الجريمة في الصحافة المحلية على وجه خاص. وتهدف الدراسة إلى كشف وتحليل وتفسير واقع نشر أخبار الجريمة في الصحف العمانية اليومية، وذلك في ضوء السياق الاجتماعي والإعلامي في السلطنة. واستخدمت الدراسة أداة تحليل المضمون لجمع وتحليل البيانات في إطار منهج المسح الإعلامي.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها: انخفاض درجة اهتمام صحيفتي "عمان" و "الرؤية" بنشر أخبار الجريمة. وكشفت نتائج الدراسة أن الصحيفتين ركزتا على نشر الأخبار المتعلقة بجرائم القتل، ولم تهتم كثيرا بتحديد جنسية الفاعل الرئيس في الجريمة، واستحوذت الجنسية الآسيوية على النصيب الأكبر في ارتكاب الجرائم المنشورة في صحيفتي الدراسة.

واهتمت صحيفتي "عمان" و "الرؤية" بنشر صور المتهمين في الجرائم. وكشفت نتائج الدراسة ارتفاع معدل الصور الشخصية للجنسية الأجنبية المرافقة للمواد الخبرية المتعلقة بالجريمة خلال فترة دراسة العينة، وذلك إلى جانب صور لمتهمين أفارقة وأوربيين وأمريكيين. واعتمدت صحف الدراسة على وكالات الأنباء المحلية والعالمية وهي (العمانية – أف ب – قنا – د ب أ – رويترز – وفا) في تغطية أخبار الجريمة، إلى جانب مصادرها الذاتية، وشرطة عمان السلطانية.

الكلمات المفتاحية: أخبار الجريمة، الصحافة العمانية، الصحف العربية.

Crime news in the Omani press (Analytical study of the content of a sample of daily Arab newspapers during 2018)

Prof. Hosni Mohamed Nasr

Professor, Department of Media, College of Arts and Social Sciences, Sultan Qaboos University / Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman

Email: hosnin@squ.edu.om

Khalid bin Rashid bin Mohammed Al-Adawi

PhD student, Institute of Journalism and News Sciences, University of Manouba, Ministry of Higher Education and Scientific Research, Republic of Tunisia

Email: krmd1980@yahoo.com

Abstract:

Crime news plays an important role in society awareness of various issues and problems it faced, especially when the newspapers publish cases of deviation, lawlessness, financial corruption, administrative corruption and moral corruption in the society.

The media in general and journalism in particular played an important role in the coverage of crime news in the recent years, especially with the increasing of specialized journalism in the field of crime which tracks,

Analyzes and explains the different types of crime news. Crimes news occupies important sites in the public newspapers. The number of the readers who read crime newspapers is increasing.

This study represents one of the first Omani studies according to the researcher's knowledge. In general, the study deals with the crime news by analyzing the content of crime news in the local newspaper. The study aims to detect, analyze, interpret and disseminate reality of crime news in the Omani daily newspapers according to the social and media context in the Sultanate. The study used content analysis as a tool for data collection and analysis in the context of the media survey.

The study found a number of results including: the low degree of interest in Oman daily newspaper and ALRoyah newspaper in the crime news publishing. The results of the study revealed that the two newspapers focused their attention on the publishing of news especially killing news, and they did not pay much attention to identify the nationality of the crime perpetrator. The study shows that the Asian nationality acquired the highest rate in the commission of crimes in the two newspapers.

The Oman daily newspaper and ALRoyaa newspaper used to publish pictures of the accused in the crimes. The study's results also show the high rate of publishing personal photos of the foreign nationality in the crime news during the period of the study sample. In addition, the study highlights that the Asian and African nationalities got the higher rate compared with European and American nationalities which got small percentage.

The study relied on local and international news agencies such as (Ona - AFP - Qena – DBA - Reuters - WAFA) in covering crime news. In addition, they relied on its own Sources and ROP.

Keywords: crime news, Omani press, Arab newspapers.

مقدمة:

أضحت ظاهرة انتشار الجريمة في الدول المختلفة محل اهتمام الباحثين والمهتمين في أكثر من حقل علمي، واهتم الباحثون بالدور الذي تلعبه وسائل الإعلام بشكل عام في الحد من الجريمة ومنع تفاقمها، خاصة في المجتمعات التي تكثر فيها الجريمة بمختلف أنواعها (أبو جلال، 2011: 86-69).

وقد تزايد الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام بشكل عام والصحافة بشكل خاص في تغطية أخبار الجريمة، في السنوات الأخيرة خاصة مع تزايد انتشار الصحافة المتخصصة في مجال الجريمة التي تتابع كل ما يتعلق بالجريمة وأنواعها (المشاقبة، 2011: 252). وتحتل أخبار الجرائم في الصحف موقعا مهما، كما يزيد إقبال الجمهور على قراءة صحف الجريمة. ويرجع اهتمام الصحافة بأخبار الجريمة إلى انتشار السلوك الإجرامي في المجتمع المعاصر مما أدى إلى بروز الجريمة بصورة ملفتة للنظر من ناحية، والرغبة في إشباع احتياجات القراء من ناحية أخرى، بعد أن أصبحت أخبار الحوادث والجرائم مثار اهتمام الجمهور (المشاقبة، 2011: 294).

وتقوم وسائل الإعلام بتغطية أخبار الجريمة لعدة أسباب منها التقويم والإصلاح، والحث على الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة والسلوك الحسن، وتوجيه النقد لبعض الجهات في حال تقصيرها في معالجة النواحي الأمنية، وإشراك المجتمع في معالجة النواحي الأمنية مع ملاحقة الجناة والقبض عليهم (McQuile,1992: 56).

وتلعب صحافة الجريمة دورا مهما في تطهير المجتمع من الفساد، وذلك عندما تقوم بنشر حالات الانحراف والفساد المالي والإداري والسياسي في المجتمع خاصة في المجتمعات الديمقراطية (Richard,1976: 172-180). ونجحت الصحف في أكثر من دولة في إرسال مجموعة من السياسيين وكبار رجال الأعمال والنقابيين إلى السجون (Ncal,1968: 267-272). كما نجحت بعض الصحف في الكشف عن الانحراف في أجهزة مقاومة الجريمة نفسها، وساهمت بذلك في إصلاح العديد من السجون، ووقف الانحرافات التي كان يمارسها بعض القضاة، والحد من حالات الفساد واستغلال النفوذ من جانب رجال الشرطة.

وتعود أصول صحافة الجريمة في العالم إلى العام 1833 عندما صدر العدد الأول من صحيفة (ذا نيويورك صن The New York Sun) في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي تضمن موجزا عن حوادث حريق وسرقة وانتحار وجرائم تحقق فيها الشرطة ومحاكمات (مينتشر، 1992: 40). ومثلت هذه الصحيفة بداية لنشأة نوع جديد من الصحافة تعتمد على الفضائح وتعيش على نشر أخبار الجرائم، عرفت تاريخيا باسم الصحافة الصفراء (الألوسي، 2012: 120-130).

وقد ازدهرت صحافة الجريمة بفضل التنافس على التوزيع والإعلان الذي دار بين اثنين من رواد الصحافة الأمريكية وهما بوليتزر وهيرست Pulitzer and Hearst للسعي وراء مزيد من الإثارة، ومن أجل الحصول على المزيد من القراء عن طريق نشر قصص الجريمة والجنس والعنف بكثافة كبيرة. وفي بريطانيا تطور نموذج آخر من صحف الإثارة التي تركز على الجريمة، وهو ما عرف بالصحف النصفية أو صحف التابلويد.

وانتقل الاهتمام بأخبار العنف والجرائم والأخبار السلبية والفضائح إلى الصحف العربية منذ فترة مبكرة من تاريخ الصحافة العربية. وتنفرد الصحافة المصرية على المستوى العربي بالتركيز على نشر أخبار الجرائم، وتخصيص صفحات للجريمة في الصحف اليومية، إلى جانب إصدار صحف متخصصة في مجال الجريمة مثل صحيفة "أخبار الحوادث" النصفية الأسبوعية التي تصدر عن مؤسسة أخبار اليوم.

ويثير نشر أخبار الجرائم في الصحف جدلاً متزايداً بين تيارين، عبر عنهما أبو زيد (1986: 133) في اتجاهين رئيسين، وهما:

الاتجاه الأول: يرى أن نشر أخبار الجريمة يساعد على انتشارها ويشجع على ارتكابها، خاصة وأن هناك مدة زمنية قد تطول بين وقوع الجريمة وصدور الحكم النهائي على الجاني، بحيث لا يقرن نشر الجريمة بالعقاب الذي يحصل عليه المجرم عنها، وبالتالي فإن القارئ يقرأ خبر الجريمة دون أن يتضمن الحكم الصادر فيه. لذلك فإن أصحاب هذا الرأي يطالبون الصحف بالتقليل من نشر أخبار الجريمة. وقد أكد أصحاب هذا الاتجاه استنادا إلى العديد من الدراسات والبحوث العلمية، تأثر الشباب بالجرائم التي يقرؤونها ومحاولة تقليد ما قرأوه في تلك الصحف.

الاتجاه الثاني: يرى أن نشر أخبار الجريمة يمنع تكرارها، لما يحققه النشر من التوعية بأساليب المجرمين وكيفية مواجهة الجريمة، وكذلك فإن نشر العقاب يردع الآخرين من التفكير في الجريمة نفسها. ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الجريمة جزء من الواقع الاجتماعي، وبالتالي فإن تجاهل هذا الواقع يعني تجاهل الصحافة جزء من واجبها، لأن الصحافة مرآة المجتمع. ويقوم هذا الرأي على أن منع نشر أخبار الجريمة لا يقلل من وقوعها بل يزيد من انتشارها، لأنه يحرم الصحافة من أداء دورها في توعية المجتمع بأخطار الجريمة. وفي كثير من الحالات أدى تجاهل الكثير من الظواهر الإجرامية في المجتمع إلى انتشارها وتحولها إلى وباء اجتماعي يصعب علاجه، مثل انتشار المخدرات والاختلاس والرشوة.

ومنذ نشأتها في مطلع السبعينيات من القرن الماضي، اهتمت الصحافة العمانية بأخبار الجريمة، ولكن هذا الاهتمام ظل محدوداً خاصة فيما يتعلق بالجرائم التي تقع داخل السلطنة. وساهم النظام الإعلامي الذي تشكل في عهد النهضة في عزوف الصحف اليومية عن تخصيص صفحات لأخبار الجريمة التي تنشر ضمن المتابعات الإخبارية المحلية واعتماداً على المصادر الرسمية المتمثلة في شرطة عمان السلطانية، والادعاء العام والمحاكم.

وقد لاحظ الباحثان أن هناك تحولا واضحا وملموسا في تناول الصحافة العمانية للجريمة في السنوات الأخيرة، يتمثل في تزايد نشر أخبار الجريمة، وهو ما أكدته دراسة استطلاعية محدودة تم إجراؤها على عينة من الصحف العمانية خلال الفترة من أول مارس إلى نهاية أبريل من العام 2018، كما لاحظا في الوقت نفسه غياب الدراسات العلمية التي تحلل أخبار وموضوعات الجريمة في الصحافة العمانية رغم أن عمر هذه الصحافة قد تجاوز الأربعين سنة. وقد مثل ذلك دافعا قويا لإخضاع صحافة الجريمة للبحث العلمي من خلال تحليل مضمون الصحف العمانية اليومية فيما يتعلق بأخبار الجريمة.

الإطاران النظري والمنهجي للدراسة:

تضم خريطة الصحف اليومية في السلطنة سبع صحف، منها أربعة ناطقة باللغة العربية هي: الوطن، عمان، الشبيبة، والرؤية، وثلاثة ناطقة باللغة الإنجليزية هي: تايمز أوف عمان Times of Oman، عمان أوبزيرفر Oman Observer، مسقط دايلي Muscat Daily. ويثير هذا العدد الكبير من الصحف اليومية إلى جانب عدد آخر من الصحف الأسبوعية العامة والمتخصصة والمجلات الشهرية والدورية السؤال عن الأدوار والوظائف التي تقوم بها هذه الصحافة في إعلام المواطنين وتوعيتهم بما يدور حولهم من أحداث قد تؤثر على حياتهم، ومن أهمها بالطبع الأحداث التي تأخذ طابع الجريمة والخروج عن القانون.

ومن هنا تبرز أهمية تحليل التغطية الصحفية لأخبار الجريمة في الصحف العمانية اليومية، وذلك من خلال تحليل مضمون عينة من هذه الصحف، للوقوف على واقع هذه التغطية وخصائصها، بما يعود بالنفع على المجتمع وعلى الصحافة.

النظرية والتراث العلمي:

نظرية البنائية الوظيفية:

تستند الدراسة إلى نظرية "البنائية الوظيفية" **Structural Functionalism Theory** كإطار نظري يقود خطواتها ويفسر نتائجها

تنطلق النظرية من فكرة أن ظاهرة الاتصال الإنساني لا يمكن دراستها باعتبارها ظاهرة تحدث في فراغ، بعيداً عن المجتمع، فالاتصال مهما كانت وسائله، ومهما كان مستواه، هو في النهاية عملية ديناميكية، فالقائم بالاتصال جزء من المجتمع، والمتلقي (المستهدف) في هذه العملية جزء من المجتمع، وتلقي الرسالة واختيار الوسيلة يتم وفقا لطبيعة المجتمع. وتأسيسا على ذلك فان عملية الاتصال لها وظائف ونتائج يسعى القائم بالاتصال إلى تحقيقها، كما أن عملية الاتصال قد تؤدي أحيانا إلى نتائج أخرى غير مرغوب فيها "Dysfunctions".

والنظرية البنائية الوظيفية هي نظرية اجتماعية شاملة تم تطبيقها على وسائل الإعلام على يد Merton في عام 1957، وتقوم على فكرة أن أنشطة المجتمع فردية كانت أو مؤسسية تلبي حاجات هذا المجتمع، التي تتمثل في الحاجة إلى الاستمرار والبقاء، والحاجة إلى النظام والاستقرار، والحاجة إلى التكامل والتضامن، والحاجة إلى الدوافع والحوافز، والحاجة إلى الإرشاد والتوجيه، والحاجة إلى التكيف (مكاوي، 1998: 124-131).

وتتضمن النظرية عدداً من المفاهيم الأساسية. والمفهوم الرئيس في النظرية هو مفهوم "الوظيفة"، وهو مفهوم يعبر عن الوظائف التي تؤديها وسائل الإعلام للفرد والمجتمع. ويطرح هذا المفهوم إشكالية استعمال أكثر من معنى لمفهوم الوظيفة، إذ يتم استعماله بمعنى "الهدف" ومعنى "التأثير" ومعنى "المطلوب من وسائل الإعلام القيام به". وعلى سبيل المثال فإن هناك ثلاثة معاني للوظيفة الإعلامية أو الإخبارية: الأول: أن وسائل الإعلام تحاول أن تخبر أو تعلم الناس (هدف)، والثاني: أن الناس يتعلمون من وسائل الإعلام (تأثير)، والثالث: أنه يجب على وسائل الإعلام أن تخبر أو تعلم الناس (المطلوب أو المتوقع).

ويضع الباحثان في اعتبارهما الانتقادات الموجهة إلى هذه النظرية، وأهمها أنه ليس بها أي تصور أيديولوجي معين عن وسائل الإعلام في المجتمع وتفترض التوافق الأيديولوجي بين وسائل الإعلام وبين المجتمع، كما أنها تحصر دور وسائل الإعلام في الإبقاء والمحافظة على الوضع الراهن في المجتمع، وتتجاهل دورها كمصدر محتمل للتغيير الاجتماعي. أي أنها تكرس الاتجاهات المحافظة.

ورغم أن الدراسة - وفقا لطبيعتها الوصفية وأهدافها التحليلية- لا تختبر مقولات هذه النظرية، إلا أنها تستخدمها كإطار نظري مرجعي على اعتبار أن نشر أخبار الجرائم في الصحف العمانية يؤدي وظيفة أو مجموعة وظائف محددة. وتستند الدراسة على هذه النظرية في تفسير ما تفترض أنه خصوصية لمعالجة أخبار الجريمة في الصحافة العمانية وتركيزها على أنواع معينة من الجرائم وتجاهل النشر عن أنواع أخرى، وذلك في ضوء ما أكدته النظرية عن وظيفة الحفاظ على الأوضاع الراهنة وتكريس الاتجاهات المحافظة في المجتمع العُماني.

التراث العلمي:

لم يعثر الباحثان على دراسات عمانية تناولت تغطية أخبار الجريمة في الصحافة العمانية بشكل مباشر. ومع ذلك فقد أشارت بعض الدراسات التي تناولت قضايا إعلامية وصحفية في سلطنة عمان من مداخل أخرى، إلى أخبار الجريمة خاصة على صعيد قرائية تلك الأخبار. فقد خلصت دراسة بهوان (2006)، إلى أن موضوعات الحوادث والجريمة احتلت المركز الثامن بنسبة (37.3%) بين الموضوعات التي تحرص عينة الدراسة على قراءتها في الصحف العمانية بصفة عامة. والواقع أن هذا التأخر النسبي لأخبار وموضوعات الجريمة في ترتيب القرائية يمثل حافزا لتحليل أخبار الجريمة في الصحافة العمانية للكشف عن العوامل المسؤولة عن تراجع هذه الأخبار في سلم الاهتمام لدى القارئ العماني.

في المقابل استهدفت دراسة عائشة الغابشية (2002) حول "استخدام المرأة لوسائل الإعلام والاشباعات المتحققة"، تحديد العوامل المؤثرة في استخدام المرأة لوسائل الإعلام، وخلصت إلى أن موضوعات الجرائم احتلت المرتبة الثالثة بنسبة 51.2% بين أكثر الموضوعات قراءة من جانب المرأة العمانية، وجاءت بعد الأخبار العامة، والموضوعات الأدبية. ورغم تقدم صحافة الجريمة في التفضيل في هذه الدراسة إلا أن اقتصارها على المرأة يجعل من الصعب تعميم هذه النتيجة على القراء من الجنسين في السلطنة. وفي الوقت نفسه فإن هذه النتيجة تؤكد أهمية دراسة هذه الصحافة وتحليلها وتحديد خصائصها التحريرية والموضوعية، وهو ما قد يفسر تقدم أو تراجع ترتيبها في قوائم القرائية. وعلى هذا الأساس يمكن القول إن دراسة مضمون صحافة الجريمة في سلطنة عمان تسهم إلى حد كبير في دعم التراث العلمي في هذا المجال، وذلك من خلال التركيز على تحليل الرسالة الإعلامية، كما أنها تمثل مقدمة ضرورية لدراسة الجوانب الأخرى لهذه الصحافة مثل القائم بالاتصال والجمهور والأثر.

وعلى خلاف دراسات وبحوث الصحافة في سلطنة عمان التي لم تتناول مضمون صحافة الجريمة في بحوث منفردة، فإن هذه الصحافة نالت اهتماما ملحوظا من جانب الباحثين في المدارس البحثية المختلفة في الصحافة والإعلام. ويمكن تقسيم هذه الدراسات وفقا للهدف من دراستنا إلى نوعين هما: **دراسات تناولت تحليل مضمون صحافة الجريمة، ودراسات تناولت صحافة الجريمة من مداخل أخرى (القيود المفروضة عليها وتأثيراتها وقارئتيها).**

في النوع الأول تبرز دراسة **عبد الرحمن المطيري (2010) حول "التغطية الصحفية لأخبار الجرائم في الصحافة السعودية: صحيفة الرياض أنموذجاً". وقد** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على حجم التغطية الصحفية لأخبار الجريمة، وتحديد نوع الجرائم التي تنشرها الصحف السعودية. واعتمدت الدراسة على تحليل مضمون عينة من الأعداد الصادرة عن صحيفة الرياض لمدة عامين من 2003- 2004. وكشفت الدراسة أن 35% من أخبار الجريمة المنشورة في الصحيفة كانت عن الحوادث المرورية، وأن الفاعل الأساسي في الجرائم المنشورة كان من الذكور بنسبة 45%، في مقابل 5% فقط من الإناث، وباقي الموضوعات لم يوضح فيها نوع مرتكب الجريمة. وأوضحت الدراسة أن 72% من موضوعات الجريمة تمت معالجتها عن طريق الأخبار فقط، وأن 90% من الصحفيين يستقون معلوماتهم عن الجريمة من مصادرهم الذاتية، كما اتضح التركيز على نشر أخبار الجرائم التي تقع داخل السعودية، أكثر من الجرائم العالمية.

وهدفت دراسة **تايلورTaylor (2008)، بعنوان " A Content Analysis of the Portrayal of Females in Crime News"**، إلى تحليل صورة النساء في أخبار الجريمة من خلال تحليل مضمون عينة من صحف ولاية فلوريدا. وقامت الدراسة بتحليل مضمون 292 مقال متصل بتحليل جرائم القتل نشرت في إحدى الصحف في الفترة من1995 إلى 2008. وأظهر التحليل الانقسام بشأن إلقاء اللوم على ضحايا جرائم قتل الإناث بصورة مباشرة وغير مباشرة. وأشارت الدراسة إلى ما أسمته التكتيكات المباشرة في تناول الصحف لجرائم الإناث مثل استخدام لغة سلبية لوصف الضحية، وتسليط الضوء على تصرفات الضحايا، وعدم قيامهن بالإبلاغ عن حوادث في الماضي، وأن تصرفاتهن مع رجال آخرين تسهم في قتلهن، أما عن التكتيكات غير المباشرة فتشمل استخدام لغة متعاطفة لوصف مرتكب الجريمة؛ والتأكيد على جوانب الجاني البدنية والعقلية والعاطفية، والمشاكل المالية التي يواجهها، وتسليط الضوء على مشاكل الضحية العقلية أو البدنية.

وخلصت دراسة اليماني (2007): حول " قضايا الانحراف المستحدثة كما تعكسها الصحف المصرية" إلى تأكيد اهتمام صحيفتي "الجمهورية"، و"الأسبوع" بنسب متفاوتة بقضايا انحراف الشباب المستحدثة خاصة الفئة العمرية (26-40 عاماً)، واعتمادهما على أسلوبي المبالغة والإثارة العاطفية بنسبة تصل إلى 72% في صحيفة "الأسبوع"، ثم جاء أسلوب الموضوعية في عرض الحقائق في الترتيب الثاني لصحيفة "الجمهورية"، ثم أسلوب التحذير والتخويف. أما بالنسبة لصحيفة "الأسبوع"، فجاء أسلوب التخويف والتحذير في المرتبة الثانية، ثم الموضوعية وعرض الحقائق بنسبة 8%. وقد أبدى معظم أفراد عينة الدراسة الميدانية موافقتهم على أن النشر الصحفي للجريمة يساعد على إظهار المجرم في صورة البطل، كما أن 48% من أفراد العينة يرون أن المعالجة الصحفية تكشف عن أساليب تخطيطية جديدة في المعالجة والطرح الإعلامي لتلافي سلبيات النشر، والذي يؤدي بدوره إلى غرس قيم ومفاهيم غير مرغوب فيها، خاصة لدى فئة المراهقين.

وأشارت دراسة ربيع (2007) حول "المعالجة الصحفية لقضية التحرش الجنسي، إلى وجود فروق في المعالجة الصحفية لقضية التحرش الجنسي، ليس فقط على مستوى نوع الصحف (قومية أو حزبية أو خاصة) وإنما أيضا بين الصحف التي تنتمي لنفس النوع. وجاءت الصحف الخاصة في الترتيب الأول من حيث تناولها لأطر المعالجة الصحفية لقضية التحرش الجنسي (الأفكار الرئيسية- أسباب حدوث القضية- الحلول المقترحة للقضية)، وذلك بنسبة 52.3%، تليها الصحف الحزبية بنسبة 30.8%، فالصحف القومية بنسبة 16.9%، وهو ما يتفق مع ما توصلت له نتائج الدراسة الميدانية. وجاءت الصحف الخاصة في الترتيب الأول من حيث ثقة المبحوثين فيما قدمته من معلومات حول قضية التحرش، وذلك بنسبة 63%، تليها الصحف الحزبية بنسبة 31%، ثم الصحف القومية بنسبة 23%. وخلصت الدراسة إلى أن الإطار الرئيسي الذي قدمت فيه القضية هو إطار انتهاك حقوق الإنسان وجاء في الترتيب الأول الصحف القومية، أما بالنسبة للصحف الحزبية والخاصة فقد جاء إطار وجود حالات من التحرش الجنسي تحدث للأطفال في المرحلتين الابتدائية والإعدادية في الترتيب الأول.

وانتهت دراسة رايت ومارك Wright & Mark (2007) التي حللت مضمون التغطية الصحفية لجريمة قتل باتريك دينهي، في أربع صحف هي (The New York Times)، و(The Dallas Morning News)، و(Fort Worth Star Tele-Gram)، و(Waco Tribune-Herald). إلى أن المسؤولين في الجامعة التي وقعت فيها الجريمة، حصلوا على أعلى نسبة من المصادر التي تم الاعتماد عليها في تغطية الأخبار المرتبطة بهذه الجريمة. وجاء المسؤولون القانونيون والمحامون كثاني أكثر المصادر التي تم الاعتماد عليها في الحصول على معلومات حول الجريمة وتطورات التحقيق فيها.

وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الصحف الأربعة في استخدام المصادر الإعلامية. وكشفت المقابلات المتعمقة التي تضمنتها الدراسة عدم حرص الصحفيين على تقييم مصداقية المصادر التي يتم الحصول على المعلومات منها بخصوص الجريمة، وأشار الصحفيون إلى أن المواعيد النهائية، والمنافسة تمثل ضغوطا كبيرة في اختيار المصدر بصرف النظر عن التحقق من مصداقية المصدر.

وهدفت دراسة العشري (2005) إلى التعرف على نوعية جرائم المال العام التي نشرتها الصحف المصرية، ومعرفة صورة رجال الأعمال في الصحافة المصرية من خلال ما ينشر عن جرائم المال التي يرتكبها البعض منهم. واعتمدت الدراسة على منهج المسح الإعلامي والمنهج المقارن، وشملت عينة الدراسة صحف (الأهرام، الوفد، الأهالي، والأسبوع) في الفترة من يناير 2002 حتى يناير 2004. وخلصت الدراسة إلى أن الصحف المصرية اعتمدت في تغطيتها لجرائم المال العام على المواد الخبرية دون الاهتمام بالفنون التحريرية الأخرى، مثل المواد الاستقصائية ومواد الرأي والتي احتلت مرتبة متأخرة مقارنة بالفنون التحريرية الأخرى، بالإضافة إلى اقتصار الصحف على نشر أخبار الجرائم دون الوقوف عند أسباب الجريمة والعوامل التي أدت إليها وسبل القضاء عليها.

وخلصت دراسة المغامسي (2004) إلى تأكيد انخفاض المساحة الإجمالية لأخبار الجرائم والحوادث في الصحف السعودية، التي لا تفرد صفحات خاصة بأخبار الحوادث والجرائم باستثناء صحيفة "عكاظ". وأظهرت الدراسة وجود تفاوت نسبي في نشر أخبار الحوادث والجرائم المنشورة في الصحف عينة الدراسة، وأن أخبار الجرائم العالمية جاءت في المرتبة الأولى في معظم الصحف. وتبين الدراسة أن جرائم القتل والشروع بالقتل والتفجيرات والإحراق المتعمد حازت أعلى نسبة من أخبار الجرائم المنشورة في الصحف عينة الدراسة، وأن الصحف السعودية ليس لديها سياسات محددة لنشر أخبار الجرائم والحوادث الأمنية.

وتوصلت دراسة القليني (2002) حول "جرائم الأطفال المنشورة في الصحف اليومية إلى أن صحيفة الأهرام لم تعط جرائم الأطفال الاهتمام الكافي،

واقتصر الاهتمام على نشر أخبار جرائم الصغار اعتمادا على مصادر رسمية تتمثل في رجال الشرطة بشكل أساسي، وهو ما أدى إلى تقديم هذه الجرائم خارج السياق الاجتماعي الذي وقعت فيه، وبطريقة غير مفهومة. وانتهت الدراسة إلى أن الصحفيين لا يشاركون في صنع أخبار الجريمة ولا يبحثون وراءها، ويكتفون في الغالب بنقل الجرائم للقارئ فقط، اعتمادا على المصادر الرسمية. وتوصلت **دراسة حافظ (2001) حول "الصحافة والدفاع الإجتماعي ضد الجريمة إلى** أن للصحف دوراً كبيرا في تعليم الأطفال مظاهر العنف من خلال ما تقدمه وما تعرضه من مضامين وصور يغلب عليها المبالغة. وأبرزت الدراسة الدور الذي يقع على عاتق القائم بالاتصال في هذا المجال. وأوصت الدراسة بضرورة مراعاة بعض الضوابط المتصلة بنشر الجريمة.

وهدفت **دراسة ينغ Ying (2001)** إلى تحليل نماذج مختلفة من تغطيات أخبار الجريمة، وانتهاك القوانين، ومشاكل أخلاقيات المهنة الصحفية في إطار مقارن بين جمهورية الصين الشعبية، وبين الدول الغربية. وقد حرصت الدراسة على مراعاة الفجوة القائمة بين الثقافتين الصينية والغربية لتقديم تفسير دقيق لأخبار الجريمة يراعي المرجعية الثقافية لكل دولة، وهو الأمر الذي يساعد على التفسير الأدق لكيفية صياغة الصحفي لأخبار الجريمة.

وخلصت الدراسة إلى أن أخطاء الصحفيين الصينين في التقارير الإخبارية الخاصة بالجريمة كانت أقل مقارنة بنظرائهم في الدول الغربية الذين يستهدفون تحقيق الربح المادي، فيما يستهدف الصينيون تحقيق الربح الاجتماعي (أي القبول المجتمعي للصحفي وجريدته).

أما الدراسات **التي تناولت صحافة الجريمة من مداخل أخرى فتمثلها دراسة Fusco (2011) التي** هدفت إلى تحليل القيود المفروضة على وسائل الإعلام في تغطية الوقائع التي تحدث خارج قاعات المحاكم، وكذلك تأثير التغطية الإعلامية على الصحة النفسية لضحايا الجريمة، وذلك بعد أن فرضت حكومة مقاطعة كيبيك بكندا مجموعة من القيود على وسائل الإعلام ومن بينها الصحافة في تغطية وقائع المحاكم من أجل الحد من تأثير الصحفيين على العدالة. وانتهت الدراسة إلى وجود تأييد ساحق لهذه القيود؛ حيث أيد 79% من المبحوثين تقييد وسائل الإعلام في نشر وقائع المحاكمات. وتضمنت الدراسة بحث أثر وسائل الإعلام على ضحايا الجريمة، وانتهت إلى أن ضحايا الجريمة يكونون عرضة لمشاكل الصحة النفسية. وأثبتت الدراسة أن الجمهور يوافق على تقييد حضور وسائل الإعلام داخل المحاكم، وأن العوامل الفردية قد تفسر كيف تؤثر التغطية الإعلامية على ضحايا الجريمة.

وأشارت دراسة نصيف وآخرون (2006) إلى زيادة وعي القراء بما يجري في المجتمع السعودي من جرائم، واستعداد المبحوثين لمعاونة الشرطة للتصدي للجرائم والقضاء عليها. وكشفت الدراسة أن متابعه أخبار الجريمة تشجع القراء على محاكاة المجرمين، حيث أبدى 52% من المبحوثين إعجابهم بمهارة المجرمين، كما يرى 41% من المبحوثين أن أجهزة الأمن غير قادرة على التصدي للجرائم. وخلصت **دراسة الصادق (2003) حول "أخلاقيات نشر مادة الجريمة في الصحافة المصرية"**، إلى وجود تأثير قوي لمراعاة أخلاقيات النشر في الصحف المصرية وتأثيراتها على جمهور القراء على نحو إيجابي ومباشر. وأوصت بضرورة مراعاة أخلاقيات نشر الجريمة بشكل يغلب عليه الاتزان في النشر والواقعية في العرض، مع تجنب الإثارة الصحفية بغية الوصول إلى تأثير مباشر وإيجابي على القارئ.

ومن خلال استعراض الدراسات السابقة لاحظ الباحثان عدم وجود دراسات تتناول صحافة الجريمة في سلطنة عمان بوجه عام، وأخبار الجريمة في الصحف اليومية على وجه الخصوص. وقد أضافت الدراسات السابقة للباحثين جوانب وأبعاداً معرفية ومنهجية مهمة، ساعدت في وضع تصور الدراسة وتحديد مشكلة البحث التي تركز على تحليل أخبار الجريمة في الصحف اليومية في سلطنة عمان، كما ساهمت على المستوى الإجرائي في صياغة تساؤلات الدراسة الحالية وتحديد المنهج العلمي المناسب وأدوات جمع وتحليل البيانات.

وفي ضوء ما سبق، فإن الدراسة باستهدافها الصحف العمانية اليومية الصادرة باللغة العربية وتحليلها لواقع النشر وأساليب المعالجة الصحفية المتبعة لأخبار الجريمة فيها، تحاول أن تسد فجوة في التراث العلمي الخاص بصحافة الجريمة في سلطنة عمان من جانب، وتضيف جديداً للدراسات التي تم إنجازها حول نفس الموضوع في دول أخرى.

مشكلة الدراسة:

شهدت السنوات الأخيرة تزايداً ملحوظا في اهتمام الصحف العمانية بنشر أخبار الجريمة، وقد لاحظ الباحثان من خلال عمله صحفيا في صحيفة عمانية يومية أن نشر أخبار الجريمة لا يتم وفق معايير واضحة، وأن هذا النشر يعتمد على ما تستقبله تلك الصحف من أخبار وموضوعات جاهزة من الجهات المختصة بالجريمة، مثل شرطة عمان السلطانية، والادعاء العام، كما أن النشر يتم وفق ما تريده هذه الجهات التي تتحكم بدرجة كبيرة في انتقاء الأخبار والعناوين والصور المصاحبة.

وخلص الباحثان من خلال دارسة استطلاعية أجرياها على الصحف اليومية الناطقة باللغة العربية في السلطنة إلى تزايد اهتمام الصحافة العمانية بنشر أخبار الجرائم، التي قفز بعضها في السنتين الأخيرتين إلى الصفحات الأولى في أعقاب تظاهرات فبراير 2011، وهو ما يمكن إرجاعه إلى التحولات التي شهدها المجتمع العماني في السنوات الأخيرة، تلك التحولات التي زادت من معدلات الجريمة، ومن الاهتمام الجماهيري بها كمشكلة اجتماعية تهدد السلم العام. حيث يشير الادعاء العام بسلطنة عمان أن مجمل القضايا المحالة إلى الادعاء العام من 2018/1/1 حتى 2018/3/31 بلغت 11506 قضية، منها 90% قضايا جنح، و10% قضايا جنايات، منها 6673 قضية تم حفظها، فيما تم تحويل 4833 قضية إلى المحاكم، وتنوعت تلك القضايا ما بين قضايا سرقة، وإصدار شيكات بدون رصيد مالي، وإهانة كرامة، وقضايا حماية المستهلك، وقضايا مخدرات، وقضايا أخرى متنوعة، وبلغ عدد المتهمين في القضايا 11980 متهما بينهم 7170 متهما عمانيا، و4810 متهمين وافدين، و264 متهما حدثا.

في نفس الوقت فقد بدأت شرطة عمان السلطانية مؤخراً تولي اهتماماً كبيراً بنشر كل ما يتعلق بالجرائم مثل السرقة، والاغتصاب، والتسلل، والاحتيال الإلكتروني، والقتل، وغيرها، وتحرص على نشر ما تقوم بضبطه من قضايا في مختلف الصحف المحلية، وذلك عبر مواد خبرية تحررها دائرة العلاقات العامة بشرطة عمان السلطانية وتزود بها الصحف بشكل منتظم.

في ضوء هذه التحولات في الاهتمام، وفي ضوء غياب دراسات علمية تحلل واقع صحافة الجريمة في سلطنة عمان، تتبلور مشكلة الدراسة في وصف وتحليل وتفسير واقع تغطية الجريمة في الصحافة العمانية، وذلك من خلال تحليل مضمون أخبار الجريمة المنشورة في الصحف اليومية الصادرة باللغة العربية خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عام 2018.

أهمية الدراسة:

تمثل هذه الدراسة أولى الدراسات العمانية المتخصصة التي تتناول صحافة الجريمة بوجه عام، وتحلل مضمون أخبار الجريمة في الصحافة المحلية على وجه خاص. ويتوقع أن تشكل هذه الدراسة أرضية لدراسات أخرى يقدمها باحثون في حقول علمية مختلفة على رأسها حقل الإعلام وعلوم الجريمة في السلطنة، إلى جانب أنها قد تسهم في الخروج برؤية واضحة حول خصائص التغطية الصحفية للجريمة يمكن من خلالها تحديد المعايير والأسس الصحفية في نشر أخبار الجريمة.

أهداف وأسئلة الدراسة:

يتمثل الهدف الرئيس للدراسة في كشف وتحليل وتفسير واقع نشر أخبار الجريمة في الصحف العمانية اليومية، وتحديد العوامل المجتمعية والمؤسسية والمهنية المؤثرة في عملية النشر. ولتحقيق هذا الهدف الرئيس فإن الأهداف الفرعية للدراسة تشمل:

1. كشف وتوصيف وتفسير حجم اهتمام الصحف العمانية (عينة الدراسة) بأخبار الجريمة.
2. كشف وتوصيف نوعية اهتمام الصحف العمانية (عينة الدراسة) بالجريمة.

وفي ضوء الأهداف السابقة وبسبب طبيعتها الكشفية الوصفية، تسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

1. ما حجم اهتمام الصحف العمانية (عينة الدراسة) بأخبار الجريمة؟ ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيس، التساؤلات الفرعية التالية:

- ما نوع المادة الإخبارية المستخدمة في نشر أخبار الجريمة؟
- ما المساحات التي تحتلها أخبار الجريمة مقارنة بموضوعات الصحيفة الأخرى؟
- ما مواقع نشر أخبار الجريمة في صحيفتي الدراسة؟
- ما نوع الصور المنشورة مع أخبار الجريمة؟

2. ما نوعية اهتمام الصحف العمانية (عينة الدراسة) بأخبار الجريمة؟ ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيس، التساؤلات الفرعية التالية:

- ما أنواع الجرائم التي تحرص الصحف العمانية (عينة الدراسة) على نشرها؟
- ما نوع وجنسية المتهمين في الجرائم المنشورة؟
- ما مصادر أخبار الجريمة التي تعتمد عليها الصحف عينة الدراسة في تغطية أخبار الجريمة؟
- ما نوع التغطية الصحفية المستخدمة في الصحف عينة الدراسة في تغطية أخبار الجريمة؟
- ما هدف التغطية الصحفية في أخبار الجريمة؟
- ما الإطار الجغرافي للجرائم التي تغطيها الصحف العمانية عينة الدراسة؟
- ما أساليب التحرير الصحفي المستخدمة في الصحف عينة الدراسة في تقديم أخبار الجريمة؟
- ما مدى موضوعية التغطية التي تقدمها الصحف العمانية عينة الدراسة في أخبار الجريمة؟

نوع ومنهج الدراسة:

تنتمي الدراسة إلى الدراسات الوصفية Descriptive Studies (عبد الحميد، 2004: 159). وتأسيسا على ذلك فإن الدراسة تكشف وتوصف وتفسر واقع نشر أخبار الجريمة في الصحافة العمانية بغرض الوصول إلى استنتاجات مفيدة حول هذه الظاهرة

والعوامل المؤثرة فيها، وبالتالي تقييم هذا الواقع وتحديد سبل تطويره. وتركز الدراسة على وصف وتحليل المواد الصحفية أو الموضوعات المنشورة في الصحافة العمانية اليومية (عينة الدراسة) المتعلقة بأخبار الجريمة.

وتعتمد الدراسة على منهج المسح الإعلامي، باعتباره من أنسب المناهج العلمية للدراسات الوصفية بصفة عامة، على أساس أنه يستخدم في دراسة الظواهر أو المشكلات البحثية في وضعها الراهن (عبد الحميد، 2004: 157-158). وفي إطار هذا المنهج تستخدم الدراسة مسح محتوى وسائل الإعلام، وهو مجموعة من الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني الظاهرة في المحتوى، والعلاقات الارتباطية بين هذه المعاني، من خلال البحث الكمي، والموضوعي، والمنظم لسمات الظاهرة التي يعكسها هذا المحتوى. ويتم استخدام هذا المنهج مسح المضمون أخبار الجريمة في الصحف العمانية اليومية.

أدوات الدراسة:

في إطار منهج المسح الإعلامي، تعتمد الدراسة على أداتي تحليل المضمون والمقابلة غير المقننة. ويعد تحليل المضمون أسلوباً أو أداةً للبحث العلمي يمكن أن يستخدمها الباحثون في مجالات بحثية متنوعة وعلى الأخص في علم الإعلام (حسين، 1996: 22). وفي ضوء ذلك يسعى الباحثان إلى وصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة الإعلامية المتصلة بالجريمة المراد تحليلها- من حيث الشكل والمضمون، وبالتالي وصف هذه المواد الإعلامية التي تعكس السلوك الاتصالي العلني للقائمين بالاتصال. وتتم عملية التحليل بصفة منتظمة، ووفق أسس منهجية، ومعايير موضوعية. ويستخدم الباحثان المقابلة غير المقننة مع المسؤولين عن الصحيفتين (عينة الدراسة) لتفسير بعض نتائج تحليل المضمون.

مجتمع الدراسة والعينة:

تمثل الصحافة العمانية اليومية (الصحف التي تصدر في سلطنة عمان بدورية يومية) المجتمع الرئيسي للبحث. ويتكون هذا المجتمع من سبع صحف، ثلاث منها تصدر باللغة الإنجليزية وأربع باللغة العربية. وتشكل الصحف اليومية الصادرة باللغة العربية المجتمع الفرعي للدراسة بعد أن تم استبعاد الصحف الصادرة باللغة الإنجليزية لأسباب تتعلق بالاختلافات القائمة بينها وبين الصحف العربية والتوجه لقارئ مختلف. والصحف اليومية الأربع الصادرة باللغة العربية والتي تشكل المجتمع الفرعي للدراسة هي صحف: الوطن، وعمان، والشبيبة، والرؤية.

وتحددت عينة الدراسة التحليلية في صحيفة "عمان" التي صدر العدد الأول منها في 18 نوفمبر 1972، وصحيفة "الرؤية" التي صدر عددها الأول في 23 ديسمبر من عام 2009. وقد روعي في اختيار هاتين الصحيفتين أن تكونا ممثلتين للصحف اليومية العمانية. وتمثل عينة الدراسة صحيفتين إحداهما حكومية وهي "عمان" والثانية خاصة وهي "الرؤية"، لاحتمال وجود فروق في معالجة أخبار الجريمة في الصحافة الحكومية والصحافة الخاصة. وقد اختار الباحثان صحيفتين فقط من مجتمع البحث في ضوء ما كشفت عنه الدراسة الاستطلاعية، وفي ضوء ما أكده الكندي (2008:353) و(نصر 2011:194) من وجود قدر كبير من التشابه في المضامين بين الصحف العمانية اليومية. ويتسق هذا الاختيار مع ما استخدمه باحثون آخرون في دراسة الصحافة العمانية مثل: المياحي (2013) في دراسته لقضايا حقوق الإنسان في الصحافة العمانية، واللواتي (2009) في دراسته للمضمون الاقتصادي في الصحافة العمانية، والقصابي (2010) في دراستها للمضمون الفني في الصحافة العمانية.

وقام الباحثان باختيار العينة الزمنية خلال عام 2018، اعتبارا من الأول من شهر يناير 2018 وحتى 31 من شهر مارس 2018، باعتبار أنها كانت أحدث فترة زمنية يمكن دراستها وقت إجراء الدراسة. وتم استخدام عينة الأسبوع الصناعي لاختيار 24 عددا من الصحيفتين بواقع 12 عدد من كل صحيفة (نصر، 2000: 13).

وحدات وفئات تحليل المضمون

يُعني تحليل المضمون بقياس تكرارات ورود أشياء معينة في النص وعلاقاتها معا. وتمثل وحدة التحليل ما يتم عده في المضمون الإعلامي موضع التحليل، وهي أصغر وحدة يظهر من خلالها تكرار الظاهرة في المضمون، بينما تمثل وحدة السياق الفقرة أو الموضوع الذي يتم فحصه للتعرف على وحدات التسجيل، أي أنها جسم المواد التي تحيط بوحدة الترميز (نصر، 2000: 14). وقد استخدم الباحثان المادة الصحفية المتصلة بالجريمة كوحدة للتحليل، والجريمة الرئيسية داخل المادة الخبرية كوحدة للعد والقياس، بالإضافة إلى وحدة المساحة(سم/عمود). وتم تحديد فئات التحليل في فئات "ماذا قيل"، وتهتم بما يشتمل عليه المضمون من كلمات وأفكار ومعان واتجاهات وقيم، وفئات "كيف قيل"، وتهتم بالطريقة التي قُدم بها المضمون الإخباري المتصل بالجريمة في الصحيفتين.

وتشمل فئات "ماذا قيل؟" فئة نوع الجريمة، وفئة نوع الفاعل الرئيس في الجريمة، وجنسية الفاعل الرئيس في الجريمة، وعمر الفاعل الرئيس في الجريمة، ومكان وقوع الجريمة، وفئة المصادر الصانعة لأخبار الجريمة،

وفئة المصادر الناقلة لأخبار الجريمة، والقوالب الفنية المستخدمة في تحرير أخبار الجريمة، وفئة نوع التغطية، وفئة هدف التغطية، وفئة أسلوب عرض أخبار الجريمة. أما فئات "كيف قيل" فتشمل، فئة نوع المادة الخبرية، وفئة المساحة (سم/عمود)، وفئة موقع النشر في الصحيفة، فئة الصور الشخصية المرافقة للخبر، وجنسية صاحب/ أصحاب الصورة الشخصية، والصور الموضوعية المرافقة للخبر.

وقد أخضع الباحثان فئات التحليل لاختبار الثبات Reliability من خلال وضع مفاهيم محددة، ودقيقة لفئات التحليل، وتعريفها إجرائيا، وعرضها على عدد من الأكاديميين المتخصصين في قسم الإعلام بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية«**»، وإجراء اختبار الثبات من خلال إعادة تحليل عددين من صحيفتي "عمان" و "الرؤية" تقع ضمن عينة البحث، وقام الباحثان بتحليل مضمون الصحيفتين وفق فئات التحليل وذلك بعد مرور ثلاثة أشهر من التحليل الأول، للتأكد من درجة التطابق، وقد اعتمد الباحثان على قانون معامل الثبات وفق معادلة هولستي Holsti. وتم احتساب التطابق الذي بلغت نسبته 88.9%، وهي نسبة مقبولة في هذا الإطار.

نتائج الدراسة:

نوع المادة الخبرية المتصلة بالجريمة في "عمان" و "الرؤية"

«**» الأكاديميون الذين تم عرض استمارة تحليل المضمون عليهم، هم: أ.د. محمد نجيب الصرايرة، ود. أنور بن محمد الرواس.

تنوعت المواد الصحفية التي نشرتها صحيفتا "عمان" و"الرؤية" خلال فترة الدراسة بين الأخبار البسيطة والمركبة والتقارير الإخبارية والحية، ويوضح الجدول رقم (1) نوع المادة الخبرية المتصلة بالجريمة في الصحيفتين.

جدول (1) نوع المادة الخبرية المتصلة بالجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	خبر بسيط	خبر مركب	تقرير إخباري	تقرير حي	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	67	8	25	1	101	65.2 %
	%	%66.3	%8	%24.7	%1	100 %	
الرؤية	ك	41	2	11	-	54	34.8 %
	%	%76	%3.7	%20.3	-	100 %	
المجموع	ك	108	10	36	1	155	%100
النسبة	%	%69.7	%6.4	%23.3	%0.6	100 %	

ويشير الجدول رقم (1) أن صحيفتي "عمان" و "الرؤية" نشرتا 155 مادة خبرية تتعلق بالجريمة خلال فترة الدراسة، وقد تفوقت صحيفة عمان في حجم النشر بنسبة 65.2%، بمعدل 101 مادة خبرية، بينما حازت صحيفة الرؤية على نسبة 34.8%، بمجموع 54 مادة خبرية. ويرجع هذا التباين في معدلات الاهتمام بين صحيفتي "عمان" و "الرؤية" بأخبار الجريمة، إلى أن صحيفة "عمان" تصدر في عدد صفحات أكبر يبلغ في المتوسط 56 صفحة يوميا، مقابل 24 صفحة لصحيفة الرؤية، وبالتالي يتوافر لديها مساحات أكبر من صحيفة الرؤية لنشر أخبار الجريمة مقارنة بصحيفة الرؤية.

وبحسب مؤشرات الجدول رقم (1)، فإن صحيفتي "عمان" و "الرؤية" استخدمتا أكثر الخبر البسيط الذي يركز على زاوية واحدة من الحدث في نشر المادة الخبرية المتعلقة بالجريمة، إذ بلغ عدد الأخبار البسيطة في الصحيفتين 108 خبراً بسيطاً، بنسبة 69.7% من إجمالي أخبار الجريمة المنشورة فيهما خلال فترة الدراسة. وقد حازت صحيفة عمان على أعلى معدل من الأخبار البسيطة بلغ 67 خبراً، بنسبة 66.3%، بينما بلغ معدل الأخبار البسيطة في صحيفة الرؤية 41 خبراً، بنسبة 76% من الإجمالي العام للمادة الخبرية في نفس الصحيفة. ويعود التركيز على الخبر البسيط إلى أن الصحيفتين ترد إليهما الأخبار جاهزة من الجهات المختصة بالجريمة وهي شرطة عمان السلطانية والادعاء العام، التي ترسل أخباراً بسيطةً عن كل جريمة تتناولها، دون التعمق في تفاصيل الجريمة، بالإضافة إلى أن الصحيفتين تعتمدان على وكالة الأنباء المحلية، والوكالات العربية والعالمية في الحصول على المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة، وكثيرا ما تضع هذه الوكالات أخبارها في قوالب الخبر البسيط.

واحتل التقرير الإخباري للمادة المتصلة بالجريمة المرتبة الثانية في اهتمام صحيفتي الدراسة، حيث بلغ عدد التقارير الإخبارية الخاصة بالجريمة والمنشورة خلال فترة الدراسة في الصحيفتين 36 تقريراً، تمثل نسبة 23.3% من إجمالي أخبار الجريمة فيهما. وقد نشرت صحيفة "عمان" 25 تقريراً إخبارياً، بنسبة 24.7%،

بينما بلغ عدد التقارير الإخبارية المنشورة في صحيفة "الرؤية" 11 تقريراً إخبارياً، بنسبة 20.3%. وركزت التقارير الإخبارية للمادة المتعلقة بالجريمة على الجرائم المحلية داخل سلطنة عمان التي يغطيها المحررون، ومراسلو الصحيفتين في الداخل، حيث يتم التوسع في سرد تفاصيل الجريمة، وتكون لديهم الحرية في الحصول على معلومات أكثر عن الجريمة، دون الاعتماد على بيانات جاهزة من الجهات المختصة بالجريمة.

وجاء الخبر المركب للمادة المتعلقة بالجريمة في المرتبة الثالثة من اهتمام صحيفتي "عمان" و "الرؤية"، إذ بلغ عدد الأخبار المركبة المنشورة في الصحيفتين 10 أخبار، بنسبة 6.4%. نشرت فيها صحيفة "عمان" ثمانية أخبار بنسبة 8% من إجمالي المواد الخبرية المنشورة في الصحيفة، في حين بلغ عدد الأخبار المركبة المنشورة في صحيفة "الرؤية" خبرين فقط، بنسبة 3.7% من إجمالي المواد الخبرية المنشورة في الصحيفة. ولم تهتم الصحيفتان كثيرا بهذا النوع من المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة، إلا في الحالات التي تتطلب ربط بعض المواد الخبرية من أكثر من مصدر صانع لخبر الجريمة، كالمسؤولين ورجال الشرطة والتحقيق والادعاء العام، وأكثر من مصدر ناقل لخبر الجريمة مثل وكالات الأنباء المحلية والعربية والعالمية.

أما التقارير الخبرية الحية فبلغ عددها في صحيفتي الدراسة، تقرير واحد فقط نشر في صحيفة "عمان"، تمثل نسبة 0.6%، من مجموع المواد المنشورة في الصحيفتين، ونسبة 1%، من إجمالي المواد الخبرية المنشورة في صحيفة عمان.

وهذا يعود إلى أن الصحيفتين لا تنشران تقارير فورية عن الجريمة وقت وقوعها وتنتظر إلى أن يصدر حكم قضائي أو شرعي فيها، كما تنتظر ما تزوده بها الجهات المختصة بالجريمة مثل شرطة عمان السلطانية والادعاء العام والمحاكم.

ولم تنشر صحيفتا الدراسة تقارير عرض الشخصيات المتعلقة بالجريمة، كما أن الصحيفتين لم تبدِ اهتمامها بنشر الصور الخبرية للجريمة، وذلك لأن الصور المنشورة في المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة إما صور شخصية، أو صور تعبيرية لا تتصل بالجريمة المنشورة.

مساحة أخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

حازت أخبار الجريمة المنشورة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية" على مساحات محدودة خلال فترة الدراسة، وذلك كما يتضح في الجدول رقم (2).

جدول (2) مساحة أخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار / النسبة المئوية	مساحة أخبار الجريمة سم/عمود	إجمالي المساحة	النسبة العامة من المساحة الكلية
عمان	ك	5574.82	123264	%76
	%	%4.5		
الرؤية	ك	1781.3	123264	%24
	%	%1.4		
المجموع	ك	7356.12	246528	%100
النسبة	%	%3		

يكشف الجدول رقم (2)، أن المساحة الإجمالية التي احتلتها المادة الخبرية المتصلة بالجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية" بلغت 3% من إجمالي مساحة الأعداد التي تم تحليلها خلال فترة الدراسة. وبلغ إجمالي المساحة التي احتلتها أخبار الجريمة في صحيفة "عمان" 5574.82 سم/عمود، بنسبة 4.5% من إجمالي مساحة أعداد عينة الصحيفة، في حين بلغت في صحيفة الرؤية 1781.3 سم/ عمود، بنسبة 1.4%، من إجمالي مساحة أعداد عينة الصحيفة.

ويشير الجدول إلى تفوق صحيفة "عمان" في المساحات المخصصة لأخبار الجريمة، حيث استأثرت الصحيفة بنسبة 76% من المساحة الكلية للصحيفتين خلال فترة الدراسة، في مقابل 24% لصحيفة "الرؤية". ويرجع هذا التباين في المساحة المخصصة إلى الطبيعة الحكومية لصحيفة "عمان" وحرصها على نشر كل ما يرد إليها من أخبار الجريمة سواء من شرطة عمان السلطانية أو الادعاء العام أو المحاكم، بالإضافة إلى وفرة المساحات فيها مقارنة بصحيفة "الرؤية"،

حيث أن صحيفة "عمان" تصدر في 56 صفحة يوميا، على عكس صحيفة "الرؤية" التي تصدر في 24 صفحة فقط. كما أن صحيفة "الرؤية" لا تهتم كثيرا بنشر أخبار الجريمة التي تقع خارج السلطنة، وينصب اهتمامها بشكل أكبر على الجرائم التي تقع داخل السلطنة، وذلك بما يتماشى مع الخطة التحريرية للصحيفة، التي ترتكز على الاهتمام بتغطية الموضوعات المحلية، والتركيز على نشر التقارير والاستطلاعات والتحقيقات، أكثر من المواد الخبرية.

موقع نشر أخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

نشرت صحيفتا "عمان" و "الرؤية" أخبار الجريمة في مواقع مختلفة من صفحاتها، تفاوتت ما بين الصفحات الأولى، والداخلية، والأخيرة، ويبين الجدول رقم (3) مواقع النشر في تلك الصفحات.

جدول (3) موقع نشر أخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	الصفحة الأولى	صفحات داخلية	الصفحة الأخيرة	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	12	84	5	101	%65.2
	%	%11.9	%83.1	%5	%100	
الرؤية	ك	5	46	3	54	%34.8
	%	%9.2	%85.2	%5.6	%100	
المجموع	ك	17	130	8	155	%100
النسبة	%	%11	%83.8	%5.2	%100	

يكشف الجدول رقم (3)، أن موقع النشر الأول المخصص لأخبار الجريمة في صحيفتي الدراسة هو الصفحات الداخلية، التي نشرت عليها 130 مادة خبرية، تمثل نسبة 83.8% من إجمالي المواد المنشورة عن الجريمة في الصحيفتين. وقد نشرت صحيفة "عمان" على صفحاتها الداخلية 84 مادة خبرية متصلة بالجريمة،

تمثل 83.1% من إجمالي المواد الخبرية المنشورة في نفس الصحيفة في فترة الدراسة. في المقابل نشرت "الرؤية" 46 مادة خبرية، تمثل 85.2%، من إجمالي المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في الصحيفة.

ويشير الجدول رقم (3) إلى أن عدد المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة على الصفحة الأولى في الصحيفتين بلغ 17 مادة خبرية فقط، بنسبة 11%، منها 12 مادة خبرية في صحيفة "عمان"، بنسبة 11.9%، وخمسة مواد في صحيفة "الرؤية"، بنسبة 9.2%. وتشير هذه النتائج إلى عدم اهتمام الصحيفتين بنشر المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة على صفحاتها الأولى، ويمكن إرجاع ذلك إلى تقاليد نشر الجريمة في الصحف العمانية التي تعتمد على البيانات الرسمية، بالإضافة إلى عدم وجود جرائم تستحق النشر في الصفحات الأولى خلال فترة الدراسة.

وفي الصفحة الأخيرة نشرت الصحيفتان خلال فترة الدراسة ثمانية مواد خبرية فقط، تمثل 5.2%، كانت كلها تتعلق بجرائم وقعت خارج السلطنة، وتغلب عليها قيم الغرابة والطرافة، ولذلك نشرت في هذه الصفحات التي تخصص غالبا لأخبار المنوعات.

ولا تخصص صحيفتا الدراسة صفحات متخصصة لأخبار الحوادث والجرائم، ولذلك تتناثر أخبار الجريمة على صفحاتها الداخلية والأخيرة. فالمواد الخبرية المتعلقة بالجريمة غالبا ما تأتي جاهزة من إدارة العلاقات العامة بشرطة عمان السلطانية، وتقتصر على أخبار بعض الحوادث مثل القبض على المتسللين، وضبط تجار المخدرات، والخمور، وممارسي الدعارة، بالإضافة إلى أخبار الحوادث المرورية والنصائح والإرشادات، ويتم نشرها ضمن الصفحات الداخلية للصحيفتين دون تخصيص أو عنونة للصفحة الداخلية باسم حوادث أو جرائم. ويتم نشر أخبار الجرائم الواردة من الجهات المختصة عادة بشكل يومي، دون تجميعها في صفحة واحدة يومية أو أسبوعية، ولا يتم تخصيص صفحة لها، وبالتالي، فهي تنشر حسب ما يصل إلى الصحيفتين، ضمن صفحات المواد الخبرية الأخرى غير المتعلقة بالجريمة.

ويتم توزيع المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة على صفحات الصحيفتين حسب المجال الجغرافي الذي تنتمي إليه، فإذا كانت المادة الخبرية المتعلقة بالجريمة وقعت داخل السلطنة، فتنشر في الصفحات المحلية التي تبدأ من الصفحة رقم (1) حتى الصفحة رقم (10) في صحيفة "عمان" تحت اسم (عمان اليوم)، وفي صحيفة "الرؤية" من الصفحة رقم (1) حتى الصفحة رقم (4) تحت اسم (الرؤية اليوم) و(أخبار) و(اقتصاد). وكذلك من الصفحة رقم (15) إلى الصفحة رقم (16) تحت اسم (متابعات). وإذا كانت الجريمة وقعت خارج سلطنة عمان، فيتم نشرها في صفحات (العرب والعالم)، التي تبدأ من الصفحة رقم (13) حتى الصفحة رقم (17) بالنسبة لصحيفة "عمان". ومن الصفحة رقم (5) حتى الصفحة رقم (10) في صحيفة "الرؤية: تحت اسم (شركات) و (سوق المال) و (اقتصاد)، ومن الصفحة رقم (13) حتى الصفحة رقم (14) باسم صفحات (العالم). أما عن المواد الخبرية المتصلة بالجريمة التي تنشر في صفحات المنوعات، ففي الغالب تنشر في الصفحات الأخيرة من الصحيفتين، وكلها أخبار تتوافر فيها قيم الغرابة والطرافة في نوع الجريمة التي وقعت خارج السلطنة أو طريقة ارتكابها.

الصور الشخصية في أخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

تضمنت بعض المواد الخبرية المتصلة بالجريمة والمنشورة في صحيفتي الدراسة عدداً من الصور الشخصية، والجدول رقم (4) يبين تلك الصور.

جدول (4) الصور الشخصية المرفقة بأخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	صور المتهمين	صور المجنى عليهم	صور الشهود	أخرى	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	17	1	1	1	20	%50
	%	%85	%5	%5	%5	%100	
الرؤية	ك	19	-	-	1	20	%50
	%	%95	-	-	%5	%100	
المجموع	ك	36	1	1	2	40	%100
النسبة	%	%90	%2.5	%2.5	%5	%100	

يوضح الجدول رقم (4) أن عدد الصور الشخصية المنشورة والمرافقة لأخبار الجريمة في صحيفتي الدراسة بلغ 40 صورة، وقد تساو عدد هذه الصور في الصحيفتين خلال فترة الدارسة، بواقع 20 صورة في كل منهما، وبنسبة 50% لكل صحيفة. وهذا يدل على تشابه كافة الصور الشخصية المرافقة لأخبار الجريمة المنشورة في الصحيفتين خلال فترة الدراسة. وتكشف هذه النتيجة أن الصحيفتين تتشابهان في نشر الصور الشخصية التي ترد إليها من الجهات المختصة وتتعلق بأخبار الجريمة، مثل شرطة عمان السلطانية والادعاء العام، والمحاكم بمختلف مستوياتها. ولم تجتهد الصحيفتان في البحث عن تفاصيل أكثر للجريمة سواء على صعيد المعلومات أو على صعيد الصور الشخصية لبعض أطراف الجريمة.

ويوضح الجدول رقم (4) أن غالبية الصور الشخصية المنشورة مع أخبار الجريمة في الصحيفتين كانت لمتهمين في جرائم، وبنسبة 90% من إجمالي الصور الشخصية المنشورة مع هذه الأخبار خلال فترة الدراسة، منها 17 صورة نشرت في صحيفة "عمان" بنسبة 85% من إجمالي الصور المنشورة في الصحيفة، و19 صورة نشرت في صحيفة "الرؤية"، بنسبة 95% من إجمالي الصور الشخصية المرافقة للمواد الخبرية المتعلقة بالجريمة في الصحيفة. ولاحظ الباحثان أن صور المتهمين المرافقة للمواد الخبرية المتعلقة بالجريمة يتم تظليل أعينهم عند النشر، كونهم متهمين رهن التحقيق ولم تصدر بحقهم أحكام نهائية.

وانخفض اهتمام صحيفتا الدراسة بنشر صور المجني عليهم، والشهود، حيث بلغ عدد الصور المنشورة للمجني عليهم صورة واحدة فقط نشرتها صحيفة "عمان"، وتمثل 5% من النسبة العامة للصور الشخصية المنشورة في الصحيفة خلال فترة الدراسة، كما نشرت نفس الصحيفة صورة واحدة أيضا لشاهد في قضية، تمثل 5% من النسبة العامة للصور الشخصية المنشورة في الصحيفة خلال فترة الدراسة. ويؤكد هنا تحفظ الصحيفتين على نشر الصور الشخصية للمجني عليهم والشهود مراعاة لكرامتهم وعدم التشهير أو تشويه صورتهم، لاسيما في الجرائم المتعلقة بقضايا الدعارة والاغتصاب.

ولم تنشر صحيفتا الدراسة أي صور لمدانين في الجرائم، أو صور رجال الشرطة، والتحقيق، والقضاة، والمحامين خلال فترة الدراسة، وذلك لأن طبيعة عمل هؤلاء - عدا المدانين - تحتم عدم نشر صورهم، حفاظا عليهم من الإيذاء أو التسبب في أي عدوان قد يقع عليهم أثناء وعقب صدور حكم قضائي أو شرعي ضد المتهمين أو المدانين في الجرائم.

وتصب هذه الممارسة في صالح الصحافة العُمانية التي تراعي إلى حد كبير حقوق المتهمين في الجرائم وكذلك المدانين، كما تعزف عن نشر صور رجال الشرطة والتحقيق والقضاة والمحامين، وهو التقليد الذي تتبعه صحف عربية أخرى كثيرة تسارع إلى نشر هذه الصور دون مراعاة لأخلاقيات نشر أخبار الجريمة.

ولا يستطيع الباحثان أن يؤكدا أن هذه الممارسة المتفردة للصحافة العمانية تنبع من التزام أخلاقي خاصة أن هذه الصحافة تعمل منذ صدورها بدون مدونة للسلوك أو ميثاق شرف مهني، ولكن المؤكد أنها ممارسة متوارثة تحتمها طبيعة المجتمع العماني وتقاليده وأعرافه في المقام الأول.

جنسية صاحب/ أصحاب الصور الشخصية في "عمان" و "الرؤية"

كشفت صحيفتا الدراسة عن جنسيات أصحاب بعض الصور الشخصية المصاحبة لأخبار الجريمة المنشورة خلال فترة الدراسة. والجدول رقم (5) يوضح الجنسيات التي كشفتها الصحيفتان.

جدول (5) جنسية صاحب/ أصحاب الصور الشخصية المرفقة بأخبار الجريمة

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	عماني	عربي	أجنبي	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	4	2	14	20	%50
	%	%20	%10	%70	%100	
الرؤية	ك	6	-	14	20	%50
	%	%30	-	%70	%100	
المجموع	ك	10	2	28	40	%100
النسبة	%	%25	%5	%70	%100	

يكشف الجدول رقم (5) أن أصحاب الصور الشخصية المرافقة لأخبار الجريمة خلال فترة الدراسة، ينتمون إلى جنسيات أجنبية بمعدل 28 صورة، تمثل نسبة 70% من مجمل الصور الشخصية المرافقة للمواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في الصحيفتين خلال فترة الدراسة، منها 14 صورة شخصية نشرت في صحيفة "عمان"، بنسبة 70% من إجمالي الصور المنشورة في الصحيفة، و14 صورة نشرت في صحيفة "الرؤية"، تمثل 70% من إجمالي الصور المنشورة في نفس الصحيفة. ويكشف الجدول أن أغلب المتهمين الذين نشرت صورهم كانوا من الأجانب، وينتمون في الغالب إلى الجنسيات الآسيوية والأفريقية مع عدد قليل من الجنسيات الأوروبية والأمريكية.

وبلغ عدد الصور الشخصية التي نشرت لعمانيين في أخبار الجريمة 10 صور، تمثل نسبة 25% من إجمالي الصور الشخصية المنشورة في الصحيفتين خلال فترة الدراسة، منها أربعة صور نشرت في صحيفة "عمان"، تمثل نسبة 20% من مجمل الصور الشخصية المنشورة في الصحيفة خلال فترة الدراسة، وستة صور شخصية نشرت في صحيفة "الرؤية" بنسبة 30% من إجمالي الصور الشخصية المنشورة في نفس الصحيفة.

وقد تنوعت أخبار الجرائم التي شهدت نشر هذه الصور ما بين القبض على متسللين، وضبط مهربي وتجار ومتعاطي المخدرات، وكذلك متهمين في قضايا السرقة والاغتصاب والدعارة، وتهريب الممنوعات والمواد غير المصرح بها عبر المنافذ الحدودية للسلطنة، ونشر في بعضها صوراً لمتهمين عمانيين.

وقد انخفض معدل نشر الصور الشخصية لجنسيات عربية من غير العمانيين والخليجيين إلى 5% من النسبة العامة للصور الشخصية المنشورة في الصحيفتين خلال فترة الدراسة، وذلك لأن أخبار الجريمة في العالم العربي غالبا ما تنشر في الصحف العمانية بدون صور شخصية، وتأتي أخبارها عبر وكالات الأنباء العربية والعالمية، ولا تتوفر معها صور شخصية. ولم تنشر صحيفتا الدراسة صوراً لجنسيات خليجية في أخبار الجريمة المنشورة خلال فترة الدراسة، ولم تهتم أيضا بنشر صور متهمين أو مختصين في الجريمة من الدول الخليجية، ويتفق ذلك مع ما كشفت عنه الدراسة من أن الصحيفتين لم تنشرا أية أخبار للجريمة وقعت في دول الخليج العربي.

الصور الموضوعية في أخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

تضمنت بعض المواد الخبرية المتصلة بالجريمة صوراً موضوعية عبرت عن أحداث ومواقف وأماكن وقوع الجريمة، والجدول رقم (6) يوضح تلك الصور.

جدول (6) الصور الموضوعية المرافقة لأخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	مسرح الجريمة	صور أرشيفية لا علاقة لها بالجريمة	أخرى	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	15	12	4	31	%75.6
	%	%48.4	%38.7	%12.9	%100	
الرؤية	ك	8	2	-	10	%24.4
	%	%80	%20	-	%100	
المجموع	ك	23	14	4	41	%100
النسبة	%	%56.1	%34.1	%9.8	%100	

يظهر الجدول رقم (6) أن عدد الصور الموضوعية المرافقة لأخبار الجريمة في صحيفتي الدراسة بلغ 41 صورة. واهتمت صحيفة "عمان" بنشر 31 صورة موضوعية بنسبة 75.6%، بينما نشرت صحيفة "الرؤية" 10 صور بنسبة 24.4% من النسبة العامة للصور الموضوعية المنشورة في الصحيفتين خلال فترة الدراسة.

ويشير الجدول إلى أن أكبر عدد للصور الموضوعية كان لصور مسرح الجريمة بعدد 23 صورة، وبنسبة 56.1%، منها 15 صورة نشرت في صحيفة "عمان"، تمثل نسبة 48.4% من إجمالي الصور الموضوعية المنشورة في الصحيفة، وثمانية صور نشرت في صحيفة "الرؤية"، تمثل 80% من إجمالي الصور في الصحيفة.

وتتصل الصور الموضوعية المنشورة مع أخبار الجريمة بصور المضبوطات، كالممتلكات المسروقة، والخمور، والمخدرات والممنوعات التي ضبطت مع المتهمين، بالإضافة إلى صور التفجير والحرق والقتل المرافقة لبعض أخبار الجريمة.

واستعانت الصحيفتان ببعض الصور الأرشيفية التي لا علاقة لها بالجريمة التي يتضمنها الخبر. وبلغ عدد هذه الصور 14 صورة في الصحيفتين تمثل 34.1% من إجمالي الصور الموضوعية، منها 12 صورة نشرت في صحيفة "عمان"، تمثل 38.7% من إجمالي الصور الموضوعية المنشورة فيها، وصورتان نشرتا في صحيفة "الرؤية"، تمثل 20% من إجمالي الصور الموضوعية المنشورة في الصحيفة. وارتبطت أغلب الصور الأرشيفية التي تم الاستعانة بها في المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة في أخبار الجرائم التجارية، مثل حملات التفتيش والرقابة على الأغذية، والجرائم السياسية التي تتعلق بمحاكمات لسياسيين في دول مختلفة. ولم تنشر صحف الدراسة أية صور موضوعية لمكاتب التحقيقات أو من داخل جلسات المحاكم، أو أمام المحاكم، وكذلك الرسوم التعبيرية. ويشير هذا إلى أن هناك تحفظاً من قبل المحاكم وجهات التحقيق من وجود عدسة المصور، والتقاط صور ونشرها في الصحف خلال فترة التحقيق في القضية أو أثناء المحاكمة؛ وهو أيضا تقليد مهني تكاد تنفرد به الصحافة العمانية، رغم عدم وجود نصوص قانونية أو أخلاقية تمنع ذلك.

نوع الجريمة في أخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

تضمنت أخبار الجريمة المنشورة في صحف الدراسة أنواع مختلفة من الجرائم. ويوضح الجدول رقم (7) أنواع تلك الجرائم.

جدول (7) نوع الجريمة في أخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	جرائم مال	جرائم عرض	جرائم فساد إداري	جرائم قتل	جرائم سرقة	جرائم سياسية	جرائم حرق	جرائم تعذيب	جرائم تجارية	جرائم التسلل والعمالة	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	5	2	7	39	10	6	6	4	14	8	101	65.2 %
	%	%5	%2	%7	38.6 %	9.9 %	5.9 %	5.9 %	%4	13.8 %	7.9 %	100 %	
الرؤية	ك	4	1	6	6	9	3	-	1	13	11	54	34.8 %
	%	7.4 %	1.8 %	11.1 %	11.1 %	16.7 %	5.6 %	-	1.8 %	24.1 %	20.4 %	100 %	
المجموع	ك	9	3	13	45	19	9	6	5	27	19	155	100 %

النسبة	%	5.8 %	1.9 %	8.4 %	%29	12.3 %	5.8 %	3.9 %	3.2 %	17.4 %	12.3 %	100 %

يكشف الجدول رقم (7) أن أخبار جرائم القتل تصدرت قائمة اهتمام صحف الدراسة بنسبة 29%، بمجموع 45 مادة خبرية تركز على جرائم القتل في دول أخرى مثل سوريا والعراق واليمن وتونس ومصر، بينما جاءت الجرائم التجارية في المرتبة الثانية بنسبة 17.4% بعدد 27 مادة خبرية، تتعلق بعمليات الغش التجاري، ومصادرة المواد الغذائية، وإغلاق محلات تجارية نتيجة عدم التزامها بالاشتراطات الصحية والبيئية. وجاءت جرائم السرقة في المرتبة الثالثة بنسبة 12.3%، وبعدد 19 مادة تناولت جرائم وقعت داخل سلطنة عمان تتعلق بسرقة ممتلكات عامة وخاصة. وتساوت معها جرائم الدخول إلى السلطنة بطرق غير مشروعة، وتهريب عاملات المنازل، وتهريب العمال من الدول المجاورة، بدون تصريح، أو دخول الدولة بطريقة غير مشروعة.

وتشكل جرائم الفساد الإداري نسبة 8.4% من الجرائم التي نشرت الصحيفتان أخباراً عنها، وذلك بعدد 13 مادة خبرية. وتتعلق هذه الجرائم باستغلال الوظيفة في مصالح شخصية. وشكلت الجرائم السياسية نسبة 5.8% بعدد تسعة مواد خبرية، وكذلك الحال في جرائم المال، التي حازت على نفس النسبة. وبلغت نسبة جرائم الحرق 3.9%، بعدد ستة مواد خبرية، وأغلبها تركز على جرائم وقعت في الهند وباكستان والعراق، فيما حصلت جرائم التعذيب على نسبة 3.2%، بعدد خمسة مواد خبرية، ثم جرائم العرض بعدد ثلاثة مواد خبرية، وبنسبة 1.9%.

وفيما يتعلق بالمقارنة بين الصحيفتين على صعيد أنواع الجرائم التي اهتمت بالنشر عنها، يكشف الجدول رقم (7) أن صحيفة "عمان" اهتمت بنشر المواد الخبرية المتعلقة بجريمة القتل بنسبة 38.6% وهي جرائم وقعت خارج سلطنة عمان في عدد من الدول العربية والأجنبية، بينما بلغت نسبة الجرائم التجارية في الصحيفة 13.8%، وجاءت جرائم السرقة في المرتبة الثالثة بنسبة 9.9%، وأغلبها جرائم وقعت داخل السلطنة، ثم جرائم الفساد الإداري 7%، والجرائم السياسية وجرائم الحرق بنسبة 5.9% لكل منهما، ثم جرائم المال 5%، وجرائم التعذيب بنسبة 4%، وأخيراً جرائم العرض بنسبة 2%.

أما في صحيفة "الرؤية" فقد جاءت الجرائم التجارية في المركز الأول بنسبة 24.1%، ثم جرائم التسلل والعمالة في المرتبة الثانية بنسبة 20.4%، واحتلت جرائم السرقة المرتبة الثالثة بنسبة 16.7%، ثم جرائم الفساد الإداري بنسبة 11.1%، وتساوت معها جرائم القتل بنسبة 11.1%، ثم جرائم المال بنسبة 7.4%، ثم الجرائم السياسية بنسبة 5.6%،

وانخفضت نسبة نشر المواد الخبرية المتعلقة بجرائم العرض وجرائم التعذيب في صحيفة "الرؤية" وبلغت 1.8% كل منهما. ولم تنشر "الرؤية" مواد خبرية متعلقة بجرائم الحرق، وهذا يعود إلى انخفاض اهتمام الصحيفة بنشر المواد الخبرية المتعلقة بهذه الجرائم حسب ما أشار إليه مدير الموارد البشرية والتدريب والإدارة – رئيس تحرير مجلة الرؤيا، وأكده تحليل مضمون المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة في الصحيفة.

نوع الفاعل الرئيس في الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

ويقصد به جنس مرتكب الجريمة ويشمل (رجل- امرأة - حدث: كل ذكر أو أنثى لم يكمل الثامنة عشرة من العمر). ويبين الجدول رقم (8) هذا النوع.

جدول (8) الفاعل الرئيس في أخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	رجل	امرأة	حدث	غير محدد	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	53	4	1	50	108	%64.7
	%	%49.1	%3.7	%0.9	%46.3	%100	
الرؤية	ك	40	4	-	15	59	%35.3
	%	%67.8	%6.8	-	%25.4	%100	
المجموع	ك	93	8	1	65	167	%100
النسبة	%	%55.7	%4.8	%0.6	%38.9	%100	

يوضح الجدول رقم (8) أن صحيفة "عمان" اهتمت بتحديد نوع الفاعل الرئيس في الجريمة بنسبة 53.7%، مقابل 74.6% في صحيفة "الرؤية"، واستحوذ الرجال على النسبة الأعلى في نوع الفاعل الرئيس في الجريمة بنسبة 55.7%، بعدد 93 رجلاً، في حين لم تحدد الصحيفتان نوع الفاعل الرئيس في الجريمة خلال فترة الدراسة في 65 مادة خبرية متعلقة بالجريمة بنسبة 38.9%. واستحوذت المرأة على نسبة ضئيلة كفاعل رئيس في أخبار الجريمة بنسبة 4.8%، بعدد ثمانية نساء. وتضمنت بعض المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في صحيفتي الدراسة أكثر من فاعل رئيس للجريمة الواحدة، تنوع ما بين رجل وامرأة وحدث، ولذلك ارتفع مجموع عدد الفاعلين الرئيسيين في الجريمة المنشورة إلى 167 فاعلاً عن العدد الفعلي لأخبار الجريمة التي نشرت خلال فترة الدراسة. ولم تحدد بعض المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة نوع الفاعل الرئيس في الجريمة، وذكر باسم جماعة أو حزب أو خلية أو مجموعة مسلحة.

وأظهر التحليل أن الرجال استحوذوا على النسبة الأعلى في المواد الخبرية للجريمة المنشورة في صحيفة "عمان" بنسبة 49.1%، بعدد 53 رجلاً تم اتهامهم كفاعل رئيس في الجريمة المنشورة في الصحيفة، بينما لم تحدد الصحيفة نوع الفاعل الرئيس في 50 مادة خبرية، تمثل نسبة 46.3%، من إجمالي المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في الصحيفة. وبلغت نسبة النساء كفاعل رئيس في الجريمة المنشورة في "عمان" 3.7%، بعدد أربعة نساء، في حين بلغت نسبة الأحداث 0.9%، وهذا يشير إلى أن النسبة الأكبر من الجرائم المنشورة في الصحيفة خلال فترة الدراسة ارتكبها رجال، في حين لم تحدد الصحيفة نوع الفاعل الرئيس للجريمة في بعض المواد الخبرية الأخرى، بحكم أن الفاعل أو مرتكب الجريمة مجهول.

وفي صحيفة "الرؤية" بلغت نسبة الرجال كفاعل رئيس في الجرائم المنشورة فيها 67.8%، بعدد 40 رجلاً، فيما لم تحدد الصحيفة نوع الفاعل الرئيس في الجريمة بنسبة 25.4%، أي في 15 مادة خبرية. وبلغت نسبة النساء في الجريمة المنشورة في الصحيفة 6.8%، بعدد أربعة نساء. ولم يظهر الأحداث كفاعلين للجريمة في الصحيفة على الإطلاق.

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064

جنسية الفاعل الرئيس في أخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

تضمنت أخبار الجريمة المنشورة في صحيفتي الدراسة جنسيات مختلفة من دول العالم كفاعلين رئيسيين في الجريمة. ويوضح الجدل رقم (9) نسبة الجنسيات المحددة وغيرة المحددة في أخبار الجريمة المنشورة في الصحيفتين.

جدول (9) جنسية الفاعل الرئيس في أخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار / النسبة المئوية	عماني	خليجي	عربي	أفريقي	آسيوي	أوروبي	أمريكي	غير محدد	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	9	3	19	1	18	3	1	54	108	64.7 %
	%	%8.3	2.8 %	17.6 %	0.9 %	16.7 %	2.8 %	0.9 %	%50	%100	
الرؤية	ك	12	2	5	1	10	2	-	27	59	35.3 %
	%	20.3 %	3.4 %	%8.5	1.7 %	16.9 %	3.4 %	-	45.8 %	%100	
المجموع	ك	21	5	24	2	28	5	1	81	167	%100
النسبة	%	12.6 %	%3	14.3 %	1.2 %	16.8 %	%3	0.6 %	48.5 %	%100	

يظهر الجدول رقم (9) أن صحيفتي الدراسة لم تهتم كثيرا بتحديد جنسية الفاعل الرئيس في الجريمة، حيث بلغت نسبة (غير محدد) في الصحيفتين 48.5%، بعدد 81 مادة خبرية، منها 54 مادة في صحيفة "عمان"، و27 مادة في صحيفة "الرؤية". وأولت صحيفة "الرؤية" اهتماماً أكبر بتحديد جنسية الفاعل الرئيس بنسبة 54.2%، مقارنة بصحيفة "عمان" التي بلغت فيها هذه النسبة 50% من إجمالي المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة خلال فترة الدراسة.

ويشير الجدول رقم (9) إلى أن الجنسية الآسيوية تستحوذ على النصيب الأكبر في ارتكاب الجرائم المنشورة في صحيفتي الدراسة، بنسبة 16.8%، وبعدد 28 آسيوياً، بينهم 18 آسيوياً ظهروا في صحيفة "عمان" كفاعل رئيس في الجريمة، و10 آسيويين في صحيفة "الرؤية"، وتتعلق أغلب أخبار الجرائم التي ظهر فيها آسيويون كفاعلين رئيسيين بالسرقة والمخدرات والدعارة والاغتصاب والتسلل. وجاءت الجنسية العربية في المركز الثاني بنسبة 14.3% من النسبة العامة للجنسيات المحددة وغير المحددة في المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في الصحيفتين بعدد 24 عربياً، بينهم 19 من الجنسية العربية تم تحديدهم في صحيفة "عمان"، وخمسة تم تحديدهم في صحيفة "الرؤية". واحتل العمانيون كفاعلين رئيسيين المرتبة الثالثة بنسبة 12.6%، بعدد 21 عمانياً، منهم تسعة عمانيين تم تحديد جنسياتهم في صحيفة "عمان"، و12 عمانياً تم تحديدهم في صحيفة "الرؤية". وجاءت الجنسية الخليجية والأوروبية في المرتبة الرابعة بنسبة 3% لكل منهما، بعدد خمسة خليجيين وخمسة أوروبيين. وانخفض ظهور الجنسية الأفريقية في المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في الصحيفتين إلى 1.2%، بمعدل اثنين من الأفارقة.

وبلغت نسبة الأمريكيين كفاعلين رئيسيين للجريمة في المواد الخبرية المنشورة خلال فترة الدراسة 0.6%، وبمعدل أمريكي واحد تم تحديده في صحيفة "عمان".

ويشير الجدول رقم (9) إلى أن صحيفة "عمان" لم تحدد جنسية الفاعل الرئيس للجريمة المنشورة خلال فترة الدراسة في 50% من أخبار الجريمة المنشورة فيها. وتوزعت الجنسيات التي حددتها بين الجنسية العربية 17.6%، والجنسية الآسيوية 16.7%، والعمانيين 8.3%، والخليجيين 2.8%، والأوروبيين 2.8%، والأمريكيين والأفريقيين بنسبة 0.9% لكل منهما.

ولم تحدد صحيفة "الرؤية" جنسية الفاعل الرئيس لأخبار الجريمة المنشورة خلال فترة الدراسة في 45.8% من إجمالي المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في الصحيفة. وجاء العمانيون في المرتبة الأولى كفاعلين رئيسيين في أخبار الجريمة التي وقعت داخل السلطنة بنسبة 20.3%، تتعلق أغلب جرائمهم بالسرقة وتهريب المخدرات، ثم الآسيويون بنسبة 16.9%، بينما بلغت نسبة العرب 8.5%، والخليجيين 3.4%، وكذلك الحال بالنسبة للأوروبيين الذي حازوا على نفس النسبة 3.4%، في حين لم تظهر في الصحيفة الجنسية الأمريكية خلال فترة الدراسة.

ويتضح من خلال هذا التباين بين الصحيفتين، إن صحيفة "الرؤية" لديها اهتمام أكبر بتحديد جنسية الفاعل الرئيس في أخبار الجريمة التي تنشرها، على عكس صحيفة "عمان" التي تجاهلت تحديد الجنسية في 50% من أخبار الجريمة التي نشرتها خلال فترة الدراسة، وبالتالي فإن صحيفة "عمان" تكتفي في الغالب بتحديد نوع الجريمة واسم البلد ولا تهتم كثيرا بنوع أو جنسية الفاعل الرئيس في الجريمة التي تنشرها.

عمر الفاعل الرئيس في أخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

ويقصد به السن المسجل في مضمون الخبر للفاعل الرئيس في الجريمة. ويوضح الجدول رقم (10) تلك الأعمار المحددة وغير المحددة.

جدول (10) عمر الفاعل الرئيس في أخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	أقل من 18 عاما	18 – 35 عاما	36 فأكثر عاما	غير محدد	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	1	2	7	98	108	%64.7
	%	%0.9	%1.9	%6.5	%90.7	%100	
الرؤية	ك	-	-	2	57	59	%35.3
	%	-	-	%3.4	%96.6	%100	
المجموع	ك	1	2	9	155	167	%100
النسبة	%	%0.6	%1.2	%5.4	%92.8	%100	

ويشير الجدول رقم (10) إلى أن صحيفتي "عمان" و "الرؤية" لم تحددا عمر الفاعل الرئيس في 92.8% من أخبار الجريمة المنشورة خلال فترة الدراسة، أي 155 شخصاً، منهم 98 شخصاً في صحيفة "عمان"،

و57 شخصاً في صحيفة "الرؤية". ويوضح الجدول أن مرتكبي الجرائم في أخبار الجريمة المنشورة في الصحيفتين تقع أعمارهم بين 36 عاماً فأكثر، وبلغت 5.4%، فيما بلغت نسبة أصحاب الأعمار من (18-35 عاماً)، 1.2%. في المقابل بلغت نسبة الفئة العمرية (أقل من 18 عاما) 0.6% من النسبة العامة للأعمار المحددة وغير المحددة في الصحيفتين، بعدد شخص واحد فقط في صحيفة "عمان". ولم تنشر صحيفة "الرؤية" أية أخبار للجريمة للفئات العمرية (أقل من 18 عاماً) و (18-35 عاماً) كفاعلين رئيسيين.

ولم تهتم صحيفة "عمان" بتحديد عمر الفاعل الرئيس في الجرائم المنشورة خلال فترة الدراسة بنسبة 90.7%، إلا أن الفئة العمرية (36 عاماً فأكثر) حازت على 6.5% بعدد سبعة أشخاص من أصل 108 أشخاص، وبلغت نسبة الفئة العمرية (18-35 عاماً) كفاعل رئيس في أخبار الجريمة 1.9%، بمعدل شخصين فقط، بينما بلغت نسبة الفئة العمرية (أقل من 18 عاما) 0.9% بمعدل شخص واحد فقط. ويوضح الجدول رقم (10) أن صحيفة "الرؤية" لم تهتم بتحديد عمر الفاعل الرئيس في 96.6% من أخبار الجريمة المنشورة، وبلغت نسبة الفئة العمرية (36 عاماً فأكثر) 3.4%.

هدف التغطية في أخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

سعت صحيفتا "عمان" و "الرؤية" إلى تحقيق عدد من الأهداف من نشر الأخبار المتعلقة بالجريمة خلال فترة الدراسة، ويوضح الجدول رقم (11) تلك الأهداف.

جدول (11) هدف التغطية في أخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	إعلامي	أكثر من هدف	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	87	14	101	%65.2
	%	%86.1	%13.9	%100	
الرؤية	ك	53	1	54	%34.8
	%	%98.1	%1.9	%100	
المجموع	ك	140	15	155	%100
النسبة	%	%90.3	%9.7	%100	

يكشف الجدول رقم (11) أن الهدف الأول من تغطية أخبار الجريمة في الصحيفتين خلال فترة الدارسة كان إعلامياً، وتحقق في 140 خبراً من إجمالي الأخبار المنشورة في الصحيفتين خلال فترة الدراسة بنسبة 90.3%، إذ كانت أخبار الجريمة المنشورة في صحيفتي الدراسة بسيطة، ولا تحمل تفسيرات أو تحليلات للجريمة المنشورة وانعكاساتها على المجتمع، وتكتفي فقط بنشر خبر الجريمة ومكانها وأسبابها، وفي بعض الأحيان يتم الإشارة إلى المتهمين وتصريحات المسؤولين والمختصين بالجريمة. وتضمنت بعض المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في الصحيفتين أكثر من هدف، وبلغ عددها 15 مادة تمثل نسبة 9.7%، في حين لم تكن هناك أهداف تفسيرية أو توجيهية وإرشادية في المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في الصحيفتين خلال فترة الدراسة.

وفيما يتعلق بالمقارنة بين الصحيفتين في أهداف التغطية، يشير الجدول رقم (11) إلى أن عدد المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في صحيفة "عمان" التي ركزت على الهدف الإعلامي، بلغت 87 مادة بنسبة 86.1%، بينما بلغ عدد المواد التي تضمنت أكثر من هدف 14 مادة بنسبة 13.9%. في المقابل ركزت 53 مادة خبرية في صحيفة "الرؤية" على الهدف الإعلامي بنسبة 98.1%، فيما تعددت الأهداف في مادة خبرية واحدة بنسبة 1.9%.

ويتضح من الجدول رقم (11) أن صحيفتي الدراسة لم تهتما بنشر أي تفسير أو تحليل لأخبار الجرائم المنشورة خلال فترة الدراسة، ولم تحقق أية أهداف توجيهية أو إرشادية، ولم تقدم نصائح لتجنب ارتكاب أي نوع من أنواع الجرائم المنشورة خلال فترة الدراسة، وهذا يدل على أن صحيفتي الدراسة تفتقد إلى وجود محررين متخصصين يحللون ويفسرون الجرائم وتأثيرها على المجتمع.

مكان وقوع الجريمة في أخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

تضمنت أخبار الجريمة المنشورة في صحف الدراسة تحديد مكان وقوع الجريمة. ويوضح الجدول رقم (12) عدد أخبار الجريمة المنشورة التي وقعت داخل السلطنة وخارجها.

جدول (12) مكان وقوع الجريمة داخل وخارج سلطنة عمان في أخبار الجريمة

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	داخل سلطنة عمان	خارج سلطنة عمان	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	33	68	101	%65.2
	%	%32.7	%67.3	%100	
الرؤية	ك	39	15	54	%34.8
	%	%72.2	%27.8	%100	
المجموع	ك	72	83	155	%100
النسبة	%	%46.5	%53.5	%100	

يكشف الجدول رقم (12) أن هناك تقارباً في اهتمام صحيفتي الدراسة بنشر أخبار الجرائم التي تقع داخل سلطنة عمان، وخارجها، فبلغت نسبة الجرائم المنشورة في الصحيفتين والتي وقعت خارج السلطنة خلال فترة الدراسة 53.5%، في مقابل 46.5% لجرائم وقعت داخل السلطنة خلال فترة الدراسة. واهتمت صحيفة "عمان" بنشر المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة التي وقعت خارج السلطنة بنسبة 67.3% بواقع 68 مادة خبرية، بينما بلغت نسبة المواد الخبرية المتعلقة بجرائم وقعت داخل السلطنة 32.7%، بواقع 33 مادة خبرية. في المقابل اهتمت صحيفة "الرؤية" بنشر المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة التي وقعت داخل السلطنة بنسبة 72.2%، وبواقع 39 مادة خبرية، في مقابل 27.8% للجرائم لتي وقعت خارج السلطنة وبواقع 15 مادة خبرية فقط. ويعود هذا إلى تركيز "الرؤية" على تغطية الموضوعات المحلية بشكل أكبر من الموضوعات الأجنبية، أما صحيفة "عمان" فتركز اهتمامها أكثر على نشر أخبار الجريمة التي وقعت خارج السلطنة، وذلك يفسر أن الصحيفة تركز بشكل أكبر على الموضوعات الأجنبية،

فضلا عن أن صحيفة عمان بحكم أنها صحيفة حكومية تلتزم بنشر كل ما يرد إليها من أخبار الجريمة التي وقعت داخل السلطنة من الجهات المختصة مثل شرطة عمان السلطانية والادعاء العام والمحاكم.

مكان وقوع الجريمة داخل سلطنة عمان في أخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

أشارت أخبار الجريمة المنشورة في صحيفتي الدراسة إلى أماكن وقوع الجرائم في المحافظات المختلفة، ويوضح الجدول رقم (13) هذه الأماكن.

جدول (13) مكان وقوع الجريمة داخل سلطنة عمان في أخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	محافظة مسقط	محافظة البريمي	محافظة شمال الباطنة	محافظة جنوب الباطنة	محافظة شمال الشرقية	محافظة جنوب الشرقية	محافظة الداخلية	محافظة الظاهرة	محافظة الوسطى	محافظة ظفار	أكثر من محافظة	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	8	-	6	2	3	3	1	2	1	2	5	33	45.8 %
	%	24.2 %	-	18.2 %	6.1 %	9.1 %	9.1 %	%3	6.1 %	%3	6.1 %	15.1 %	100 %	
الرؤية	ك	10	1	7	3	1	4	1	3	-	1	8	39	54.2 %
	%	25.6 %	2.6 %	17.9 %	7.7 %	2.6 %	10.2 %	2.6 %	7.7 %	-	2.6 %	20.5 %	100 %	
المجموع	ك	18	1	13	5	4	7	2	5	1	3	13	72	100 %
النسبة	%	25 %	1.4 %	18.1 %	6.9 %	5.5 %	9.7 %	2.8 %	6.9 %	1.4 %	4.2 %	18.1 %	100 %	

ويشير الجدول رقم (13) إلى أن صحيفة "الرؤية" تفوقت في نشر أخبار الجريمة التي وقعت داخل سلطنة عمان بعدد 39 مادة خبرية، وبنسبة 54.2%، في مقابل 33 مادة خبرية نشرتها صحيفة "عمان" بنسبة 45.8% من إجمالي أخبار الجريمة التي نشرتها الصحيفتان.

وبحسب معطيات الجدول رقم (13)، فإن النسبة الأكبر من الجرائم التي نشرت عنها الصحيفتين أخباراً تركزت في محافظة مسقط بعدد 18 مادة خبرية تمثل 25%. ويعود هذا التفوق في التركيز على نشر أخبار الجرائم التي تقع في محافظة مسقط إلى الاهتمام بنشر كل ما يتعلق بعاصمة السلطنة، ولأن المصادر الناقلة لأخبار الجريمة تتركز في محافظة مسقط، فضلا عن مركزية تزويد الأخبار من الجهات المختصة بالجريمة مثل شرطة عمان السلطانية والادعاء العام والمحاكم. وجاءت محافظة شمال الباطنة في المرتبة الثانية بنسبة 18.1%، وبواقع 13 مادة خبرية، وكذلك أكثر من محافظة بنسبة 18.1% وبواقع 13 مادة خبرية، وجاءت محافظة جنوب الشرقية في المرتبة الثالثة بنسبة 9.7%، وبواقع سبعة مواد خبرية،

فيما بلغت نسبة أخبار الجريمة المنشورة عن محافظتي جنوب الباطنة والظاهرة 6.9%، بعدد خمسة مواد لكل محافظة. وبلغت نسبة أخبار الجريمة المنشورة عن محافظة شمال الشرقية 5.5% بواقع أربعة مواد خبرية، في حين وصلت نسبة أخبار الجريمة المنشورة عن محافظة ظفار إلى 4.2%، بعدد 3 مواد خبرية.

وبلغت نسبة الجرائم المنشورة عن محافظة الداخلية 2.8% بواقع مادتين خبريتين فقط، من إجمالي المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في الصحيفتين خلال فترة الدراسة. وانخفضت نسبة أخبار الجرائم المنشورة عن محافظتي البريمي والوسطى إلى 1.4%، بمعدل مادة خبرية واحدة فقط لمحافظة الوسطى نشرتها صحيفة "عمان"، ومادة خبرية واحدة لمحافظة البريمي نشرتها صحيفة "الرؤية". ولم تنشر الصحيفتان أية مواد خبرية متعلقة بجرائم وقعت في محافظة مسندم. ولم يتسن للباحث الحصول على إحصائية بعدد الجرائم التي وقعت في كل محافظة خلال فترة الدراسة من الجهات المختصة، لمقارنتها بمعدل نشر أخبار الجريمة في الصحيفتين.

وفيما يتعلق بالمقارنة بين الصحيفتين، فقد ركزت صحيفة "عمان" على الجرائم التي وقعت في محافظة مسقط بنسبة 24.2%، وجاءت محافظة شمال الباطنة في المرتبة الثانية بنسبة 18.2%، ثم أكثر من محافظة بنسبة 15.1%، ثم محافظتي شمال الشرقية وجنوب الشرقية بنسبة 9.1% كل منهما، ثم محافظات جنوب الباطنة والظاهرة وظفار بنسبة 6.1% لكل محافظة، ومحافظتي الداخلية والوسطى بنسبة 3% لكل محافظة. ولم تنشر الصحيفة أية مواد خبرية متعلقة بالجريمة من محافظتي مسندم والبريمي خلال فترة الدراسة. أما صحيفة "الرؤية" فقد بلغت نسبة أخبار الجريمة التي نشرتها عن محافظة مسقط 25.6%، وبواقع 10 مواد خبرية، تليها الجرائم التي وقعت في أكثر من محافظة بنسبة 20.5%، ثم محافظة شمال الباطنة بنسبة 17.9%، ومحافظة جنوب الشرقية بنسبة 10.2%، ومحافظتي جنوب الباطنة والظاهرة بنسبة 7.7% ثم محافظات البريمي وجنوب الشرقية والداخلية وظفار بنسبة 2.6% لكل منها. ولم تنشر الصحيفة أية مواد خبرية متعلقة بالجريمة من محافظتي مسندم والوسطى خلال فترة الدراسة.

مكان وقوع الجريمة خارج سلطنة عمان في أخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

أشارت أخبار الجريمة المنشورة التي وقعت خارج سلطنة عمان إلى مكان وقوعها سواء في دول الخليج العربي أو في الدول العربية والأجنبية. ويوضح الجدول رقم (14) أماكن وقوع الجرائم خارج السلطنة.

جدول (14) مكان وقوع الجريمة خارج سلطنة عمان في أخبار الجريمة

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	الإمارات	السعودية	دولة عربية	دولة أجنبية	أكثر من دولة أجنبية	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	2	1	38	25	2	68	%81.9
	%	%2.9	%1.5	%55.9	%36.8	%2.9	%100	
الرؤية	ك	1	-	8	6	-	15	%18.1
	%	%6.7	-	%53.3	%40	-	%100	
المجموع	ك	3	1	46	31	2	83	%100

النسبة	%	%3.6	%1.2	%55.4	%37.4	%2.4	%100	

يكشف الجدول رقم (14) أن صحيفتي الدراسة قد ركزتا في أخبار الجريمة التي نشرتها خلال فترة الدراسة على الجرائم التي وقعت في دول عربية بنسبة 55.4% وبواقع 46 خبراً من إجمالي أخبار الجريمة المنشورة في الصحيفتين. تلتها الدول الأجنبية بنسبة 37.4% وبواقع 31 مادة خبرية. وانخفضت نسبة أخبار الجريمة المنشورة عن الدول الخليجية، فسجلت دولة الإمارات العربية المتحدة 3.6%، بعدد 3 مواد خبرية، في حين نشرت مادة خبرية واحدة عن جريمة وقعت في المملكة العربية السعودية تمثل نسبة 1.2% من النسبة العامة لأخبار الجريمة المنشورة في الصحيفتين. ولم تنشر أية أخبار للجريمة وقعت في دول قطر والبحرين والكويت.

ويشير الجدول رقم (14) إلى أن صحيفة "عمان" اهتمت بنشر أخبار الجريمة التي وقعت خارج السلطنة بنسبة 81.9%، بعدد 68 مادة خبرية توزعت على مختلف دول العالم، في مقابل 15 مادة خبرية نشرتها صحيفة "الرؤية" بنسبة 18.1%، يرجع ذلك إلى صحيفة "عمان" لديها صفحات أكثر لنشر أخبار العالم من صحيفة الرؤية التي تركز على الموضوعات المحلية.

وعلى مستوى المقارنة بين الصحيفتين، فقد احتلت أخبار الجريمة المنشورة في صحيفة "عمان" عن الدول العربية المرتبة الأولى بنسبة 55.9%، وجاءت الدول الأجنبية في المرتبة الثانية بنسبة 36.8%، أما فيما يتعلق بالجرائم في دول الخليج فقد انخفضت نسبة أخبار الجريمة المنشورة في "عمان" إلى مادتين خبريتين عن جرائم وقعت في دولة الإمارات العربية المتحدة متعلقة بالجريمة تمثل نسبة 2.9% من النسبة العامة لأخبار الجريمة المنشورة في الصحيفة. ومادة خبرية واحدة عن المملكة العربية السعودية تمثل نسبة 1.5%، في حين بلغت نسبة أخبار الجريمة التي وقعت في أكثر من دولة أجنبية 2.9%. ولم تنشر صحيفة "عمان" أية مواد خبرية عن جرائم وقعت في دول قطر والبحرين والكويت خلال فترة الدراسة. ويمكن تفسير انخفاض اهتمام "عمان" بنشر أخبار الجريمة التي تقع في دول الخليج العربي، إلى أنها لا يتوفر لديها مراسلين في دول الخليج العربي، بالإضافة إلى ندرة بث أخبار الجريمة من وكالات أنباء هذه الدول. وفي صحيفة "الرؤية" احتلت الدول العربية المرتبة الأولى بنسبة 53.3%، ثم الدول الأجنبية بنسبة 40%. ولم تنشر صحيفة "الرؤية" أخبار للجريمة وقعت في الدول الخليجية، عدا دولة الإمارات العربية المتحدة التي نشرت عنها مادة خبرية واحدة، بنسبة 6.7%. ويؤكد هذا ضعف اهتمام "الرؤية" بنشر أخبار الجريمة التي تقع خارج سلطنة عمان على عكس اهتمامها بنشر أخبار الجريمة التي وقعت داخل السلطنة.

المصادر الصانعة في أخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

ويقصد بالمصادر الصانعة، مصادر الأخبار التي اعتمدت عليها صحيفتي الدراسة في الحصول على المعلومات المتصلة بموضوع الخبر، والتي يتشكل منها الخبر. ويوضح الجدول رقم (15) تلك المصادر.

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064

جدول (15) المصادر الصانعة في أخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار/	رجال الشرطة	أقسام الشرطة	رجال الادعاء	المحامون	المحاكم وسجلاتها	الجاني	المجني عليهم	الشهود	مسؤولون	أخرى	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	19	12	6	3	12	2	-	8	56	7	125	68.3 %
	%	15.2 %	9.6 %	4.8 %	2.4 %	9.6 %	1.6 %	-	6.4 %	44.8 %	5.6 %	100 %	
الرؤية	ك	9	13	5	-	9	-	1	4	9	8	58	31.7 %
	%	15.5 %	22.4 %	8.6 %	-	15.5 %	-	1.7 %	%7	15.5 %	13.8 %	100 %	
المجموع	ك	28	25	11	3	21	2	1	12	65	15	183	100 %
النسبة	%	15.3 %	13.7 %	%6	1.6 %	11.5 %	1.1 %	0.5 %	6.6 %	35.5 %	8.2 %	100 %	

يشير الجدول رقم (15) إلى أن صحيفتي الدراسة اعتمدت على المسؤولين الحكوميين كمصادر في جمع المادة الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة خلال فترة الدراسة، بنسبة 35.5%، وبواقع 65 مصدراً، في حين جاء رجال الشرطة المرتبة الثانية كمصادر صانعة بنسبة 15.3%، وبواقع 28 مصدراً. واعتمدت الصحيفتان على أقسام الشرطة وسجلاتها كمصادر صانعة للمواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في الصحيفتين بنسبة 13.7%، وبواقع 25 مصدراً، في حين بلغت نسبة الاعتماد على المحاكم وسجلاتها 11.5%. واعتمدت صحيفتي الدراسة على معلومات وتقارير إعلامية وردت إليها من دوائر العلاقات العامة والإعلام بالوحدات الحكومية والخاصة في نشر بعض أخبار الجريمة، وهو ما يتضح في فئة (أخرى) التي بلغت بنسبتها 8.2%. وقد نسبت الصحيفتين المعلومات التي أوردتها إلى تقارير إعلامية وطبية واقتصادية دون الإشارة إلى مسؤول أو رجال شرطة أو قضاة أو مختصين بالجريمة. وانخفضت نسبة اعتماد الصحيفتين على شهود العيان في جمع المادة الخبرية المتعلقة بالجريمة إلى 6.6%، وهذا يدل على أن الشهود لا تكون لديهم الرغبة في الظهور الإعلامي تجنبا لأي إيذاء أو عدوان قد يلحق بهم جراء الإفصاح عن معلومات عن المجرمين. وبلغت نسبة الاعتماد على رجال الادعاء العام وجهات التحقيق 6% فقط، كما بلغت نسبة المحامين كمصادر صانعة لأخبار الجريمة في الصحيفتين 1.6%، أما الجناة فبلغت نسبتهم 1.1%، و0.5% للمجني عليهم في صحيفة "الرؤية".

وقد اعتمدت صحيفة "عمان" على المسؤولين الحكوميين كمصادر صانعة لأخبار الجريمة بنسبة 44.8%، واحتل رجال الشرطة المرتبة الثانية بنسبة 15.2%، وجاءت المحاكم وسجلاتها وأقسام الشرطة وسجلاتها في المرتبة الثالثة بنسبة 9.6% كل منهما،

ثم الشهود في المرتبة الرابعة بنسبة 6.4%. واعتمدت "عمان" على دوائر العلاقات العامة والإعلام بعدد من الوحدات الحكومية والخاصة بنسبة 5.6%، ورجال الادعاء العام وجهات التحقيق بنسبة 4.8%، ثم المحامين بنسبة 2.4%، والجناة بنسبة 1.6%. ولم تعتمد الصحيفة على المجني عليهم كمصادر صانعة لأخبار الجريمة خلال فترة الدراسة.

أما صحيفة "الرؤية" فقد اعتمدت على أقسام الشرطة وسجلاتها كمصادر صانعة للمواد الخبرية المتعلقة بالجريمة بنسبة 22.4%، ثم رجال الشرطة والمحاكم وسجلاتها والمسؤولين بنسبة 15.5% لكل مصدر، وبلغت فئة (أخرى) 13.8%. واعتمدت "الرؤية" على رجال الادعاء العام وجهات التحقيق كمصادر صانعة للمادة الخبرية للجريمة المنشورة بنسبة 8.6%، والشهود بنسبة 7%، ثم المجني عليهم بنسبة 1.7%. ولم تعتمد الصحيفة على المحامين والجناة في جمع المادة الخبرية للجريمة المنشورة خلال فترة الدراسة، وذلك لأن الصحيفة اهتمت أكثر بنشر الأخبار البسيطة التي وقعت داخل سلطنة عمان، والتي ورد أغلبها جاهزاً من دوائر العلاقات العامة بشرطة عمان السلطانية والادعاء العام والمحاكم.

المصادر الناقلة لأخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

يقصد بالمصادر الناقلة، المصادر أو القنوات التي تنقل أخبار الجريمة إلى القراء. ويوضح الجدول رقم (16) تلك المصادر.

جدول (16) المصادر الناقلة لأخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	محرر بالصحيفة	مراسل داخلي	مراسل خارجي	وكالات أنباء	غير محدد المصدر	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	6	2	9	64	24	105	%66
	%	%5.7	%1.9	%8.6	%60.9	%22.9	%100	
الرؤية	ك	4	1	-	11	38	54	%34
	%	%7.4	%1.8	-	%20.4	%70.4	%100	
المجموع	ك	10	3	9	75	62	159	%100
النسبة	%	%6.3	%1.9	%5.7	%47.1	%39	%100	

يكشف الجدول رقم (16) أن صحيفتي "عمان" و "الرؤية" اعتمدتا على وكالات الأنباء المحلية والعالمية وهي (العمانية – أف ب – قنا – د ب أ – رويترز – وفا) في الحصول على المادة الخبرية المتعلقة بالجريمة خلال فترة الدراسة، وذلك بنسبة 47.1%، وبعدد 75 مصدراً. وبلغت نسبة أخبار الجريمة التي تم تجهيل مصادرها في صحيفتي الدراسة 39%، وردت في فئة (غير محدد المصدر)، كونها لا تحمل اسم مصدرها. وهذا يدل على أن الصحيفتين تنشران كثيرا من المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة مجهلة المصادر، وهي الأخبار التي ترد إليها جاهزة من إدارات العلاقات العامة بشرطة عمان السلطانية والادعاء العام ودوائر العلاقات العامة والإعلام بالوحدات الحكومية.

وقد انخفضت نسبة الاعتماد على المحررين في الصحيفتين في تغطية أخبار الجريمة إلى 6.3%، وهذا يعني أن الصحيفتين لا يعتمدان كثيرا على صحفييها في تغطية الجرائم التي تقع داخل سلطنة عمان،

أو حتى خارجها، وهو ما يفسر عدم وجود صحفيين متخصصين في الجريمة في السلطنة. وانخفضت أيضا نسبة الاعتماد على المراسلين الخارجيين للصحيفتين في أخبار الجريمة لتصل إلى 5.7% وبعدد تسعة مراسلين فقط من مصر واليمن والعراق تم نشر أسماؤهم في المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة خلال فترة الدراسة. وبلغت نسبة المراسلين الداخليين 1.9% من محافظات البريمي والوسطى وجنوب الشرقية. ولم تعتمد صحيفتا الدراسة على الصحف والمجلات الأخرى ومواقع الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي والمحطات الإذاعية والتلفزيونية في نشر أخبار الجريمة خلال فترة الدراسة رغم تزايد أهمية هذه المصادر خاصة شبكات التواصل الاجتماعي في نشر وتبادل الأخبار في السلطنة في الفترة الأخيرة. وقد تفوقت صحيفة "عمان" في الاعتماد على المصادر الناقلة لأخبار الجريمة بنسبة 66%، في مقابل 34% لصحيفة "الرؤية"، وذلك يعود إلى ارتفاع عدد أخبار الجريمة المنشورة في صحيفة "عمان".

واعتمدت صحيفة "عمان" على وكالات الأنباء بنسبة 60.9%، وتجاهلت الصحيفة ذكر أسماء المصادر الناقلة لأخبار الجريمة في نسبة 22.9%، وهي التي صنفت في الجدول ضمن فئة (غير محدد المصدر)، واحتل المراسلون الخارجيون للصحيفة المرتبة الثالثة في نقل المادة الخبرية المتعلقة بالجريمة بنسبة 8.6%، وانخفضت نسبة اعتماد الصحيفة على المحررين في نقل وتغطية المادة الخبرية المتعلقة بالجريمة إلى 5.7%، وذلك لعدم وجود صحفيين متخصصين في تغطية الجريمة التي تقع داخل السلطنة، وبلغت نسبة المراسلين الداخليين للصحيفة والذين تم نشر أسمائهم في المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة خلال فترة الدراسة 1.9%، بعدد مراسلين اثنين فقط من محافظتي ظفار والوسطى.

أما في صحيفة "الرؤية" فقد بلغت نسبة الأخبار مجهلة المصادر 70.4%، وقد تم تصنيف هذه الأخبار ضمن فئة (غير محدد المصدر)، بحكم أنها لا تحمل اسم مصدرها، كون المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة التي نشرت في الصحيفة وردت إليها جاهزة من الجهات المختصة، وهذا يدل على تجاهل الصحيفة لمجموعة كبيرة من مصادر المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة. وجاءت وكالات الأنباء كمصادر ناقلة لأخبار الجريمة المنشورة في المرتبة الثانية بنسبة 20.4%. ولم تعتمد الصحيفة على المحررين في تغطية الجرائم إلا بنسبة 7.4%، أما المراسل الداخلي فبلغت نسبته 1.8% بمعدل مراسل داخلي واحد من محافظة البريمي. ولم تعتمد الصحيفة على المراسل الخارجي والصحف والمجلات الأخرى ومواقع الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي والمحطات الإذاعية والتلفزيونية في تغطية أخبار الجريمة المنشورة خلال فترة الدراسة.

القوالب الفنية المستخدمة في تحرير أخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

يقصد بها أسلوب المعالجة الصحفية أو القالب الفني المستخدم في تحرير وكتابة أخبار الجريمة. ويكشف الجدول رقم (17) القوالب التي اعتمدت عليها الصحيفتان في عرض أخبار الجريمة.

جدول (17) القوالب الفنية المستخدمة في تحرير أخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	قالب الهرم المعتدل القصصي	قالب الهرم المقلوب	قالب الهرم المقلوب المتدرج	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	2	91	8	101	%65.2
	%	%2	%90.1	%7.9	%100	

الرؤية	ك	-	53	1	54	%34.8
	%	-	%98.2	%1.8	%100	
المجموع	ك	2	144	9	155	%100
النسبة	%	%1.3	%92.9	%5.8	%100	

يكشف الجدول رقم (17) أن صحيفتي "عمان" و "الرؤية" استخدمت قالب الهرم المقلوب في تحرير المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في الصحيفتين بنسبة 92.9%، وبمعدل 144 مادة خبرية من إجمالي المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة في الصحيفتين خلال فترة الدراسة. وبلغت نسبة استخدام قالب الهرم المقلوب المتدرج في الصحيفتين 5.8%، بمعدل تسعة مواد خبرية فقط. ولم تستخدم الصحيفتان قالب الهرم المعتدل (القصصي) إلا بنسبة 1.3% وبمعدل مادتين خبريتين اثنتين فقط. وتؤكد هذه النسب أن صحيفتي الدراسة تستخدم قالب الهرم المقلوب كقالب فني ثابت في تحرير أخبار الجريمة، وهو الذي يرتب المعلومات وفقا لأهميتها من الأهم، فالمهم، فالأقل أهمية. ولا تستخدم الصحيفتان القصة الخبرية إلا بنسبة ضئيلة جدا.

وبلغت نسبة استخدام صحيفة "عمان" لقالب الهرم المقلوب 90.1%، وقالب الهرم المقلوب المتدرج بنسبة 7.9%، وقالب الهرم المعتدل (القصصي) بنسبة 2%. واستخدمت صحيفة "الرؤية" قالب الهرم المقلوب بنسبة 98.2%، وقالب الهرم المقلوب المتدرج بنسبة 1.8%، ولم تستخدم الصحيفة قالب الهرم المعتدل (القصصي) في تحرير أخبار الجريمة خلال فترة الدراسة.

نوع التغطية الصحفية لأخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

وهي إما أن تكون تغطية تمهيدية تسبق وقوع الحدث المتوقع، أو تسجيلية تعمل على تغطية الأحداث بعد وقوعها لعرض التفاصيل، أو مختلطة تجمع بين التمهيدية والتسجيلية. وقد تنوعت التغطية التي قدمتها صحيفتي الدراسة، كما يتضح في الجدول رقم (18).

جدول (18) نوع التغطية الصحفية في أخبار الجريمة

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	تسجيلية	مختلطة	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	99	2	101	%65.2
	%	%98	%2	%100	
الرؤية	ك	54	-	54	%34.8
	%	%100	-	%100	
المجموع	ك	153	2	155	%100
النسبة	%	%98.7	%1.3	%100	

يشير الجدول رقم (18) أن التغطية التسجيلية حازت على النسبة الأعلى بنسبة 98.7%، وبمعدل 153 تغطية، وانخفضت نسبة التغطية المختلطة في الصحيفتين إلى 1.3%، بمعدل تغطيتين فقط. ولم تستخدم الصحيفتين التغطية التمهيدية في المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة خلال فترة الدراسة، وذلك لأن الجريمة لا يمكن التنبؤ بحدوثها أو وقوعها،

ولذلك فالتغطية الصحفية للجريمة تأتي عقب وقوعها بالمكان والزمان المحددين. وبلغت نسبة استخدام صحيفة "عمان" للتغطية التسجيلية 98%، والتغطية المختلطة 2%. ولم تستخدم الصحيفة التغطية التمهيدية للمواد الخبرية المتعلقة بالجريمة خلال فترة الدراسة. واستخدمت صحيفة "الرؤية" التغطية التسجيلية فقط، وبذلك تكون قد استخدمت نوعاً واحداً من أنواع التغطية، وتجاهلت الأنواع الأخرى.

أسلوب عرض أخبار الجريمة في "عمان" و "الرؤية"

ويقصد به الأسلوب المستخدم في عرض حقائق ومعلومات أخبار الجريمة، ويوضح الجدول رقم (19) تلك الأساليب المستخدمة في صحيفتي الدراسة.

جدول (19) أسلوب عرض أخبار الجريمة في صحيفتي "عمان" و "الرؤية"

الصحيفة	التكرار/ النسبة المئوية	موضوعي	المجموع ك	النسبة %
عمان	ك	101	101	%65.2
	%	%100	%100	
الرؤية	ك	54	54	%34.8
	%	%100	%100	
المجموع	ك	155	155	%100
النسبة	%	%100	%100	

يكشف الجدول رقم (19) أن صحيفتي الدراسة استخدمت أسلوباً واحداً فقط في عرض الجريمة المنشورة خلال فترة الدراسة، وهو الأسلوب الموضوعي بنسبة 100%، بحكم أن الصحيفتين اعتمدتا في أخبارهما على تسجيل النطق بالحكم على الجاني أو مرتكبي الجرائم، ووقوع الجريمة في حدث معين، دون التطرق إلى سرد تفاصيل الجريمة من خلال أقوال المجني عليهم أو القضاة أو رجال الادعاء العام وجهات التحقيق، وهذا ما يجعل الأساليب المستخدمة في عرض الجريمة تبتعد عن التحيز لصالح طرف دون آخر.

الخاتمة

الإجابة عن تساؤلات الدراسة

ما حجم اهتمام الصحف العمانية (عينة الدراسة) بأخبار الجريمة؟

كشفت نتائج الدراسة انخفاض اهتمام صحيفتي "عمان" و "الرؤية" بأخبار الجريمة، حيث بلغت النسبة الإجمالية لأخبار الجريمة المنشورة في الصحيفتين 3% فقط، من المساحة الإجمالية لهما خلال فترة الدراسة. وقد تفوقت صحيفة "عمان" في حجم الاهتمام بأخبار الجريمة على صحيفة الرؤية. واهتمت صحيفتي الدراسة بالخبر البسيط بنسبة أعلى،

وجاء التقرير الإخباري في المرتبة الثانية، وانخفض معدل اهتمامهما بالخبر المركب، والتقرير الحي. في حين لم تنشر الصحيفتان تقرير عرض الشخصيات، والصورة الخبرية. وقد تركز نشر المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة في صحيفتي الدراسة في الصفحات الداخلية خاصة في صحيفة "عمان"، وانخفض اهتمام الصحيفتين بنشر أخبار الجريمة في الصفحات الأولى والأخيرة.

واهتمت الصحيفتان بنشر صور المتهمين في الجرائم، ولم تنشرا صور المدانين، ورجال الشرطة، والتحقيق، والقضاة، والمحامين خلال فترة الدراسة. وارتفعت نسب الصور الشخصية للجنسية الأجنبية المرافقة للمواد الخبرية المتعلقة بالجريمة في الصحيفتين، وقد تساوت صحيفة "عمان" في معدل نشر الصور الشخصية مع صحيفة الرؤية، كما ارتفع معدل نشر الصور الشخصية لجنسيات آسيوية وأفريقية مع نسب قليلة لجنسيات أوروبية وأمريكية.

وكشفت الدراسة أيضا انخفاض معدل نشر الصور الشخصية للعمانيين في المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة التي وقعت داخل السلطنة، وكذلك انخفاض معدل نشر الصور الشخصية لجنسيات عربية من غير العمانيين والخليجيين. ولم تنشر صحيفتا الدراسة صوراً لجنسيات خليجية في أخبار الجريمة المنشورة التي وقعت خارج السلطنة خلال فترة الدراسة.

واعتمدت الصحيفتان على نشر صور مسرح الجريمة في المادة المتعلقة بالجريمة، واعتمدتا على نشر صور أرشيفية لا علاقة لها بالجريمة عند تعذر الحصول على صور مسرح الجريمة. ولم تهتم الصحيفتان بنشر أية صور لمكاتب التحقيقات أو من داخل جلسات المحاكم، أو أمام المحاكم، وكذلك الرسوم التعبيرية للجريمة نفسها، وتفوقت صحيفة "عمان" في نشر الصور الموضوعية المرافقة للخبر عن صحيفة "الرؤية".

ما نوعية اهتمام الصحف العمانية (عينة الدراسة) بأخبار الجريمة؟

كشفت نتائج الدراسة أن صحيفتي "عمان" و "الرؤية" ركزت على نشر المواد الخبرية المتعلقة بجرائم القتل، وجاءت أخبار الجرائم التجارية في المرتبة الثانية، ثم أخبار جرائم السرقة في المرتبة الثالثة. وانخفض اهتمام الصحيفتين بنشر المواد الخبرية المتعلقة بجرائم الفساد الإداري، وكذلك الجرائم السياسية، وجرائم المال، والحرق، والتعذيب، والعرض. وقد ركزت صحيفة "الرؤية" على نشر المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة التجارية، بينما اهتمت صحيفة "عمان" بجرائم القتل.

وكشفت الدراسة أن نوع الفاعل الرئيس في الجريمة المنشورة في الصحيفتين خلال فترة الدراسة كان من الرجال، وجاءت النساء بنسب قليلة. وانخفضت فئة الأحداث في المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة، في حين لم تحدد الصحيفتان نوع الفاعل الرئيس في الجريمة في كثير من المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة المنشورة خلال فترة الدراسة.

ولم تهتم صحيفتا الدراسة كثيرا بتحديد جنسية الفاعل الرئيس في الجريمة، وتفوق اهتمام صحيفة "الرؤية" في تحديد الجنسية بنسبة 54.2%، مقارنة بصحيفة "عمان" التي بلغت نسبة تحديدها للجنسية 50%. وارتفعت نسبة الجنسيات الآسيوية كفاعلين رئيسين في أخبار الجريمة المنشورة في صحيفتي الدراسة، تلتها الجنسيات العربية، واحتل العمانيون المرتبة الثالثة، ثم جاءت الجنسيات الخليجية والأوروبية في المرتبة الرابعة، وانخفضت نسبة أخبار الجريمة لجنسيات أفريقية وأمريكية. وقد تجاهلت الصحيفتان تحديد عمر الفاعل الرئيس في غالبية أخبار الجريمة المنشورة فيهما خلال فترة الدراسة.

واعتمدت الصحيفتان على المسؤولين الحكوميين في جمع المعلومات المتعلقة بالجريمة، وجاء رجال الشرطة في المرتبة الثانية، وأقسام الشرطة وسجلاتها في المرتبة الثالثة. وفي المرتبة الرابعة جاءت المحاكم وسجلاتها، بينما جاءت فئة (أخرى) في المرتبة الخامسة وتضمنت تقارير إخبارية إعلامية وطبية واقتصادية من دوائر العلاقات العامة بالوحدات الحكومية والخاصة. واحتل الشهود المرتبة السادسة، ثم رجال الادعاء العام وجهات التحقيق والمحامين. وانخفض اعتماد الصحيفتين على الجاني، والمجني عليهم كمصادر صانعة لأخبار الجريمة. واعتمدتا كذلك على وكالات الأنباء المحلية والعالمية وهي (العمانية – أف ب – قنا – د ب أ – رويترز – وفا) في الحصول على المادة الخبرية المتعلقة بالجريمة، وجاءت فئة (غير محدد المصدر) في المرتبة الثانية. وانخفض اعتماد الصحيفتين على المحرر كمصدر ناقل لأخبار الجريمة، كما انخفض اعتمادهما على المراسلين الخارجيين، وكذلك المراسلين الداخليين. ولم تعتمد صحيفتا الدراسة على الصحف والمجلات ومواقع الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي والمحطات الإذاعية والتلفزيونية في نقل المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة.

وكشفت نتائج الدراسة ارتفاع معدل التغطية الصحفية التسجيلية في أخبار الجريمة المنشورة في الصحيفتين، وانخفاض التغطية المختلطة. ولم تستخدم الصحيفتان التغطية التمهيدية في المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة خلال فترة الدراسة. وأظهرت النتائج أن هدف التغطية في أخبار الجريمة المنشورة في الصحيفتين كان إعلامياً بشكل أساسي، واحتوت بعض الأخبار على أكثر من هدف إلا أنها كانت بنسبة قليلة، في حين لم تتوافر في أخبار الجريمة في الصحيفتين أهداف تفسيرية أو توجيهية وإرشادية.

وخلصت الدراسة إلى أن هناك تقارب في اهتمام صحيفتي الدراسة بنشر أخبار الجرائم التي تقع داخل سلطنة عمان، وخارجها، فبلغت نسبة الجرائم المنشورة في الصحيفتين والتي وقعت خارج السلطنة خلال فترة الدراسة 53.5%، في مقابل 46.5% لجرائم وقعت داخل السلطنة خلال فترة الدراسة.

واهتمت صحيفة "عمان" بنشر المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة التي وقعت خارج السلطنة بنسبة أعلى. على عكس صحيفة "الرؤية" التي اهتمت بنشر المواد الخبرية المتعلقة بالجريمة التي وقعت داخل السلطنة بنسبة أعلى. وقد ركزت صحيفتا الدراسة على أخبار الجريمة التي وقعت داخل السلطنة في محافظة مسقط، تليها محافظة شمال الباطنة، ونفس النسبة للأخبار التي جمعت أكثر من محافظة. وجاءت محافظة جنوب الشرقية في المرتبة الثالثة، تليها محافظتا جنوب الباطنة، والظاهرة، ثم محافظة شمال الشرقية، ثم محافظة ظفار، ثم محافظة الداخلية. وحصلت محافظتي البريمي والوسطى على النسبة الأقل من أخبار الجريمة، ولم تنشر أية أخبار للجريمة من محافظة مسندم خلال فترة الدراسة.

وقد أولت صحيفة "الرؤية" اهتماماً أكبراً بنشر أخبار الجرائم التي تقع داخل سلطنة عمان، من صحيفة "عمان" التي تهتم أكثر بنشر أخبار الجريمة التي تقع خارج السلطنة. كما تهتم الصحيفتان بأخبار الجريمة التي وقعت في الدول العربية، ثم في الدول الأجنبية، في حين لا تهتم كثيراً بنشر أخبار الجريمة التي تقع في الدول الخليجية.

واستخدمت صحيفتا "عمان" و "الرؤية" قالب الهرم المقلوب بشكل أساسي في تحرير أخبار الجريمة، تلاه قالب الهرم المقلوب المتدرج. ولم تستخدم الصحيفتان قالب الهرم المعتدل (القصصي) إلا نادراً. واستخدمت الصحيفتان أسلوباً واحداً فقط في عرض أخبار الجريمة المنشورة خلال فترة الدراسة، وهو الأسلوب الموضوعي،

بحكم أن الصحيفتين اعتمدتا على المصادر الرسمية دون أن تبذل جهداً في الحصول على تفاصيل الجريمة من خلال أقوال المجني عليهم أو القضاة ورجال الادعاء العام وجهات التحقيق.

قائمة المراجع:

أولا: المراجع العربية

أبو زيد، فاروق (1986). الصحافة المتخصصة، القاهرة: عالم الكتب.

الألوسي، سؤدد فؤاد. (2012). العنف ووسائل الإعلام، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.

حافظ، أسماء. (2001). المعالجة الصحفية لأخبار الجرائم والانحرافات المتصلة بالطفل: دراسة للمضمون والقائم بالاتصال، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

حسين، سمير. (1996). تحليل المضمون، القاهرة: عالم الكتب.

خبريش، خالد (2006)، تاريخ العنف الإخباري، موقع إلكتروني، تاريخ الزيارة http://www.mediarelations.ksu.edu/WEB/News/NewsReleases/brainmapping22201.ht.2014/3/26m

ربيع، عبد الجواد سعيد محمد (2007). المعالجة الصحفية لقضية التحرش الجنسي، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

سعد، عبد الرحمن (2003)، دراسات العالم الإسلامي، موقع إلكتروني، تاريخ الزيارة 2014/3/24. http://www.muslimworldleague.org/paper/1785/articles/page6.htm

الشلال، خالد أحمد (1997)، دور الصحافة المتخصصة في تشكيل الدفاع الاجتماعي ضد الجريمة في المجتمع الكويتي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية المجلد :22 العدد: 85. http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/JGAPS/homear.aspx?id=8&Root=yes&authid=482#

الصادق، سحر فاروق (2003). أخلاقيات نشر مادة الجريمة في الصحافة المصرية، مؤتمر أخلاقيات الإعلام بين النظرية والتطبيق-المؤتمر العلمي السنوي التاسع، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، من 6-8 مايو.

عبد الحميد، محمد (2000). البحث الإعلامي في الدراسات الإعلامية. القاهرة: عالم الكتب.

العشري، وائل محمد (2005). تأثير نشر أخبار جرائم المال العام على صورة رجال الأعمال عند قراءة الصحف في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة: كلية الإعلام، قسم الصحافة.

الغابشية، عائشة (2002). استخدام المرأة العمانية لوسائل الإعلام والإشباعات المتحققة، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة: جامعة القاهرة.

القصابي، عزة (2011). المضامين الفنية في صحيفتي عمان والوطن دراسة في تحليل المضمون والتحديات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان.

القليني، فاطمة (2002). جرائم الأطفال المنشورة في الصحف اليومية: تحليل محتوى دراسة حالة، مجلة الفكر الشرطي: المجلد 11، العدد 43، الشارقة.

القليني، فاطمة يوسف (1984). ملامح الظاهرة الإجرامية كما تعكسها الصحافة المصرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

القمة العالمية لمجتمع المعلومات، موقع إلكتروني، 2005.
http://www.un.org/arabic/conferences/wsis/index.htm

كريجل، بلأندين وآخرون. (2003)، العنف في التلفزيون: التحول من الافتراض إلى الواقع، المطبوعات الجامعية الفرنسية، باريس: شبكة النبأ المعلوماتية – تاريخ الزيارة 2018/5/6 http://www.annabaa.org/nbanews/21/132.htm

الكندي، عبد الله (2008). تغطية الصحافة العربية اليومية لحرب الخليج الثانية 90-1991، تغطية الصحافة العربية للحروب: دراسات في فلسفات التغطية ومضامينها في حربي الخليج الثانية والثالثة. دار الانتشار العربي، بيروت.

المطيرى، عبد الرحمن بن نامي.(2007)، " التغطية الصحفية لأخبار الجرائم في الصحافة السعودية "صحيفة الرياض نموذجاً"، متاح على: http://www.minshawi.com/other/mutairy.pdf

المغامسي، أمين أحمد (1425هـ). نشر أخبار الجريمة والحوادث الأمنية الأخرى في الصحف السعودية: دراسة مقارنه على عينة من الصحف السعودية اليومية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 45 الرياض.

مكاوي، حسن عماد، وليلى حسين السيد (1998). الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

المياحي، عمر (2013). معالجة الصحافة العمانية لقضايا حقوق الإنسان خلال عام 2013، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مسقط.

مينتشر، ميلفين. (1992). تحرير الأخبار في الصحافة والإذاعة والتلفزيون، ترجمة: أديب خضور، سلسلة المكتبة الإعلامية، دمشق.

نصر، حسني (2000). الاتجاهات النظرية في تحليل المضمون: دراسة نقدية للإسهامات العربية في منهجية تحليل المضمون والإشكاليات المرتبطة به في الدراسات الإعلامية، القاهرة، جامعة القاهرة.

نصر، حسني (2011). المشهد الصحفي في سلطنة عمان: قراءة أولية في القضايا المهنية. المنتدى الأدبي، مسقط.

نصيف، عاطف بن عبد الله وآخرون (2006). أخبار الجريمة في الصحافة السعودية وتأثيراتها على المجتمع: دراسة ميدانية على مدينة جدة، جامعة الملك عبد العزيز: معهد البحوث والاستشارات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الإعلام.

اليماني، غادة عبد التواب (2007). قضايا الانحراف المستحدثة كما تعكسها الصحف المصرية، مجلة البحوث الإعلامية، جامعة الأزهر، العدد الثامن والعشرون.

ثانيا: المراجع الأجنبية

Carol A. Stabile, The most disgusting objects of both sexes'Gender and race in the episodic crime news of the 1830s, Journalism November 2005. Vol 6, PP 403-421, Available on: http://jou.sagepub.com/content/6/4/403.full.pdf+html

Fusco, Nina Marie, (2011). Media Coverage outside the Courtroom: Public opinion of restrictions imposed on news journalists and psychological effects on crime victims, PHD, ProQuest Dissertations& Theses, (Canada: University of Montreal).

Nations survey of crime trends and operations of criminal justice systems, covering the period 2001 - 2002" (PDF). United Nations Office on drugs and crime division for policy analysis and public affairs

Rae, Taylor, Slain and Slandered: A Content Analysis of the Portrayal of Femicide in Crime News, Homicide Studies, February 2009; vol. 13, 1: pp. 21-49. First published on November 13, 2008, Available on: http://hsx.sagepub.com/content/13/1/21.

Roland v Clarke, News Paper Reports of Bank Robberies and the Copycat Phenomenon, News Paper Reports of Bank Robberies and the Copycat Phenomenon, Australian & New Zealand Journal of Criminology, March 1992 25: 83-88, Available on: http://hsx.sagepub.com/content/13/1/21.

Wright, James Mark, (2007). Source selection in crime news: How journalists' evaluations of credibility influenced coverage of the Patrick Dennehy murder case, M.S, ProQuest Dissertations& Theses, (United States – Texas: Texas Christian University, College of Communication).

Ying, Zhu, (2002). The eternal task for evolution of civilization: the legal matters and ethical problems of crime news, M.A, ProQuest Dissertations& Theses, (China: Nanchang University (People's Republic of China).

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.19.6

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار التاسع عشر
تأريخ الإصدار: 20 مايو 2021م

محددات جودة المراجعة الداخلية وأثرها على اعتماد المراجع الخارجي على وظيفة المراجعة الداخلية (دراسة ميدانية في بيئة الممارسة المهنية السعودية)

Determinants of the quality of internal audit and their impact on the external auditor's accreditation on the internal audit function (field study in the environment of Saudi professional practice)

إعداد الباحث/ ناصر مفرج البلوي

ماجستير العلوم في المحاسبة، قسم المحاسبة، كلية الشرق العربي للدراسات لعليا، المملكة العربية السعودية

Email: mafrg_1400@hotmail.com

مستخلص البحث:

هدفت هذه الرسالة إلى اختبار محددات وظيفة المراجعة الداخلية بشكل عام، وبشكل خاص كل من الاستقلال التنظيمي، والتوقيت، والإسناد، وأثر هذه المحددات على قرار اعتماد المراجع الخارجي على وظيفة المراجعة الداخلية في بيئة الممارسة المهنية في المملكة العربية السعودية، وذلك من خلال دراسة ميدانية على عينة من المراجعين الداخليين ومراجعي حسابات شركات المساهمة المدرجة في السوق المالية السعودية في بيئة الممارسة المهنية السعودية.

ولتحقيق أهداف البحث اعتمد الباحث على المنهج العلمي بشقيه الاستقرائي في تحليل وتقييم الفكر المحاسبي من الدراسات السابقة، وعلى المنهج الاستنباطي في إجراء الدراسات الميدانية واشتقاق الفروض واختبارها على عينتين من المراجعين الداخليين ومراجعي حسابات شركات المساهمة المدرجة في السوق المالية السعودية وعددها (85) مفردة. واعتمد الباحث على مجموعة من المقاييس الإحصائية في تحليل البيانات المجمعة من استمارات الاستقصاء بواسطة برنامج (SPSS)، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام أساليب الإحصاء الوصفي، وهي الوسط والوسيط والتكرار، وأيضًا اختبار ألفا- كرونباخ لتحليل مدى التجانس بين المتغيرات، واستخدم الباحث اختبار one way anova لمعرفة الفروق الإحصائية وفقًا لمتغيرات الدراسة، واختبار (Kruskal-Wallis) لتحديد اتجاه الفروق الإحصائية إن وُجِدَتْ.

أظهرت النتائج أن محددات جودة المراجعة الداخلية (الاستقلال التنظيمي، والتوقيت، والإسناد) لها تأثير على جودة وظيفة المراجعة الداخلية، كما لها تأثير على قرار اعتماد المراجع الخارجي عليها.

أوصت الدراسة بضرورة إجراء المزيد من البحوث حول آليّات الحدّ من معوّقات بعض عمل المراجعة الداخلية وأثرها على عمل المراجعة الخارجية كمحاولة لتفادي تلك المعوقات.

الكلمات الافتتاحية: المراجعة الداخلية، محددات جودة المرجعة الداخلية، قرار اعتماد المراجع الخارجي، الإسناد، الاستقلال التنظيمي، التوقيت.

Determinants of the quality of internal audit and their impact on the external auditor's accreditation on the internal audit function (field study in the environment of Saudi professional practice)

Abstract:

This thesis aimed to test the determinants of the internal audit function in general, and in particular all of the organizational independence, timing, and attribution, and the effect of these determinants on the decision to accredit the external auditor on the internal audit function in the professional practice environment in the Kingdom of Saudi Arabia, through a field study on A sample of the internal auditors and auditors of joint stock companies listed on the Saudi Stock Exchange in the Saudi professional practice environment.

In order to achieve the objectives of the research, the researcher relied on the scientific approach, in both parts, inductive in analyzing and evaluating the accounting thought from previous studies, and on the deductive approach in conducting field studies and deriving hypotheses and testing them on two samples from the internal auditors and auditors of the 85 joint stock companies listed in the Saudi Stock Exchange. Among the statistical measures in analyzing the data collected from the survey questionnaires by the SPSS program, and to achieve the objectives of the study, descriptive statistical methods were used, which are mean, median and repetition, and also the Cronbach alpha test to analyze the extent of homogeneity between the variables,

And the researcher used the one way anova test to find statistical differences according to For the study variables, the Kruskal-Wallis test to determine the trend of statistical differences, if any.

The results showed that the determinants of internal audit quality (organizational independence, timing, and attribution) have an impact on the quality of the internal audit function, as well as an impact on the external auditor's accreditation decision.

The study recommended the necessity of conducting more research on mechanisms to reduce the obstacles of some internal audit work and their impact on the work of the external audit in an attempt to avoid these obstacles.

Keywords: internal audit, internal audit quality determinants, external auditor approval decision, attribution, timing, organizational independence.

1- الإطار العام للدراسة

1-1 مقدمة الدراسة:

إن ارتفاع وزيادة الغش في القوائم المالية وما يترتب عليه من كوارث مالية احتيالية نتيجة كبر وتنوع وتعقد بيئة الأعمال الحالية، أدى إلى صدور العديد من التوصيات المهنية، التي بدروها دفعت إدارة الشركات نحو تفعيل دور نظم الرقابة الداخلية المحاسبية والإدارية. وتعتبر المراجعة الداخلية هي حجر الأساس في تلك النظم؛ حيث تُعد من أهم أساسيات هيكل الرقابة الداخلية، بل إنها تقع على قمة هذا الهيكل. ولقد تطور دور المراجعة الداخلية من مجرد التركيز على الجوانب المالية فقط لتشمل الجوانب الإدارية أيضًا، علاوة على مساهمتها في إضافة قيمة للشركة، وكذلك تقديمها للخدمات الاستشارية، حتى أصبح رأي مدير المراجعة الداخلية محوريًّا فيما يتعلق بكفاية وفاعلية هيكل الرقابة الداخلية، وخاصة في ظل المستجدات التي شهدتها بيئة الأعمال في الوقت الراهن (الصيوصي، 2012).

وتبرز أهمية المراجعة الداخلية كأحد أدوات تقييم وتقويم هيكل الرقابة الداخلية؛ من حيث كونها واحدة من أهم الوظائف في الشركات، لما لها من أثر في تفعيل وتطوير نظام الرقابة الداخلية، وكفاءة استخدام الموارد المتاحة، بالإضافة لدورها الرئيسي في تقييم المخاطر بالأسلوب الذي يعزز استراتيجية المؤسسات في الاستغلال الأمثل للموارد، ومن ثم الوصول إلى الجودة الشاملة، وتحقيق ميزات تنافسية فارقة. وقد أدى النمو المتزايد في أنشطة الأعمال وكبر حجم الشركات وتعقد العمليات التي تقوم بها، إلى زيادة الاهتمام بالوظيفة الرقابية للإدارة وظهور الحاجة إلى وجود وظيفة المراجعة الداخلية كأداة رقابة مستقلة تساعد الإدارة في القيام بوظيفتها الرقابية. ومن ثم تم توسيع نطاق أنشطة المراجعة الداخلية، بحيث لم تعد وظيفة تركز على تقييم وتعزيز الرقابة الداخلية. (عثمان، 2013).

وبشأن أهمية وظيفة المراجعة الداخلية في المملكة العربية السعودية، فقد تم إنشاء الجمعية السعودية للمراجعين الداخليين بموجب قرار مجلس الوزراء رقم (84) بتاريخ 1432/03/25هـ وهي جمعية مهنية ذات شخصية اعتبارية مستقلة تحت إشراف وزارة التجارة والاستثمار وهدفها الرئيسي تطوير مهنة المراجعة الداخلية في المملكة العربية السعودية، وتعمل الجمعية بفعالية في تعزيز الشفافية ورفع الأداء في المنشآت المختلفة، وتطوير الكفاءات المهنية المتخصصة بتنظيم

الدورات التدريبة والتأهيلية وإعداد اختبارات للحصول على الشهادة المهنية التي يمنحها معهد المراجعين الداخليين الدولي (الجمعية السعودية للمراجعين الداخليين، 2017).

2-1 مشكلة الدراسة:

يمكن صياغة مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

1) ما تأثير كل من الإسناد والوضع التنظيمي والتوقيت كمحددات للمراجعة الداخلية كمحددات للمراجعة الداخلية على جودة أنشطتها؟
2) هل يؤثر إسناد وظيفة المراجعة الداخلية على قرار اعتماد المراجع الخارجي عليها؟
3) هل يؤثر توقيت المراجعة الداخلية على قرار اعتماد المراجع الخارجي عليها؟
4) هل يؤثر الوضع التنظيمي للمراجعة الداخلية على قرار اعتماد المراجع الخارجي عليها؟

3-1 هدف الدراسة:

يهدف هذا البحث إلى دارسة محددات وظيفة المراجعة الداخلية بشكل عام، وبشكل خاص كل من التوقيت، والإسناد، والوضع التنظيمي، وأثر هذه المحددات على قرار اعتماد المراجع الخارجي على وظيفة المراجعة الداخلية في بيئة الممارسة المهنية في المملكة العربية السعودية؛ وذلك من خلال دراسة ميدانية على عينة من المراجعين الداخليين ومراجعي حسابات شركات المساهمة في بيئة الممارسة المهنية السعودية.

4-1 أهمية الدراسة (العلمية والعملية):

- **الأهمية العلمية:** ترجع أهمية البحث باعتباره يساير اتجاه البحوث المعاصرة التي تهتم بوظيفة المراجعة الداخلية وكيف تخلق قيمة للشركات، وكذلك اهتمام المنظمات المهنية بوظيفة المراجعة الداخلية ومحددات جودة أنشطتها، وأثر ذلك على قرار اعتماد المراجع الخارجي عليها.
- **الأهمية العملية:** تمثل في توفير تحليل للآراء ممارسي مهنة المراجعة في المملكة العربية السعودية حول محددات جودة المراجعة الداخلية، وأثرها على قرار اعتماد المراجع الخارجي على وظيفة المراجعة الداخلية بما ينعكس بدوره على كفاءة وفاعلية المراجعة الخارجية، وبالتالي كفاءة سوق رأس المال.

5-1 فروض الدراسة:

1-5-1 الفرض الرئيسي الأول: تؤثر محددات وظيفة المراجعة الداخلية على جودة أنشطتها.

- الفرض الأول الفرعي: يؤثر الاستقلال التنظيمي للمراجعة الداخلية على جودة أنشطتها.
- الفرض الثاني الفرعي: يؤثر توقيت القيام بالمراجعة الداخلية على جودة أنشطتها.
- الفرض الثالث الفرعي: يؤثر إسناد وظائف المراجعة الداخلية على جودة أنشطتها.

2-5-1 الفرض الرئيسي الثاني: تؤثر محددات وظيفة المراجعة الداخلية على قرار اعتماد المراجع الخارجي عليها.

- الفرض الأول الفرعي: يؤثر الاستقلال التنظيمي للمراجعة الداخلية على قرار اعتماد المراجع الخارجي عليها.

- الفرض الثاني الفرعي: يؤثر توقيت القيام بالمراجعة الداخلية على قرار اعتماد الخارجي عليها.
- الفرض الثالث الفرعي: يؤثر إسناد وظيفة المراجعة الداخلية على قرار اعتماد المراجع الخارجي عليها.

1-6 مصطلحات الدراسة:

1. **المراجعة الداخلية:** نشاط استشاري وتوكيدي موضوعي ومستقل مصمم لإضافة قيمة للشركة وتحسين عملياتها، ويساعدها على تحقيق أهدافها من خلال اتباع منهج منظم ومنضبط لتقييم وتحسين فاعلية عمليات إدارة المخاطر والرقابة والحوكمة.
2. **توقيت المراجعة الداخلية Timing:** يُقصد به الطريقة المستخدمة لإجراء عمليات تقييم الرقابة والمخاطر تلقائيًا على نحو أكثر تكرارًا واستمرارًا".
3. **الإسناد Outsourcing:** هو التعاقد مع طرف خارجي لتقديم خدمات من الممكن أن يتم أداؤها من داخل المنشأة فيما يتعلق بخدمات وظيفة المراجعة الداخلية.
4. **الاستقلال التنظيمي Organizational Status:** موقع وظيفة المراجعة الداخلية في الهيكل التنظيمي للشركة وتأثير ذلك على موضوعيتها.
5. **جودة أنشطة المراجعة الداخلية Quality of internal audit activities**: وجود معايير مهنية للمراجعة الداخلية، والتزام المراجع الداخلي بها، تؤثر على قدرة وظيفة المراجعة الداخلية على خلق قيمة مضافة للشركة من خلال العمل على تحسين عملياتها.
6. **قرار اعتماد المراجع الخارجي على جودة المراجعة الداخلية: external auditors decision relyon** هو الاختيار بين الاعتماد على عمل وظيفة المراجعة الداخلية أو استخدام المساعدة المباشرة من المراجعين الداخليين. أو عدم الاعتماد على وظيفة المراجعة الداخلي.

1-7 حدود الدراسة:

- **الحدود الموضوعية:** يقتصر الباحث على دراسة بعض خصائص جودة أنشطة المراجعة الداخلية والمتعلقة بالتوقيت والإسناد والوضع التنظيمي فقط، ويخرج عن نطاق البحث المحددات الأخرى مثل طبيعة الشركات، وخصائص المراجع، وغيرها من المحددات.
- **الحدود الزمانية:** سوف تتم الدراسة على عينة من مراجعي حسابات شركات المساهمة والمراجعين الداخليين خلال عام (2020م).
- **الحدود المكانية:** سيتم تطبيق الدراسة على عينة من ممارسي المهنة في المملكة العربية السعودية.

2- الإطار النظري للدراسة والدراسات السابقة

المقدمة:

تستهدف الدراسة في هذا الفصل عرض وتناول كلّ من البحث المحاسبي والإصدارات المهنية الذي تناول وظيفة المراجعة الداخلية، وكذلك محددات جودة أنشطتها، وأخيرًا تحليل الإصدارات المهنية والبحث المحاسبي الذي تناول العلاقة بين جودة أنشطة وظيفة المراجعة الداخلية وقرار اعتماد المراجع الخارجي عليها، وذلك على النحو التالي:

2-1 الإصدارات المهنية والبحث المحاسبي الذي تناول وظيفة المراجعة الداخلية:

يرتبط تأسيس وتطور مهنة المراجعة الداخلية المعاصرة ارتباطًا وثيقًا بتاريخ إنشاء معهد المراجعين الداخليين سنة 1941م. حيث بدأ يتضح مفهوم ومنهجية وآليات المراجعة الداخلية مع إنشاء المعهد. وفي سبيل الارتقاء بالمستوى المهني للمراجعين الداخليين، وتطوير مهنة المراجعة الداخلية في الشركات على المستوى العالمي؛ قام المعهد بأربع خطوات مهمة، تضمنت إصدار قائمة مسؤوليات المراجعة الداخلية، وإصدار معايير الممارسة المهنية للمراجعة الداخلية، وإصدار قواعد السلوك المهني للمراجعين الداخليين، وإعداد برامج تأهيل المراجعين الداخليين.

ولقد أدَّى النمو المتزايد في أنشطة الأعمال، وكبر حجم الشركات وتعقُّد العمليات التي تقوم بها، إلى زيادة الاهتمام بالوظيفة الرقابية للإدارة، وظهور الحاجة إلى وجود وظيفة للمراجعة الداخلية كنشاط رقابي مستقل يساعد الإدارة في القيام بوظيفتها الرقابية، وذلك من خلال تقييم مدى الالتزام بالسياسات والإجراءات الموضوعية، حماية الأصول، التحقق من دقة واكتمال السجلات المحاسبية وما تحتوي عليها من بيانات وتقييم كفاءة العمليات التشغيلية وكفاءة العاملين فيها؛ إذ يترتب على ذلك الاعتراف بالدور الذي تلعبه المراجعة الداخلية كوظيفة رقابية تمتد إلى كل الجوانب المالية وغير المالية لأنشطة الشركة. (عصيمي، 2009).

فيما يتعلق بأدوار وظيفة المراجعة الداخلية: فيرى علي وشحاتة (2018) أن وظيفة المراجعة الداخلية تختلف اختلافًا كبيرًا بين الشركات، فمنها من يقوم بالدور التوكيدي التقليدي، ومنها من يقوم بدور مضيف للقيمة من خلال تقديم الخدمات الاستشارية، ومعظم الشركات تقع بين هذين الدورين، أي أن المراجع الداخلي يمكن أن يقدّم نوعين من الخدمات: خدمات استشارية وخدمات توكيدية. كما يوضح أيضًا أن الخدمات الاستشارية هي خدمات مضيفة للقيمة؛ حيث تعكس وتؤكد الجدوى الاقتصادية لوظيفة المراجعة الداخلية. كما أن الخدمات التوكيدية خدمات مضيفة للقيمة أيضًا لكونها إحدى الخدمات التي تقدمها المراجعة الداخلية، والمتعارف عليها أنها تضيف المزيد من المصداقية وإمكانية الاعتماد على المعلومات، وبالتالي فوظيفة المراجعة الداخلية لها مبرّرها الاقتصادي داخل الشركات؛ حيث تطور دورها من كونها نشاطًا تقييميًّا لأنشطة الشركة إلى كونها وظيفة تقدم النوعين من الخدمات.

ويخلص الباحث مما سبق إلى أن المراجعة الداخلية تقدم الخدمات الاستشارية، والتي يتم تحديد طبيعتها ومجالها ونطاقها عن طريق الاتفاق بين طرفي التعاقد، المراجع الداخلي (مقدم الخدمة) والإدارة (طالب الخدمة)؛ وذلك بقصد النصح والمشورة لإضافة قيمة للشركة.

ويجب على المراجع الداخلي أن يحافظ على موضوعيته عند أداء هذه الخدمات، بالإضافة إلى عدم تحمُّله المسؤولية الإدارية. أما الخدمات التوكيدية للمراجعة الداخلية فهي خدمات هدفها توفير إمكانية الاعتماد على المعلومات التي يوصلها مسؤول داخل الشركة لخدمة متخذ القرار (إدارة الشركة).

بشأن وظيفة المراجعة الداخلية في التشريعات بالمملكة العربية السعودية: في إطار الجهود التي تقوم به المملكة العربية السعودية لتعزيز وتفعيل الدور الرقابي في منشآت الأعمال والجهات الحكومية، صدر قرار مجلس الوزراء رقم (84) بتاريخ 1432/3/25هـ 2011/2/28م القاضي بإنشاء الجمعية السعودية للمراجعين الداخليين، وهي جمعية مهنية ذات شخصية اعتبارية مستقلة، وذات ذمة مالية مستقلة تعمل تحت إشراف وزارة التجارة والصناعة، وتهدف الجمعية إلى النهوض بمهنة المراجعة الداخلية وتطويرها في المملكة العربية السعودية.

ومن المأمول أن تكون الجمعية أحد الروافد الرئيسية لتطوير الكفاءات المهنية المتخصصة. ويقتصر دور الجمعية على الجانب المهني وتقديم المعايير العالمية واللوائح بحسب قرار مجلس الوزراء السعودي بتنظيم الجمعية. وفقًا لقرار إنشاء الجمعية، تتمثل أهدافها فيما يلي:

1. توفير معايير المراجعة الدولية وقواعد آداب المهنة والإرشادات المهنية الأخرى ذات الصلة الصادرة عن معهد المراجعين الداخليين IIA.
2. إعداد مواد وأدلة إرشادية وتطويرها، وتوفير المعلومات ذات الصلة بالمراجعة الداخلية.
3. عقد الاختبارات المؤهلة للحصول على الشهادات المهنية التي يمنحها معهد المراجعين الداخليين الدولي.
4. تطوير البرامج التدريبية وبرامج التعليم المهني المستمر المتعلقة بمهنة المراجعة الداخلية وتنفيذها، من أجل رفع المستوى المهني لممارسة مهنة المراجعة الداخلية، وإصدار الشهادات المتعلقة بها.
5. تقديم الدعم الفني لمراقبة جودة الأداء المتعلق بمهنة المراجعة الداخلية، وتطوير وسائل تحسين الأداء المهني.
6. إعداد الدراسات المتعلقة بالقوانين، واللوائح والمعايير ذات الصلة بأعمال المراجعة الداخلية، وتقديم المقترحات في شأنها للجهات ذات الاختصاص.
7. عقد المؤتمرات واللقاءات المهنية في مجال المراجعة الداخلية وفقًا للإجراءات النظامية المتبعة.
8. السعي إلى رفع وعي الجمهور بأعمال المراجعة الداخلية.

ويمكن بيان طبيعة الدور التي تقدمه أو يمكن أن تقدمه الجمعية السعودية للمراجعين الداخليين في تحسين التأهيل المهني في النقاط التالية:

(أ) السعي نحو زيادة عدد أعضائها، من منطلق أن زيادة عدد أعضاء الجمعية يساعد إلى حد كبير في نشر إصداراتها.

(ب) توفير كفاءات مؤهلة مهنيًّا يمكنها تولي زمام القيادة في القطاعين الحكومي والخاص.

(ت) التواصل مع شركات المساهمة المدرجة في سوق المال السعودي؛ من أجل إقناعها بأهمية حصول المراجعين الداخليين على الشهادات المهنية ذات العلاقة خاصة CIA.

(ث) التواصل مع الجهات الرقابية والتنسيق معها ومحاولة إقناعها بإلزام المنشآت التي تشرف وتراقب عليها بالاستعانة بمراجعين الداخليين مؤهلين مهنيًّا وحاصلين على شهادة CIA،

(ج) وأهم هذه الجهات هي سوق المال؛ حيث تستطيع إلزام شركات المساهمة السعودية الخاصة، وكذلك ديوان المراقبة العامة؛ حيث يستطيع إلزام الجهات الحكومية.

(ح) التواصل مع المؤسسات التعليمية وخاصة الجامعات التي تقدم برامج محاسبية تتضمن مقرر للمراجعة الداخلية أو مقررات ذات علاقة، ومحاولة إقناعها بضرورة أن تتضمن هذه المقررات ما تصدره المنظمات العملية.

(خ) عقد الملتقيات المهنية لمناقشة الجوانب المختلفة للمراجعة الداخلية.

(د) الاستفادة من تجارب المنظمات المهنية ذات العلاقة بمهنة المراجعة الداخلية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

(ذ) نشر ثقافة تطبيق المعايير الدولية للمراجعة الداخلية في منشآت الأعمال في المملكة.

(ر) عقد الدورات التدريبية المتخصصة ذات العلاقة بالمراجعة الداخلية: حيث تعقد الجمعية سنويًّا عددًا من الدورات التدريبية، تهدف إلى تمكين المتدرب من الإلمام بالجوانب العملية لمهنة المراجعة الداخلية والتدريب على تطبيقها بمهارة، مما يؤدي إلى تحسين التأهيل المهني للمراجعين الداخليين.

(ز) إجراء اختبار الزمالة: حيث تعقد الجمعية اختبار مهني للحصول على CIA.

(س) تحفيز المراجعين الداخليين على الحصول CIA.

ويمكن القول: إن الآلية الأكثر أهمية والتي يمكن من خلالها للجمعية السعودية تحقيق هذه الأدوار المأمولة هي زيادة عدد أعضائها، ومن ثم حرص هؤلاء الأعضاء على الاستفادة من أنشطة الجمعية، خاصة اجتياز الاختبار المهني للمراجعة الداخلية والحصول على شهادة CIA، ومن خلال المقابلات الشخصية التي تمت خلال المقابلات الشخصية التي تم إجراؤها مع بعض المنتسبين للجمعية السعودية للمراجعين الداخليين تم التعرف على بعض المعوقات التي تَحُدّ من قدرة الجمعية السعودية للمراجعين الداخليين على تحسين التأهيل المهني للمراجعين الداخليين، وأهم هذه المعوقات:

- قلة الموارد البشرية في الجمعية.
- قلة الموارد المالية المخصَّصة للجمعية لمزاولة أنشطتها.
- عدم إلزام المراجعين الداخليين بالحصول على شهادة المراجع الداخلي المعتمد CIA.
- حداثة الاهتمام بالمراجعة الداخلية في المملكة العربية السعودية كمهنة معترف بها أسوة بالمراجعة الخارجية (منصور، 2016).

2-2 محددات جودة المراجعة الداخلية وأثرها على جودة أنشطتها:

تلعب محددات جودة المراجعة الداخلية دورًا مهمًّا ومؤثرًا في جودة أنشطة المراجعة الداخلية، ويستعرض الباحث تحليل البحث المحاسبي ويتناول العلاقة بين المحددات (الاستقلال التنظيمي، التوقيت، الإسناد) وأثرها على جودة أنشطتها.

1-2-2 تحليل البحث المحاسبي الذي تناول العلاقة بين الاستقلال التنظيمي للمراجعة الداخلية وجودة أنشطتها واشتقاق الفرض الفرعي الأول للبحث:

يمثل الوضع الوظيفي للمراجعة الداخلية أحد المتطلبات المهمة لأداء المراجعة الداخلية لدورها بفاعلية، لذلك يجب أن تتبع المستوى الإداري المناسب الذي يُمكّنها من أداء عملها بكفاءة وموضوعية.

فقد أكدت معايير المراجعة الداخلية الصادرة عن معهد المراجعين الداخليين على ضرورة أن يكون نشاط المراجعة الداخلية مستقلاً، وأن يؤدي المراجعون الداخليون أعمالهم بموضوعية (IIA, IA Standard 2017). وعرفت معايير المراجعة الداخلية الاستقلالية على أنها التحرر من الشروط والظروف التي تهدّد قدرة نشاط المراجعة الداخلية أو مدير المراجعة الداخلية على الاضطلاع بمسؤولياته على نحو غير متحيز، ولكي يمكن تحقيق درجة الاستقلالية اللازمة للأداء الفعَّال لمسؤوليات المراجعة الداخلية يكون للمسؤول التنفيذي عن المراجعة الداخلية إمكانية الوصول المباشر وبدون أي قيود للإدارة العليا.

ولقد عرفت المعايير الموضوعية: وقد عرفتها المعايير على أنها نمط ذهني غير متحيز يخوّل للمراجع الداخلي أداء مهامه على نحو يجعله يعتقد في سلامة نتائج أعماله وجودتها دون شائبة، أي أن الموضوعية تعني أن يتمتع المراجع الداخلي بالحياد وعدم الانحياز، وأن يجتنب كل ما من شأنه وضعه في وضعية تضارب مصالح.

وبصفة عامة يجب مراعاة الاعتبارات التالية فيما يتعلق بمعيار الاستقلال والموضوعية (علي وشحاتة، 2018):

أ- الاستقلال التنظيمي Organizational Independence:

ينبغي أن يقدم مدير إدارة المراجعة الداخلية تقريره للمستوى التنظيمي داخل الشركة الذي يسمح، أو يمكّن نشاط المراجعة الداخلية، من الوفاء بمسؤولياتها. وينبغي عليه أن يؤكد للمجلس على الأقل سنويًّا، الاستقلال التنظيمي لنشاط المراجعة الداخلية.

كما ينبغي ألَّا يخضع نشاط المراجعة الداخلية لأي تدخل في تحديد نطاق المراجعة الداخلية، وأداء العمل، وتوصيل النتائج ويتحقق الاستقلال التنظيمي فعليًّا حينما يرتبط مدير إدارة المراجعة الداخلية بمجلس الإدارة.

ب- التفاعل المباشر مع المجلس Direct Interaction with the Board:

ينبغي أن يقوم مدير إدارة المراجعة الداخلية بالاتصال والتفاعل المباشر مع مجلس الإدارة.

ج- الموضوعية الفردية: Individual Objectivity

ينبغي أن يتصف المراجع الداخلي بالحيادية وعدم التحيز، ويتجنب أيّ تعارض في المصالح، والتعارض في المصالح هي الحالة التي فيها لدى المراجع الداخلي -والذي يكون موضع ثقة- مصلحة شخصية أو مهنية متعارضة. وقد تتسبب هذه المصالح المتعارضة في صعوبة وفائه بالتزاماته أو واجباته بحيادية. وقد يوجد التعارض في المصالح حتى في حالة عدم القيام بأيّ تصرف غير سليم أو غير أخلاقي.

د- فقد الاستقلال أو الموضوعية Impairment to Independence or Objectivity:

في حالة فقد الاستقلال أو الموضوعية في الظاهر أو في الواقع، ينبغي الإفصاح عن تفاصيل هذا الفقد في الاستقلال أو الموضوعية للأطراف المعنية. وقد يشمل ذلك الاستقلال التنظيمي والموضوعية الشخصية -لكنه قد يكون غير قاصر على- التعارض الشخصي في المصالح، ووجود قيود على نطاق العمل، وقيود على إمكانية الوصول للسجلات والأفراد والموجودات، وقيود على الموارد مثل قيود على التمويل.

ويخلص الباحث مما سبق إلى أن معهد المراجعين الداخليين الدولي (IIA) يولي أهمية كبرى لكلٍّ من استقلال وموضوعية إدارة المراجعة الداخلية، ويتخذ موقفًا قويًّا بهذا الشأن، فعلى الرغم من ارتباط الاستقلال والموضوعية، إلا أنه حدَّد لكل منهما تعريفًا مختلفًا؛ حيث يتم تعريف الاستقلال عادة بالوضع التنظيمي لوظيفة المراجعة الداخلية، وهو علاقات التقرير ثنائية الاتجاه بمجلس الإدارة أو لجنة المراجعة. أما الموضوعية فتختص أكثر بالحالة الذهنية للمراجع الداخلي والأحكام والتحيز والعلاقات والسلوكيات.

في حين أوضح Dang & Lawrence (2016) أن الموضوعية تشمل مدى استقلالية المراجعة الداخلية، طبيعة وتكرار تقرير المراجعة الداخلية، ودرجة وجودة التعاون بين المراجع الخارجي والمراجع الداخلي. كما أكد علي وشحاتة (2018) على أنه يتم تقييم موضوعية المراجع الداخلي من خلال معرفة الوضع التنظيمي لإدارة المراجعة الداخلية.

ويخلص الباحث مما سبق إلى أنه بالرغم من اختلاف تعريف كل من استقلال وموضوعية المراجع الداخلي؛ حيث يتم تعريف الاستقلال بالوضع التنظيمي لوظيفة المراجعة الداخلية، وهو علاقات التقرير ثنائية الاتجاه بمجلس الإدارة أو لجنة المراجعة. أما الموضوعية فتركز أكثر على الحالة الذهنية للمراجع الداخلي والأحكام والتحيز والعلاقات والسلوكيات؛ إلا أن الدراسات الأكاديمية تخلط بين موضوعية واستقلال المراجع الداخلي.

ويرى الباحث أن هذا الخلط مصدره الترابط بين المفهومين، وصعوبة عزل أحدهما عن الآخر. فاستقلال المراجع يُعتبر متطلبًا سابقًا لموضوعية المراجع الداخلي.

وتُعتبر الموضوعية من المتغيرات المهمة لتحديد مقدرة المراجعة الداخلية والتي تلعب دورًا فعالاً في حوكمة الشركات والتأثير على جودة التقارير المالية لشركات، فكلما اتصفت المراجعة الداخلية بالموضوعية، كلما كان لديها القدرة على اكتشاف ممارسات الإدارة الخاصة بالتلاعب في التقارير المالية والحدّ منها.

وترى دراسة (مبارك، 2012) أن درجة موضوعية قسم المراجعة الداخلية في الشركة، تتحدد بناء على معيارين أساسين؛ هما: الاستقلال، وعدم القيام بالأعمال التنفيذية.

الموضوعية: وقد عرفتها المعايير على أنها نمط ذهني غير متحيز يخوّل للمراجع الداخلي أداء مهامه على نحو يجعله يعتقد في سلامة نتائج أعماله وجودتها دون شائبة، أي أن الموضوعية تعني أن يتمتع المراجع الداخلي بالحياد وعدم الانحياز، وأن يجتنب كل ما من شأنه وضعه في وضعية تضارب مصالح. كما أوضحت المعايير أنه يجب أن يتحكم في المصادر التي تهدد الاستقلالية والموضوعية على مستوى المراجع الداخلي منفردًا وعلى مستوى مهمات المراجعة الداخلية وعلى المستوين التنظيمي والوظيفي. **ومِن ثَمَّ يمكن اشتقاق الفرض الفرعي الأول على النحو التالي: يؤثر الاستقلال التنظيمي للمراجعة الداخلية على جودة أنشطتها.**

2-2-2 تحليل البحث المحاسبي الذي تناول العلاقة بين التوقيت للمراجعة الداخلية وجودة أنشطتها واشتقاق الفرض الفرعي الثاني للبحث:

يُعد توقيت عملية المراجعة الداخلية أحد محددات اعتماد المراجع الداخلي عليها؛ حيث اتفق البعض (Davidson et al. , 2013; Chan & Vasarhelyi, 2018) على أن تطبيق المراجعة الداخلية لمدخل المراجعة المستمرة يؤدي إلى زيادة فعالية وكفاءة وظيفة المراجعة الداخلية، وذلك مقارنة بحالة تطبيق مدخل المراجعة الدورية لأداء المراجعة الداخلية.

ولقد كان مفهوم المراجعة الخارجية المستمرة موجودًا لأكثر من عشرين عامًا، ولكنه لُوحِظ بشكل كبير في عقد واحد. ولم تفرق الدراسات السابقة بين استخدام المراجع الداخلي للمراجعة المستمرة واستخدام المراجع الخارجي لها، وأوضح مشابط (2014) أن سبب ذلك، هو أن الفكرة التي بُنِيَتْ عليها المراجعة المستمرة، سواء التي يستخدمها المراجع الداخلي أو المراجع الخارجي واحدة، إلا أن آلية تنفيذها وأهدافها مختلفة. وقام العديد من الباحثين والهيئات المهنية بمحاولة وضع مفهوم للمراجعة المستمرة.

ويتفق الباحث مع تعريف مشابط (2014) للمراجعة الداخلية المستمرة؛ وذلك لأنه مشتق من المفهوم التقليدي للمراجعة الداخلية.

وفي نفس السياق هناك فرق بين المتابعة المستمرة Continuou Monitoring (CM) والمراجعة المستمرة Continuous Auditing (CA). فوفقًا لتقرير لجنة COSO الصادر عام 1992 (COSO, 1992) فإن المتابعة تمثل أحد مكونات الهيكل المتكامل للرقابة الداخلية، كما تمثل التقييم الشامل لمكونات هيكل الرقابة الداخلية للتحقق من فاعليته وكفاءته. ويكون هذا التقييم بشكل دوري كل فترة من الزمن في نظم التشغيل الورقي للبيانات. أما في ظل نظم التشغيل الإلكتروني للبيانات فيكون من الصعب القيام بهذه المتابعة بشكل دوري، ولكن يتطلب الأمر القيام بها بشكل مستمر.

ويخلص الباحث مما سبق إلى أن المتابعة المستمرة هي آلية تلقائية للتغذية العكسية للإدارة تقع تحت سيطرتها ومسؤوليتها، تتم داخل عمليات ومعاملات الشركة، بحيث يتم من خلالها تقييم الرقابة بشكل مستمر وثابت، وتسمح بالتبصر المستمر لمدى فاعلية الرقابة الداخلية وسلامة تشغيل العمليات والمعاملات. أما المراجعة المستمرة فهي عملية يقوم بها مراجع داخلي مستقل،

بهدف إعداد تقارير مراجعة على أساس أكثر تكرارًا وانتظامًا، وعند تطبيق إجراءاتها والتي تفحص عمليات المتابعة للإدارة توفر توكيدًا إضافيًا للإدارة بأن عمليات المتابعة التي تقوم بها تعمل بشكل صحيح.

ولقد أدَّت زيادة مساءلة الشركات والضغوط التنظيمية والطلب المتزايد على ضمان فاعلية إدارة المخاطر وهيكل الرقابة إلى تطوير طرق جديدة لتعزيز فاعلية وكفاءة عملهم. وأوضح Warren & Smith (2006) أن الفحص مرة واحدة في السنة يُعدّ أمرًا غير كافٍ، ومن ثَمَّ فالمراجعة الداخلية المستمرة تعتبر أمرًا ضروريًّا لتلبية احتياجات أصحاب المصلحة.

وفيما يتعلق بدوافع تطبيق المراجعة الداخلية المستمرة، اتفق البعض (Hunt & Jackson, 2010، Aquino et al. De , 2010; Warren & Smith, 2006) على أن تزايد مسؤوليات إدارة الشركات بسبب التشريعات المنظِّمة لأعمالها أوجد ضغطًا على المراجعين الداخليين للبحث عن طرق جديدة تعزز كفاءة وفاعلية عملهم،

وتمثل أداة مساعدة لوفاء الإدارة بمسؤولياتها، وأن أحد هذه الطرق في الوقت الحاضر هو المراجعة الداخلية المستمرة؛ لأن المراجعة الداخلية التقليدية لم تعد كافية لمقابلة الالتزامات الحالية على الشركات.

وعلى الجانب الآخر، أوضح De Aquino et al. (2010) أن تطبيق المراجعة المستمرة يتكون من ست خطوات، ينبغي تطبيقها عند تنفيذ المراجعة الداخلية المستمرة، لجعلها تعمل بشكل فاعل وهي:

1) تحديد المناطق ذات الأولوية الأعلى لبدء تشغيل المراجعة الداخلية المستمرة فيها.
2) تحديد قواعد المتابعة المستمرة والمراجعة المستمرة، تحديد معدل تكرار العمليات.
3) الاستقرار على مقاييس للمراجعة الداخلية المستمرة.
4) متابعة العمليات التي تَمَّت في السابق.
5) تحديد وتوفير نتائج الاتصال والتي تُدَار عادة مِن قِبَل مدير المراجعة الداخلية المستمرة، وتُمَكِّن هذه الخطوات المراجعين من تحسين متابعة عملية المراجعة المستمرة، وتقديم توصيات لتحسينها إذا لزم الأمر.
6) البنية الأساسية التنظيمية للشركة لتشغيل العمليات وتأثيرها على موقع العمل.

ويخلص الباحث مما سبق إلى أن هناك طلبًا على المراجعة الداخلية المستمرة ينبع من الطلب القانوني لها من خلال التشريعات، كما أن هناك طلبًا من الإدارة على المعلومات المستمرة الفورية داخل الشركة، وتكون هذه المعلومات موثوق فيها.

ويرى الباحث أنه للحصول على مزايا ومنافع استخدام المراجعة الداخلية المستمرة ينبغي إدراك العوامل التي تؤدي إلى تفعيل استخدام هذه المراجعة، وتتمثل هذه العوامل كما أوضحها مشابط (2014) في ثلاثة عوامل هي عمليات المراجعة الداخلية، وتكنولوجيا المعلومات والأفراد؛ حيث إن عمليات المراجعة الداخلية ينبغي أن يتم تصميمها بشكل يلائم المراجعة المستمرة، أما تكنولوجيا المعلومات فيجب تطويرها داخل الشركة حتى تُمكّن المراجع الداخلي من الاستفادة من المراجعة المستمرة، وأما الأفراد القائمون بعملية المراجعة فينبغي تدريبهم لكي يؤدوا المراجعة المستمرة بشكل فاعل.

وبالنظر إلى أهمية المراجعة المستمرة نجد أنها تعمل على إضافة قيمة للمنشأة؛ من خلال المساهمة في الالتزام بالقوانين والتشريعات وإدارة المخاطر والقدرة على تحقيق الأهداف، وفي هذا السياق أكدت دراسة (مشباط، 2014) على أن المراجعة المستمرة تعمل على توفير مستويات جديدة من التنظيم لمتابعة الرقابة الداخلية وتنظيم واضح لبيانات المراجعة والإشراف على الوحدة الاقتصادية، كما أنها تُمثّل تطورًا طبيعيًّا لبيئة الرقابة وجهود المراجعة، وتوفير رؤية شاملة داخل العمليات والأنشطة والمعاملات مما يؤدي إلى توافر شفافية كبيرة للمديرين والمستمرين وأصحاب المصلحة الآخرين.

ومن ثَمَّ يمكن اشتقاق الفرض الفرعي الثاني للبحث على النحو التالي: يؤثر توقيت القيام بالمراجعة الداخلية على جودة أنشطتها.

3-2-2 تحليل البحث المحاسبي الذي تناول العلاقة بين إسناد وظيفة المراجعة الداخلية وجودة أنشطتها واشتقاق الفرض الفرعي الثالث للبحث:

أوضح علي وشحاتة (2018) أن الشركات قد تواجه نقصًا في الخبرات والكفاءات في وظيفة المراجعة الداخلية، خاصة بعد تعدُّد الأدوار التي تقوم بها (الدوران الاستشاري والتوكيدي)،

والمجالات الحديثة التي تستهدفها والوظائف التي تخدمها (الرقابة، إدارة المخاطر، الحوكمة)، ومن ثم تلجأ إلى تعويض هذا النقص من خلال استقطاب بعض من هذه الخبرات إلى داخل الشركة أو إسناد وظيفة المراجعة الداخلية، جزئيًّا أو كليًّا، إلى جهات متخصّصة من خارج الشركة.

ولقد تعددت تعريفات إسناد أنشطة المراجعة الداخلية، وإن تشابهت في مضمونها؛ فعلى مستوى الباحثين عرفتها دراسة Lowe et al. (1999) بأنه "ارتباط الشركة بأفراد من خارجها لأداء أنشطة المراجعة الداخلية، والتي كانت تُؤدَّى مسبقًا داخل الشركة". ويتشابه تعريف Ahlawate & Lowe (2004) مع التعريف السابق، حيث عرف الإسناد بأنه "الارتباط مع أفراد أو منشآت من خارج الشركة لأداء خدمات كانت تُؤدَّى من قبل داخل الشركة، أو يمكن تأديتها داخل الشركة".

وعلى مستوى المنظمات المهنية، أوضح IIA (1994) أن الإسناد هو "إبرام اتفاق بين الشركة وطرف خارجي لتقديم أنشطة المراجعة الداخلية التي كان يتم تقديمها من خلال مصدر داخلي". كما عرفت لجنة بازل للإشراف على البنوك Basel Committee (2005) إسناد أنشطة المراجعة الداخلية بأنه "تعاقد الشركة مع طرف خارجي لأداء أنشطة المراجعة الداخلية".

ويخلص الباحث مما سبق إلى أن إسناد وظيفة المراجعة الداخلية يمكن تعريفه على أنه قرار إدارة الشركة بتعهيد أداء كل أو بعض وظيفة المراجعة الداخلية، التي كان يجب أداؤها داخل الشركة، لطرف من خارج الشركة بناءً على تحليل التكاليف والمنافع المنظورة وغير المنظورة للقرار.

وتتمثل النظرية الرابعة في النظرية التعاقدية Contractual Theory، وترى هذه النظرية أنه يتم اللجوء لإسناد الخدمات لموفر خدمة خارجي عندما يتم التأكد من أن مؤدي الخدمة والعميل سوف يلتزمون بالعقد كما هو. وتتمثل النظرية الخامسة في النظرية الاقتصادية التقليدية الحديثة Neo-Classical Economic Theory، ووفقًا لها يتم إسناد الخدمات لطرف خارجي عندما يستطيع الطرف الخارجي (مؤدي الخدمة) تأديتها بتكلفة أقل من تكلفة أدائها داخل الشركة. أما النظرية السادسة فتتمثل في نظرية الوكالة Agency Theory،

وترى هذه النظرية أنه يقوم الأصيل (طالب الخدمة) بإسناد الأنشطة التي تتسم بعدم التأكد من نتائجها ونقل المخاطر إلى الوكيل (الشركة موفرة الخدمة).

ويخلص الباحث مما سبق إلى أنه على الإدارة تحديد أنشطة المراجعة الداخلية التي يكون من الصعب أو من غير المجدي تأديتها بكفاءة وفاعلية وبالجودة المطلوبة والبحث عن طرف خارجي متخصّص في أداء مثل هذه الأنشطة ثم القيام بإسناد تلك الأنشطة لهذا الطرف من أجل الحصول على ميزة تنافسية من خلال قيامه بأداء تلك الأنشطة بشكل أفضل وأكثر جودة وأقل تكلفة مقارنة بأدائها داخل الشركة، وذلك في ضوء الأخذ في الاعتبار أن قرار إسناد وظيفة المراجعة الداخلية، هو قرار استراتيجي يرتبط بمنافع وتكاليف مالية وغير مالية، قصيرة وطويلة الأجل، منظورة وغير منظورة.

أوضح (فؤاد، 2015) في نتائج الدارسات السابقة أن هناك تناميًا في الاتجاه نحو التعهيد لأنشطة المراجعة الداخلية، وأن هناك سببين جوهريين؛ هما: الأول: الوفرة في التكاليف. الثاني: الكفاءة المهنية، وكذلك أن جودة المراجعة الداخلية لها دور في تحسين جودة التقارير المالية،

واعتمدت على عنصرين رئيسين لجودة أنشطة المراجعة الداخلية هما الحيادية والكفاءة المهنية. وتناول فيما يلي بعض المزايا والعيوب الناتجة عن التعهيد لأنشطة المراجعة الداخلية في الشركات الصغيرة والمتوسطة:

- الاقتصادية: الاعتماد على التعهيد لأنشطة المراجعة الداخلية يحقق للشركات الصغيرة والمتوسطة العديد من الوفورات في التكلفة. وذلك من خلال التخلص من التكاليف الإدارية اللازمة لإنشاء إدارة لأنشطة المراجعة الداخلية هذا بجانب وَفْرة في تكاليف أجور وتدريب العاملين بإدارة المراجعة الداخلية.
- ضمان الحيادية والموضوعية: الاعتماد على التعهيد لأنشطة المراجعة الداخلية يحقّق للشركات الصغيرة والمتوسطة الحصول على أنشطة المراجعة الداخلية تتميز بالحيادية والموضوعية لاسيما في ظل تطور واتساع نطاق وأهداف المراجعة الداخلية.
- الاستفادة من التخصص المهني: الاعتماد على التعهيد لأنشطة المراجعة الداخلية يحقق للشركات الصغيرة والمتوسطة الاستفادة من الخبرة والكفاءة المهنية والمتاحة لدى الطرف الخارجي نتيجة التخصص والخبرة المكتسبة في مجال أداء أنشطة المراجعة الداخلية.

عيوب التعهيد لأنشطة المراجعة الداخلية في الشركات الصغيرة والمتوسطة:

- قد يجد الطرف الخارجي صعوبة في الحصول على المعلومات اللازمة لإتمام أنشطة المراجعة الداخلية لاسيما في الفترات الأولى من التعاقد.
- ضياع فرصة تكوين فريق مراجعة داخلية من داخل الشركات الصغيرة والمتوسطة قد يكتسب المهارات اللازمة لأداء أنشطة المراجعة الداخلية مع مرور الوقت.
- ضعف رقابة المنشأة على أنشطة المراجعة الداخلية التي يتم الحصول عليها من طرف خارجي.

ويشير مصطلح الإسناد الخارجي إلى الارتباط مع طرف خارجي لتقديم خدمة أو منتجات كانت تُقدَّم في السابق من خلال المصادر الداخلية، وذلك مع زيادة شدة المنافسة بين مكاتب المراجعة الخارجية والمراجعين الداخليين بسبب الإسناد الخارجي لتقديم خدمات المراجعة الداخلية.

ويلخص أن الإسناد الخارجي ينصبّ على تحويل مسؤولية أداء مهام أو وظائف كانت تُؤدَّى داخل المنشأة إلى طرف خارجي لدواعي تركيز المنشأة على الأنشطة الأساسية يترتب على ذلك أن الإسناد الخارجي كخدمة مهنية يختلف تمامًا عن الاستعانة بخبير؛ حيث تتم الاستعانة به لأداء مهام أو وظائف لا تملك الوحدة لخبرة الفنية أو الإمكانيات المعرفية أو التقنية اللازمة لأدائها مع اختلاف حجم المنشأة سواء كان كبيرًا أو صغيرًا؛ فإنه بحاجة إلى الاستفادة من بدائل الإسناد الخارجي لوظائف المراجع الداخلية لمواجهة نقص في عدد الموظفين المؤقتين والمهارات المختصة والتغطية لمواقع العمل عن بُعد، وتعتبر جودة المراجعة هي احتمال قيام المراجع باكتشاف الأخطاء المادية والغشّ المتضمّن للقوائم المالية محل المراجعة وأن يقلل عدم تناسق المعلومات بين الإدارة والمساهمين، وبالتالي يساعد على حماية مصالح المساهمين. وتعرف جودة المراجعة على أنها المفهوم العكسي لمخاطر المراجعة أو مكمّل لخطر المراجعة،

وهو ما يعني تخفيض مخاطر المراجعة إلى أدنى درجة يمكن قبولها في ضوء معيار بذل العناية المهنية الملائمة. **ومن ثَمَّ يمكن اشتقاق الفرض الفرعي الثالث على النحو التالي: يؤثر إسناد وظيفة المراجعة الداخلية على جودة أنشطتها.**

3-2 الإصدارات المهنية والبحث المحاسبي الذي تناول العلاقة بين المراجع الخارجي ووظيفة المراجعة الداخلية:

دوليًّا تناول معيار المراجعة الدولي رقم 610 مسؤوليات المراجع الخارجي عند استخدام عمل المراجع الداخلي. ولا يطبّق هذا المعيار في حالة عدم وجود وظيفة للمراجعة الداخلية في الشركة، أو إذا كان في الشركة وظيفة للمراجعة الداخلية، ولكن كانت مسؤوليات وأنشطة الوظيفة غير ذات صلة بالمراجعة، أو كان المراجع الخارجي لا يتوقع استخدام عمل وظيفة المراجعة الداخلية في الحصول على أدلة المراجعة، وذلك استنادًا إلى فهمه المبدئي لوظيفة المراجعة الداخلية.

وبشأن مسؤولية المراجع الخارجي عن عملية المراجعة، يوضّح المعيار أن المراجع الخارجي يتحمل المسؤولية وحده عن رأي المراجعة الذي يُبديه، ولا تقل هذه المسؤولية باستخدامه لعمل وظيفة المراجعة الداخلية أو المراجعين الداخليين لتقديم مساعدة مباشرة بشأن الارتباط.

وبشأن تحديد ما إذا كان يمكن استخدام عمل وظيفة المراجعة الداخلية، وفى أي مجالات، وإلى أي مدى، أوضح 610 ISA أنه يجب على المراجع الخارجي تقييم وظيفة المراجعة الداخلية بأن يحدد ما إذا كان يمكن استخدام عمل وظيفة المراجعة الداخلية لأغراض المراجعة؛ من خلال تقييم مدى دعم الوضع التنظيمي لوظيفة المراجعة الداخلية، مستوى كفاءة وظيفة المراجعة الداخلية، ما إذا كانت وظيفة المراجعة الداخلية تطبق منهجًا منظمًا ومنضبطًا.

وبشأن استخدام عمل وظيفة المراجعة الداخلية، أوضح 610 ISA أنه في حالة تخطيط المراجع الخارجي لاستخدام عمل وظيفة المراجعة الداخلية فيجب عليه مناقشة وظيفة المراجعة الداخلية حول هذا الاستخدام المخطط. كما يجب عليه قراءة تقارير المراجعة الداخلية التي لها علاقة بعمل المراجعة الداخلية والتي يخطط لاستخدامه، للحصول على فهم لطبيعة ومدى إجراءات المراجعة التي نفَّذتها الوظيفة والنتائج ذات الصلة.

وبشأن تحديد ما إذا كان يمكن الاستعانة بالمراجعين الداخليين لتقديم مساعدة مباشرة، وفي أي مجالات وإلى أي مدًى؛ أوضح 610 ISA أنه يجب تحديد ما إذا كان يمكن الاستعانة بالمراجعين الداخليين لتقديم مساعدة مباشرة لأغراض المراجعة، وذلك لأنه قد تمنع القوانين، أو اللوائح المراجع الخارجي من الحصول على مساعدة مباشرة من المراجعين الداخليين، وفى هذه الحالة لا يتم تطبيق متطلبات المعيار بخصوص هذه الجزئية.

ويخلص الباحث مما سبق إلى أن 610 ISA لا يطبق في حالة عدم وجود وظيفة مراجعة داخلية في الشركة، أو كانت مسؤوليات وأنشطة الوظيفة غير ذات صلة بالمراجعة، أو كان المراجع الخارجي لا يخطط لاستخدام عمل وظيفة المراجعة الداخلية في الحصول على أدلة المراجعة. وبشأن المساعدة المباشرة، فلا تطبق متطلبات هذا المعيار بشأنها في حالة عدم تخطيط المراجع لذلك، أو في حالة وجود لوائح أو قوانين تحظر أو تقيد، الاستعانة بمراجعين داخليين لتقديم مساعدة مباشرة. ويتحمل المراجع الخارجي المسؤولية وحده عن رأي المراجعة الذي يبديه. ويجب عليه تقييم وظيفة المراجعة الداخلية، لتحديد ما إذا كان يمكنه استخدام عمل وظيفة المراجعة الداخلية لأغراض المراجعة،

من خلال تقييم مدى دعم الوضع التنظيمي لوظيفة المراجعة الداخلية، مستوى كفاءة وظيفة المراجعة الداخلية، ما إذا كانت وظيفة المراجعة الداخلية تطبق منهجًا منظمًا ومنضبطًا. كما يجب عليه، إبلاغ المكلفين بالحوكمة بنظرة عامة عن النطاق والتوقيت المخطط لعملية المراجعة.

ومن أهم التعديلات الأخرى، التي جاء بها هذا المعيار، أنه سمح للمراجعين الخارجيين بالاستعانة بالمراجعين الداخليين لتقديم مساعدة مباشرة، في حالة عدم وجود قوانين أو لوائح تمنع الاستعانة بالمراجعين الداخليين لتقديم هذه المساعدة المباشرة. ويجب عليه، في هذه الحالة، تقييم مدى وجود تهديدات تؤثر على موضوعية ومستوى كفاءة المراجعين الداخليين. ولا يجوز للمراجع الخارجي الاستعانة بالمراجعين الداخليين عند تنفيذ إجراءات تنطوي على إصدار أحكام مهمة خلال عملية المراجعة، أو تتعلق بمخاطر مرتفعة مقدرة للتحريف الجوهري.

كما أوضح المعيار أنه إذا ظهر أن هناك نتائج ذات صلة بالتقرير المالي والمراجعة استنادًا إلى الردود على الاستفسارات، فإنه من المناسب للمراجع أن يطلع على التقارير ذات العلاقة بوظيفة المراجعة الداخلية. مثل تقارير المراجعة الداخلية عن استراتيجيتها والوثائق والتقارير التخطيطية التي أُعدت للإدارة أو للمكلفين بالحوكمة، والتي تصف نتائج فحص وظيفة المراجعة الداخلية. وبالإضافة لما سبق، فإنه إذا وفرت وظيفة المراجعة الداخلية معلومات للمراجع تتعلق بغش فعلي، أو مشكوك فيه أو مزعوم، فعلى المراجع أن يأخذ ذلك في الحسبان عند تحديده خطر التحريف الجوهري بسبب الغش.

ولتحديد طبيعة اعتماد المراجع الخارجي على عمل المراجع الداخلي فإن ذلك يتطلب:

أولاً: تحديد طبيعة العلاقة بين المراجعة الخارجية والمراجعة الداخلية؛ حيث إنها تعتبر علاقة تكاملية، وهناك العديد من العوامل التي تؤثر في هذه العلاقة منها الدور الذي تلعبه لجنة المراجعة لتشجيع التعاون بين المراجع الداخلي والخارجي، والتشاور المنتظم ووجود قنوات اتصال فعَّالة بينهم، فضلاً عن الثقة المهنية المتبادلة بجودة العمل (fowzia,2010).

ثانيًا: تحديد أوجه التشابه بين المراجعة الداخلية والمراجعة الخارجية.

ثالثًا: محددات اعتماد المراجع الخارجي على المراجع الداخلي.

ومِن ثَمَّ **يرى الباحث** أن التطور في دور المراجعة الداخلية في منع واكتشاف التحريفات الجوهرية (غشّ أو خطأ) من شأنه أن يؤدّي إلى التأثير على خطر المراجعة الخارجية، الأمر الذي ينعكس على ثقة المراجع الخارجي في وظيفة المراجعة الداخلية، ومِن ثَمَّ زيادة اعتماده عليها.

بدائل اعتماد المراجع الخارجي على وظيفة المراجعة الداخلية:

وفقًا لبعض الإصدارات المهنية (SAS, 128, 2014; IAS 610, 2013) يوجد **بديلان** لاعتماد المراجع الخارجي على وظيفة المراجعة الداخلية. **يتمثل البديل الأول في**: استخدام المساعدة المباشرة من المراجعين الداخليين (البديل المباشر)، وفيها يتم استخدام المراجعين الداخليين كمساعدين assistants لأداء بعض مهام المراجعة الخارجية تحت إشراف وتوجيه المراجع الخارجي وفحصه أعمالهم بشكل مناسب والتي كان سيؤديها بنفسه.

أما **البديل الثاني فيتمثل في** الاعتماد على عمل المراجعة الداخلية (الطريقة غير المباشرة)، وفيها يعتمد المراجع الخارجي على عمل سابق للمراجعة الداخلية للحصول على أدلة المراجعة.

ويخلص الباحث مما سبق إلى أن هناك بديلين لاعتماد المراجع الخارجي على المراجع الداخلي؛ يتمثل الأول في استخدام المساعدة المباشرة من المراجعين الداخليين، أما الثاني فيتمثل في الاعتماد على عمل المراجعة الداخلية.

2-3-1 تحليل البحث المحاسبي الذي تناول العلاقة بين الاستقلال التنظيمي للمراجعة الداخلية وقرار اعتماد المراجع عليها، واشتقاق الفرض الفرعي الأول للبحث:

يوضح Paape (2007) بأن الاستقلالية التنظيمية تسمح للمراجعة الداخلية بأداء أعمالها دون تدخل من جانب الكيان قيد المراجعة. وينبغي أن تتمتع إدارة المراجعة الداخلية بالاستقلالية الكافية عن الإدارات الأخرى التي يتعين عليها مراجعتها؛ لكي تتمكن من الاضطلاع بعملها دون تدخل، وأن ينظر إليها على أنها قادرة على القيام بذلك

وفي نفس السياق أوضح Messier et al. (2011) أن هناك مخاوف من فشل إدارة المراجعة الداخلية في الحفاظ على موضوعيتها بشأن الإشراف على التقارير المالية وفعالية إدارة المخاطر عندما يكون للإدارة التنفيذية نفوذ على المراجعين الداخليين.

ومما سبق **يخلص الباحث** إلى أن هناك تضاربًا واختلافًا في نتائج الدراسات بشأن تأثير المستوى الذي ترفع إليه المراجعة الداخلية تقاريرها على موضوعية المراجعة الداخلية، ومِن ثَمَّ على مدى اعتماد المراجع الخارجي على وظيفة المراجعة الداخلية. وبصورة عامة يكن القول: إن استقلال وموضوعية المراجعة الداخلية في الشركة يؤثر على قرار المراجع الخارجي بالاعتماد على نشاط المراجعة الداخلية، كلما تمتع نشاط المراجعة الداخلية بالاستقلال والموضوعية، وما يرتبط بها من محددات، كلما زاد اعتماد المراجع الخارجي على المهام التي يقوم بها نشاط المراجعة الداخلية، مما يكون له أثر على كفاءة وفعالية وتكلفة عملية المراجعة ككل، أي يترتب عليه قصر فترة إصدار تقرير المراجعة (Pradipta et al, 2020)

2-3-2 تحليل البحث المحاسبي الذي تناول العلاقة بين توقيت عملية المراجعة الداخلية وقرار اعتماد المراجع عليها واشتقاق الفرض الفرعي الثاني للبحث:

بداية يرى (warren & Smith 2006) أن اعتماد المراجعة الداخلية على مدخل المراجعة المستمرة يؤثر إيجابيًّا على عملية المراجعة الخارجية؛ وذلك لأن التوكيد المستمر المطلوب على المعلومات المالية من المراجع الخارجي يتطلب تطبيق المراجعة الداخلية المستمرة، ومِن ثَمَّ فإنه في ظل وجود طلب على المراجعة الخارجية المستمرة فوجود المراجعة الداخلية المستمرة يدعم أداء المراجع الخارجي لتقديم مراجعة خارجية أكثر كفاءة وفاعلية.

وتشير فترة الجدولة scheduling إلى الفترة من انتهاء السنة المالية للشركة وحتى بداية العمل الميداني للمراجعة الخارجية، وترجع أسباب هذه الفترة إما لعوامل ترتبط بالشركة محل المرجعة أو عوامل ترتبط بالمراجع الخارجي. وترجع أهمية توقيت إصدار تقرير المراجعة إلى أنها تُعدّ أحد العوامل المؤثرة على توقيت إصدار ونشر التقارير المالية؛ حيث لا يمكن الإفصاح عن التقارير المالية إلا بعد توقيع مراقب الحسابات على تقرير المراجعة، وبالتالي يؤدي إلى انخفاض فترة تأخير إصدار تقرير المراجعة إلى انخفاض عدم تماثل المعلومات بين معدي ومستخدمي التقارير المالية، انخفاض حالة عدم التأكد عند اتخاذ القرارات، زيادة كفاءة المعلومات نتيجة الإعلان عن الأرباح في أقرب وقت ممكن، تحسين أسعار الأسهم في سوق الأوراق المالية، الحد من ظاهرة الشائعات. (السيد، 2018)

ونظرًا لأهمية توقيت إصدار تقرير المراجعة وما يرتبط به من وقتية إصدار التقارير المالية فقد قامت المملكة العربية السعودية ممثلة في هيئة السوق المالية بتعديل فترة إعلان القوائم المالية السنوية فور اعتمادها والتي تبدأ من 2017/1/1 أو بعدها من 75 يومًا إلى 90 يومًا؛ حيث نص القرار على تعديل الفقرة ه من المادة الثانية والأربعين من قواعد التسجيل والإدراج؛ بحيث يجب على المصدر أن يزود الهيئة ويعلن للمساهمين عن قوائمه المالية السنوية فور اعتمادها؛ وذلك خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر من نهاية الفترة المالية السنوية التي تشملها تلك القوائم. (هيئة السوق المالية السعودية، 2016).

حيث التوقيت المناسب لإصدار التقارير المالية بالفترة التي تستغرقها عملية المراجعة، والتي تنتهي بإصدار تقرير المراجعة؛

حيث لا يمكن الإفصاح عن التقارير المالية إلا بعد قيام المراجع الخارجي بإبداء رأيه الفني المحايد في مدى صدق وعدالة القوائم المالية، بما يمكن أصحاب المصالح من الاعتماد عليه في اتخاذ العديد من القرارات، ولكن تأخير إصدار تقرير المراجعة (ARL) أو ما يسمى بتأخير المراجعة Audit Delay (الفترة الزمنية بين تاريخ انتهاء السنة المالية للشركة وحتى تاريخ توقيع مراقب الحسابات على تقرير المراجعة) يعد بمثابة مؤشر سلبي على انخفاض جودة التقارير المالية؛ حيث يؤدي إلى تأخر الإفصاح عن المعلومات المالية وعدم تقديمها في التوقيت المناسب، مما يفقد تلك المعلومات خاصية الملائمة ويعكس أخبارًا غير سارة من وجهة نظر المستمرين، ويفتح المجال أمام نشر الشائعات حول نتائج أعمال الشركة ووضعها المالي. (الإبياري، 2017م).

وإن تأخر تقرير المراجعة (ARL) والعوامل المؤثرة في تأخر تقرير المراجعة موضوع اهتمام العديد من الباحثين، والأكاديميين والممارسين. فتأخير المراجعة هو مصطلح مختلف يستخدمه الباحثون، والذي يرتبط في الواقع بتأخير تقرير المراجعة.

ويخلص الباحث مما سبق إلى أن هناك جدلاً بين من يؤكد على أن استخدام المراجعة الداخلية لمدخل المراجعة المستمرة يؤدي إلى زيادة اعتماد المراجع الخارجي على وظيفة المراجعة الداخلية، وبين مَن يؤكد على أن المراجعة الدورية هي الأكثر فاعليةً وتأثيرًا على اعتماد المراجع الخارجي.

ومِن ثَم يمكن اشتقاق الفرض الفرعي الثاني على النحو التالي: يؤثر توقيت المراجعة الداخلية على قرار اعتماد المراجع الخارجي عليها.

2-3-3 تحليل البحث المحاسبي الذي تناول العلاقة بين الإسناد للمراجعة الداخلية وقرار اعتماد المراجع عليها واشتقاق الفرض الفرعي الثالث للبحث:

بداية هناك جدل بشأن أثر إسناد وظيفة المراجعة الداخلية لطرف خارجي على قرار اعتماد المراجع الخارجي عليها؛ حيث يتفق البعض (Coram et al. ,2008; GLover et al. , 2008; Arel, 2010; Munro & Stewart, 2010; Desai et al. , 2011; Bartlette et al. , 2015; Raiborn et al. , 2017؛ مبارك، 2012؛ القليطي، 2014) على أن إسناد وظيفة المراجعة الداخلية لطرف خارجي يؤثر على قرار اعتماد المراجع الخارجي عليها، وذلك باعتباره أحد محددات جودة وظيفة المراجعة الداخلية.

وبشأن العوامل التي تتعلق بمحددات وسمات وظيفة المراجعة الداخلية اتفق (القليطي، 2014؛ Davidson et al. , 2013) على أنه عندما تطبق المراجعة الداخلية المراجعة الدورية، يكون اعتماد المراجع الخارجي أكثر على المراجعة الداخلية في حالة الإسناد الخارجي، أما عند تطبيق المراجعة الداخلية المراجعة المستمرة، فلا يوجد فرق في اعتماد المراجع الخارجي على وظيفة المراجعة الداخلية، سواءً ما إذا كان يتم إسنادها لطرف خارجي أو يتم أداؤها داخليًّا من قبل وظيفة المراجعة الداخلية.

وأرشد معهد المراجعين الداخليين منشآت الأعمال التي تكون بصدد اتخاذ قرار بالإسناد الخارجي الكامل لوظيفة المراجعة الداخلية لطرف خارجي أن تكون مسؤولية الإشراف والرقابة على وظيفة المراجعة الداخلية في تلك الحالة، لا يمكن أن تسند إلى الطرف الخارجي مقدم الخدمة،

بمعنى أنه يتعين على منشآت الأعمال تعيين ممثل لها سواء كان المدير التنفيذي لإدارة المراجعة الداخلية، أو أحد ممثلي الإدارة العليا كي ينوب عنها في إدارة والإشراف على وظيفة المراجعة الداخلية بالمنشأة.

3- الدراسة الميدانية

مقدمة:

يتناول هذا الفصل تصميم الدراسة الميدانية للبحث، من حيث تحديد مجتمع وعينة البحث، وجمع وتحليل بيانات الدراسة الميدانية، وكذلك الأساليب الإحصائية المستخدَمة في تنفيذ الاختبارات الميدانية لفروض البحث، وأخيرًا عرض وتحليل تلك النتائج.

3-1 مجتمع وعينة الدراسة الميدانية:

- **مجتمع الدراسة**: يتكون مجتمع الدراسة من مجتمعين هما:

1) جميع المراجعين الداخليين في الشركات المدرجة في السوق المالية السعودية.
2) جميع مراجعي حسابات شركات المساهمة المدرجة في السوق المالية السعودية.

- **عينة الدراسة:**

1) وتتمثل بـ (45) مفردة من المراجعين الداخليين بالشركات المدرجة في السوق المالية السعودية.
2) وتتمثل بـ (40) مفردة من مراجعي حسابات شركات المساهمة المدرجة في السوق المالية السعودية.

3-2 متغيرات الدراسة:

وتتكون متغيرات الدراسة من مجموعتين وهي:

1) تتوزع متغيرات الدراسة للمراجعين الداخليين على ثلاثة متغيرات مستقلة (الاستقلال التنظيمي، التوقيت، الإسناد) ومتغير تابع واحد وهو (جودة المراجعة الداخلية).
2) تتوزع متغيرات الدراسة لمراجعي حسابات شركات المساهمة المدرجة في السوق المالية السعودية على ثلاثة متغيرات مستقلة (الاستقلال التنظيمي، التوقيت، الإسناد) ومتغير تابع واحد وهو (قرار اعتماد المراجع الخارجي على وظيفة المراجعة الداخلية).

تم قياس المتغيرات على النحو التالي:

عند اختبار فروض البحث الأول تم مقياس المتغيرات المستقلة من ثلاثة محاور على النحو التالي:

3-2-1 المحور الأول: الاستقلال التنظيمي (أهم العوامل المؤثرة في موضوعية واستقلالية المراجعين الداخليين) من خلال الأسئلة التالية:

1) الاستقلالية التنظيمية للمراجعة الداخلية داخل نطاق الهيكل التنظيمي للمنشأة يزيد من جودة المراجعة الداخلية.
2) تجنب تعارض المصالح الشخصية مع مصلحة المنشأة.
3) يمثل استقلال أعضاء إدارة المراجعة الداخلية واحدًا من أهم أركان نجاح وظيفة المراجعة الداخلية.
4) توفير الموضوعية لفريق المراجعة الداخلية وتنسيق التبعية التقريرية والإدارية للجنة المراجعة يزيد من جودة المراجعة الداخلية.
5) الاستقلال التنظيمي والفني لإدارة المراجعة الداخلية (التبعية الإدارية لمجلس الإدارة، ورفع تقارير للجنة المراجعة)، حتى يمكنها ممارسة أعمالها باستقلال وموضوعية.

3-2-2 المحور الثاني: التوقيت (أهمية المراجعة المستمرة في جودة المراجعة الداخلية) من خلال الأسئلة التالية:

1) تساهم المراجعة الداخلية المستمرة في تقليص فرص الغش داخل المنشأة.
2) تعمل المراجعة الداخلية المستمرة على أداء المراجعة بشكل مستمر مما يتيح المتابعة والرقابة المستمرة.
3) تساهم المراجعة الداخلية المستمرة في تقديم توكيد مستمر للإدارة عن مخاطر الأعمال وكيفية إدارتها.
4) تساهم المراجعة المستمرة على توفير رؤية شاملة داخل العمليات والأنشطة والمعاملات.
5) تساهم المراجعة الداخلية المستمرة في معلومات جيدة بسبب التوكيد المستمر للتقارير المالية.
6) تمكن المراجعة الداخلية المستمرة إدارة المنشأة من تنفيذ هيكل كفء للرقابة الداخلية.

3-2-3 المحور الثالث الإسناد (إن الإسناد الخارجي لوظيفة المراجعة الداخلية يؤدي إلى جودة أدائها) من خلال الأسئلة التالية:

1) إن الإسناد الخارجي لوظيفة المراجعة الداخلية يوفر أفضل الممارسات في الشركة نتيجة لخبرته السابقة في الشركات الأخرى.
2) إن الإسناد الخارجي لوظيفة المراجعة الداخلية يؤدي إلى تدعيم المراجعين بخبرات متخصصة قد تكون غير موجودة بالشركة.
3) إن الإسناد الخارجي لوظيفة المراجعة الداخلية يؤدي إلى تحقيق وفورات في تكلفة تنفيذ مهام المراجعة الداخلية وتحسين تكلفة المراجعة الداخلية.
4) في جميع المهام التي يؤديها المراجع الخارجي، يكون ملتزمًا بآداب وسلوك المهنة، ومعايير المراجعة.
5) إن الإسناد الخارجي لوظيفة المراجعة الداخلية يساعد الإدارة في التركيز على إجراءات الرقابة الداخلية.

وعند اختبار فرض البحث الثاني تم مقياس المتغيرات المستقلة على النحو التالي:

3-2-1 المحور الأول: الاستقلال التنظيمي (ما أثر الاستقلال وموضوعية المراجعة الداخلية على اعتماد المراجع الخارجي) من خلال الأسئلة التالية:

1) عند وجود تفاعل بين الهيكل التنظيمي للشركة والمراجعة الداخلية يزداد احتمال اتخاذك قرارًا بالاعتماد عليها.
2) عندما تتصف وظيفة المراجعة الداخلية بالموضوعية وعدم التحيز يزداد احتمال اتخاذك قرارًا بالاعتماد عليها.
3) عندما تتصف وظيفة المراجعة الداخلية بالاستقلال التنظيمي يزداد احتمال اتخاذك قرارًا بالاعتماد عليها.
4) عندما تتصف وظيفة المراجعة الداخلية بالتبعية لمجلس الإدارة ورفعها التقارير للجنة المراجعة يزداد احتمال اتخاذك قرارًا بالاعتماد عليها.
5) عندما لا يتم إجراء تدوير سنوي لرئيس قسم المراجعة الداخلية أو فريق المراجعة الداخلية بالكامل أو نقلهم للوظائف إدارية أخرى بالشركة يزداد احتمال اتخاذك قرارًا بالاعتماد عليها.

3-2-2 المحور الثاني: التوقيت (ما أثر التوقيت على قرار اعتماد المراجع الخارجي) من خلال الأسئلة التالية:

1) تساهم المراجعة الداخلية المستمرة في معلومات جيدة بسبب التوكيد المستمر للتقارير المالية، وبالتالي يزداد اعتمادك على وظيفة المراجعة الداخلية.
2) تساهم المراجعة الداخلية المستمرة في تقليص فرص الغش داخل المنشأة، وبالتالي يزداد اعتمادك على وظيفة المراجعة الداخلية.
3) تمكن المراجعة الداخلية المستمرة إدارة المنشأة من تنفيذ هيكل كفء للرقابة الداخلية، وبالتالي يزداد اعتمادك على وظيفة المراجعة الداخلية.
4) تساهم المراجعة المستمرة في تقديم تأكيد مستمر للإدارة عن مخاطر الأعمال وكيفية إدارتها، وبالتالي يزداد اعتمادك على وظيفة المراجعة الداخلية.
5) تعمل المراجعة الداخلية المستمرة على أداء المراجعة بشكل مستمر مما يتيح المتابعة والرقابة المستمرة، وبالتالي يزداد اعتمادك على وظيفة المراجعة الداخلية.

3-2-3 المحور الثالث: الإسناد (ما أثر الإسناد الخارجي على قرار اعتماد المراجع الخارجي) من خلال الأسئلة التالية:

1) تتسم برامج وخطط المراجعة الداخلية في حالة الإسناد بالدقة والكفاية، وبالتالي يزداد اعتمادك على وظيفة المراجعة الداخلية.
2) يحرص الطرف الخارجي الذي يقدم خدمات المراجعة من خارج الشركة على فحص جودة الأداء وبالتالي يزداد اعتماد على وظيفة المراجعة الداخلية.
3) تتسم نطاق عمل المراجعة الداخلية في حالة الإسناد بالكفاية، وبالتالي يزداد اعتمادك على وظيفة المراجعة الداخلية.
4) تحرص الإدارة على دعم نشاط المراجعة الداخلية في حالة الإسناد عند أداء مهام المراجعة الداخلية، وبالتالي يزداد اعتمادك على وظيفة المراجعة الداخلية.

3-3 أسلوب جمع بيانات الدراسة الميدانية:

اعتمد الباحث على المصادر الثانوية والمتمثلة في الأبحاث المحاسبية السابقة ذات العلاقة بموضوع البحث، وكذلك تم استخدام الاستبيان لجمع معلومات عن متغيرات الدراسة بحيث تحتوي على قسمين وهما:

- يشتمل على البيانات الشخصية (الديموغرافية) لأفراد العينتين، وهي (التخصص العلمي -المسمى الوظيفي -المؤهل العلمي -سنوات الخبرة - الشهادات المهنية).
- تم استخدام مقياس ليكارت الخماسي للعينتين (أوافق بشدة – أوافق – محايد – لا أوافق –لا أوافق بشدة)، ولتحقيق أهداف الدراسة والتحقيق من الفروض تم استخدام برنامج الإحصائي (SPSS).

4-3 الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة الميدانية:

- التكرار والنسب المئوية لوصف أفراد الدراسة، ولحساب استجابات أفراد الدراسة اتجاه العبارات التي تتضمنها أداة الدراسة.
- المتوسطات الحسابية لترتيب استجابات أفراد الدراسة.
- معامل ارتباط بيرسون للتأكد من صدق الاتساق الداخلي لأداة الدراسة.
- **معامل ثبات (ألفاكرونباخ)** لقياس ثبات أداة الدراسة.
- **معادلة المدى**: وذلك لوصف المتوسط الحسابي للاستجابات على كل عبارةٍ وبُعْدٍ على النحو التالي:
  - من 1 إلى أقل من 1. 80 تمثل درجة استجابة (ضعيفة جدًّا).
  - من 1. 80 إلى أقل من 2. 60 تمثل درجة استجابة (ضعيفة).
  - من 2. 60 إلى أقل من 3. 40 تمثل درجة استجابة (متوسطة).
- **اختبار one way anova** لمعرفة الفروق الإحصائية وفقًا لمتغيرات المؤهل العلمي وسنوات الخبر

4- النتائج والتوصيات والأبحاث المستقبلية

1-4 مناقشة نتائج الدراسة:

تُعتبر المراجعة مهنة رئيسية تحتاج إليها معظم المؤسسات؛ حيث تمكن أصحابها من متابعة كل ما يجري داخل المؤسسة ومدى كفاءة وأمانة القائمين على أموالهم، بالإضافة إلى أهميتها لعدة أطراف يتعاملون مع المؤسسة. وإن الحكم على نجاح عملية المراجعة وتحقيق أهدافها منوط بالشخص الذي يمارس هذه المهنة، وباعتبار أن المراجع الخارجي المسؤول عن تدقيق حسابات الشركة مهما كان شكلها أو حجمها بهدف إعطاء رأي فني محايد حول سلامة وعدالة القوائم المالية؛ حيث كان موضوع الرسالة "محددات جودة المراجعة الداخلية وأثرها على قرار اعتماد المراجع الخارجي على وظيفة المراجعة الداخلية".

حيث قام الباحث في الجانب التطبيقي باستخدام الاستبيان كوسيلة لتجميع البيانات وقياس متغيرات الدراسة، وتكرار النسب المئوية لوصف أفراد الدراسة، واتجاه العبارات التي تتضمنها أداة الدراسة. وكذلك استخدام معامل ارتباط بيرسون للتأكد

من صدق الاتساق الداخلي لأداة الدراسة. ومعامل ثبات (ألفاكرونباخ) لقياس ثبات أداة الدراسة. وعليه خلصت الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات وهي:

- الاستقلالية التنظيمية للمراجعة الداخلية داخل نطاق الهيكل التنظيمي للمنشأة يزيد من جودة المراجعة الداخلية.
- تساهم المراجعة الداخلية المستمرة في تقليص فرص الغش داخل المنشأة.
- إن الإسناد الخارجي لوظيفة المراجعة الداخلية يوفر أفضل الممارسات في الشركة نتيجة لخبرته السابقة في الشركات الأخرى.
- وجود تفاعل بين الهيكل التنظيمي للشركة والمراجعة الداخلية يزداد احتمال اتخاذ قرار بالاعتماد على المراجع الخارجي.
- تساهم المراجعة المستمرة في معلومات جيدة بسبب التوكيد المستمر للتقارير المالية يزداد الاعتماد على وظيفة المراجعة الداخلية.
- تعاظم دور المراجعة الداخلية وذلك نتيجة التغيرات التي شهدتها بيئة الأعمال؛ حيث زاد الاهتمام في الدول المتقدمة والنامية بموضوع المراجعة الداخلية في علاقتها بتحقيق مبادئ حوكمة الشركات واعتبار المراجعة الداخلية أهم آليات الحوكمة والتي لها دور مهم في تحسين جودة حوكمة الشركات.
- يقوم المراجع الخارجي عند تخطيط لعملية المراجعة بتقييم فعالية المراجعة الداخلية في ضوء الالتزام بمعايير المراجعة الداخلية.
- إن اتخاذ قرار الاعتماد على عمل المراجعة الداخلية في ضوء الأسس والمبادئ التي وضعتها المعايير المهنية يمكن أن يزيد من جودة القوائم المالية وزيادة ثقة المستخدمين لها واعتمادهم عليها.
- إن تعاون المراجع الداخلي مع المراجع الخارجي يزيد من قدرة المراجعة بصفة عامة ويزيد من إمكانية اكتشاف التحريفات المهمة نسبيًا مما يزيد فعالية عملية المراجعة، ويقلل من احتمال فشل المراجعة.
- كلما زادت درجة تفاعل المراجعة الداخلية مع كل لجنة المراجعة والإدارة العليا، والمراجعة الخارجية، كلما ارتفعت فعالية المراجعة الداخلية وكلما تحسن أداء المراجعة الخارجية.

2-4 الخلاصة والتوصيات:

في الختام، سعت هذه الدراسة إلى أثر محددات وظيفة المراجعة الداخلية على قرار اعتماد المراجع الخارجي على وظيفة المراجعة الداخلية، وانطلاقًا من نتائج الدراسة يمكن تقديم التوصيات التالية:

التوصية في الجانب التطبيقي:

- ضرورة تفعيل تنظيم الجمعية السعودية للمراجعين الداخليين في المملكة العربية السعودية تضطلع بإصدار معايير المراجعة الدولية وقواعد آداب وسلوك المهنة ورقابة جودة أعمال مكاتب المحاسبة.
- ضرورة تحديث معيار المراجعة (610) لسنة 2017 بما يتلاءم مع التطورات الجديدة في معايير المراجعة الدولية، ضرورة تفعيل الالتزام بالمفهوم الحديث للمراجعة الداخلية، وتطوير وظيفة المراجعة الداخلية في الشركات المقيدة في ضوء التعريف الحديث للمراجعة الداخلية والتغيرات والمستجدات التي تواجه بيئة الأعمال الحديثة،

وأن يواكب ذلك تطوير أداء المراجع الداخلي ليتواكب مع متطلبات التطورات التكنولوجية والتي أصبحت أحد دعائم المنافسة بين الشركات خاصة المقيدة منها.

- أن تقوم إدارات الشركات في المملكة العربية السعودية بتفعيل أدوار المراجع الداخلي في تحسين أداء الشركة (كوظيفة مضيفة للقيمة)؛ من خلال زيادة مساهمته بدَوْريه التوكيدي والاستشاري في رقابة وحوكمة وإدارة مخاطر الشركة، ودعم استقلال المراجعة الداخلية تنظيميًّا.
- عقد المؤتمرات العلمية بشأن العوامل الأخرى المؤثرة على التعاون بين المراجعين الداخليين والمراجعين الخارجيين.
- ضرورة تفعيل فكرة الإسناد المشترك على وجود إدارة داخلية للمراجعة الداخلية قوية، بالإضافة إلى وجود مراجع خارجي.

المراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية:

أبو طالب، يحي محمد. (2018). **أثر الإسناد الخارجي لوظائف المراجعة الداخلية على جودة المراجعة.** مجلة المال والتجارة. ع585 (1-6).

الإبياري، هشام فاروق. (2013). **مدي إدراك مراقبي الحسابات لموضوعية المراجعة الداخلية وأثرها على درجة الاعتماد على المراجعة الداخلية في مراجعة القوائم المالية- دراسة تحليلية وتجريبية**. المجلة العلمية للتجارة والتمويل، كلية التجارة، جامعة طنطا، 1(3)، 1-71.

أشرف محمد، منصور. (2016). مراجعة داخلية: **مظاهر اهتمام المملكة العربية السعودية بالمراجعة** الداخلية. مجلة المحاسبة. المجلة السعودية للمحاسبين. (6-8).

السيد ذكي، محمود. (2010). **نموذج مقترح لتفسير مقترح قرار الوحدة الاقتصادية بإسناد الخدمات المحاسبية الضريبة إلى طرف خارجي-مع دراسة تطبيقية في جمهورية مصر العربية**. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية.

السيد، لطفي. (2009). **دراسات تطبيقية في المراجعة**، الجزء الثاني، دار النهضة، القاهرة.

السيد، محمد فوزي. (2015). **أثر المراجعة الداخلية للاستدامة على قيمة الشركة في ظل الإفصاح عن وبدائل إسناد دوريها كوظيفة- دراسة ميدانية وتجريبية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية.

صالح، نرمين محمد شاكر إبراهيم. (2015). **أثر فاعلية هيكل الرقابة الداخلية لدى مورد الخدمة على تخطيط إجراءات مراجعة الأجور لدى الشركة طالبة الخدمة- دراسة تجريبية**. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية.

عبد المجيد، محمود محمد السيد. (2018). **أثر درجة الملاءة المهنية لمنشأة مراقب الحسابات على جودة أحكامه المهنية بشأن الاستمرارية وأمور المراجعة الأساسية والمعلومات الأخرى في تقريره غير المعدل الجديد- دراسة تجريبية.** رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية.

عثمان، سارة. (2013). **دور المراجعة الداخلية في تفعيل نظام الرقابة الداخلية في الشركات.** رسالة ماجستير غير منشورة. كلية العلوم الاقتصادية التجارية وعلوم التيسير. جامعة قاصدي مرباح ورقلة. الجزائر.

عصيمي، أحمد زكريا. (2009). **دور المراجع الداخلي في مواجهة أدارة مخاطر الأعمال: مع التطبيق على الشركات المساهمة المصرية.** مجلة العملية للبحوث والدراسات التجارية. (3). (11-58).

علي، شحاته عبد الوهاب، السيد (2006) **الرقابة والمراجعة الداخلية الحديثة**، جامعة الإسكندرية، كلية التجارة.

فداء، بهجت محمد. (2015). **أهداف ومفاهيم ومعايير المراجعة الداخلية. سبل تفعيل دور وحدات المراجعة الداخلية في الأجهزة الحكومية والمؤسسات العامة**. المملكة العربية السعودية. الرياض. ديوان المراقبة العامة، (7-8) رجب 1436هـ.

فراج، منال حامد. (2014). **أثر اختيار المصدر الخارجي لأداء وظائف المراجعة الداخلية على جودة المراجعة الداخلية وتخفيض تكاليف أدائها**. المجلة العلمية للتجارة والتمويل. كلية التجارة – جامعة طنطا. (1). . (73-114).

محمود، عبد الحميد العيسوي. (2015) **أثر مصدر المراجعة الداخلية على تقييم المراجع الخارجي لأخطار المراجعة: دراسة تجريبية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التجارة – جامعة طنطا.

مشباط، نعمة حرب. (2014). **أثر تبنّي المراجع الداخلي لمدخل المراجعة المستمرة على فاعلية تحقيق المراجعة لأهدافها الرقابية مع دراسة ميدانية على البنوك المصرية**. مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية. جامعة الإسكندرية. كلية التجارة. (51) م(1) (37-88).

مليجي، مجدي. (2013). **أثر جودة أنشطة المراجعة الداخلية على إدارة جودة الأرباح كمدخل لتحسين الملائمة والاعتمادية على القوائم المالية للبنوك التجارية السعودية دراسة نظرية تطبيقية**. مجلة التجارة والتمويل. جامعة طنطا (4). (ع). (25-84)(11-29).

الهيئة السعودية للمحاسبين القانونيين. (2017). **لجنة معايير المراجعة**. المملكة العربية السعودية.

هيئة السوق المالية السعودية، (2016).

ثانيًا: المراجع باللغة الإنجليزية:

Abdel Razek, M. (2014). The association between internal auditing function quality and external audit costs- evidence from Egypt. ***Research Journal of Finance and Accounting***, 5(20), 104-109.

Abdulhameed, F. B. , & Aruwa, S. A. (2014) Internal audit function (IAF) outsourcing and the performance of smes in England and wales. **Available at: https://www. scribd. com/document/340689083/internal-audit-function**.

Ahlawat, S. S. , & Lowe, D. J. (2004). An examination of internal auditor objectivity: In-house versus outsourcing. ***Auditing: A Journal of Practice & Theory***, 23(2), 147-158.

Arena, M, G. Azzone (2007) ," Internal audit departments: Adoption and characteristics in Italian companies", International Journal of Auditing 11, pp. 91-114.

Badawy, H. & El Wahab, A. A. (2018). The Main audit related determinants of ARL in an emerging economy: The case of Egypt. ***International Journal of Accounting Research***, 6(2), 1-10.

Basle Committee on Banking Supervision. (2005). **Outsourcing in Financial Services.** Available at: https://www. bis. org/publ/joint12. pdf

Cangemi, M. P. (2016). Views on internal audit, internal controls, and internal audit's use of technology. **EDPACS**, 53(1), 1-9.

Caplan, D. , Janvrin, D. , & Kurtenbach, J. (2007). Internal audit outsourcing: an analysis of self-regulation by the accounting profession. **Research in Accounting Regulation**, (19), 3-34.

Carey, P. , Subramaniam, N. , & Ching, K. C. W. (2006). Internal audit outsourcing in Australia. **Accounting & Finance**, 46(1), 11-30.

Chaman, N. M. , akbarlu, E. , & Amiri, F. (2014). Evaluating the effecting variable on non-implementing continuous auditing in Iranian auditing firms. ***Arabian journal of business and management review***, 3(11), 1-5.

Chan, D. Y. , & Vasarhelyi, M. A. (2018). Innovation and practice of continuous auditing. **Available at: https://www. emeraldinsight. com/doi/pdfplus/10. 1108/978-1-78743-**

Chiu, V. , Liu, Q. , & Vasarhelyi, M. A. (2018). The Development and intellectual structure of continuous auditing research. **Available at: https://www. emeraldinsight. com/doi/abs/10. 1108/978-1-78743-413-**

Coderre, D. (2005). Continuous auditing: Implications for assurance, monitoring, and risk assessment. **Available at: http://www. theiia. org**

Dang, D. Y. , & Lawrence, I. (2016). External auditors' reliance on the internal audit function: The Nigerian perspective. ***Asian Academic Research Journal of Social Sciences & Humanities***, 3(2). 70- 85.

Dawuda, A. , Aninanya, G. O. , & Alnaa, S. E. (2015). The organizational independence of internal auditors in Ghana: Empirical evidence from local government. ***Asian Journal of Economic Modelling***, 3(2), 33-45.

De Aquino, C. E. M. , Da Silva, W. L. , & Vasarhelyi, M. A. (2008). Moving toward continuous auditing: Establishing audit priority areas can lead to a more effective continuous audit process**.** ***Internal Auditor***, 65(4), 27-30.

Deloitte. (2010). Continuous monitoring and continuous auditing: From idea to implementation. **Available at: http://www. deloitte. com/us/about.**

Desai, N. K. , Gerard, G. J. , & Tripathy, A. (2011). Internal audit sourcing arrangements and reliance by external auditors. ***Auditing: A Journal of Practice & Theory***, 30(1), 149-171.

Faitusa, I. (2017). Internal audit and external audit cooperation in EU countries. **available at: http://dspace. lu. lv/dspace/bitstream**

French, D. (2011). Continuous audit technology enabled continuous assurance — white paper. pdf. **Available at: http://www. isaca. org/Groups/Professional-English/continuous-**

Hoos, F. , Messier, W. , Smith, J. , & Tandy, P. (2014). The effects of serving two masters and using the internal audit function as a management training ground on internal auditors' objectivity. **Available at: http://papers. ssrn. com/sol3/papers. cfm?abstract_id=2358149**

Hunt, R. , & Jackson, M. (2010). An introduction to continuous controls monitoring. **Computer Fraud & Security**, (6), 16-19.

Jameson, S. (2011). Independence and Objectivity, IPPF-Practice Guide, **The Institute of Internal Auditors**, Altamonte Springs, Florida

Lowe, D. J. , Geiger, M. A. , & Pany, K. (1999). The effects of internal audit outsourcing on perceived external auditor independence. ***Auditing: A Journal of Practice & Theory***, 18(1), 7-26.

Messier Jr, W. F. , Reynolds, J. K. , Simon, C. A. , & Wood, D. A. (2011). The effect of using the internal audit function as a management training ground on the external auditor's reliance decision. **The Accounting Review**, 86(6), 2131-2154.

Mohiuddin, M. , & Su, Z. (2013). Offshore outsourcing of core and non-core activities and integrated firm-level performance: An empirical analysis of Québec manufacturing SMEs. **M@ n@ gement**, 16(4), 454-478.

Munro, L. , J. Stewart (2010) ," External auditors reliance on internal audit: the Impact of sourcing arrangement and consulting activities" ,Journal of Accounting and Finance 50, pp. 371-387.

Mutchler, J. F. (2003). Independence and objectivity: A framework for research opportunities in internal auditing. **Research Opportunities in Internal Auditing**, 231-268.

Onulaka, P. N. (2015). Internal and external audit effectiveness in fraud detection through continuous auditing. ***International Journal of Management Sciences***, 6(10), 462-475.

Paape, L. (2007). Corporate governance: The impact on the role, position, and scope of services of the internal audit function. **Available at: https://repub. eur. nl/pub/10417/**

Prawitt, D. F. , N. Y. Sharp, and D. A. Wood. , (2011) "Reconciling archival and experimental research: Does internal audit contribution affect the external audit fee?" Behavioral Research in Accounting, Vol. 23, Issue 2, pp: 187-206.

Ramamoorti, S. (2003). Internal auditing: History, evolution, and prospects. Research opportunities in internal auditing, 1-23.

Ramasawmy, D. & Ramen, M. (2012). An evaluation on how external auditors can benefit from the good work relationship with Internal Auditors for Audit Assignments. **Available at: http://psrcentre. org/images/extraimages/9%20612035. pdf**.

Rittenberg, L. , & Covaleski, M. A. (2001). Internalization versus externalization of the internal audit function: An examination of professional and organizational imperatives. **Accounting, Organizations and Society**, 26(7-8), 617-641.

Suwaidan, M. S. , & Qasim, A. (2010). External auditors' reliance on internal auditors and its impact on audit fees: An empirical investigation. ***Managerial Auditing Journal***, 25(6), 509-525.

The Auditing Standards Board. (2014**)**. **Using the Work of Internal Auditors: Statement on Auditing Standards (SAS) No. 128**. Available at: https://dart. deloitte. com/USDART/resource/ee63b60b-3f0f-11e6-95db-

Wang, I. Z. , & Fargher, N. (2017). The effects of tone at the top and coordination with external auditors on internal auditors' fraud risk assessments. **Accounting & Finance**, 57(4), 1177-1202.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.19.7

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار التاسع عشر
تأريخ الإصدار: 20 مايو 2021م

التدين الشعبي بقبائل شمال المغرب "دراسة سوسيو أنثروبولوجية ميدانية" (قبيلة أنجرة أنموذجا)

Popular religiosity in the tribes of northern Morocco, "A socio-anthropological field study" (Anjara tribe as an example)

إعداد الدكتور/ محمد قروق كركيش

أستاذ فلسفة وباحث متخصص في علم الاجتماع الديني بمختبر التاريخ والمجتمع، جامعة ابن طفيل، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، القنيطرة، المغرب

Email: mohamad.kirkich@gmail.com

ملخص الدراسة بالعربية:

اهتمت هذه الدراسة بالتدين الشعبي الممارس على مستوى قبيلة أنجرة الجبلية شمال المغرب، بغرض الكشف عن تجلياته كما يمثل واقعيا وكما يستثمر سلوكيا من قبل الأفراد، وذلك من خلال دراسة جملة من الممارسات، والمعتقدات التي تكشف عن نظام ديني خاص، معتبرة أن التدين الشعبي هو كل الممارسات والمعتقدات التي يعتقد الناس أنها دينية ويتعاملون معها على هذا الأساس، لذلك حاولت الدراسة أن تجيب على الإشكالية المركبة التالية: ما هي أنماط وتجليات التدين السائدة في قبيلة أنجرة شمال المغرب؟ وما هي طبيعة الممارسات والمعتقدات الدينية السائدة؟

ومن أجل ذلك توصلنا إلى أن القبيلة تحبل بكثير من ظواهر التقديس التي تشكل أنماطا مختلفة تمثل عماد السلوك الديني لدى الأفراد داخل القبيلة:

- أولها ظاهرة تقديس الأولياء، التي تلعب أدوارا ووظائف كثيرة تتعلق بدرجة أولى بشفاء الأمراض العضوية وإبرام العقود سواء الخاصة بالملكية أو الزواج، وكذلك العهود وأدوار الوساطة والصلح بين المداشر والقرى.
- ثانيها ظاهرة الزاويا، التي تلعب أدوارا دينية تتعلق بتزكية الاحتفالات الجماعية ودعمها من أجل الحفاظ على هوية القبيلة وعدم تفتتها وتشتتها، وخصوصا في حل النزاعات بين الأفراد من جهة، وبين القرى بعضها مع بعض من جهة ثانية.

- وجود ظواهر دينية شعبية أخرى تتلخص في كثير من الأمكنة المقدسة؛ خصوصا 'الكراكير' و'الصخور' و'القبور' والأشجار' و'منابع المياه' وغيرها.
- وجود كثير من الممارسات والمعتقدات تتعلق بالسحر والثقاف والتوكال والعين واللعنة والحسد والجان والعفاريت والسخط والرضا وهي معتقدات تدعم بقوة كل تلك الظواهر التي تعتبر بالنسبة للأفراد مقدسة، إذ تختلط طبيعتها ما بين الثقافة والدين.

الكلمات المفتاحية: الدين، التدين الشعبي، السلوك الديني، التجربة الدينية، السلوك الديني، التجربة الدينية، المعتقدات، الطقوس الدينية

Popular religiosity in the tribes of northern Morocco, "A socio-anthropological field study" (Anjara tribe as an example)

Abstract:

This study deals with the question of the people's religiousness practised in the tribe of Fahs Anjra, in the north of Morocco. It investigates its manifestations as it is represented in reality and invested behaviourally by the tribe's individuals.

This is done through the data analysis of a number of practices and beliefs that disclose a particular religious system, considering the people's religiousness as all practices and beliefs that people believe to be religious (and nothing else). Therefore, this study attempts to answer the following complex problem: what are the predominant types, manifestations of religiousness, and the nature of the religious practices and beliefs in the aforementioned tribe?

We consequently concluded that this tribe is replete with the phenomena of sacredness and thus constituting various types that represent one of the pillars of individuals' behaviour in the tribe. Most of these phenomena can be stated as follows:

- The phenomenon of canonizing, i.e. sanctifying saint people. This plays many roles (and has various functions) in constructing people's beliefs and traditions.

That is, the people of this tribe considers the saints or the holy people as a source of cure of many physical diseases, a mediator between them and Allah, and even means of solving problems related to writing contracts of properties and engagements (e.g. buying and selling, marriage, etc.).

- The phenomenon of Zawya, i.e. the saint houses of prayer (mausoleum). It plays fundamental religious roles that have much to do with recommending and supporting collective celebrations for the sake of preserving the identity of the tribe and not fragmenting it, particularly in resolving conflicts between individuals, on the one hand, and between villages on the other hand.
- There are also other popular religious phenomena represented by the existence of many holy places, namely: *Karakir*, rocks, tombs, trees, water sources, and many others.
- Finally, there are many practices and beliefs associated with magic, the spell of the evil eye, cure, envy, demons, discontentment, and contentment. These are some beliefs that strongly support those phenomena that are considered to be sacred by individuals in the sense that its nature is nothing but a mixture of culture and religion.

Keywords: Religion, popular religiosity, religious behavior, religious experience, religious behavior, religious experience, beliefs, religious rituals

تقديم:

بالرغم من التحولات التي عرفتها القبائل المغربية ومعها المجتمع المغربي بشكل عام، لا زالت القرى تحافظ على جزء كبير من أنماط التدين التقليدية؛ نقصد هنا تلك الأنماط المتعلقة بتقديس الأولياء والزوايا وبعض الظواهر الأخرى كالأشجار والصخور والقبور، بالإضافة إلى فضاءات أخرى متعددة، فالتدين الفردي لازلنا نجد في صلبه مظاهر خارقة يتداخل فيها السحري بالخيالي، الأسطوري بالواقعي، الخرافي بالعجائبي، فالمتخيل الاجتماعي القبائلي بالخصوص لا زال يحبل بكثير من المظاهر، يجب استخراجها لتحليلها تحليلا موضوعياً، لذلك فإن هذا البحث عبارة عن مدخل لدراسة الواقع الديني للمجتمع الأنجري[1](قبيلة أنجرة)،

[1] قبيلة أنجرة تقع بأقصى الشمال الغربي على مضيق جبل طارق والبحر المتوسط، بطونها/أرباعها تتكون من ثلاث:ربع البرقوقيين و ربع الغابويين و ربع البحراويين، وهي تحد شمالا بمضيق جبل طارق والبحر الأبيض المتوسط وجنوبا بقبيلة واد الرأس (ودراس) وشرقا بقبيلة الحوز ومدينة سبتة المحتلة التي تقع بترابها، وغربا بقبيلة الفحص ومدينة طنجة، وهي في التنظيم الإداري الجديد تابعة لجهة طنجة تطوان الحسيمة المغربيتين.

فهذه الدراسة تأتي موقعة بأعين الباحث/المراقب لما يعتمل في ديناميات هذا الحقل دونما إعلان ممكن للتعاطف أو الرفض للأنماط والممارسات والتمثلات والمعتقدات التي تلوح في الأفق ونحن نجول بين تخوم القبيلة، إنه بحث تأويلي رمزي[2] غرضه المسك بفائض المعنى.

إننا إذن، نتوجه لدراسة التدين الشعبي للكشف عن تجلياته كما يمثل واقعيا وكما يستثمر سلوكيا من قبل الأفراد[3]؛ أي سنحاول معرفة السلوك التديني داخل المجال المدروس من خلال جملة من الممارسات، والمعتقدات التي تكشف عن نظام ديني خاص، وبصفة عامة فإننا نعني بالتدين الشعبي كل الممارسات والمعتقدات التي يعتقد الناس أنها دينية ويتعاملون معها على هذا الأساس، لذلك تحاول هذه الدراسة أن تجيب على الإشكالية المركبة التالية: ما هي أنماط وتجليات التدين السائدة في قبيلة أنجرة شمال المغرب؟ وما هي طبيعة الممارسات والمعتقدات الدينية السائدة؟

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة، في كونها تبحث في مجمل الحياة الدينية اليومية لقبيلة أنجرة الجبلية شمال المغرب، خصوصا في جانبها الشعبي، أي ما يتعلق بتمظهرات وتجليات هذا النوع من التدين، والمعتقدات والطقوس والتمثلات المرتبطة به.

أهداف الدراسة:

نظرا لما لهذا البحث من أهمية، فإن أهدافنا بشكل عام تتمثل في:

- الكشف عن تجليات التدين الشعبي وأنماطه في قبيلة أنجرة شمال المغرب، وتشريحها وفهمها ومن تم تأويلها، لمعرفة دلالاتها السوسيوأنثروبولوجية.

- فهم طبيعة المعتقدات والممارسات والطقوس المرتبطة بهذا النمط من التدين، لمعرفة مدى أهميتها في تنظيم حياة الناس اليومية، وارتباطاتها بالمجالات الثقافية والاجتماعية.

I. أنماط وتجليات التدين الشعبي بقبيلة أنجرة

عند استنطقنا ما جادت به العينة في المقابلات الشفهية التي أعددناها، وجدنا أن تجليات التدين وأنماطه بهذه القبيلة تتنوع بتنوع فضاءاتها الطبيعية، وقد اخترنا أن نقسم هذه الفضاءات، محاولين في البداية تقديم الأنماط البارزة التي لازالت إلى اليوم لها حظوة واحترام من قبل الأفراد،

[2] كما دأب الباحثون في العلوم الاجتماعية بصفة عامة، فقد اعتمدنا على منهج لجمع المادة ممثلا في المقابلات التي أجريناها على العينات المدروسة، بالإضافة إلى منهج لتحليل ما جمعناه من مادة ممثلا في المنهج التأويلي الرمزي مقتفين نموذج الأنثروبولوجي المعاصر 'كليفورد غيرتز Glifford Geertz'.

[3] اعتمدت الدراسة على عينة عشوائية من أجل ضمان تمثيلية صحيحة، خصوصا أن هذا النوع من العينات يتيح إمكانية إشراك كافة أفراد المجتمع بطريقة غير قصدية وحرة، إذ شملت العينة التي اعتمدنا عليها 60 مفردة موزعة بالتساوي على أرباع القبيلة المدروسة(البرقوقيين/الغابويين/البحراويين) بمعدل 20 مفردة لكل ربع.

ولا شك كباقي تراب 'جْبَالَة'[4] أن يكون في مقدمة هذه التجليات ما نطلق عليه بفضاء 'الأولياء والزوايا'، بل أكثر من ذلك وجدنا أنماط وتجليات أخرى لأشكال متعددة تخص الطبيعة الجبلية المجالية أطلقنا عليها اسم 'الفضاءات الطبيعية'؛ نعني بها الأمكنة التي تجلب أنظار الأنجريين إليها بكونها مقدسة، وبالخصوص تقديس 'الكراكير' و'القبور' و'الصخور' وبعض الأمكنة الأخرى 'كعُيون الماء/الآبار' و'الأراضي المملوكة/المَرْجَة' وبعض الآثار والبقايا لمساجد ومغارات تحظى من قبل 'الأَنْجريين'[5] بنوع من الاحترام والتبجيل.

1- فضاء الأولياء والزوايا:

أ- تقديس الأولياء بأنجرة

لقد تميز فضاء الأولياء بأنجرة على مر التاريخ بكونه ظل في تجاذب، إذ نجد بقايا لأولياء يعود تاريخ وجودهم إلى ما قبل عملية الفتح الإسلامي، وهذا لا يخص فقط ظاهرة تقديس الأولياء، وإنما نجد أيضاً ونحن نتحدث عن الممارسات والمعتقدات صنفين؛ صنف ظل محافظاً على نفسه منذ ما قبل دخول الإسلام، وصنف آخر لم يظهر إلا مع توغل الإسلام بالمنطقة، فمجتمع الدراسة طبقاً للملاحظات لا يفرق بين ولي رسمي وآخر شعبي، أو بين ولي حقيقي وآخر وهمي، وإنما يتصرف ويتكيف مع الظاهرة انطلاقاً من حاجاته، وانطلاقاً أيضاً من مبتغاه من هذا الولي أو ذاك، فمجمل الأجوبة التي تحصلنا عليها كانت تجمع ما بين جميع الأولياء والصلحاء الموجودين دون تمييز؛ أي أن جميع الأجوبة تقريباً تجمع ما بين أولياء يعود تاريخهم إلى ما قبل الإسلام وأولياء ظهروا مع مجيء الإسلام. فالتمييز هنا فقط حسب وظيفة كل ولي. بل إن التقسيم اليومي للأفراد بخصوص الأولياء هو تقسيم يعود إلى وظائفهم[6]؛ وخصوصاً من التخصصات العلاجية التي يوفرونها، وليس إلى تقسيمات مجردة كتلك التي نجدها وسمت الأنثروبولوجيا الاستعمارية، والتي جرى بها العمل إلى يومنا هذا.

إننا نجد لدى الجبليين في أنجرة تمييزاً من نوع آخر؛ فهم يميزون ما بين 'الضريح' و'السِّيّدْ'، فالضريح يضم بالضرورة ولياً بغض النظر عن ما إذا كان هذا الولي حقيقي أو وهمي، رسمي أم شعبي[7]، وهو يتميز أيضاً بكونه محاطاً إما بأسوار أو بقبة، أما مصطلح 'السَّيِّدْ' فلا نجد له لدى الأنجريين سوى معنى واحد هو أنه يكون عبارة عن قبر صغير محاط بأحجار تلون في الغالب بلون أبيض لتمييزه، وصاحبه لا يصل إلى درجة الولاية بقدر ما يكون فقط صالحا، من هنا نكتشف أن جبالة يفرقون بين مصطلحي الولاية والصلاح، فالأولى أكثر درجة من الثانية في نظرهم، لذلك فرقنا ما بين تقديس الأولياء و القبور وعبادة أخرى تخص 'الحوشْ أو الكركور'، فالناس يفرقون بين ذلك بتلقائية، فإذا كان الأمر يتعلق بولي يقولون:'غَنَمْشِي نْزُورْ الوَلِي فُولاني'، أما إذا كان الأمر يتعلق بصالح فيقولون: 'غنمشي نزور السيد فولاني'،

---

[4] المنطقة المدروسة هي منطقة جبلية، تعرف عادة في المغرب بلفظ 'جبالة' تمييزا لها عن الريف و غمارة والهبط.

[5] لفظ الأنجريين معروف في شمال المغرب يطلق حصرا على سكان قبيلة أنجرة الجبلية.

[6] نشير هنا إلى نوع الدراسات التي قام بها بول باسكون، أنظر مثلا: بول باسكون، الأساطير والمعتقدات بالمغرب، ترجمة مصطفى المسناوي، مجلة بيت الحكمة، عدد3، السنة الأولى، أكتوبر 1986، ص84.

[7] نشير هنا إلى دراسات 'إيميل دورمنغهم' وخصوصا كتابه:

Emile Dermenghem : Le Culte des Saints dans L'Islam Maghrebin ; Édition Gallimard ; paris1954.

إلا أنه غالباً ما يكون الولي معروفاً على مستوى القبيلة كلها، بينما الصالح أو السيد يكون صيته محلي على مستوى 'المدشر/القرية لا القبيلة ككل'، وإذا ما تعداه يمكن أن يصل فقط إلى مستوى ربع القبيلة كأقصى حد. وقد بلغ عدد الأولياء بأنجرة حسب المبحوثين ثمانية معروفين على مستوى القبيلة، يتميزون عن بعضهم البعض بوظائفهم الدينية وبتواريخ تواجدهم.

جدول رقم(1) يبين: مجموع الأولياء المنتشرين بقبيلة أنجرة إلى حدود اليوم.

الربع	المدشر	الأولياء
البحراويين	ازرارع	سيدي قنقوش
	المنار	سيدي المناري الحاج المكاوي
	الحمومي	سيدي علي بنحرازم
	طالع الشريف	سيدي ادريس بن عيسى
	الزميج	سيدي أحمد بن عجيبة سيدي عبد القادر بن عجيبة
البرقوقيين	غدير الدفلة	سيدي عبد القادر بن عجيبة
الغابويين	الخميس (كدية علي الفحل)	سيدي مسعود

ب- بركة الزوايا بأنجرة

يذكر 'محمد جندوبي'[8] أن الزاوية في المغرب لم تعرف إلا بعد القرن الخامس الهجري، حيث انتقل اسمها من 'دار الكرامة' إلى 'دار الضيافة' ثم إلى اسمها المعروف حالياً، لكن بغض النظر عن السياق التاريخي للنشأة يمكن القول أن الزاوية لطالما ارتبطت بعامل المشيخة؛ بمعنى أنها حافظت على الروابط المتينة بين شيخها المؤسس وخدامها، إلا أنه سرعان ما ستتحول كما جاء على لسان 'ديل إيكلمان'[9] إلى إيديولوجيا قاهرة عندما سترتبط مباشرة بأدوار سياسية، حيث ستصبح الزاوية مؤسسة لاستقطاب المجاهدين والدفع بهم إلى مواجهة الأخطار الخارجية والداخلية، فإذا كانت الزاوية في نشأتها معروفة بكونها تضطلع بالأدوار الدينية والتعليمية، فإن أدوارها ستغدو سياسية، لتتحول مع نهاية الاستعمار في أواسط القرن العشرين إلى أدوارها الاجتماعية الدينية التعليمية السابقة، هذه الدورة ستحكمها عوامل متعددة أهمها اندثار الأخطار الخارجية وتحكم السلطة في كل القوانين المنظمة للدولة،

[8] محمد جندوبي، الأولياء في المغرب: الظاهرة بين التجليات والجذور التاريخية والسوسيوتاريخية، منشورات كنال أوجوردوي، مطبعة دار القرويين، فاس–المغرب، طبعة 2004، ص15.

[9] أنظر: ديل ايكلمان، الإسلام في المغرب، ترجمة محمد أعفيف، سلسلة تاريخ ومجتمعات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء–المغرب، الطبعة الأولى 1991م.

ولن تترك مؤسسة السلطان للزاوية شيئاً بعد ذلك إلى حين تصبح مؤسسة الزاوية مجمدة وغير قادرة اليوم للقيام بكامل أدوارها، ومن ثم سترتبط أكثر بمعتقدات لم تكن قبلُ معروفة بها أو تتدخل فيها، وبالأخص في قبيلة أنجرة، سيرتبط تأسيس الزاوية بالدين بشكل مباشر، وستكون ولادتها مرتبطة أشد الارتباط بالأولياء والشرفاء الأولين الذين عمروا المنطقة، لكن هذه الزاوية سرعان ما ستتحول إلى أدوار سياسية مع بزوغ فجر الغزو الخارجي للبلاد وللقبائل الشمالية، حيث ستظهر زوايا أخرى ليست دينية بقدر ما هي جهادية، إنه لا يمكن بتاتاً أن نفصل تاريخ مؤسسة الزاوية بشكل عام لدى جبالة بتاريخ الزوايا المغربية عامة، إلا أنه يمكننا أن نحتفظ بنوع من الخصوصية، وذلك أن الزوايا القائمة على الشرفاء والأولياء ستحتفظ إلى حدود ما بعد القرن العشرين بكل أدوارها الاجتماعية في جبالة، في حين ستختفي الزوايا ذات الصبغة السياسية من الوجود مع نهاية حقبة الاستعمار، وستطلعنا الوثائق التاريخية للإدارة الاستعمارية وكذلك الدراسات الإمبريالية التي حصلنا عليها، إلى أن منطقة جبالة ستولد فيها زوايا متعددة لن تكون سوى صنيعة الظرفية وسرعان ما ستزول كما لو أنها لم تكن.

جدول رقم(2): الزوايا بقبيلة أنجرة والتي لم يعد لها وجود إلى حدود سنة 1990.

القبيلة	اسم الزاوية	المداشر المنشرة بها
أنجرة	الزاوية الوزانية	تسود دون أن تستقر
	الزاوية الريسونية	بين الويدان، تغرامت، سوق الخميس، الخرارزة
	الزاوية البقالية	الحمة، البيوت، بو عباد، الداهر

إن قبيلة أنجرة إذن، عرفت ثلاث أصناف من الزوايا في فترات متباعدة: الأول يستمد مشروعيته من مؤسسة الولاية والصلاح ظلت أدوارها اجتماعية ودينية وتعليمية بالخصوص وبعيدة كلياً عن اللعبة السياسية، وهو الصنف السَّباق للظهور في القبيلة ونذكر على وجه التخصيص الزاوية 'العيساوية' و'الدرقاوية' و'التيجانية'، وبإمكاننا القول أن هذه الزوايا ظلت محافظة على أدوارها إلى اليوم، أما الصنف الثاني ظهر مع بزوغ الإستعمار ليلعب أدواراً سياسية؛ هذا الصنف يستمد سلطته من مؤسسة الزعيم، ونذكر بالخصوص الزاوية 'الريسونية' التي تنحدر أصولها من 'سيدي يونس بن أبي بكر' عم شيخ جبالة قطب المغرب 'عبد السلام بن مشيش'، حيث كان الريسوني يبسط سلطته السياسية على كل تراب جبالة. أما الصنف الثالث فأخذ من الصنفين، فهو يستمد مشروعيته من مؤسسة الصلاح والولاية لكنه سرعان ما يعود لتأكيد هذه المشروعية عن طريق لعب الأدوار السياسية، ونذكر بالخصوص الزاوية 'الوزانية' التي تنحدر أصولها من 'الشريف الوزاني' و'البقالية' التي تعود أصولها إلى 'محمد بن عبد الله الحاج البقال' والتي انخرطت في السياسة حتى نسيت أدوارها الاجتماعية والدينية.

جدول رقم(3)[10]: صورة عامة عن انتشار الزوايا بقبيلة أنجرة إلى حدود اليوم.

القبيلة	الربع	نوع الزاوية	مقر الزاوية	عدد المريدين
أنجرة	الغابويين	العيساوية	حيضرة/الخوايم/مراح الديان	27 مريدين
		الدرقاوية	بليونش	7 مريدين
		التيجانية	عين دشيشة	27 مريد
	البحراويين	العيساوية	طالع الشريف	16 مريد
		الدرقاوية	الزميج	36 مريد
		التيجانية	الرومان/المنار	29 مريد
	البرقوقيين	العيساوية	الزاويا	10 مريدين
		الدرقاوية	غدير الدفلة	17 مريد
		التيجانية	بولعيشش	34 مريد

فالصنف الأول ظل محافظا على نفسه من الاندثار وحافظ على قدر كبير من وظائفه الاجتماعية والدينية إلى حدود اليوم وذلك لأن هذا الصنف لم يدخل في متاهات اللعب السياسية، أما الصنف الثاني فقد زال من القبيلة بزوال الاستعمار من جهة وبتحكم الدولة في قبائلها عن طريق وضع هيكلة هرمية تعتمد الأشياخ والمقدمين والقضاة والأعوان التي دمرت القوانين العرفية للسلطة السائدة في القبيلة من جهة ثانية؛ بمعنى أن زواله ارتبط بأحداث سياسية جعلت مركزه يتقلص أكثر فأكثر بمرور اليوم، أما الصنف الثالث فقد قضى على نفسه حينما تحولت أدواره الاجتماعية والدينية إلى أدوار سياسية بالخصوص، وظل يعاني في فترة ما بعد الاستقلال حينما أراد أن يعود إلى أدواره الرئيسية في القبيلة، وهذه المعاناة جعلته يتراجع حتى اندثر من القبيلة في أواخر القرن العشرين بعدما كان منتشراً في كل تراب جبالة.

2- فضاء المجال والأمكنة المقدسة:

نعثر في قبيلة أنجرة على أمكنة وفضاءات طبيعية متعددة تحظى بالتقديس والتبجيل، وأغلب هذه الفضاءات عبارة عن 'كراكير' و'صخور' و'قبور' وأشجار' و'منابع لمياه' و'أراضي مملوكة/المرجة' وبعض بقايا وآثار 'المساجد' القديمة،

[10] هذه المعطيات مصدرها المقابلات التي جمعناها، وهي معطيات دقيقة تمكننا من معرفة الصورة العامة لحضور الزوايا العيساوية والدرقاوية والتيجانية في قبيلة أنجرة اليوم، وقد ذكر لنا أن هناك مريدين كثر في مداشر وقرى أخرى، لكن لا يتوفرون على مكان مستقر/ زوايا فهم يحضرون 'اللمات' مع فرق أخرى داخل القبيلة وخارجها، لذلك حددنا فقط المداشر التي توجد بها تلك الزوايا.

وكل هذه الأشكال تقدس من زوايا متعددة وبأساليب مختلفة تقريباً، كما أنها لم تكن لتقدس لولا الدعم الشفوي القوي للحكايات التي تنتشر لتعبر عن أن المكان مقدس بالفعل.

تظهر 'الكراكير' وتنتشر بكثرة في أرباع قبيلة أنجرة، ولا يخفى علينا أن مثل هذا الفضاء المقدس قد سبقنا إلى دراسته كثير من الأنثروبولوجيون، على رأسهم 'إدموند دوتي' الذي فصل كثيراً في هذا الشكل من أشكال التقديس، حيث يقول:"لا يقتصر مدلول كلمة كركور على أكوام الحجارة المخصوصة بالتوقير، بل يشمل بوجه عام أكوام الحجارة على اختلاف أنواعها"[11]. وقد قسم 'دوتي' الكراكير إلى أصناف عدة منها: كركور 'العلامة' الذي يبقى مجرد علامة أو ذكرى ليتذكرها الناس، وكركور 'الحدادة' الذي هو عبارة عن كومة أحجار يضعها الناس للفصل بين حدود القبائل، بالإضافة إلى كركور 'المنزه' وهو الموضع الذي يقتل فيه شخص ما، وكركور يصنع 'باسم الولي' وهذا النوع يرتبط بالخصوص بولي من أولياء الله المعروفين وغالباً ما يكون موضعه الأساس، ثم كركور 'الركوبة'؛ حيث تعني هذه الكلمة المكان الذي ننظر أو نراقب منه، وكركور 'القبر' الذي عادة ما يكون مجهولا فيقال أنه قبر لشخص كان ذا بركة. إلا أن نتائج 'دوتي' لا يمكن أن نعممها كما فعل على جميع مناطق المغرب وهذا شيء نؤاخذه عليه بشدة، فلا نجد داخل منطقة أنجرة كراكير من مثل جميع هذه الأنواع، بل نجد في القبيلة صنفين من الكراكير: الأول يرتبط ارتباطاً مباشراً بآثار أولياء الله الصالحين الذين غالباً ما كانوا معروفين لدى الأفراد، يطلقون عليه اسم 'روضة سيدي فلان'، أما الصنف الثاني فغالباً ما يرتبط بقبور تكون 'لسادات' أو صالحين مجهولين، يطلق الأنجريون عليه اسم 'قبر سيدي فلان' رغم أنه عبارة عن موضع به كومة من الأحجار، عدى ذلك لا نجد أي شيء آخر يدل على معنى كلمة كركور. غير أننا نلفت الانتباه أن أهل أنجرة لا يستعملون كلمة 'كركور' إلا قليلا جداً وعوض ذلك يقولون:'روضة سيدي فلان' بالنسبة للصنف الأول، أو 'سيد سيدي فلان' بالنسبة للثاني، كما لا يستعملون كلمة 'حوش' التي نجدها كثيرة الاستعمال في مناطق الجنوب والوسط المغربي، غير أننا نلفت الانتباه مجددا أن جبالة الشمال الغربي في كثير من المداشر يطلقون على الكركور والضريح والقبر اسم 'سَيَّدْ' للدلالة فقط عن أنه مكان مقدس.

نجد إذن الصنف الأول - كركور الأولياء- بكثرة ويعود تقديسه لمجرد أنه عبارة عن مخلفات أو آثر لولي صالح معروف[12] إما على مستوى الربع أو القبيلة، يمكن أن يكون موضع خلوته أو بيته أو موضعا يمر منه دائماً، غير أن الزيارات المرتبطة بهذا النوع غالباً ما تكون بسيطة، فمن أراد مثلا أن يزوره ما عليه سوى أن يأتي بقطع نقود أو بيض، وإذا لم يتوفر على ذلك فمسموح له أن يقطف جزء من شجرة 'الخلانج'[13] يضعها تحت حجرة من أحجار الكركور حتى تظل هناك. أما الصنف الثاني من الكراكير فهي منتشرة أكثر في أنجرة من الصنف الأول، وذلك راجع إلى أنهم يقدسون السادات بشكل مذهل، حتى أننا يمكن أن نجد أكثر من ثلاث كراكير بمدشر واحد على الأقل، وهذه سمة تطبع غالبية المداشر بأنجرة، وبالخصوص تلك التي تمتلك قدراً كبيراً من التوسع مجالياً، لكن غالبية هذه الكراكير غير معروفة،

[11] إدموند دوتي، مراكش، ترجمة عبد الرحيم حزل، منشورات مرسم، مطبعة أبي رقراق، الرباط-المغرب، طبعة 2011، ص 61-70.

12 أنظر:

Edouard Montet :le culte des saints dans L'Afrique du Nord et plus Spécialement Au Maroc ; Librairie George & Cie ; Genéve ; 1909.

[13] شجر الخلانج هو عبارة عن نبات لا يتعدى المترين ينتشر في أعلى قمم الجبال، لونه ميال إلى الأخضر وله رائحة طيبة ومعروفة.

يقول أهل المنطقة أنها كانت قبور لرجال صالحين مروا من هناك في فترات زمنية متباعدة، وقد تكون أيضاً حقيقية أو وهمية، لكن طبقاً لملاحظاتنا فأغلبها غير حقيقية، وفي الجانب الآخر فنحن لا نقول أن جميع تلك الكراكير وهمية أو هي بمثابة علامات، لأن بعضها لازال كما هو ويمكن أن يكون بالفعل مكاناً لرجل صالح ما، وزيارتها ليست واجبة كما نرى مع المقدسات الضرائحية، لكنها تزار لغايات مختلفة مثل الزواج أو طلب الصحة أو الشفاء من الأمراض العضوية والنفسية.

وغير بعيد عن تقديس الكراكير، يقدس الأنجريون بشكل ملفت للنظر القبور[14]، التي غالباً أيضاً ما يقال أنها لأسياد هم في الغالب غير معروفين، لا تاريخ لهم، كما أن صيتهم لا يتعدى في الغالب المدشر حيث يوجدون، وبإمكاننا القول أن القبور المقدسة تنتشر بكثرة في أنجرة، حتى أننا نجد قبرين على الأقل يحضون بنوع من الوقار والتبجيل في كل مدشر من مجموع مداشر القبيلة، وغالباً ما يكون لهذه القبور علاقة بشفاء الأمراض أو بطلبات الزواج أو طلب الأطفال وفك العقم أو بتدبير الأحداث اليومية، وفي الغالب أيضاً ما نجد قبوراً تستعمل لأغراض 'شيطانية' كفك أو عقد قضايا سحرية تخص قضايا 'الربط أو الفسخ أو الثقاف أو التابعة أو العين' أو غير ذلك من القضايا المعروفة.

وإذا كان أهل أنجرة يقدسون الزوايا والأولياء والقبور والكراكير فإنهم من جانب آخر يقدسون 'الصخور'[15]، لكننا طيلة جولتنا بأنجرة لم نجد هذه الظاهرة منتشرة بكثرة، إنها قليلة بالمقارنة مع ظواهر أخرى، وما أثار انتباهنا أن جميع الصخور المقدسة بأنجرة تحمل أسماء غير ذكورية، بمعنى أنها أسماء مرتبطة بنساء، كحجرة 'لالة امباركة'[16] وحجرة 'لالة الزطمة' وغيرها، ما يجعلنا نقول أن حضور المرأة كفضاء مقدس في أنجرة لا يتعدى الجانب العلاجي، فلم يعطيها المجتمع الحق في أن تصبح ولية عالمة أو معروفة.

وغير بعيد عن ذلك نجد لدى جبالة بالقبيلة أشكال أخرى من الأمكنة الطبيعية المقدسة، يتعلق الأمر هذه المرة بنقاط الماء، لكننا في هذا الشكل نجد صنفين من التقديس: الأول يقدس لأنه مفعم بالبركة، وغالباً ما يرتبط بالأولياء، أما الثاني فلا يقدس لأن به بركة، ولكنه يحظى بالاحترام لمجرد أن أرواحا تسكنه 'كالجان والعفاريت'،

---

[14] في مدشر 'بني عتاب' التابع لفرقة ربع البرقوقيين يوجد قبر لرجل صالح يدعى 'سيدي الدَّنْدَنْ' وهو حسب أهل القرية مختص في علاج الأمراض العضوية سواء الخاصة بالإنسان أو بالحيوانات، فما على الزائر إلا أن يأتي مساء يوم الجمعة وأن يأتي 'بالزيارة'، إما قطع نقود أو بيض أو قربان على شكل ديك أو دجاجة، فيقف أمام القبر ويقدم 'الزيارة' عند رأس المدفون بالقبر فيتوسل بالدعاء ثم يأخذ حفنة تراب فيرشها حيث موضع المرض أو إذا كانت الحيوانات يأخذ تلك الحفنة من التراب فيرشها على موضع المرض أو الجرح فيشفى.

[15] نشير هنا إلى ما كتبه 'هنري باسي'، أنظر:

Henri Basset :Le Culte des Grottes au Maroc ;Ancienne maison Bastide/Jourdan ; édition Carbonel ; Alger ; 1920.

[16] في مثال صريح لهذه الظاهرة نعثر في مدشر 'واد المرسى' التابع لربع البحراويين، على صخرة معروفة منذ القدم لدى الأنجريين بأنها مقدسة تدعى تارة 'بحجرة لالة امباركة' وتدعى في مصادر أخرى 'بحجرة البركة' والتي تقع أسفل جبل موسى عند موضع بالبحر يسمى 'الصخرة' حيث التقى الخضر وسيدنا موسى عليه السلام ووقعت لهم القصة المعروفة. يذكرها مؤرخ تطوان محمد داود في كتابه فيقول: حجرة البركة موجودة بواد المرسى تحت جبل موسى، يقال أنها صخرة سيدنا موسى مع الخضر، وفيها أثر الحوت. أنظر: محمد داود، تاريخ تطوان، المجلد الحادي عشر، منشورات تطاوين أسمير، تطوان–المغرب، طبعة 2009، ص 17.

فجبالة يطلقون على الصنف الأول اسم 'الحامَّة'، لكن ليس بالمعنى الشامل لأننا سنجد 'عيون الماء' تسمى بأسماء غير ذلك[17]، فبالنسبة للمصادر المائية التي ترتبط بالأولياء فالأغلب أنها تقدس لأن الولي أخذ من منبعها أو توضأ من مائها، أو غسل بها، ليجعلها الناس فيما بعد مقدسة بدعوى أن بركة الولي انتقلت إليها، أما فيما يخص الأمكنة المائية التي تدعى عادة 'بالحامة'[18] فتقدس نظرا لأنها تقدم خدمات اجتماعية علاجية بالخصوص. فتقديس المصادر المائية كما رأينا يعود إلى عاملين، إما أن تلك المصادر ارتبطت بولي من الأولياء الصالحين، وإما أنها ارتبطت بوظيفة معينة تكون في الغالب علاجية.

من جهة أخرى نعثر على نوع آخر من الظواهر الطبيعية المقدسة، يتعلق الأمر بآثار المساجد القديمة التي تحاك حولها مجموعة من الأساطير والروايات الخارقة، ليس لأنها تؤدي وظيفة دينية، بل تقدس لمجرد أن أحداثاً خارقة تحدث داخلها، ويطلق الأنجريين على مثل هذه الظاهرة اسم 'لالة الجامع/الجْويمْعَة'[19]، حتى أن الاسم الذي يطلقه الأنجريون على المسجد في هذه الحالة يدل دلالة قطعية أنهم يجعلون منها روحاً تتحرك، لذلك يطلقون عليها لقب 'لالة الجامع'، فالمصطلح 'لالة' له دلالة تتخذ صفة إنسانية لها روح معينة تتحرك في الفضاء الطبيعي، وقد سبق 'لإدوارد فستر مارك'[20] أن تحدث عن الأنجريين حينما اعتبر أنهم يتميزون بكونهم يطوعون الظواهر الطبيعية لصالحهم تحت ما سماه 'بأنسنة البيئة الطبيعية'[21]؛ أي إضفاء صفات إنسانية تتحرك على أمكنة جامدة لا تحرك ساكناً قصد استغلالها لأغراض تكون في الغالب تمس الظروف المعيشية للأفراد.

نفس الشيء يمكن أن ينصرف على نمط آخر من أشكال التقديس بالمنطقة، يتعلق الأمر 'بالأرض'، فلما كانت 'الأرض' بوفرتها وقيمتها في المجتمع القروي شيئا مهما، شكلت كياناً مستقلا يتمتع بطقوس أخرى متميزة، إن الأمر في ذات السياق لا يتعلق بأرض مزروعة أو محصودة أو شيء من هذا القبيل، إن الأمر يتعلق بما يسميه الأنجريون 'بالأرض المملوكة' أي تلك الأرض التي كانت تزرع لكن توقفت بفعل أن الأرواح قد سكنتها،

---

[17] نشير هنا إلى 'عين النشور' بمدشر الحمومي بسيدي علي بن حرازم و'عين الرحمون' بمدشر الداهر و'عين الرمل' بربع فرقة البحراويين التي تداوي ألام الصدر والقلب والأمعاء وغيرها من الأمكنة.

[18] نجد أمثلة كثيرة لذلك من بينها 'الحامة' الموجودة في مدشر 'بني عتاب' من فرقة ربع البرقوقيين، وقد جاءت في خندق يخرج منه ماء طبيعي، فقيل لنا أن هذه الحامة تخصص لعلاج الأطفال، لكن توجد بقربها شتائل أشجار صغير تربط النساء به أغطيت الرأس طلباً في الزواج، لكن الحامة تعرف بالخصوص بكونها تعالج الأطفال من عدة أمراض؛ فإذا تعلق الأمر بأمراض داخلية 'كارتفاع درجة الحرارة مثلا' فلابد أن يشرب الطفل من مائها فيشفى، أما إذا تعلق الأمر بأمراض خارجية وبالخصوص عضوية كمرض 'الالتهاب الجلدي' مثلا فيؤخذ من ترابها المبلل ليوضع في أماكن المرض، فبزيارة هذا المكان المقدس أيضاً يتمنى الزائرون أن يتزوجوا وينجبوا أطفالا، فالحامة كطبيب متعدد الاختصاصات لكن يبقى عمله الرئيسي هو أن يشفي الأطفال من أمراضهم، وتكون الزيارة بسيطة في الغالب تضم نقوداً أو حناء أو قطع من الشمع أو أثواب أو بيض.

19 لالة الجويمعة أو الجامع هو مصطلح محلي خاص نجده لدى الأنجريين للدلالة على أن المسجد القديم تسكنه روح تتحرك داخله، وليس في علمنا أن نجد مثل هذه الظاهرة في قبائل جبلية أخرى.

[20] نحب أن نشير هنا إلى كتاب فيستر مارك حول الزواج يتطرق في جزء منه لقبيلة أنجرة:

Edward Westermarck :Marriage Ceremonies in Morocoo ; Curzon Press ; London (sans date).

[21] أنظر:

Eva Evers-Rosander : Some Wedding Customs in Qbila ANJRA Now (1976-1987) and Then (1900-1910) Comparisons and Reflections Based on Westermarck's ; Books "Westermarsk et a societe Marcaine" Université Mohammed 5 Faculté des litters et des Sciences Humaines ; Colloques et Seminaires N° 27 ; Imprimerie El Maarif Al Jadida ; Rabat-Maroc.

وهذه الأرواح تصيب كل من تجرأ على لمس الأرض أو زرعها. إن هذه الظاهرة ولو أنها غير منتشرة بكثرة، لكنها موجودة، تشكل بالنسبة لنا موضوعاً يمكن الحديث عنه في إطار تقديس الظواهر والأمكنة الطبيعية. وتماماً كما سلف الحديث عن 'المجاري ونقاط الماء' يمكن أن ينصرف نفس الحديث عن 'الأرض المملوكة' من جهة أو 'المرجة' من جهة ثانية كونها أرضاً مائية غالباً ما يسكنها 'الجنون والعفاريت'. فمثل هذه الظواهر لا تصل إلى مستوى 'العبادة' لكنها تظل فقط موضع تقديس حذر، تقديس بنكهة الخوف لتجنب الضرر.

II. ممارسات ومعتقدات مقدسة بالمجتمع الأنجري

1- الممارسات المقدسة بقبيلة أنجرة

كثير من الممارسات تحضر في المجال المدروس تتخذ صبغة مقدسة، تتبع من صلب التقاليد الضاربة في التاريخ، هذه الممارسات كثيرة ومتنوعة، نجد على رأس هذه الممارسات 'العْمارَة' بتسكين العين، التي تعتبر أعظم احتفال ديني لدى الأجريين خاصة وجبالة بشكل عام، فالعمارة لا تتعلق بطقوس زراعية كما نرى في بعض المواسم، لكنها تتعلق بزيارة قطب الأقطاب بالمغرب وشيخ جبالة 'مولاي عبد السلام بن مشيش'،

هذه الزيارة تكتسي طابع الولاء الذي يظل الرابطة الوحيدة القوية بين كل الجبليين بالمنطقة الشمالية، لذلك سمي الاحتفال به 'بالعمارة'[22]. يقول الإسباني 'خينارو أورياطي':"فالكل في المنطقة المباركة التي تحيط بضريحه، ينتمي لمولاي عبد السلام الذي يعتبر الأكسجين الذي يعطي الحياة لسكان جبالة، والأرض التي تمنح الخيرات (..) وهو القوة للتغلب على الأرواح الشريرة، وهو الملاذ لطلب الاستسقاء عند ندرة الأمطار والجفاف"[23]. فالمفهوم 'عْمارة' حسب العينة له ثلاث معاني:المعنى الأول يفيد أنها سميت كذلك كونها بمثابة موسم الحج الأصغر بالنسبة للفقراء؛ أي ما يعادل 'العمرة' في الشرق، فهم يقولون أن الذي لم يستطع الذهاب إلى الحج عليه أن يعتمر في جبل العلم، أما المعنى الثاني وهو الأقرب في نظرنا إلى الحقيقة لكثرة تداوله شفهيا، يعتبر أن المصطلح يأتي من 'التعمير' وبالضبط من الجذر 'عَمَّرَ'؛ بمعنى أنها سميت كذلك حسب تعبير أحد الأنجريين: 'لَتَعْمَارْ بْجْبالَة كاملِنْ'؛ أي نسبة إلى 'الامتلاء'، أما المعنى الثالث فيقول أنها سميت كذلك كونها مناسبة لتجديد 'العُمُرْ'، حيث يعتقد الأنجريون وسائر جبالة أن زيارة القطب هي التي تحدد من سيموت أو يعيش في السنة المقبلة، لذلك سميت بذلك الاسم، فزيارة القطب واجبة حتى يغسل الفرد ذنوبه ويتضرع إلى الله. على أن العمارة تبدأ زمنيا في فجر الفاتح من شهر يوليوز من كل سنة، وكانت في الأيام السابقة تظل مستمرة زهاء الأسبوع، ثم تقلصت إلى ثلاثة أيام،

[22] نلفت الانتباه أن 'العمارة' لا تعادل 'الموسم' بالنسبة للأفراد، فالجبليون يطلقون التسمية الأخيرة على الاحتفال البسيط والذي غالباً ما يتعلق بأولياء لا يصل صيتهم إلى قطب جبل العلم كموسم 'سيدي ادريس' بمدشر طالع الشريف أو موسم 'سيدي علي' بمدشر الحمومي أو موسم 'سيدي أحمد بن عجيبة' بمدشر الزميج مثلا، أما الاسم الأول فلا تجده ينطق إلا على الاحتفال الذي يخصصه جبالة لهذا القطب الرباني في صيف كل عام.

[23] خينارو أورياطي، الروابط الدينية بجبالة ومختلف طوائف الشرفاء:الزوايا والأضرحة، ترجمة عبد العزيز العيادي العروسي، مطبعة سبارتيل، الطبعة الأولى 2010م، ص24.

حتى صارت اليوم يوماً واحداً، حيث يتجمع الناس في أسفل الجبل في مواكب صاخبة، وهم يصعدون بين جنبات الجبل تسمعهم يرددون 'الصلاة والسلام' والزغاريد تنتشر هنا وهناك، وفي بعض اللحظات تسمع النساء يرتلن ما يسميه جبالة 'بالعيوع'[24].

بالإضافة إلى العمارة تشكل 'العَنْصْرَة' ممارسة طقوسية بامتياز لدى جبالة، لكن عادة يختلط علينا الأمر ونحن نحاول أن ندرس هذا النوع من الممارسات لدى جبالة، وخصوصاً ما بين 'العنصرة' و'الحَاكُوزْ' و 'يِنَّايَر' و'العَامَ اَجْديدْ' ، ذلك أن السكان يخلدون عدة احتفالات ذات طابع طقوسي وذلك وفق رزنامة مضبوطة نابعة من التقويم الفلاحي بالأساس، والحقيقة أن 'الحاكوز وينابر والعام الجديد' لدى جبالة هي تسميات لشيء واحد، فبالنسبة 'للحاكوز أو يناير' أو 'العام اجديد' كما يحب لجبالة أنجرة أن يطلقوا عليه غالباً ما يسبق العنصرة، حيث يكون الاحتفال به احتفالا عائلياً فقط، وذلك لأن العام الفلاحي الجديد دائماً ما يبدأ في الفاتح من شهر يناير، فالحاكوز هي احتفال وممارسة أولية لبداية العام الفلاحي، أما العنصرة فهي الاحتفال الذي يعقب جني المحاصيل، وبالتالي فهي موسم الاحتفال الأكبر بالأرض وترائها، وغالباً ما كان الفلاحون في بداية 'العام اجْديدْ' يجتمعون في الساحة الكبرى 'للدشر' وهم متأهبون للعمل الجماعي أو ما يسميه الجبليون على عاداتهم 'بتوَّازَة'، هذا التجمع لم يكن إلا لغرض واحد هو أن يذهبوا لحقل كل فرد أراد قلب الأرض تأهباً للحرث في جماعات ليتعاونوا فيما بينهم. وعادة يكون الاحتفال بالعنصرة في اليوم السابع من شهر يوليوز من كل سنة بالقصر الصغير، فاختيار بداية فصل الصيف ليس عبثاً بقدر ما هو بداية نضج الفواكه و والشعير والذرة والقمح والفول وغيرها من الحبوب، ويكون الجبليون قد خرجوا مجددا في جماعات من أجل الحصاد، وهو سلوك تعاوني تضامني متميز، فالعنصرة ليست مجرد احتفال فقط بل هي ممارسة مقدسة للحصول على 'بركة الأرض' التي تعد الرأسمال المادي الرئيسي لمعيشتهم اليومية.

وغير بعيد عن 'العنصرة' يتلهف الأنجريون دائما لدخول شهر محرم الهجري حيث يحتفلون في اليوم العاشر منه بمناسبة مقدسة ؛ مناسبة دخول 'عاشوراء' أو كما يحلوا لهم تسميتها 'بالعاشور'، حيث يصوم أغلب أهل المداشر هذا اليوم تيمناً به، وبعد تحضير حساء الحريرة للإفطار تتزين النساء ويلبس الرجال أثوابا جديدة، لكن النساء يعدون لليوم كما هو معهود لدى أهالي أنجرة الفطائر والإسفنج والرغيف والحلويات الجافة والخبز والبيض واللبن والحليب، في انتظار موكب الطلبة[25] الذين يجتمعون في 'المسيد' لينطلقوا في المدشر صباحاً يطوفون حول المنازل لطلب 'العَاشُور' وفي يدهم ألواحهم الخشبية المزركشة.

كما أنهم يحتفلون بعيد المولد النبوي الذي غالبا ما كان المتصوفون والعلماء يوصون بالاحتفال به نظراً للدور الخطير الذي كانت تمارسه الأعياد المسيحية، والاحتفال به ليس لأمر سوى لتكريس الشعائر الدينية الإسلامية،

[24] العيوع عبارة عن نداء متناغم وفن نسوي يعتمد على أوزان بسيطة تقوله النساء بأصواتهن المرتفعة الشجية على شكل مواويل، والعيوع خاص بالنساء ولا يمكن للرجل أن يقوم به لأنه من اختصاصهن مثل هذا المقطع الذي يقال بجبل العلم: عيطت على مولاي عبد السلام يحضر فيها/أمولاي عبد السلام مشيش مولاي/أ مول التَشْتا والمقام /أ حـبيبْ الطُلبَة.

[25] عادة في موكب الطلبة يرتلون بشكل جماعي المقطوعة التالية: عاشورا عاشورا/ والقديدة مختورة/عطـيني بيضة بيضا/ نزوق بها لوحي/ولوحي في الجنة /والجنة محلولة /حلها مولانا /والله يشعشع نورو.

وبما أن الجبليين عرف عنهم تمسكهم القوي بالشريعة والدين، كان احتفالهم بالمولد مناسبة مقدسة خاصة. فالاحتفال سواء في الزاوية أو المسجد لا يشكل استثناءاً لأن الجبليون يجتمعون في الزاوية إذا ما كانت متوفرة أو يجتمعون في مسجد 'الدشر' لكن بنفس الطقوس والمراسيم، وغالباً ما يسبق يوم 'المولد' استعدادات تكون بدايتها قبل أسبوع من ذلك، معتمدين على عائدات الاحتفال بعيد المولد السابق مع فتح باب المساهمات أو الصدقات داخل الدشر لمن أراد، فتدبير 'الاحتفال' يكون بطريقة استراتيجية تظل متواترة عبر الاحتفالات المتكررة. إن الجبليون[26] يصومون هذا اليوم تيمناً به خصوصاً إذا ما صادف ذلك يوم الجمعة، فالاحتفال يبدأ بعض صلاة المغرب بحضور مجموعة من طلبة 'المسيد' وبعض الفقهاء، وأول ما يفعلونه أنهم يقرؤون رُبعَين من 'القرآن الكريم'، ثم بعدها يفسحون المجال لإنشاد قصيدة 'الهمزية' و'البردة'، وبعد الانتهاء يفسح المجال للفقهاء الذين يقدمون بعض الدروس تذكر بسيرة الرسول المعظم، فتفتح فسحة قصيرة لشرب الشاي مع بعض الحلويات، ثم يصلون العشاء في جماعة فيأكلون 'الكسكس' بالبصل والزبيب والحمص واللحم، وبعدها يفسح المجال 'للطلبة' وخصوصاً أصحاب الأصوات البهيجة الذين يقومون بترتيل قصائد جليلة بالمناسبة.

فالإنسان الجبلي وبحكم اعتماده داخل القبيلة على الماء والكلأ من أجل إنعاش حياته والحفاظ على الرأسمال المادي الحيواني والنباتي غالباً ما كان يقلق في الأوقات التي يقل فيها المطر،"فالكوارث الطبيعية جعلته يشعر بالتقصير والذنب، فيهرع إلى المخزون الديني-الروحي، لمواجهة الكوارث/العقاب، بالتوبة النصوح وتوزيع الصدقات، والتيمن بذوي النفوذ الروحي لطلب الغيث وسقي البلاد والعباد"[27]، فطقوس المطر بالنسبة للمداشر لا تختلف بين الفرق الثلاثة المشكلة للقبيلة (البرقوقيين-البحراويين-الغابويين)، فقبل القيام بالطقس كانت في القبيلة عملية دق الطبول بشكل متواتر من طرف مجموعة 'طبالين' نذير طلب الخروج من البيوت في يوم محدد عندما يتأخر الغيث قصد الاستعطاف، فالطبل كان في السابق غالباً هو الآلة التقليدية التي يعلن من خلالها فتح 'باب الطلب'، وقد اختفت هذه العادة من القبيلة بفعل تغيرات العالم المعاصر، ولما اختفت هذه العادة أصبح يوم الخروج يتحدد من طرف 'اِجْمَاعَة' التي تجتمع في المسجد لتحدد يوم القيام 'بصلاة الاستسقاء' وطلب الغيث، ولما اندثرت أدوار 'اجماعة' لدى جبالة بفعل تدمير البنيات التقليدية العتيقة للنظام القبلي أصبح 'النداء' يقام في المسجد يوم الجمعة، حيث يجتمع أهل الدشر للصلاة فيعلن الفقيه عن أنه في اليوم الفلاني يجب القيام 'بالطلب'، وعادة حينما يقيمون صلاة الاستسقاء داخل المسجد يخرجون جماعة إلى ساحة المسجد، فيقوم الفقيه بالدوران مع طلبته والحاضرون حول بناية

[26] جرت العادة بين الطلبة أن يضعوا الكحل في أعينهم، أما النساء فيتعطرن بالكحل والحناء، فيحضرن الوجبات المتميزة من إسفنج وفطائر وحلويات سكرية تذكيراً بحلاوة اليوم، ويشترون بعض من الثياب الجديدة من السوق الأسبوعي كصدقة يتصدقن بها وبعض الحلويات 'الفاكية' لتوزيعها على الأطفال في باحة المسجد، كما يكون اليوم عطلة لا دراسة أو عمل فيه، ويجمع من الصدقات والعائدات السابقة ما يوفر شراء بعض الرؤوس من الأكباش لذبحها على العشاء، وغالباً ما تذبح الأسر ديكاً على الغداء في انتظار ليلة الاحتفال.

[27] مجموعة من المؤلفين، التصوف السني في تاريخ المغرب: نسق نموذجي للوسطية والاعتدال، سلسلة شرفات الزمن رقم 27، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء–المغرب، طبعة 2010، ص 246.

'الجامع' سبع دورات وهم في حالة شبه بدائية، حيث يزيل الرجال والطلبة قبعاتهم ونعالهم ويقلبون جلابيبهم بشكل عكسي تماماً، فيرفع الطلبة ألواحهم على رؤوسهم ويكملون الدورات السبع[28]، وعندما تكتمل السبع دورات مع ترتيل الدعاء،

يخرج الموكب من ساحة المسجد مباشرة نحو قبر ولي صالح، وهم على نفس الحالة؛ فيتقدم 'الطلبة' الصغار الموكب والألواح على رؤوسهم ثم الرجال فالمسنين وراءهم حتى يصلوا إلى قبر الولي الصالح فيجلسون على شكل دائرة، يقومون بقراءة القرآن ويبدأون بالدعاء طلباً للعطف والرحمة، ثم يقومون بتنظيف 'السيد/المزار' ويصبون المياه تبشيراً بالوفرة، فينهض الطلبة لبدء لعبة 'الخصب'، يبدأ الرش بالمياه طلباً لسقوط 'القطرة'، ويكون من حق الطلبة أن يرشوا بالمياه كل الرجال والشيوخ الحاضرين وهم يقومون بدورات سريعة على قبر الولي في عملية أشبه بالكرنفال، ثم يعودون من نفس الطريق، وإن وجدوا شخصاً رشوه بالماء، والمراد من هذه العملية هو طلب رحمة الله وغيثه، وعندما يصل 'الطلبة' إلى وسط الدشر، يبدأ طقس آخر يسمى 'طلب الرزق'[29].

2- المعتقدات المقدسة بقبيلة أنجرة

إن أي مجتمع كيف ما كان نوعه لا يخلو من معتقدات، فهي كثيرة ومتنوعة وتكون محفوظة في المتخيل الاجتماعي، ويبدو أن 'السحر' هو أعظم هذه المعتقدات، ولا نختلف مع علماء الاجتماع والإنسان الذين استنتجوا أن السحر هو "نتاج حاجات طبيعية مشتركة، كامنة في أعماق النفس البشرية المعقدة"[30] فهو ينتشر بكثرة ما بين الأفراد في قبيلة أنجرة، ينقسم إلى صنفين:سحر أبيض يهدف إلى الخير يقوم به الفقهاء الملتزمون، وسحر أسود يهدف إلى الشر يقوم به الفقهاء الخارجون عن الدين بالتعبير الجبلي، لكن في نفس الوقت هناك من الفقهاء من يقوم بالنوعين، لذلك فالسحر بالنسبة لجبالة هو صراع ما بين الخير والشر، لكن هذا الصراع يفهمونه بطريقتهم الخاصة، يظهر ذلك في السلوكات اليومية التي يقومون بها، فكلما تأخر الذكر أو الأنثى عن الزواج ظن الجبليون أن ذلك نابع من نوع من أنواع السحر يسمى 'الثقاف'، وكلما ارتبط شاب بشابة رغم رفض والديه لها ظنوا أن ابنهم أصابه سحر آخر يسمى 'الربط أو التوكال'، وإذا كان عمل الجبلي عملا متواصلا ولا يحقق من خلاله قدر معين من الحياة المستقرة أو لا يستقر مع زوجته استقراراً تاماً ظن أنه 'متبوع' أو 'مَقْيُوسْ بسحر التابعة'، وكلما كانت حياته شقية كلما ظن أن 'العين' قد أصابته، أما إذا رأى أحداثاً تحدث له مع صاحبته أو زوجته أو حتى مع أخواته، فيظن أن أحد فعل له أعمال سحرية تسمى 'سحر التفرقة أو الكراهية'، وكلما رأى أن أرضه لا تعطي ظن أيضاً أن شخصاً قد عمل عملا سحرياً ودسه في أرضه فيهرع إلى الفقيه ليعالج الأمر، وكلما رأى حيواناته تموت بلا سبب ظن أيضاً أن 'العين' أو 'التابعة' قد أصابتها، لذلك فإن السحر عند جبالة سحر يمس الإنسان كما يمس الأرض والحيوانات بكونها مصدر الرزق يسعى دائما للحفاظ عليها،

---

[28] عادة وهم يقومون بالدوران حول المسجد يرتلون ما نصه: يا رب الطف بنا في القرب عن عجل/والطف بنا يا مولانا بالقضاء والقدر/ أنت المُرَ الجلالة في كل نائبة/ وإرفق ما حل بنا من قلة المطر/ الأرض قد احترقت وللمولى افتقرت/أغثها بالعفو واللطف يا مقتدر.

[29] عادة يقوم الطلبة بزيارة كل المنازل وهم يرددون: 'أ شتا تاتا تاتا و العرس د الحراتا'، وعندما يخرج أهل المنزل يرشونهم بالمياه فيعطونهم 'صدقة' عبارة عن دقيق أو شعير أو زيت أو بيض أو خبز تيمناً بالخير والبركة التي من المفترض أن تأتي بعد إكمال الطقس.

[30] مصطفى واعراب، المعتقدات والطقوس السحرية في المغرب، دار الحرف للنشر والتوزيع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء–المغرب، الطبعة الأولى يناير 2007م، ص7.

ولا نجد لدى جبالة هذه الأنواع فقط من السحر بل نعثر على بقايا أخرى من قبيل 'الحرز والحجاب' المصنوع للإنسان أو للحيوان أو للأرض، إلا أنه يمكننا بصفة عامة القول أن مجمل هذه الأصناف من السحر تدخل ضمن نوعين رئيسيين: الأول هو سحر أسود يهدف إلى الشر، والثاني مضاد له وهو سحر أبيض يهدف إلى طرد الشر، فالأول يكون سحراً هجومياً أما الثاني فهو تحصيني دفاعي.

أما فيما يخص 'العين' فإن جميع الأنجريين يؤمنون بوجودها، وهي ترتبط بالحسد بطريقة مباشرة، لذلك كان لابد للإنسان أن ينهج إلى عمليات وقائية؛ هذه العمليات الوقائية نجدها لدى جبالة تنحوا منحيين:الاتجاه الأول يتجه إلى المقاربة الدينية المحضة التي تنهل من القرآن والسنة بعيدا عن الأعمال المنهي عنها، في حين تتجه المقاربة الثانية إلى جهة أخرى تتقاطع مع الديني وتدخل في جانب 'الممارسات المحرمة'، ونقصد هنا أنها تذهب في اتجاه السحر والشعوذة، لذلك نجد الأفراد ينخرطون في هذه الازدواجية، إنه من خلال الملاحظة يبدو أن الأفراد لا يفرقون بين ما هو ديني أو غير ديني لأن التقاليد والأعراف قد اندمجت فأصبحت كل الطقوس الخاصة بالعين بالنسبة إليهم واحدة وكأن مصدرها ديني. فالعين هي عين الحسد والسوء في التمثل الشعبي، هذه العين إما أنها 'تقتل أو تصيب فتعيب'، لذلك لابد للإنسان أن يقدم 'البسملة والتسبيح والصلاة على النبي' كلما أراد أن يبدي إعجابه بشيء ما، فالعين حسب الاعتقادات قد تؤدي إلى المرض أو الموت أو إفلاس الإنسان في حياته المالية والمعيشية أو الأسرية أيضاً، لذلك فإن مختلف المبحوثين عبروا بصراحة أن العين تقيس كل شيء، حتى الماشية والفلاحة، لذلك خلقوا تحصينات 'تكتب على الورق' أو 'تزين الجسد' أو 'تعلق في المنازل' أو 'تبخر'، لكن مجملها يتعلق 'بالحجاب والحرز'.

بل أكثر من ذلك، فالأنجريون لا يؤمنون بالسحر والعين فقط وإنما يؤمنون بالمعتقدات الخاصة بالجان والعفاريت بقوة، فالجنون لهم سلطة على الإنسان والمجال، وما دام الجبل مجالا شاسعا فلابد للإنسان أن يأخذ كل الحذر، فطيلة المقابلات التي أجريناها استقينا مجموعة من الحكايات المتعلقة بهذه المعتقدات، فالجنون والعفاريت يشغلون في غالب الأحيان وقتاً ليس بالهين في تفكيرهم اليومي، وغالباً ما يحكون[31] لنا عن عفاريت وجْنُون تسكن الأراضي والمنازل الخالية والأماكن، إن الجان بهذا المعنى "يوجدون في مختلف فضاءات الأرض، وبذلك فهم السكان والملاَّكون والحراس، وحفظة الأرض، والغابة، والجبال، ومجاري المياه والمستنقعات"[32].

وغير بعيد عن المعتقدات الخاصة بطبيعة الجان والعفاريت، يؤمن الأنجريون بمعتقدات أخرى من بينها 'اللعنة'، فهذه الأخيرة تتواجد في كل المجتمعات، ويعود تاريخها إلى ديانات قديمة، لكن مع دخول الإسلام تم تحيينها، ويمكن القول أننا نجد لدى الأنجريين ثلاث من الصيغ الخاصة باللعنة،

[31] يحكي مبحوث من ربع البرقوقيين أن الناس في أنجرة يهبون الجن كثيراً، فعندما يريد أحد ما أن يبني منزلا على أرض ما لابد له في البداية أن يذبح دجاجة أو دجاجتين أو خروف حسب الاستطاعة حتى تمر عملية البناء بشكل عادي، وعندما يكتمل المنزل لابد بعدها أيضاً من ذبح خروف أو دجاجة حتى يسيل دمها وسط المنزل، وهذه العملية تكون لهدف واحد هو طرد الجنون الذين من المفترض أن يكونوا قد استوطنوا الأرض أو سكنوا المنزل، لأن هناك اعتقاد سائد مفاده أن الجنون تتغذى بدماء القربان الذي يسيل على الأرض، بل أن أهل أنجرة لا يكتفون بذلك فقط بل يقطعون الشك عند إنهاء المنزل من البناء، فيقيمون حفلة دينية يقوم بها 'الطلبة والفقهاء' حتى تكون فاتحة على دخوله وحتى يعرف الجان أن المنزل سيسكنه الإنس فيرحل.

[32] مجموعة من المؤلفين، أبحاث في السحر، ترجمة محمد أسليم، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء–المغرب، طبعة 2007م، ص 108.

من بينها تلك الخاصة 'بالأولياء والمجاذيب' والتي تطفوا وتطغى حسب ما لاحظناه في المقابلات التي قمنا بتحليلها، فعندما يقف الإنسان في حضرة ضريح أو قبر ولي أو مجذوب فيجب أن 'يسلم نيته' أو يكون قصده خيراً، أما إذا نوى الشر أو تحدث في الولي بكلام نابي أو غير محترم فإنه لاشك حسب المعتقد سيتعرض للشر وستعصف به اللعنة فيما لا يحمد عقباه، فكثير من الحكايات صادفنها تتحدث عن أفراد قاموا بمس الولي أو سرقوا من ضريحه شيء أو مسوا قبره بشيء أو غير ذلك من الأفعال، وكل ما سيصيبه بعد ذلك في حياته اليومية يتصوره الأفراد كما لو أنه لعنة من ذلك الولي، لكن هذه الأخيرة تضع الإنسان بين خيارين إما أن يموت أو أن يصاب في أحد أعضاء جسمه فيبقى طول حياته مصاباً. بالإضافة إلى ذلك نجد اللعنة الخاصة بالجان والعفاريت، واللعنة الخاصة بالحيوانات التي تبدو شبه محترمة، هذه الأصناف الثلاث تبدو هي المسيطرة على تفكير الأفراد داخل المجتمع، ولا نجد أصناف غيرها، يبقى الإشارة أن لعنة الأجداد لا تدخل لدى الأنجريين في النوع الذي نتحدث عنه، بل تدخل في قضية أخرى يعطيها جبالة الكثير من الاحترام تتعلق بمعتقد 'السخط والرضا' والذي يتعلق بالوالدين أو الأجداد حسب درجة التأثير، فالسخط هو جانب آخر من اللعنة لكنها تكون من المقربين، وغالباً ما تتعلق 'بالآباء' من جهة، ثم الأجداد من جهة ثانية، فالأوامر التي يعطيها الآباء الظاعنين في السن للأبناء أو غيرهم يجب أن تحترم وتنفذ بالحرف وإلا كان السخط مصيرهم، فالجبليون يعون جيدا ما لقيمة السخط في الحياة لذلك يتجنبونه.

خلاصة:

إن ما يمكن أن نخلص إليه في هذه الورقة، أن أنماط وتجليات التدين بقبيلة أنجرة متعددة ومتنوعة أهمها تقديس الأولياء والزوايا ثم بعض الظواهر الطبيعية مثل الكراكير والصخور والقبور والأشجار ومنابع المياه وأراضي مملوكة/المرجة، وبعض البقايا وآثار 'المساجد' القديمة، ويمكن القول أن تقديس هذه الأنماط يعود كما لاحظنا إلى الاعتقادات السائدة التي يؤمن بها جبالة، وأغلب أسباب هذا التقديس تعود إلى الوظائف الاجتماعية والعلاجية لتلك الظواهر. في نفس الوقت يمكن أن نقول بأن الممارسات التي وجدناها وخصوصا ما يتعلق بالعمارة والعنصرة والحَاكُوزْ ويِنَّايَر والعَامَ اَجْديدْ وعاشوراء وطقوس الاستمطار تشكل بنية واحدة؛ فجل الأفراد يعتبرون أن هذه الممارسات تنهل من الدين وتعود إليه دون الوعي بأن هذه الممارسات جلها ترسخت من العادة والعرف والتقليد في المتخيل الاجتماعي الجبلي ولا ارتباط لها بالدين الرسمي. نفس الشيء فيما يخص المعتقدات التي يعتقد بها الأفراد من سحر وعين وجان ولعنة وغيرها، فهي معتقدات تعود إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية من جهة، وطبيعة المجال الجبلي من جهة ثانية.

غير أنه يمكننا القول أن التدين الشعبي هو بنية، بل نظام مكتمل الأطراف؛ فالممارسات هي من يعطي معنى للأنماط وتجليات التدين الموجودة بأنجرة، هذا المعنى المتجدد يجعل الأفراد يؤمنون بجدواها فتصير معتقدا راسخا، والعكس صحيح، كما نحب أن نشير أننا ركزنا فقط على بعض الجزئيات دون أن نفصل في جميع الأنماط والممارسات والمعتقدات، ولا يمكن مطلقا أن ندعي أننا أحطنا بكل شيء، فالتدين الشعبي موضوع أكبر من أن يختزل في ورقة أو دراسة واحدة، عسى أن تأتي مناسبة أخرى لنسلط الضوء على الجزئيات الأخرى.

البيبليوغرافيا:

1. دوتي إدموند، طبعة 2011م، مراكش، ترجمة عبد الرحيم حزل، منشورات مرسم، مطبعة أبي رقراق، الرباط-المغرب.
2. موليراس أوجيست ، طبعة 2013م، المغرب المجهول:اكتشاف جبالة، الجزء الثاني، ترجمة عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز، مطبعة النجاح الجيدة، الدار البيضاء-المغرب.
3. باسكون بول، 1986م، الأساطير والمعتقدات بالمغرب، ترجمة مصطفى المسناوي، مجلة بيت الحكمة، عدد3، السنة الأولى، أكتوبر 1986.
4. أورياطي خينارو، 2010م، الروابط الدينية بجبالة ومختلف طوائف الشرفاء: الزوايا والأضرحة، ترجمة عبد العزيز العيادي العروسي، مطبعة سبارتيل، الطبعة الأولى 2010م.
5. ايكلمان ديل، 1991م، الإسلام في المغرب، ترجمة محمد أعفيف، سلسلة تاريخ ومجتمعات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى 1991م.
6. خلوق التمسماني عبد العزيز، 1996م، جوانب من تاريخ جبالة المعاصر: القائد أحمد الريسوني وإسباتيا، منشورا سلكي إخوان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى 1996م.
7. غيرتز كليفورد، 1993م، الإسلام ملاحظاً: التطور الديني في المغرب وإندونيسيا، ترجمة أبو بكر أحمد باقادر، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1413هـ/1993م.
8. مجموعة من المؤلفين، 2010م، التصوف السني في تاريخ المغرب: نسق نموذجي للوسطية والاعتدال، سلسلة شرفات الزمن رقم 27، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، طبعة 2010.
9. مجموعة من المؤلفين، 2007م، أبحاث في السحر، ترجمة محمد أسليم، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، طبعة 2007م.
10. جندوبي محمد، 2004م، الأولياء في المغرب: الظاهرة بين التجليات والجذور التاريخية والسوسيوتاريخية، منشورات كنال أوجوردوي، مطبعة دار القرويين، فاس-المغرب، طبعة 2004.
11. داود محمد، 2009م، تاريخ تطوان، المجلد الحادي عشر، منشورات تطاوين أسمير، تطوان-المغرب، طبعة 2009.
12. الهراس المختار، 1988م، القبيلة والسلطة: تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، مطبعة الرسالة، الرباط-المغرب، طبعة 1988م.

13. واعراب مصطفى، 2007م، المعتقدات والطقوس السحرية في المغرب، دار الحرف للنشر والتوزيع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى يناير 2007م.

1. Edouard Montet :le culte des saints dans L'Afrique du Nord et plus Spécialement Au Maroc ; Librairie George & Cie ; Genéve ; 1909.
2. Edward Westermarck :Marriage Ceremonies in Morocoo ; Curzon Press ; London (sans date).
3. Emile Dermenghem : Le Culte des Saints dans L'Islam Maghrebin ; Édition Gallimard ; paris 1954
4. Eva Evers-Rosander : Some Wedding Customs in Qbila ANJRA Now (1976-1987) and Then (1900-1910) Comparisons and Reflections Based on Westermarck's ; Books "Westermarsk et a societe Marcaine" Université Mohammed 5 Faculté des litters et des Sciences Humaines ; Colloques et Seminaires N° 27 ; Imprimerie El Maarif Al Jadida ; Rabat-Maroc.
5. Henri Basset :Le Culte des Grottes au Maroc ;Ancienne maison Bastide/Jourdan ; édition Carbonel ; Alger ; 1920.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.19.8

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار التاسع عشر
تأريخ الإصدار: 20 مايو 2021م

أحكام شعر الرأس والوجه في الفقه الإسلامي

Rulings of head and face hair in Islamic jurisprudence

إعداد الباحث/ وليد بن محمد بن جليوي الرفاعي
ماجستير تخصص فقه، المملكة العربية السعودية

الملخص:

الحمد لله الذي اختار لنا الإسلام دينًا، وجعلنا من أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

عنوان البحث: أحكام شعر الرأس والوجه في الفقه الإسلامي.

هذه دراسة فقهية تدور حول أحكام شعر الرأس وأحكام شعر الوجه في الفقه الإسلامي، وقد تم بفضل الله هذا الموضوع في: تمهيد: وقد تكلمت فيه عن نبذة عن مفهوم الشعر وأنواعه، ثم كان الفصل الأول الذي بحثت فيه عن أحكام شعر الرأس وشعر الوجه في المذاهب الفقهية، وقد تناولت فيه من أحكام صباغة الشعر ووصله وحلقه، كما تناولت فيه أحكام حلق شعر الشارب واللحية وتناولت حكم النمص، ثم كان الفصل الثاني وتناولت فيه أحكام شعر الرأس وشعر الوجه في فقه النوازل، وقد عالجت في هذا الفصل حكم استخدام العمليات التجميلية فيما يتعلق بشعر الرأس وشعر الوجه؛ من حكم زرع الشعر وحكم إزالة الشعر بالتقنيات الحديثة وحكم عمليات إزالة الشعر الأبيض في رأس الطفل، كما تناولت مسائل حديثة في شعر الرأس والوجه؛ من حكم القصات الحديثة للشعر، والتسريحات الحديثة للشعر، ثم كانت الخاتمة وذكرت فيها أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: شعر الرأس، الوجه، الفقه الإسلامي، أحكام

Abstract:

Praise be to God who chose Islam for us as a religion, and made us part of the Ummah of our Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace.

Research title: Rulings of head and facial hair in Islamic jurisprudence.

This is a jurisprudential study that revolves around the rulings of head hair and the rulings of facial hair in Islamic jurisprudence.

With the grace of God this topic has been completed in Preface: In which I spoke about the concept of poetry and its types, then the first chapter in which I discussed the rulings of head hair and facial hair in the schools of thought Jurisprudence, In which I dealt with the rulings on dyeing hair, joining it and shaving it, and in it, I dealt with the rulings on shaving the hair of the mustache and beard and dealt with the rule of styling, then the second chapter was and I dealt with the rulings of head hair and facial hair in the jurisprudence of the calamities, and in this chapter, I dealt with the ruling on the use of cosmetic operations to With head hair and facial hair; From the ruling on hair transplantation, the ruling on hair removal with modern technology, the ruling on white hair removal operations on the child's head, as well as the recent issues of head and face hair. From the ruling on modern haircuts for hair, and modern hairstyles for hair, then the conclusion was mentioned and the most important results were mentioned.

Keywords: Head hair, face, Islamic jurisprudence, rulings

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

لمَّا كانت الشريعة الإسلامية هي الشريعة العامة الجامعة، وكان القرآن الكريم هو الدستور الدائم إلى يوم الدين، وكان النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو النبي الخاتم الذي لا نبيَّ بعده، نتج عن هذه المقدمات نتائج حتمية مسلم بها؛ هي: لا بد من مطابقة شرع هذه الرسالة الخاتمة لكل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا بد من معالجة هذه الرسالة لكل ما يتعلق بالذات الإنسانية، ومن هذه المعالجات معالجة أحكام شعر الرأس والوجه.

ومن المسلمات اليقينية أن الكون بأكمله هو الوعاء لهذه الرسالة، وأن الزمان يسير في خطه إلى الأمام متجهًا ليوم لا مردَّ له، وهذا السير يقتضي تطورًا في الأحداث، وتقدمًا في الوقائع، ومولدًا لقضايا جديدة، وكان لهذه الأسباب لا بد من سير الفقه سيرًا مصاحبًا لسير الزمن حتى يساير الأحدث ويحتوي الوقائع، ويضمَّ هذه القضايا الجديدة، ومن هنا كان عمل الفقهاء الدائم محاولين استنباط الأحكام المتباينة ـ وإن صح التعبير ـ فهي الأحكام المتعددة مسايرة للزمن؛ ومن هنا كان الاجتهاد والقياس من أدوات الفقيه مثلما كان القرآن والحديث.

ومن هذا المنطلق يمكن القول بكل ثقة بأن هذا الدين الحنيف قادر بكل صدق ويقين على استيعاب كافة القضايا على مختلف العصور بدون عجز

أو وهن، والمتطلع إلى الأحداث والوقائع في ظل الدولة الإسلامية من موت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى يومنا هذا يجد أن فقه النوازل كان مصاحبًا لهذه الأمة.

وهكذا كان فقه النوازل يسير سيرًا حثيثًا مع الزمن، وكانت حاجتنا إليه مثلما حاجتنا لكل مقومات الحياة.

الافتتاحية:

جعل الفقهاء للمسائل المتعلقة بشعر الفرد البشري ـ على وجه العموم ـ أحكامًا ومسائلًا؛ حيث إن هذا الشعر هبة ربانية لا يجوز للفرد أن يتصرف فيها إلا بما يوافق شريعة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ، ثم إن المسائل المتعلقة بالشعر الإنساني ـ على وجه العموم ـ وشعر الرأس والوجه ـ على وجه الخصوص ـ مثلها مثل باقي المسائل يطرأ عليها من التطورات الحديثة ما يجعلها تحتاج من الفقهاء نوعًا من البحث، والقياس، والمران في النظر إلى المسائل على النحو الذي يتماشى مع سماحة هذا الدين الحنيف.

ونتيجة لما سبق عرضه تندرج بعض المسائل المستجدة المتعلقة بشعر الرأس والوجه تحت أطر فقه النوازل، وبذلك يمكن القول بأن فقه النوازل لا يعنى فقط بالأمور الشداد التي تطرأ على الأمة الإسلامية؛ حيث إن هذا الظن يحيلنا عن غير قصد إلى إشكالية تتمثل في اهتمام هذا العلم بالكوارث التي تحلُّ بالمجتمع المسلم، ولا يعتبر هذا إلا تضيقًا عن غير قصد من خلال الاستعمال المجازي لكلمة النوازل، وإنما الصواب أن نجعل كلمة النوازل دالة على مدلول اصطلاحيٍّ بمعنى كل مستجد يطرأ على الأمة المسلمة مجموعة أو على الفرد المسلم خاصًّا.

ولقد كان لفقهنا اليد العليا على كافة المسائل والمستجدات التي تطرأ على الأمة ـ بصفة العموم ـ والفرد ـ بصفة الخصوص ـ، ومن هذه المسائل الأحكام المتعلقة بشعر الرأس وبشعر الوجه.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

1ـ بيان مدى الكمال للفقه الإسلامي في معالجة كافة المسائل التي تتعلق بالفرد حتى أنه عالج المسائل المتعلقة بشعر الرأس وشعر الوجه لدى الفرد.

2ـ بما أنَّ الفرد هو مدار الشريعة ومناط التكليف، والفقه الإسلاميّ يسعى جاهدًا؛ لاحتواء الفرد، من هنا كان اهتمام الفقه الإسلاميّ متوجهًا إلى كل ما له تعلق بهذا الفرد من مسائل؛ ليحتويها، ويعالج كافة قضاياها، وكانت هذه الدراسة عبارة عن استبيان لهذه النقطة، وبيان مدى قدرة الفقه الإسلامي على معالجة المسائل المتعلقة بشعر الرأس وشعر الوجه لدى هذا الفرد.

3ـ بيان أن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الخاتمة؛ حيث إنَّ هذه الشريعة تمتاز بالتطور، الذي يجعلها صالحة لكل عصر من العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وصالحة لكل مكان في أرض الله.

4ـ بيان أن الشريعة المسلمة هدفها مصلحة الإنسان؛ فهي تبحث عن هذه المصلحة، فأنى وجدتها فهو مبتغاها.

5ـ لم يعثر الباحث على مصنف منفردًا يتناول أحكام شعر الرأس وأحكام شعر الوجه للفرد المسلم بكل ما طرأ عليها من مستجدات العصر، ولكن ما ذكر عن أحكام شعر الرأس وأحكام شعر الوجه للفرد المسلم كان متناثرًا في كتب الفقه ضمن موضوعات متعددة ومسائل متنوعة،

وهنا أراد الباحث أن يضع مصنفًا يتناول أحكام شعر الرأس وأحكام شعر الوجه للفرد المسلم بكل ما طرأ عليها من تجدد مناسبة للتطور والتغير الحالي، ومن هنا يسهل على من يريد مسألة تتعلق بحكم خاص بشعر الرأس أو شعر الوجه للفرد أن يرجع إلى ذاك المصنف (البحث).

6- بيان معالجة فقه النوازل لمسائل تتعلق بشعر الرأس ومسائل تتعلق بشعر الوجه؛ حيث إنها مسائل ذات انتشار واسع في المجتمع المسلم وغير المسلم، وهذه المسائل لها من الأهمية بمكان.

7- بيان مدى التجدد الذي يحلُّ على الفقه الإسلامي بتجدد الأحوال التي تطرأ على الفرد.

8- بيان قوة هذه الشريعة وصلاحيتها لمواكبة التطور، والتجدد، والتغير، وهذه القوة تظهر على جميع الآراء البشرية التي يعتريها النقص، الذي هو من طبيعة منشئيها.

9- محاولة التصدي لبعض المقولات الشائعة بأن التشريعات الإسلامية غير قادرة على مواكبة التطورات والتغيرات.

أسئلة البحث:

1- ما حكم حلق شعر الشارب؟

2- هل يجوز حلق شعر اللحية؟

3- هل يجوز تخضيب اللحية؟

4- ما هو النمص، وما حكمه:

5- هل يجوز تخضيب شيب الرأس؟

6- هل يجوز نتف الشيب من الرأس؟

7- ما حكم وصل الشعر؟

8- ما حكم زرع الشعر؟

9- ما حكم إزالة الشعر بالعمليات الجراحية؟

10- ما حكم معالجة الشعر الأبيض في رأس الطفل؟

11- ما حكم القصات الحديثة للشعر؟

أهداف البحث:

تكمن أهداف هذا البحث في النقاط التالية:

1- معرفة الأحكام المتعلقة بشعر الرأس وشعر الوجه.

2- بيان تضمن فقه النوازل لمسائل تتعلق بشعر الرأس وشعر الوجه.

3- معرفة ضوابط فقه النوازل في أحكامه المتعلقة بشعر الرأس وشعر الوجه.

4- عمل مصنفًا منفردًا يضم الأحكام التي تتعلق بشعر الرأس وشعر الوجه.

5- بيان الاختلافات بين الفقهاء في الأحكام التي تتعلق بشعر الرأس وشعر الوجه ثم الترجيح بينها.

المنهج المتبع في الدراسة:

نظرًا للتداخل العام بين عدد من المحاور؛ حتى يأتي هذا البحث بثمرته المرجوة منه، فإن هذه المحاور قد فرضت عليَّ استخدام عدد من المناهج والنظريات الحديثة، وهذه النظريات والمناهج، هي:

أولًا: المنهج الوصفيّ التحليليّ:

الذي يقوم على وصف الظاهرة اللغوية، وتحليلها على النسق الذي لا يتعدى هذا الوصف وذلك التحليل إلى حكم ما، مع الوصول لعدد من النتائج.

ثانيًا: المنهج التاريخيّ:

الذي يدرس الظاهرة دراسة رأسية؛ حتى يتسنى لنا بيان التطور الذي تتبعه الشريعة الإسلامية في سنها للأحكام، وفي معالجتها للقضايا، وفي مواكبتها لكل عصر من العصور، ولكل مكان على الأرض.

ثالثًا: النظرية التحليلية:

التي تحلل طرق معالجة الفقه للمسائل التي تتعلق بشعر الرأس وشعر الوجه.

رابعًا: المنهج المقارن:

في المقارنة بين طرق معالجة الفقهاء للقضايا المتعلقة بشعر الرأس والقضايا المتعلقة بشعر الوجه.

خامسًا: النظرية الاستقرائية:

وتحاول هذه النظرية استقراء النصوص الشرعية، وقواعدها، وأحكامها المتضمنة للقضايا المتعلقة بشعر الرأس وشعر الوجه؛ لاستنباط الأحكام المتعلقة بهما من كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، ومن سنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ومن أقوال الفقهاء واجتهاداتهم في كتب المذاهب الفقهية المتعددة، ومن القياس؛ حتى يتسنى لنا دراسة الموضوع دراسة علمية موضوعية.

سادسًا: المنهج التطبيقي:

حاول الباحث استخدام المنهج التطبيقي في المسائل المتعلقة بشعر الرأس وشعر الوجه بطرح مختلف القضايا كقضايا حية؛ حتى يكون البحث أكثر موضوعية.

وقد اعتمدت منهجية في الدراسة تقوم على النقاط التالية:

1ـ الحرص على الالتزام بالأمانة العلمية في عزو الأقوال إلى قائليها، وبذل الجهد في نقل قول كل قائل إلى مصدره.

2ـ عزو الآيات القرآنية إلى سورها.

3ـ الاستعانة بكتب المعاجم واللغة لشرح ما تطلبه البحث من مفردات.

4ـ شرح الآيات ذات الصلة بالموضوع للتوضيح.

حدود الدراسة:

الأحكام المتعلقة بشعر الرأس وشعر الوجه.

الدراسات السابقة:

1ـ سفر السعادة[1]، ورد فيه بعض المسائل التي تتعلق بالشعر في باب (عموم أحواله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) في فصل: (في علاج القمل).

1 لأبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، ضبط وتحقيق: د/ أحمد عبد الرحيم السايح ـ د/ عمر يوسف حمزة، مركز الكتاب للنشر، ط1- 1417هـ/ 1997م.

2- الفقه على المذاهب الأربعة[1]، تم ذكر بعض المسائل المتعلقة بالشعر في كتاب الحج، على نحو: إزالة شعر الرأس وغيره حال الإحرام، الخضاب بالحناء حال الإحرام.

3- فقه النوازل[2]، تضمن العديد من المسائل الفقهية المعاصرة، ومن بين هذه المسائل أحكام شعر الرأس والوجه عندما عرض لمسألة أحكام جراحة التجميل في الفقه الإسلامي.

خلاصة الكتابات السابقة، وإضافة البحث:

استعرض الباحث أهم المؤلفات السابقة التي وقف عليها، والتي تناولت بعض مفردات الموضوع من مفهوم الشعر وأنواعه، والأحكام المتعلقة بشعر الرأس وشعر الوجه، وكان دور الباحث قائمًا على تقديم مصنفًا مختصًّا بالأحكام المتعلقة بشعر الرأس والأحكام المتعلقة بشعر الوجه،

كما أن الباحث حاول الترجيح بين المسائل المختلف فيها ما بين الفقهاء، وحاول الباحث العرض لاهتمام فقه النوازل بكل المستجدات التي تطرأ على الفرد المسلم، ومن هذه المستجدات المسائل التي تتعلق بشعر الرأس وشعر الوجه.

ملخص البحث:

ستتناول دراسة هذا الموضوع تمهيدًا، وفصلين، وخاتمة، على النحو التالي:

التمهيد:

يضمُّ نبذة عن الشعر.

الفصل الأول: أحكام شعر الرأس وشعر الوجه في المذاهب الفقهية:

المبحث الأول: أحكام شعر الرأس:

المطلب الأول: حكم صباغة شعر الرأس.

المطلب الثاني: حكم وصل الشعر.

المطلب الثالث: حكم حلق شعر الرأس.

المبحث الثاني: أحكام شعر الوجه:

المطلب الأول: أحكام حلق شعر الشارب.

المطلب الثاني: أحكام حلق شعر اللحية.

المطلب الثالث: أحكام النمص (نتف شعر الوجه).

الفصل الثاني: أحكام شعر الرأس وشعر الوجه في فقه النوازل:

المبحث الأول: حكم استخدام العمليات التجميلية فيما يتعلق بشعر الرأس وشعر الوجه:

المطلب الأول: حكم زرع الشعر.

المطلب الثاني: حكم إزالة الشعر بالتقنيات الحديثة.

المطلب الثالث: حكم عمليات إزالة الشعر الأبيض في رأس الطفل.

---

1 لعبد الرحمن الجزيري، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، ط2 - 1424هـ/ 2003م.

2 للجنة إعداد المناهج بالجامعة، الجامعة الأمريكية المفتوحة.

المبحث الثاني: مسائل حديثة في شعر الرأس والوجه:

المطلب الأول: حكم القصات الحديثة للشعر.

المطلب الثاني: التسريحات الحديثة للشعر (الكوافير).

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج.

التمهيد

نبذة عن الشعر

مفهوم الشعر:

الشعر في اللغة: أورد ابن منظور تعريف الشعر في (لسان العرب)، قال: "والشَّعْر والشَّعَر مذكران: نبتة الجسم مما ليس بصوف ولا وبر للإنسان وغيره، وجمعه أشعار وشعور، والشعرة الواحدة من الشعر، وقد يكنى بالشعرة عن الجمع كما يكنى بالشيبة عن الجنس"[1]

أنواع الشعر:

للشعر أربعة أنواع، هي:

1- شعر الرأس.

2- شعر اللحية.

3- شعر الحاجبين.

4- شعر الأهداب.[2]

وخلاصة هذا الفصل أنه يساعدنا من الناحية النظرية في دراستنا التطبيقية المتعلقة بأحكام شعر الرأس وأحكام شعر الوجه، ومن هنا يستقي هذا الفصل أهميته، وبذلك يكون قد خلصنا من الجزء النظري في هذه الدراسة، ويبقى حديثنا عن الجزء التطبيقي الذي هو: أحكام شعر الرأس وأحكام شعر الوجه في الفقه الإسلامي، وهذا ما سيكون - بمشيئة الله - حديثنا في الفصلين التاليين.

1 لسان العرب (ش. ع. ر)، 4/ 410.

2 ينظر: شرح زاد المستقنع، محمد بن محمد المختار الشنقيطي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، رقم الدرس 366، (باب ديات الأعضاء ومنافعها)، ص1.

الفصل الأول

أحكام شعر الرأس وشعر الوجه في المذاهب الفقهية

المبحث الأول

أحكام شعر الرأس

المطلب الأول: حكم صباغة شعر الرأس:

جاء في معجم: (العين) معنى (الصبغ)، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: "صبغ: الصِّبْغُ والصِّباغ: ما يلون به الثياب. والصَّبغ مصدره، والصباغة حرفة الصباغ..... والمصبغ: المكان الذي يصبغ فيه، والمصدر المَصْبَغ أيضًا، يقال: صبغته مَصْبَغًا"[1]، إذا الصباغة تعني التغيير، وطالما كان التغيير في خلقة الله كان لا بد وأن يصير وفق مراد الله، وصباغة الشعر لها عدة مسائل، منها:

المسألة الأولى: صباغة الشعر بغير السواد:

تحرير محل الخلاف:

اتفق الفقهاء على إباحة صبغ الشعر بغير السواد أو عدم صبغه2، ولكنهم اختلفوا في الأفضلية لصباغة الشيب بغير السواد أو تركه على حالته؛ على قولين، هما:

القول الأول:

أفضلية خضاب الشيب بغير السواد، وبهذا القول قال الشافعية[3].

القول الثاني:

أفضلية عدم خضاب الشيب وتركه على حالته، وبهذا قال مالك[4]

أدلة القول الأول، القائل بـ (أفضلية خضاب الشيب بغير السواد):

الدليل الأول:

روي عن الحسن البصري أنه قال: نهى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الخضاب بالسواد، وقال إن الله ـ عز وجل ـ مبغض للشيخ الغربيب ألا لا تغيروا هذا الشيب، فإنه نور المسلم، فمن كان لا محالة فاعلًا فبالحناء والكتم[5]

وجه الاستدلال:

يبيح نص الحديث تغير الشيب بالخضاب والكتم، فإن التقييد من بعد النهي يدل على الإباحة.

1العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي/ إبراهيم السامرائي، ج4، ص374.

2الإقناع في مسائل الإجماع 2/ 299، مراتب الإجماع ص165.

3المجموع 1/ 345.

4الاستذكار 2/ 85.

5الحاوي 2/257.

الدليل الثاني:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم"[1]

وجه الاستدلال:

الحديث يبين أفضلية تغير الشيب؛ حتى تتم المخالفة لليهود والنصارى.

الدليل الثالث:

عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "إن أحسن ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكتم"[2]

وجه الاستدلال:

يدل الحديث على جواز أفضلية تخضيب الشيب بالحناء والكتم، وهذه الأفضلية من استحسان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الموجود في نص الحديث.

الدليل الرابع:

عن يحيى بن سعيد قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قال وكان جليسًا لهم، وكان أبيض اللحية والرأس، قال فغدا عليهم ذات يوم وقد حمرهما، قال فقال له القوم هذا أحسن، فقال إن أمي عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسلت إلى البارحة جاريتها نخيلة فأقسمت علي لأصبغن وأخبرتني أن أبا بكر الصديق كان يصبغ"[3]

وجه الاستدلال:

يدل الحديث على أفضلية تخضيب الشيب بغير السواد فقد ورد عن سيدنا أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، كما أن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها. تبين أفضليته من خلال قسمها المذكور في آنفًا.

الدليل الخامس:

عن ابن عباس قال: مر على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل قد خضب بالحناء فقال: (ما أحسن هذا)، ثم مر عليه آخر قد خضب بالحناء والكتم فقال: (ما أحسن من هذا)، قال: ثم مر عليه آخر قد خضب بصفرة قال: (هذا أحسن من هذا كله) وكان طاوس يصفر[4].[5]

وجه الاستدلال:

الاستحسان من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لفعل التخضيب بغير السواد هنا يدل على أفضلية تخضيب الشعر بغير السواد.

أدلة القول الثاني، القائل بـ(أفضلية عدم تخضيب الشيب):

1فقه السنة، السيد سابق، دار الفكر للطباعة والنشر ـ لبنان/ بيروت، ط5، 1391هـ/ 1971م، 1/ 35.

2فقه السنة، السيد سابق، دار الفكر للطباعة والنشر ـ لبنان/ بيروت، ط5، 1391هـ/ 1971م، 1/ 35.

3الموطأ، مالك بن أنس، ص263.

4إسناد ضعيف جدًا. فيه حميد بن وهب وهو منكر الحديث، ومحمد بن طلحة ليس بالقوي.

5المصنف، ابن أبي شيبة، تح: أبي محمد أسامة بن إبراهيم بن محمد، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 1429هـ/ 2008م، رقم 25488، 8/ 315.

الدليل الأول:

كان مالك بن أنس لا يخضب، فلما سئل عن تركه الخضاب، قال: بلغني أن عليًّا كان لا يخضب.[1]

وجه الاستدلال:

استخدم الإمام مالك القياس على علي ـ كرم الله وجهه ـ فلو كان للتخضيب أفضلية ما تركها سيدنا علي كرم الله وجهه ـ كرم الله وجهه ـ.

الدليل الثاني:

قال سفيان بن عيينة: كان عمرو بن دينار، وأبو الزبير، وابن أبي نجيح، لا يخضبون، وكان علي بن أبي طالب، والسائب بن يزيد، وجابر بن زيد، ومجاهد، وسعيد بن جبير، لا يخضبون، كلهم أبيض الرأس واللحية.[2]

وجه الاستدلال:

عدم تخضيب هؤلاء الأئمة يدل على أفضلية عدم تخضيب الشيب.

الخلاصة (الترجيح): الذي يترجح عند الباحث ـ والله أعلم ـ أن التخضيب بغير السواد يختلف باختلاف السن والعرف والعادة، وقد ورد هذا الرأي عند بعض المعاصرين من الفقهاء[3]؛ وهذا لقوة أدلة القولين ووجاهتها؛ وبذلك نرجع إلى السن والعرف والعادة في الترجيح.

المسألة الثانية: صباغة الشعر بالسواد:

تحرير محل الخلاف:

اختلف الفقهاء في جواز تخضيب الشعر بالسواد أو عدم جوازه، وكانوا على قولين، هما:

القول الأول:

جواز تخضيب الشعر بالسواد.

وبهذا القول قال نافع بن جبير، وأبو سلمة، ابن الحنفية.[4]

القول الثاني:

عدم جواز تخضيب الشعر بالسواد.

وبهذا قال عطاء[5] وسعيد بن جبير[6]، ومجاهد، وطاووس، ومكحول، والشعبي[7]

أدلة القول الأول، القائل بـ(جواز تخضيب الشعر بالسواد):

1ينظر: الاستذكار 27/ 86.

2ينظر: الاستذكار 27/ 86.

3ينظر: فقه السنة 1/ 35.

4ينظر: المصنف، 8/ 318-319.

5الاستذكار 27/ 89.

6الاستذكار 27/ 89.

7الاستذكار 27/ 90.

الدليل الأول:

عن قيس مولى خباب قال: دخلت على الحسن والحسين وهما يخضبان بالسواد[1]

وجه الاستدلال:

لو كان تخضيب الشعر بالسواد لا يجوز ما فعله الحسن والحسين.

الدليل الثاني:

عن عمرو بن عثمان قال: رأيت موسى بن طلحة يختضب بالوسمة[2]

وجه الاستدلال:

لو كان تخضيب الشعر بالسواد لا يجوز ما فعله موسى بن طلحة

الدليل الثالث:

عن عبد الأعلى قال: سألت ابن الحنفية عن الخضاب بالوسمة، فقال: هي خضابنا أهل البيت.[3]

وجه الاستدلال:

لو كان تخضيب الشعر بالسواد لا يجوز ما قال ابن الحنفية بنسبته إليهم آل البيت.

أدلة القول الثاني، القائل (عدم جواز تخضيب الشعر بالسواد**):**

الدليل الأول:

حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ، قال: "أتي بأبي قحافة والد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضًا، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (غيروا هذا واجتنبوا السواد)"[4]

وجه الاستدلال:

فالنهي في الحديث واضح من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ باجتناب السواد؛ أي التخضيب بالسواد.

الدليل الثاني:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة"[5]

وجه الاستدلال:

الفعل الذي يمنع من الجنة هو الفعل المحرم، إذًا فالتخضيب بالسواد غير جائز.

1المصنف، كتاب (اللباس)، رقم 25504، 8/ 318.

2المصنف، كتاب (اللباس)، رقم 25505، 8/ 318.

3المصنف، كتاب (اللباس)، رقم 25505، 8/ 319.

4المجموع 1/ 345.

5المجموع 1/ 345.

الدليل الثالث:

قال الحسن البصري: نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الخضاب بالسواد وقال: "إن الله ـ عز وجل ـ مبغض للشيخ الغربيب ألا لا تغيروا هذا الشيب، فإنه نور المسلم، فمن كان لا محالة فاعلًا فبالحناء والكتم"[1]

وجه الاستدلال:

الفعل الذي يجعل صاحبه مبغضًا من قبل الله فهو فعل غير جائز، وعلى ذلك يكون بنص الحديث تخضيب الشعر بالسواد غير جائز.

ملحوظة:

قد كره المالكية صباغة شيب الشعر بالسواد للرجل إن لم يلازم الصباغة غرض شرعي، وكره الحنفية صباغة الشعر بالسواد إن لم يلازم الصباغة غرض شرعي أيضًا، وقد كره الشافعية صباغة الشعر بالسواد، وقد كره الحنابلة صباغة الشعر بالسواد للرجل إن لم يلازم الصباغة غرض شرعي2

(الترجيح):

الذي يترجح عند الباحث ـ والله أعلم ـ القول الثاني القائل بعدم جواز تخضيب الشعر بالسواد إن لم يلازم الصباغة بالسواد غرض شرعي؛ حيث إن النصوص الدالة على عدم الجواز صريحة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأيضًا الصباغة بالسواد فيها نوع من التزوير والتدليس وهو أمر محرم شرعًا.

المطلب الثاني: حكم وصل الشعر:

تعريف وصل الشعر: جاء لدى ابن منظور في لسان العرب، "والواصلة من النساء: التي تصل شعرها بشعر غيرها، والمستوصلة: الطالبة لذلك وهي التي يفعل بها ذلك. وفي الحديث: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعن الواصلة والمستوصلة؛ قال أبو عبيد: هذا في الشعر وذلك أن تصل المرأة شعرها بشعر آخر زورًا"[3].

تحرير محل الخلاف:

اتفق الفقهاء بأن وصل المرأة شعرها بغرض التدليس حرام، أما وصل المرأة شعرها بغرض الزينة لزوجها، ففيه قولان، هما:

القول الأول:

تحريم وصل الشعر على العموم حتى وإن كان للزينة.

وبهذا القول قال الحنابلة[4]

القول الثاني:

إباحة وصل المرأة شعرها بغرض الزينة لزوجها.

وبهذا القول قال الشافعية[1]

1الحاوي 2/ 257.

2ينظر: الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، 2/ 45.

3لسان العرب، مادة (و. ص. ل)، 11/ 727.

4ينظر: الحاوي 2/ 257.

أدلة القول الأول، القائل بـ (تحريم وصل الشعر على العموم حتى وإن كان للزينة):

الدليل الأول:

عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان عام حج، وهو على المنبر، وهو يقول ـ وتناول قصة من شعر كانت بيد حرسي: أين علماؤكم؟! سمعت رسول لله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينهى عن مثل هذه، ويقول: إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم.[2]

وجه الاستدلال:

الرواية تبين حرمة وصل الشعر عمومًا دون استثناء، وهذا يبين من التقريع والتوبيخ في هذا الحديث.

الدليل الثاني:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "لعن الله الواصلة، والمستوصلة، والواشمة، والمستوشمة.[3]

وجه الاستدلال:

اللعن يعنى الطرد من رحمة الله، وهو لا يكون إلا في أمر محرم شرعًا، فدل ذلك على تحريم وصل الشعر. والنهي عام دون تقييد.

الدليل الثالث:

عن عائشة ـ رضي الله عنه ـ أن جارية من الأنصار تزوجت، وأنها مرضت فتمعط شعرها، فأرادوا أن يصلوها، فسألوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: "لعن الله الواصلة، والمستوصلة"[4]

وجه الاستدلال:

اللعن يعنى الطرد من رحمة الله، وهو لا يكون إلا في أمر محرم شرعًا، فدل ذلك على تحريم وصل الشعر. والنهي عام دون تقييد، كما أن طلب الوصل هنا كان لمرض وللتزيين للزوج، وكان الوصل محرمًا أيضًا، إذًا الوصل حرام سواء كان لمعذور أو عروس أو غيرهما.

الدليل الرابع:

عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ أن امرأة قدمت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت: إني أنكحت ابنتي، ثم أصابها شكوى، فتمرق رأسها، وزوجها يستحثني بها، أفأصل رأسها؟ فسب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الواصلة، والمستوصلة[5]

1ينظر: الحاوي 2/ 256.

2رواه البخاري 7/ 480 رقم 5936، في كتاب (اللباس)، باب (الوصل في الشعر).

3رواه البخاري 7/ 480 رقم 5937، في كتاب (اللباس)، باب (الوصل في الشعر).

4رواه البخاري 7/ 480- 481 رقم 5938، في كتاب (اللباس)، باب (الوصل في الشعر).

5رواه البخاري 7/ 481 رقم 5940، في كتاب (اللباس)، باب (الوصل في الشعر).

وجه الاستدلال:

بالرغم أن طلب الوصل هنا كان لمرض وللتزيين للزوج، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يسب هذا الفعل، وطالما أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سب هذا الفعل إذا هو فعل محرم.

الدليل الخامس:

عن سعيد بن المسيب، قال: قدم معاوية المدينة فخطبنا وأخرج كبة من شعر، قال: ما كنت أرى أن أحدًا يفعله إلا اليهود، إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلغه فسماه الزور.[1]

وجه الاستدلال:

أن الوصل من قبيل التزوير والتدليس، والتزوير والتدليس حرام شرعًا.

أدلة القول الثاني، القائل بـ(إباحة وصل المرأة شعرها بغرض الزينة لزوجها):

الدليل الأول:

قال صاحب (الحاوي): المرأة مأمورة بأخذ الزينة لزوجها من الكحل والخضاب ألا ترى إلى ما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (لعن الله السلتاء والمهراء) .... يريد من فعلت ذلك كراهة لزوجها، فأمرها بذلك زينة له فكذلك صلة الشعر لاجتماع ذلك في الزينة.[2]

وجه الاستدلال:

استخدام القياس ما بين التخضيب والتكحيل كزينة للمرأة وما بين وصل الشعر كنوع من زينة المرأة للرجل، فكما أن التخضيب والتكحيل مباحان للمرأة بغرض الزينة لزوجها، فوصل المرأة شعرها بغرض الزينة لزوجها أمر مباح أيضًا.

الخلاصة (الترجيح):

الذي يترجح عند الباحث ـ والله أعلم ـ هو القول الأول القائل (تحريم وصل الشعر على العموم حتى وإن كان للزينة) لما ورد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أحاديث تبين مطلق التحريم، وعدم وجود قرائن للتقييد، كما أن الوصل لم يبح للمضطر؛ من زينة المرأة لزوجها وهذا عذر، وبذلك تكون حرمته عامة مطلقة.

ملحوظة: ميز أبو زيد القرواني ما بين وصل شعر المرأة بالصوف أو وصل شعر المرأة بالشعر، وهنا حكمان؛ إن وصل شعر المرأة بشعر، فهذا مكروه، وإن وصل شعرها بصوف فمباح.[3]

1صحيح مسلم بشرح النووي، 14/ 154- 155، رقم 123، كتاب (اللباس والزينة).

2الحاوي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض ـ عادل أحمد عبد الجواد، دار الكتب العلمية ـ بيروت / لبنان، 2/ 256- 257.

3 ينظر: الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، ص207.

المطلب الثالث: حكم حلق شعر الرأس:

التعريف بالحلق:

أورد الدكتور أحمد مختار عمر في (معجم اللغة العربية المعاصرة) تعريف الحلق، قال: "حلق: يحلِق، حَلْقًا وحِلاقة، فهو حالق، والمفعول محلوق وحليق. حلق رأسه ونحوه: أزال الشعر أو قسمًا منه (حلق ذقنه/ شاربه). (ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله)"[1] إذا الحلق نوع من التعامل مع خلقة الله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ حيث إن الشعر هبة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ للإنسان، وعلى الإنسان ألا يتصرف فيه إلا بما يوافق شرع الله سبحانه وتعالى، ومن هنا كان لحلق الشعر ـ الذي هو هبة من الله ـ فقه ينظم حركة الإنسان مع حلق هذا الشعر.

وحلق شعر الرأس ينقسم إلى نوعين بحسب جنس المفعول به الحلق؛ فإما المحلوق له ذكرًا أو أنثى، والحلق في هذه الحالة له تفصيل على النحو التالي:

اتفق الفقهاء على إباحة حلق شعر الرأس للرجل في غير وقت الإحرام[2]، واختلفوا في حلق شعر رأس المرأة على أقوال، هي:

القول الأول:

كراهة حلق المرأة شعر رأسها، وبهذا قال الحنابلة[3]، والمالكية[4]

أدلة القول الأول، القائل بـ(كراهة حلق المرأة لشعر رأسها دون ضرورة):

الدليل الأول:

قال أبو موسى: "برئ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الصالقة والحالقة"[5]

وجه الاستدلال:

براءة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الصالقة والحالقة تعني كراهة فعل الصلق والحلق للمرأة.

الدليل الثاني:

عن عكرمة قال: "نهى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تحلق المرأة رأسها"[6]

وجه الاستدلال:

نهي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هنا للكراهة.

أما إن كان الحلق لضرورة فجائز لدى الحنابلة.[1]

1معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب، ط1 ـ 1429هـ/ 2008م، مادة (ح.ل. ق)، ص545.

2ينظر: حاشية كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط2 ـ 1424هـ/ 2003م، ج2، ص44- 45.

3المغني (فصل حلق شعر المرأة) 1/ 104.

4البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، القرطبي، تح: الدكتور محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط2، 1408هـ/ 1988م، 9/ 371.

5المغني (فصل حلق شعر المرأة) 1/ 104.

6المغني (فصل حلق شعر المرأة) 1/ 104.

القول الثاني:

حرمة حلق المرأة شعر رأسها دون ضرورة، وبهذا قال الحنفية[2] وقول آخر للمالكية[3]

أدلة القول الثاني، القائل بـ(حرمة حلق المرأة لشعر رأسها دون ضرورة):

الدليل الأول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لعن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال[4]

وجه الاستدلال:

لا يحل أن تتمثل المرأة بالرجل، لأن الله لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال، وطالما كان الحلق به تشبهًا بالرجال فإذا هو حرام شرعًا.

الدليل الثاني:

دليل عقلي: يجب على المرأة ترك ما فيه الجمال من الشعر، فيحرم عليها إزالة شعر الرأس.[5]

وجه الاستدلال:

إن شعر الرأس موطن جمال للمرأة فلا يجوز أن تحلقه نظرًا لأنه يسبب تغير خلقتها الجميلة.

أما إن كان هناك ضرورة لحلق شعر الرأس للمرأة فلا بئس أن تحلقه، جاء في (الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ): "قال مالك في المرأة: تحج فتدخل مكة وقد قمّل رأسها فأذاها ذلك. أفترى لها سعة أن تحلقه؟ قال: أرجوا أن يكون خفيفًا لها في ذلك سعة على هذه الضرورة، والنساء يأتين يستفتين في ذلك كثيرًا"[6].

الخلاصة:

الذي يترجح للباحث ـ والله أعلم ـ كراهة حلق شعر المرأة بدون ضرورة، أما إن وجدت ضرورة فإن الحلق يكون مباحًا؛ وهذا لقوة أدلة القول الأول ووجاهتها.

1ينظرك المعني 1/ 104.

2الفقه على المذاهب الأربعة 2/ 44.

3الفقه على المذاهب الأربعة 2/ 45.

4عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، قام بتنسيقه وفهرسته: أسامة بن الزهراء، ملفات ورد من ملتقى أهل الحديث، 1427هـ، 32/ 53.

5ينظر: الفقه على المذاهب الأربعة 2/ 45.

6الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، ص207.

المبحث الثاني

أحكام شعر الوجه

المطلب الأول: أحكام حلق شعر الشارب:

عرف ابن منظور الشارب بأنه: "والشاربان: ما سال على الفم من الشعر؛ وقيل إنما هو الشارب، والتثنية خطأ. والشاربان: ما طال من ناحية السبلة، وبعضهم يسمي السبلة كلها شاربًا واحدًا، وليس بصواب، والجمع شوارب..."[1].

تحرير محل الخلاف:

اتفق الفقهاء بأن حلق الشارب سنة[2]، لكنهم اختلفوا في مقدار الحلق؛ على أقوال، هي:

القول الأول:

عدم المبالغة في قص الشارب؛ حيث يكون القص عبارة عن قص طرف الشعر المستدير النازل على الشفة العليا.

وبهذا القول قال المالكية[3].

القول الثاني:

المبالغة في قص الشارب واستئصاله حتى يظهر ما تحته.

وبهذا قال الحنفية[4]، والشافعية[5]، والحنابلة[6]

أدلة القول الأول: القائل (بعدم المبالغة في حلق الشارب):

الدليل الأول:

عن زيد بن أرقم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "من لم يأخذ من شاربه شيئًا فليس منا"[7]

وجه الاستدلال: ينص الحديث الشريف على أن حلق الشارب يكون بأخذ شيئًا منه، وليس باستئصاله أو أخذه كله.

الدليل الثاني:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ رواية "الفطرة خمس ـ أو خمس من الفطرة ـ: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب"[8]

1لسان العرب، مادة (ش. ر. ب)، 1/ 491.

2ينظر: مراتب الإجماع ص157، الإقناع في مسائل الإجماع 2/ 298،

3الاستذكار 27/ 60.

4نخب الأفكار، في تنقيح مباني الأخبار 13/ 167.

5الاستذكار 27/ 62.

6الفقه على المذاهب الأربعة 2/ 45.

7أخرجه الترمذي في الأدب (2761).

8صحيح البخاري باب (قص الشارب) 7/ 464.

وجه الاستدلال:

استعمال لفظة قصَّ التي تعني القطع وليس الاستئصال، جاء في لسان العرب: "قصّ الشعر والصوف والظفر يقصُّه قصًّا وقصّصه وقصاه على التحويل: قطعه، وقصاصة الشعر: ما قص منه..."[1]

الدليل الثالث:

عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "من الفطرة حلق العانة، وتقليم الأظفار، وقص الشارب"[2]

وجه الاستدلال:

الاستعمال للفظة (قص) التي تعني القطع وليس الاستئصال.

الدليل الرابع:

قص النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ شارب المغيرة بن المغيرة على سواك، قال المغيرة بن شعبة "ضفت عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ذات ليلة، فأمر لي بجنب فشوي، وأخذ من شاربي على سواك."[3]

وجه الاستدلال:

لو كان المراد استئصال الشارب لما وضع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ السواك حتى يقطع ما زاد عليه.

أدلة القول الثاني:

القائل باستئصال الشارب أو المبالغة في حلقه.

الدليل الأول:

عن ابن عمر أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ "أمر بإحفاء الشوارب وإعفاء اللحى"[4]

وجه الاستدلال:

اعتمدوا على المعنى اللغوي للإحفاء الذي هو الاستئصال والاستقصاء، قال ابن منظور في (لسان العرب): "وحفا شاربه حفوًا وأحفاه: بالغ في أخذه وألزق حزه ..... الأصمعي: أحفى شاربه ورأسه إذا ألزق حزه..... وكل شيء استؤصل فقد احتفي ..... الجوهري: الحفي العالم الذي يتعلم الشيء باستقصاء، والحفي المستقصي في السؤال."[5]

الدليل الثاني:

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "أحفوا الشوارب، وأعفوا اللحى"[6]

1لسان العرب مادة (ق. ص. ص)، 7/ 73.

2صحيح البخاري باب (تقليم الأظفار) 7/ 465.

3التمهيد 24/ 144، والنسائي في الوليمة من سننه الكبرى على ما في تحفة الأشراف (8/ 492).

4الاستذكار 63/27.

5لسان العرب مادة (ح، ف. ي)، 14/ 187- 188.

6التمهيد 24/ 143، مصنف ابن أبي شيبة 8/ 564.

وجه الاستدلال:

الإحفاء في اللغة الاستئصال بالحلق.

الدليل الثالث:

ورووا عن عبد الله بن عمر، أنه كان يحفي شاربه حتى كأنه ينتفه[1] وقال بعضهم في حديث ابن عمر هذا: "حتى يرى بياض الجلد"[2]

وجه الاستدلال:

بيان استئصال شعر الشارب حتى بان ما تحته من جلد، وكأنه نتف الشعر.

(الترجيح):

الذي يترجح للباحث ـ والله أعلم ـ هو القول الأول الذي يقول بعدم المبالغة في حلق الشارب لما بان من قصة حلق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لشارب المغيرة بن المغيرة على سواك، ثم أن الإحفاء الذي قال به أصحاب القول الثاني أن يكون للشارب، والشارب كما بينا آنفًا وكما قال جماعة من المتأخرين: "الشارب لا يقع إلا على ما يباشر به شرب الماء من الشفة، وهو الإطار، فذلك الذي يحفى."[3]، وقد يحمل الإحفاء على القص وقد يحمل على ما طال من الشارب عن الشفتين، وذكر ابن وهب، عن الليث، قال: لا أحب لأحد أن يحلق شاربه ولكن يقصره على طرف الشارب، وأكره أن يكون طويل الشاربين.[4]، ثم أن استئصال الشارب به نوع من التشبه بالنساء.

المطلب الثاني: أحكام حلق شعر اللحية:

اللحية، كما جاءت في (لسان العرب) لابن منظور، قال: "اللحية: اسم يجمع من الشعر ما نبت على الخدين والذقن والجمع لِحى ولُحى، بالضم، ..... ورجل ألحى ولحياني: طويل اللحية .... والتحى الرجل: صار ذا لحية.... واللحي: الذي ينبت عليه العارض..."[5]

تحرير محل الخلاف:

اتفق الفقهاء بأن حلق جميع اللحية مثلة لا تجوز.[6]، لكنهم اختلفوا في ترك اللحية على حالها وعدم تركها؛ على قولين، هما:

القول الأول:

ترك اللحية على حالها وعدم الأخذ منها.

وبهذا القول، قال الشافعي وأصحابه [7].

1الاستذكار 64/27.

2الاستذكار 64/27.

3الاستذكار 62/27.

4الاستذكار 62/27.

5لسان العرب، مادة (ل. ح. ي)، 15/ 243.

6ينظر: مراتب الإجماع ص157، الإقناع في مسائل الإجماع 2/ 299.

7طرح التثريب 2/ 83.

القول الثاني:

جواز الأخذ من طول اللحية.

وبهذا القول، قال مالك[1]، والحنفية[2]، والحنابلة[3]

أدلة القول الأول: القائل بـ(ترك اللحية على حالها وعدم الأخذ منها).

الدليل الأول:

أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، قال: "أحفوا الشوارب واعفوا اللحى"[4]

وجه الاستدلال:

الأخذ بظاهر الأمر؛ حيث جاء (اعفوا) مطلقًا، والأعفاء بالمد، فعليه أن يتركها عافية.

الدليل الثاني:

اعتماد الحديث الصحيح "اعفوا اللحى"[5]، وأما ما ورد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه (كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها) فرواه الترمذي بإسناد ضعيف لا يحتج به.[6]

وجه الاستدلال:

الاعتماد على صحة الحديث الذي قال بالإعفاء المطلق، وضعف الحديث الذي قال بالأخذ من اللحية.

الدليل الثالث:

أن حديث (اعفوا اللحى) له رواية (ارجوا اللحى) من الترك؛ أي "ترك اللحية على حالها وألا يقطع منها شيء"[7]

وجه الاستدلال:

الاعتماد على المعنى اللغوي لـ (ارجوا)؛ حيث إنها تعني الترك والتأخير.

أدلة القول الثاني: القائل بـ(جواز الأخذ من طول اللحية):

الدليل الأول:

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها[8]

وجه الاستدلال:

تبين الرواية بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأخذ من لحيته.

1الاستذكار 27/ 65.

2ينظر: الفقه على المذاهب الأربعة 2/ 44.

3ينظر: الفقه على المذاهب الأربعة، 2/ 45.

4المجموع 1/ 340.

5المجموع 1/ 340.

6ينظر: المجموع 1/ 243.

7طرح التثريب 2/ 83.

8عن الترمذي في كتاب الأدب (الاستئذان)، ح (2762)، باب (ما جاء في قص الشارب)، الاستذكار 27/ 65.

الدليل الثاني:

روى عبيد الله بن عمر، عن نافع، أن ابن عمر كان إذا قصر من لحيته في حج أو عمرة، يقبض عليها، ويأخذ من طرفها ما خرج من القبضة[1]

وجه الاستدلال:

تبين الرواية بأن ابن عمرو ـ رضي الله عنه ـ كان يأخذ من لحيته.

الدليل الثالث:

قال أبو عمر: قد صح عن ابن عمر ما ذكرناه عنه في الأخذ من اللحية، وهو الذي روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه أمر بإحفاء الشوارب وإعفاء اللحى وهو أعلم بما روى[2]

وجه الاستدلال:

طالما أن ابن عمر هو من روى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إعفاء اللحى، وصح أنه (ابن عمر) أخذ من لحيته إذًا يجوز الأخذ من اللحية؛ حيث إن راوي الحديث أخذ من لحيته.

الدليل الرابع:

قال النخعي: عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته، فيجعلها بين لحيتين؟! فإن التوسط في كل شيء حسن[3]

وجه الاستدلال:

الرواية تبين الأخذ من اللحية؛ حيث إن التوسط يتطلب هذا الأخذ.

الدليل الخامس:

روى ابن أبي شيبة في مصنفه: عن عبد الرحمن بن مهدي، عن زمعة، عن ابن طاوس، عن سماك بن يزيد قال: "كان علي ـ رضي الله عنه ـ يأخذ من لحيته مما يلي وجهه"[4]

وجه الاستدلال:

الرواية تبين الأخذ من اللحية؛ حيث إن سيدنا علي ـ كرم الله وجهه ـ كان يأخذ من لحيته.

(الترجيح):

الذي يترجح عند الباحث ـ والله أعلم ـ هو القول الثاني القائل (جواز الأخذ من طول اللحية) لما ورد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه أخذ من لحيته، كما ورد عن راوي حديث (اعفوا اللحى) ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يأخذ من لحيته، كما أن القول الأول القائل بـ(ترك اللحية على حالها وعدم الأخذ منها) اعتمد على إطلاق لفظ (اعفوا) ولم يلتفت إلى الروايات التي ورد فيها الأخذ.

1الاستذكار 27/ 65.

2ينظر: التمهيد 24/ 145، الاستذكار 27/ 66.

3نخب الأفكار 13/ 179.

4نخب الأفكار 13/ 179.

المطلب الثالث: أحكام النمص (نتف شعر الوجه):

النمص لغة:

ورد في لسان العرب: "النمص: نتف الشعر، ونمص شعره ينمصه نمصًا: نتفه، والمشط ينمص الشعر ..... وتنمَّصت المرأة: أخذت شعر جبينها بخيط لتنتفه .. والنامصة التي تنتف الشعر من الوجه، ومنه قيل للمنقاش منماص لأنه ينتفه به، والمتنمصة: هي التي تفعل ذلك بنفسها .. وامرأة نمصاء تنتمص أي تأمر نامصة فتنمص شعر وجهها نمصًا أي تأخذه عنه بخيط..."[1].

النمص اصطلاحًا:

قال صاحب (إرشاد الساري): "المتنمصات بالصاد المهملة جمع متنمصة، قال القاضي عياض: النامصة التي تنتف الشعر من وجهها ووجه غيرها والمتنمصة التي تطلب أن يفعل بها ذلك والنماص إزالة شعر الوجه بالمنقاش، ويسمى المنقاش منماصًا."[2] إذا النمص إزالة شعر الوجه دون الاقتصار على شعر الحاجب.

حكم النمص:

تحرير محل الخلاف:

اتفق الفقهاء بأن نتف شعر الوجه (النمص) حرام شرعًا[3]، لما ورد من أدلة شرعية في الكتاب والسنة توضح هذا التحريم، ومن هذه الأدلة:

1- من القرآن الكريم، قوله تعالى:

{إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ }4.

وجه الاستدلال من الآية:

ذكر بعض المفسرين أن المقصود بتغير خلق الله في الآية هو الوشم والنمص والتفليج . فيدخل في ذلك فعل كل ما نهى الله عنه5.

2- من السنة النبوية:

(عن علقمة قال: لعن عبد الله الواشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فقالت أم يعقوب: ما هذا؟ قال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله، وفي كتاب الله! قالت: والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته،

قال: والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"[6])[7]

1لسان العرب مادة (ن. م. ص) 7/ 101 - 102.

2إرشاد الساري، أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني، ضبطه وصححه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، ط1، 1416هـ/ 1996م، 12/ 615.

3 ينظر: المغني (1/ 107)، والبحر الرائق (6/ 88)، والحاوي (2/ 594).

(4) سورة النساء من الآية: 117 - 119

5ينظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، 1997م، (316/3).

6الحشر: 7.

7رواه البخاري 7/ 482- 483 رقم 5943، في كتاب (اللباس)، باب (المتنمصات).

وجه الاستدلال من الحديث:

اللعن يعنى الطرد من رحمة الله، وهو لا يكون إلا في أمر محرم شرعًا، فدل ذلك على تحريم النمص. والنهي عام في الرجال والنساء، بل في الرجال أشد.

وهناك رأي للحنابلة يجوز أخذ شيئًا من شعر الحاجب، ورد عنهم: "ولا يكره أخذ شيء من شعر عارضه وحاجبيه"[1]

الفصل الثاني

أحكام شعر الرأس وشعر الوجه في فقه النوازل

المبحث الأول

حكم استخدام العمليات التجميلية فيما يتعلق بشعر الرأس وشعر الوجه

المطلب الأول: حكم زرع الشعر:

أسباب الزراعة، ومواضعها:

زرع الشعر إما أن يكون لشعر الرأس لمن أصابه صلع أو لشعر الوجه لمن سقط شعر حاجبيه أو أهدابه أو شعر اللحية أو شعر الشارب.

زراعة الشعر من الناحية الطبية:

يزرع الشعر من خلال عملية جراحية، وهذه العملية لها عدة مراحل كما ذكرها الدكتور سعد بن تركي الخثلان، وهذه المراحل، هي:

1- تجرى العملية تحت التخدير الموضعي بحيث لا يحس المريض بأي ألم، وفي الوقت نفسه يكون واعيًا بما يجري حوله.

2- يتم تحديد المنطقة المانحة (التي يؤخذ منها الشعر) خلف الرأس، وعادة ما تكون بعرض 1سم وطول 15 سم.

3- تستأصل شريحة من مؤخرة حس فروة الرأس بحيث تحتوي على كمية وافرة من بصيلات الشعر.

4- تقفل فروة الرأس باستخدام خيوط أو دبابيس جراحية وتلتئم بسرعة، ويختفي أثر العملية بعد عدة أشهر.

5- تقطع الشريحة إلى قطع صغيرة، ثم إلى بصيلات شعر عديدة.

6- يتم إحداث عدة ثقوب صغيرة جدًّا باستخدام إبرة رفيعة في المنطقة التي يحددها الجراح لزراعة الشعر في مقدم الرأس وأعلاه.

7- تزرع بصيلات الشعر في المناطق المحددة بطريقة متفرقة بحيث تعطي منظرًا طبيعيًّا عند نموها، كما تسمح الفراغات التي بين بصيلات الشعر بوصول الدم إليها.

8- تستغرق العملية عدة ساعات بناء على عدد بصيلات الشعر المطلوبة.

1الفقه على المذاهب الأربعة، 2/ 44.

9- يذهب المريض إلى البيت في اليوم نفسه.

10- يتساقط الشعر المزروع خلال ثلاثة أسابيع أو أربعة، لكنه يبدأ دورة نمو جديدة ليظهر بعد مدة (12 - 16 أسبوعًا) من عملية الزراعة.

وللحصول على نتائج يمكن تكرار الجلسات (2- 5 جلسات) لملء الفراغات التي بين بصيلات الشعر.[1]

تحرير محل الخلاف:

اختلف العلماء المعاصرون في زراعة الشعر على قولين، هما:

القول الأول:

جواز زراعة الشعر، وبهذا القول قال محمد بن صالح بن عثيمين[2]، حسام الدين بن موسى عفانة[3]، ومركز الفتوى بإشراف الدكتور عبد الله الفقيه[4].

القول الثاني:

تحريم زراعة الشعر، وبهذا القول قال ابن جبرين[5]

أدلة القول الأول، القائل بـ(جواز زراعة الشعر).

الدليل الأول:

قصة الثلاثة من بني إسرائيل، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ:: أنه سمع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: "إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ؛ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَونًا حَسَنًا. فَقَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: الإِبلُ ـ أَوْ قالَ: البَقَرُ شكَّ الرَّاوي ـ فَأُعطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. فَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ؛ فَمَسَحَهُ فَذَهبَ عَنْهُ وأُعْطِيَ شَعرًا حَسَنًا. قالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي (1) فَأُبْصِرُ النَّاسَ؛ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرهُ. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً والدًا، فَأَنْتَجَ هذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكانَ لِهذَا وَادٍ مِنَ الإِبلِ، وَلِهذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ،

1 أحكام زراعة الشعر وإزالته، سعد بن تركي الخثلان، ص5- 6.

2 فتاوى إسلامية، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ محمد صالح بن عثيمين ـ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، تح: محمد بن عبد العزيز المسند، 4/ 545.

3 فتاوى يسألونك، حسام الدين بن موسى عفانة، مصدر الكتاب: موقع الشيخ على الإنترنت، 2/ 178.

4 فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة، مركز الفتوى بإشراف الدكتور عبد الله الفقيه، رقم الفتوى 59015، تاريخ الفتوى 6 محرم 1426هـ، 8/ 7482.

5 شرح أخصر المختصرات، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين، دروس صوتية مفرغة قام بتفريغها موقع الشيكة الإسلامية (http://www.islamweb)، درس 88، ص19.

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064

وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى ....."[1]

وجه الاستدلال:

أن الملك مسح على رأس الأصلع بغرض استنبات الشعر الحسن، ولو كان هذا حرامًا ما فعله الملك، ومن هنا جاز السعي لطلب الشعر الحسن.

الدليل الثاني:

زراعة الشعر ليست من باب تغيير خلق الله أو طلب التجمل والحسن زيادة على ما خلق الله ولكنه يعد من باب رد ما خلق الله ـ عز وجل ـ ويعد من باب إزالة العيب، وطالما كان هذا الهدف من زراعة الشعر إذا فإن قواعد الشريعة لا تمنع منه.[2]

وجه الاستدلال:

النظر إلى الهدف الذي من أجله كانت زراعة الشعر، فلما كان الهدف رد خلق الله وإزالة العيب فإنه أمر جائز.

الدليل الثالث:

أن الصلع والقرع يعتبر عيبًا في الإنسان يجد من أصيب به الألم النفسي والازدراء من الناس، وفي قصة الأبرص والأقرع والأعمى لما سئل الأقرع: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، وزراعة الشعر هي من باب علاج هذا العيب، وقد دلت الأدلة الكثيرة على جواز العلاج والتداوي من الأمراض والعيوب التي تقع للإنسان، قال النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لحديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ (في لعن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للواشمات والمستوشمات .....): أما قوله: (المتفلجات للحسن) فمعناه يفعلن ذلك طلبًا للحسن، وفيه إشارة إلى أن الحرام هو المفعول لطلب الحسن، أما لو احتاجت إليه لعلاج أو عيب في السن ونحوه فلا بأس.[3]

وجه الاستدلال:

التفرقة من خلال الهدف من محاولة التجميل؛ فهي إما لطلب زيادة الحسن أو هي نظرًا لحاجة دفع العيب، وزراعة الشعر طالما كان هدفها الحاجة؛ أي حاجة دفع العيب وعلاجه، فهي جائزة، ولا يشملها النهي والتحريم.

الدليل الرابع:

أن عجرمة بن أسعد قطع أنفه يوم الكُلاب فاتخذ أنفا من وَرِق فأنْتَنَ عليه، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذ أنفا من ذهب.[4]

وجه الاستدلال:

أن زراعة الشعر طالما كانت لرد خلقة الله إلى أصلها، فهو جائز، قياسًا على اتخاذ عجرمة بن أسعد أنفًا من ورق فلما أنت عليه أمره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاتخذ أنفًا من ذهب.

---

1 رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، ط1، 1428 هـ - 2007 م، ص 40.

2 ينظر: أحكام زراعة الشعر وإزالته، سعد بن تركي الخثلان، ص6.

3 ينظر: أحكام زراعة الشعر وإزالته، سعد بن تركي الخثلان، ص6.

4 فتاوى الشبكة الإسلامية، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064

أدلة القول الثاني، القائل بـ(تحريم زراعة الشعر).

الدليل الأول:

ورد في مسند الإمام أحمد عن عبد الله، قَالَ: "لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُتَوَشِّمَاتِ ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، قَالَ: فَبَلَغَ امْرَأَةً فِي الْبَيْتِ، يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: بَلَغَنِي أَنَّكَ قُلْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ ؟ فَقَالَ: مَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَتْ: إِنِّي لَأَقْرَأُ مَا بَيْنَ لَوْحَيْهِ، فَمَا وَجَدْتُهُ، فَقَالَ: " إِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ، فَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: (ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا[1])"[2]

وجه الاستدلال:

اعتبروا أن زراعة الشعر تدخل في الوصل، وطالما كان الوصل محرمًا، فالزراعة ـ أيضًا ـ محرمة، والتحريم من اللعن؛ حيث إن اللعن لا يكون إلا على كبيرة.

الدليل الثاني:

اعتبار الزراعة نوعًا من الغش والتدليس.

وجه الاستدلال:

الغش والتدليس والتزوير حرام شرعًا.

الترجيح:

الذي يترجح عند الباحث ـ والله أعلم ـ القول الأول الذي يقول بجواز زراعة الشعر لقوة أدلتهم، كما أن دليل القول الثاني الذي يحرم الزراعة لأنها تدخل في الوصل قد أسقطه الدكتور سعد بن تركي الخثلان عندما فرق ما بين زراعة الشعر والوصل[3].

---

1 الحشر: 7.

2 مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد - وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م، 7/ 197.

3 أورد الدكتور الخثلان في (أحكام زراعة الشعر) ص6 - 8 أبرز وجوه الفرق ما بين زراعة الشعر وبين الوصل، وهذه الفروق، هي (في الوصل يضاف إلى الشعر شيء آخر غير الشعر الأول وهذا المضاف إما أن يكون شعرًا أو غيره، وفي زراعة الشعر المضاف هو الشعر نفسه مع جزء من الجلد يحوي بصيلات الشعر، وغاية ما هنا لك أن الشعر ينقل من مؤخر الرأس إلى مقدمه أو إلى الموضع الذي يراد زراعة الشعر فيه. تكون الإضافة في الوصل من شخص "أو شيء" آخر، أما في زراعة الشعر فإن الشعر المزروع يكون من الشخص نفسه غالبًا. أن الشيء المضاف (الشعر أو غيره) يوصل ويربط بالشعر الأول؛ ولذا سمي وصلًا، فالشعر الموصول يضاف ويشد إليه ليكثر بالإضافة، وأما زراعة الشعر فإنها تختلف عن ذلك، فإن الشعر المزروع يغرس في فروة الرأس ـ أو في الموضع الذي يراد زراعته فيه ـ مباشرة، وليس بينه وبين الشعر الأول اتصال، إذ تكون الزراعة في منطقة خالية أو شبه خالية من الشعر ـ غالبًا. أن الهدف من وصل الشعر: تكثير الشعر الأصلي وتطويله وإظهاره كما لو كان غزيرًا، لكنه لا ينمو ولا يزيد في طوله وكثافته، أما في زراعة الشعر فإن الشعر الذي ينشأ عن البصيلات المزروعة ينمو وتزيد كثافته ويمكن قصه وحلقه، فهو إعادة للرأس إلى خلقته الأصلية وليس مجرد إيحاء كاذب بكثرة الشعر كما في الوصل. أن المقصود في الوصل هو الشعر الموصول نفسه، فهو الذي سيظهر على الرأس، أما في زراعة الشعر فالمقصود هو بصيلات الشعر الموجودة في شريحة الجلد، أما الشعر المزروع نفسه فإنه يتساقط بعد عدة أسابيع، وبعد ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر ينمو الشعر الجديد

المطلب الثاني: حكم إزالة الشعر بالتقنيات الحديثة:

إن إزالة الشعر بالتقنيات الحديثة يكون "بانتزاع بانتزاع الشعر من جذوره بواسطة الكهرباء أو (الإلكتروليسيز)".1، وقد عرض الدكتور سعد بن تركي الثخلان للتقنيات التي تستخدم في إزالة الشعر، قال:

1- التحليل الكهربائي:

يقوم المبدأ الأساسي لهذه الطريقة على إدخال تيار كهربائي عبر قناة الشعرة لحرق الجذر، فلا تنمو الشعرة بعد ذلك، ويتم ذلك عن طريق توصيل إبرة بتيار كهربائي ثم غرسها في بصيلة الشعر فإذا وصل التيار في البصيلة أضعفها، ومع تكرار هذا الإجراء فإن البصيلة لا تصبح قادرة على النمو أي أن هذه الطريقة تقضي على البصيلة المستهدفة نهائيًّا وتسهم في إزالة الشعر بشكل دائم.

2- إزالة الشعر بالليزر:

يقوم الليزر بتوليد حزمة قوية مركزة من الضوء يتم توجيهها بشكلٍ دقيق إلى هدف معين بحيث تكون قادرة على إحداث آثار مختلفة، وفي إزالة الشعر يتم تسليط ضوء الليزر على الجلد الذي يحوي بصيلات الشعر، فنقوم الخلايا الصبغية (الميلانين) في البصيلات بامتصاص الضوء وتحويله إلى حرارة مما ينتج عنه تلف البصيلة، ورغم ذلك فإن إزالة الشعر بالليزر ليست دائمة وإنما هي طويلة الأمد.

3- إزالة الشعر بالضوء:

لا تختلف طريقة إزالة الشعر بالضوء كثيرًا عن طريقة إزالته بالليزر، إذ تقوم فكرة إزالة الشعر بالضوء على استعمال ضوء ذي طول موجي معين يتم امتصاصه بواسطة صبغة الميلانين الموجودة في جذور الشعر فتتحول الطاقة الضوئية إلى طاقة حرارية تدمر جذور الشعر ورغم تشابه الليزر والضوء في العمل إلا أن هناك فرقًا من ناحية الفعالية والمضاعفات ويفضل كثير من المختصين الليزر على الضوء.[2]

الترجيح:

الذي يترجح عند الباحث ـ والله أعلم ـ أن إزالة الشعر بالتقنيات الحديثة لا يفترق في الحكم عن أحكام إزالة الشعر التي تم عرضها آنفًا؛ حيث إن النتيجة واحدة ولكن الوسائل متنوعة.

المطلب الثالث: حكم عمليات إزالة الشعر الأبيض في رأس الطفل:

الشعر الأبيض نوعان، نوع طبيعي وهو الذي يكون نتيجة لشيب الإنسان، ونوع غير طبيعي، وهو الذي يظهر في غير أوانه، وهذا يكون نتيجة مرض، قال ابن القيم: "البياض نوعان: أحدهما طبيعي وهو الشيب،

الذي يبقى على الرأس. أن الوصل كثيرًا ما يستعمل مع وجود الشعر، وحينئذ فالهدف منه التظاهر بطول الشعر وجماله، أما زراعة الشعر فلا تجري إلا لمن يعاني من الصلع أو عدم وجود الشعر في مناطق معينة من الجسم، وقد تجري في حالة قلة كثافة الشعر وتباعده؛ أي أن وصل الشعر خداع وتغرير، وزراعته علاج. ومما سبق يتبين أن زراعة الشعر تخالف وصله في المعنى والغاية.)

1 فقه النوازل، لجنة إعداد المناهج بالجامعة، الجامعة الأمريكية المفتوحة، ص156.

2 أحكام زراعة الشعر وإزالته، د. سعد بن تركي الخثلان، ص17- 18.

والثاني خارج عن الطبيعة وهو ما يوجد في أواخر الأمراض المجففة بسبب تحلل الرطوبات كما يعرض للنبات عند الجفاف"[1]، معالجة الشيب بالسواد أو نتفه به نوع من التدليس؛ لذلك إن يكره نتف الشيب من الرأس، قال ابن تيمية: "ويكره نتف الشيب وإزالته بمنقاش ونحوه؛ لما روي عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن نتف الشيب"[2]ويحرم من اللحية أو الشارب لأنه يدخل في باب النمص، قال محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري: "يحرم على النساء نتف الحواجب، ولبس الباروكة، ووصل الشعر، والنمص، ووشر الأسنان، ورقص النساء مع الرجال، إطالة الأظفار أكثر من أربعين يومًا؛ لمخالفتها الفطرة، ولبس ملابس الرجال، وثياب الشهرة والاختيال، وما فيه إسراف، والسفور، والتعري، والاختلاط بالرجال في المناسبات."[3]، وقد وردت الأدلة على تحريم النمص في الفصل السابق، أما إن كان بياض الشعر غير طبيعي ـ لمرض مثلًا ـ فهنا يجوز معالجته بإجراء عملية نظرًا لانتفاء التدليس والتزوير في هذا الموطن، ورد في فقه النوازل: "أما الشعر الأبيض في الطفل أو الشاب فقد حدث بسبب مرض، فتجوز معالجته بإجراء عملية إذ لا تدليس فيه، ولا تغيير للخلقة الأصلية."[4]، وقد جعلت الشريعة الإسلامية التداوي له أصل الجواز، قال بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد: "وقد علم من الشرع بالضرورة مشروعية التداوي"[5].

المبحث الثاني

مسائل حديثة في شعر الرأس والوجه

المطلب الأول: حكم القصات الحديثة للشعر:

ظهرت في الآونة الحديثة العديد من قصات الشعر، وجل هذه القصات يمكن أن ينسب إلى القزع، وعلى ذلك نبحث هنا عن حكم القزع، في الشريعة الإسلامية، ونبدأ حديثنا ببيان تعريف القزع، ثم نتبعه بأنواع القزع، ثم حكم القزع في الشرع.

القزع اصطلاحًا:

قال ابن رشد القرطبي: " هو حلق بعض الرأس دون بعض"[6] إذًا القزع عدم التساوي في حلاقة الشعر، وينتج عن ذلك وجود أماكن في الرأس بها شعر أطول من أماكن أخرى، ومن هنا كان القزع أنواعًا.

أنواع القزع:

بين ابن العثيمين أنواع القزع، وهي:

1 التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الفكر، ص197.

2 شرح عمدة الفقه، ابن تيمية، تح: د. سعود صلاح العطيشان، مكتبة العبيكان ـ الرياض، ط1، 1413هـ، 1/ 236.

3 مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصداء المجتمع ـ المملكة العربية السعودية، ط11، 1431هـ ـ 2010م، ص817.

4 فقه النوازل، لجنة إعداد المناهج بالجامعة، الجامعة الأمريكية المفتوحة، ص154.

5 فقه النوازل، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله، مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ ـ 1996م، 2/ 20.

6 البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تح: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط2، 1408هـ ـ 1988م، 17/ 274.

1- أن يحلق غير مرتّب، فيحلق من الجانب الأيمن، ومن الجانب الأيسر، ومن النَّاصية، ومن القفا.

2- أن يحلق وسطه ويترك جانبيه.

3- أن يحلق جوانبه ويترك وسطه، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (كما يفعله السُّفَل)

4- أن يحلق النَّاصية فقط ويترك الباقي.[1]

تحرير محل الخلاف:

اتفق جمهور الفقهاء على كراهة القزع؛ الحنابلة[2]، والشافعية[3]، المالكية[4]، الحنفية[5]، ولكن هناك رأي يقول بحرمة القزع

الأدلة على تحريم القزع:

الدليل الأول:

عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القزع"[6]

وجه الاستدلال:

النهي في الحديث الشريف يفيد الكراهة؛ حيث إن النهي في الآداب يفيد الكراهة.[7]

---

1 الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، ط1، 1422 - 1428 هـ، 1/ 167- 168.

2 الهداية، محفوظ بن أحمد بن الحسن ـ أبو الخطاب الكلوذاني، تح: عبد اللطيف هميم ـ ماهر ياسين الفحل، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط1، 1425هـ - 2004م، ص52- 53.

3 شرح المقدمة الحضرمية المسمى بشرح الكريم بشرح مسائل التعليم، سعيد بن محمد باعلي باعشن الدوعني الرباطي الحضرمي الشافعي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1425هـ - 2004م، ص90.

4 جامع الأمهات، ابن الحاجب الكردي المالكي، ص566.

5 حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1421هـ - 2000مـ، 6/ 407.

6 المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة ـ عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ـ الرياض، ط1، رقم (25270)، 1409هـ، 5/ 206.

7 ورد في (فتاوى الشبكة الإسلامية)، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، (الأصل في النهي أنه للتحريم حتى تأتي قرينة تصرفه عن التحريم إلى الكراهة، قال ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: النهي حكمه إذا ورد أن يتلقى باستعمال ترك ما نهى عنه والامتناع منه، وأن النهي محمول على الحظر والتحريم والمنع حتى يصحبه دليل من فحوى القصة والخطاب، أو دليل من غير ذلك يخرجه من هذا الباب إلى باب الإرشاد والندب. انتهى. وقد جعل كثير من العلماء كون النهي في باب الأدب قرينة صارفة له من التحريم إلى الكراهة، وذلك لأن كثيرًا من النواهي في هذا الباب قد انعقد الإجماع على أنها ليست للتحريم، وكثير منها حمله الجمهور على التنزيه، فطرد هذا الفريق من العلماء القاعدة وأجروا النهي في هذا الباب مجرى واحدا فحملوه على الكراهة والتنزيه، وعللوا ذلك بأن ما كان من باب حسن العشرة والمخالقة بالتي هي أحسن، أو من باب التصرف فيما يملكه الإنسان، أو من باب حسن الهيئة ونحو ذلك ممّا ليس حكمه تعبديًّا محضًا يناسب حمله على الكراهة، وممّن رجح هذا القول العلامة ابن عثيمين، فقد قال ـ رحمه الله ـ: سلك بعض العلماء مسلكًا جيدًا وهو أن الأوامر تنقسم إلى قسمين :

- أوامر تعبدية.

الدليل الثاني:

عن ابن عمر، قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القزع" والقزع: أن يحلق رأس الصبي فيترك بعض شعره.[1]

وجه الاستدلال:

النهي في الحديث الشريف يفيد الكراهة؛ حيث إن النهي في الآداب يفيد الكراهة.

الدليل الثالث:

أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى غلامًا حلق بعض شعره وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك وقال: (احلقوا كلَّه، أو اتركوه كلَّه). إلا إذا كان فيه تشبه بالكفار فهو محرم، لأن التشبه بالكفار محرم، قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (من تَشَبَّه بقومٍ فهو منهم)، وعلى هذا فإذا رأينا شخصًا قَزع رأسه فإننا نأمره بحلق رأسه كلِّه، ثم يُؤمر بعد ذلك إما بحلقه كله أو تركه كلِّه.[2]

وجه الاستدلال:

الأمر الصريح من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتسوية في حلق الشعر أو تركه.

الترجيح:

الذي يترجح عند الباحث ـ والله أعلم ـ أن القصات الحديثة التي لا تعتمد في قصها على المساواة بين الشعر، وينتج عن ذلك أن يكون الشعر غير مستوي؛ أي تكون هناك أماكن في الرأس الشعر فيها أطول من أماكن أخرى ـ تستوي مع القزع قديمًا، وبما أن حكم القزع الكراهة؛ إذًا كل قصة حديثة لا تعتمد على التدريج المستوى بين كل أماكن الرأس تعد قزعًا حكمه الكراهة.

المطلب الثاني: التسريحات والقصات الحديثة للشعر (الكوافير):

كثرت التسريحات وتعددت في زمننا هذا، وصارت التسريحات كثيرة ومتنوعة، بل صارت من تقنيات الموضة، وخير ما نبدأ به مبحثنا هذا قول محمد بن عبد العزيز المسند، قال: "إن مما افتتن به بعض نساء هذا الزمن: ما يتعلق بتسريحات الشعر وقصاته، وقد استغل أعداء الإنسانية حب المرأة للجمال والزينة، فاخترعوا أنواعًا من التسريحات والقصات بأسماء متعددة وأحيانًا بأسماء مضحكة؛

• وأوامر تأديبية، من باب الآداب ومكارم الأخلاق.

فما قصد به التعبد فالأمر فيه للوجوب، والنهي للتحريم، لأن الله خلقنا لعبادته، وما قصد به التأدب فإن الأمر فيها أمر إرشاد لا إلزام، والنهي فيها للكراهة لا للتحريم، إلا إذا ورد ما يدل على الوجوب فهو للوجوب. انتهى.).

1 سنن أبي داود، أبو داود الأزدي السجستاني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، رقم (4193)، 4/ 83.

2 الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، ط1، 1422 - 1428 هـ، 1/ 167- 168.

ليضحكوا على عقل المرأة وليمسخوا ويقضوا على ما تبقى من حيائها، وأخذوا يروجون لهذه القصات عبر وسائلهم المختلفة وبخاصة المجلات الهابطة التي لا زالت ـ وللأسف الشديد ـ تلقى رواجًا في أسواق المسلمين"[1] من هنا يبين لنا مدى خطورة هذه المسألة على المرأة المسلمة والرجل المسلم، إضافة إلى أن جل التسريحات الحديثة تأتي لنا من الديار غير المسلمة، وعلى ذلك تكون نوعًا من تشبه المسلمين بغير المسلمين، ومن هذه الخطورة في هذه المسألة أردت أن أبين الحكم الشرعي لهذه المسألة.

تحرير محل الخلاف: أجاز الشرع للمرأة أن تتزين بمختلف أنواع التسريحات بشرط ألا تقصد التشبه بالكافرات[2]

الدليل الأول: عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (من تشبه بقوم، فهو منهم)[3]

وجه الاستدلال: نص الحديث أن القصد في محاولة التشبه بالكفار يدخل الفرد في زمرتهم، كما أن الحديث يدعو إلى وجوب تميز المسلم عن غيره.

الترجيح:

الذي يترجح عند الباحث ـ والله أعلم ـ أن للمرأة أن تسرح شعرها كما تشاء في حدود المباح لزوجها، ويجب عليها ألا تقصد التشبه بالكافرات، وعليها أن تتجنب التسريحات المحرمة، وقد تعرض لها علي بن نايف الحشود، في قوله:

وأما التسريحات المحرمة: فيجمعها أمور، منها:

1ـ القزع، وهو حلق بعض الشعر وترك بعضه:

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن القَزَع. رواه البخاري (5466) ومسلم (3959).

وقد فسَّر أحد رواة الحديث القزع بأنه حلق بعض رأس الصبي وترك بعضه.

قال ابن القيم رحمه الله:

وأما كحلق بعضه وترك بعضه فهو مراتب: أشدها: أن يحلق وسطه ويترك جوانبه كما تفعل شمامسة النصارى.

ويليه: أن يحلق جوانبه ويدع وسطه كما يفعل كثير من السفلة وأسقاط الناس

ويليه: أن يحلق مقدم رأسه ويترك مؤخره.

وهذه الصور الثلاث داخلة في القزع الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضها أقبح من بعض. " أحكام أهل الذمة " (3 / 1294)

2ـ التشبه بالكفار أو الفساق:

وهي تسريحات كثيرة، يدخل بعضها في " القزع " – كتسريحة " المارينز " فتمنع لسببين القزع ، والتشبه بالكفار ـ ، وبعضها لا قزع فيه غير أنه يختص بالكفار كنصب بعض الشعر وسبل الآخر أو ما شابه ذلك.

---

1 زينة المرأة بين الطب والشرع، محمد بن عبد العزيز المسند، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1416هـ، ص37.

2 الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر ـ سورية ـ دمشق، ط4، 1/ 410.

3 بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ابن حجر العسقلاني، تحقيق وتخريج وتعليق: سمير بن أمين الزهري، دار الفلق ـ الرياض، ط7، 1424هـ، 1/ 447.

ويجمعها كل تسريحة تختص بالكفار أو الفساق فإنه لا يجوز للمسلم التشبه بهم فيها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من تشبه بقوم فهو منهم)

رواه أبو داود (4031).

والحديث: حسَّنه الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (10 / 271) وجوَّد إسناده شيخ الإسلام في " اقتضاء الصراط المستقيم " (ص 82) .

قال شيخ الإسلام: وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله {ومن يتولهم منكم فإنه منهم} . " اقتضاء الصراط المستقيم " (ص 83).

التشبه بسفلة الناس:

وهي تسريحات يخترعها بعض السفلة، وقد تدخل فيما سبق ذكره. يراجع سؤال رقم (14051) والله أعلم.[1]

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أحببت أن أختم بحثي هذا بأهم ما توصلت له من نتائج، وهذه النتائج، هي:

1- تخضيب الشيب بغير السواد يختلف باختلاف السن والعرف والعادة.

2- عدم جواز تخضيب الشعر بالسواد إن لم يلازم الصباغة بالسواد غرض شرعي.

3- تحريم وصل الشعر على العموم حتى وإن كان للزينة.

4- يكره حلق شعر المرأة بدون ضرورة، أما إن وجدت ضرورة فإن الحلق يكون مباحًا.

5- الأفضلية عدم المبالغة في حلق الشارب.

6- يجوز الأخذ من طول اللحية.

7- يجوز زراعة الشعر.

8- إزالة الشعر بالتقنيات الحديثة لا تفترق في الحكم عن أحكام إزالة الشعر تقليديًّا.

9- كل قصة حديثة لا تعتمد على التدريج المستوى بين كل أماكن الرأس تعد قزعًا حكمه الكراهة.

10- للمرأة أن تسرح شعرها كما تشاء في حدود المباح لزوجها، ويجب عليها ألا تقصد التشبه بالكافرات، وعليها أن تتجنب التسريحات المحرمة.

1 ينظر: الخلاصة في أحكام أهل الذمة، علي بن نايف الشحود، 3/ 167 - 168.

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- أحكام زراعة الشعر وإزالته، سعد بن تركي الخثلان.

3- إرشاد الساري، أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني، ضبطه وصححه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، ط1، 1416هـ/ 1996م.

4- الإقناع في مسائل الإجماع، الحافظ أبو الحسن بن القطان، تحقيق: حسن بن فوزي الصعيدي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 1424هـ/ 2004م.

5- البحر الرائق، زين الدين بن نجم الحنفي، دار المعرفة - بيروت.

6- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ابن حجر العسقلاني، تحقيق وتخريج وتعليق: سمير بن أمين الزهري، دار الفلق - الرياض، ط7، 1424هـ.

7- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الفكر.

8- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، القرطبي، تح: الدكتور محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط2، 1408هـ/ 1988م.

9- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، 1997م.

10- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م.

11- جامع الأمهات، ابن الحاجب الكردي المالكي.

12- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، تحقيق: محمد أبو الأجفان - عثمان بطّيخ، مؤسسة الرسالة - بيروت/ المكتبة العتيقة - تونس، ط2 - 1403هـ/ 1983م.

13- حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1421هـ - 2000مـ.

14- الخلاصة في أحكام أهل الذمة، علي بن نايف الشحود.

15- الحاوي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الجواد، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

16- رياض الصالحين، النووي، أوضح معاني الأحاديث: مصطفى محمد عمارة، دار إحياء الكتب العربية.

17- رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، ط1، 1428 هـ - 2007 م، ص 40.

18- زينة المرأة بين الطب والشرع، محمد بن عبد العزيز المسند، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1416هـ.

19- سفر السعادة، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، ضبط وتحقيق: د/ أحمد عبد الرحيم السايح - د/ عمر يوسف حمزة، مركز الكتاب للنشر، ط1- 1417هـ/ 1997م.

20- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى إلبابي الحلبي، ط2- 1395هـ/ 1975م.

21- سنن أبي داود، أبو داود الأزدي السجستاني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت.

22- شرح عمدة الفقه، ابن تيمية، تح: د. سعود صلاح العطيشان، مكتبة العبيكان ـ الرياض، ط1، 1413هـ.

23- الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، ط1، 1422 - 1428 هـ.

24- شرح المقدمة الحضرمية المسمى بشرح الكريم بشرح مسائل التعليم، سعيد بن محمد باعلي باعشن الدوعني الرباطي الحضرمي الشافعي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1425هـ ـ 2004م.

25- شرح أخصر المختصرات، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين، دروس صوتية مفرغة قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية (http://www.islamweb).

26- صحيح البخاري، البخاري، مركز البحوث وتقنية المعلومات دار التأصيل، ط1، 1433هـ/ 2012م.

27- صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة قرطبة، ط1، 1412هـ/ 1991م.

28- المصنف، ابن أبي شيبة، تح: أبي محمد أسامة بن إبراهيم بن محمد، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 1429هـ/ 2008م.

29- طرح التثريب في شرح التقريب، دار إحياء التراث العربي.

30- فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة، مركز الفتوى بإشراف الدكتور عبد الله الفقيه، رقم الفتوى 59015، تاريخ الفتوى 6 محرم 1426هـ.

31- فتاوى الشبكة الإسلامية، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية.

32- فتاوى إسلامية، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ محمد صالح بن عثيمين 33- عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، تح: محمد بن عبد العزيز المسند.

34- فتاوى يسألونك، حسام الدين بن موسى عفانة، مصدر الكتاب: موقع الشيخ على الإنترنت.

35- الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر ـ سورية ـ دمشق، ط4.

36- فقه السنة، السيد سابق، دار الفكر للطباعة والنشر ـ لبنان/ بيروت، ط5، 1391هـ/ 1971م.

37- الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، دار الكتب العلمية ـ بيروت/ لبنان، ط2 ـ 1424هـ/ 2003م،

38- فقه النوازل قضايا فقهية معاصرة، بكر بن عبد الله أبو زيد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1996م.

39- فقه النوازل، لجنة إعداد المناهج بالجامعة، الجامعة الأمريكية المفتوحة.

40- فقه النوازل، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله، مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ ـ 1996م.

41- الفقه الميسر، عبد الله بن محمد الطيار (دكتور)، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م.

42- الكسب، محمد بن الحسن الشيباني، تح: د. سهيل زكار، الناشر: عبد الهادي حرصوني، دمشق، 1400هـ.

43- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

44- المبسوط، السرخسي، دراسة وتحقيق: خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1421هـ - 2000م.

45- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة - عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط1، رقم (25270)، 1409هـ.

46- مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصداء المجتمع - المملكة العربية السعودية، ط11، 1431هـ - 2010م.

47- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م.

48- المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، دار العاصمة - مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط1، 1417هـ.

49- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، دار الكتب العلمية، بيروت.

50- المجموع، أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، حققه وعلق عليه وأكمل بعض نقصانه: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد - جدة.

51- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر - بيروت، ط1/ 1405هـ.

52- الموطأ، الإمام مالك بن أنس، فهرست وتقديم: قسم الدراسات بدار الكتاب العربي، دار الريان للتراث - القاهرة، ط1 - 1408هـ/ 1988م.

53- نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار، بدر الدين العيني، حققه وضبط نصه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر، ط1، 1429هـ/ 2008م.

54- نوازل أحمد بن سعيد بن بشتغير، أحمد بن سعيد بن بشتغير، تحقيق: قطب الريسوني، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م.

55- نوازل القصري، القصري بن محمد المختار بن عثمان بن القصري، دار بن حزم، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.

المواقع:

1- http://www.islamweb.net

2- ورد في (فتاوى الشبكة الإسلامية)، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، الأصل في النهي أنه للتحريم حتى تأتي قرينة تصرفه.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.19.9

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار التاسع عشر
تأريخ الإصدار: 20 مايو 2021م

المقاصد الشرعية الاقتصادية، والاجتماعية لتوثيق الديون

The legitimate economic and social purposes of debt documentation

إعداد الباحث/ محمد بن علي بن أحمد المسعودي

طالب باحث دكتوراه المغرب، أستاذ بالتعليم نهائي [جامعي] عتيق معهد القاضي الفقيه عبد الله بن سعيد الوجدي، وجدة، المملكة المغربية

Email: Masdy99@hotmail.fr

الملخص:

توثيق الديون أصبح ضرورة لضبط التعامل بالدين على مستوى الأفراد، والمؤسسات المالية، وله مقاصد كثيرة من أهمها:

المقاصد المالية وتتمثل في حفظ المال من الضياع سواء كان مالا عاما، أم خاصا بإثباته في ذمة المدين، واستيفائه عند حلول أجله دون تعثر، أو مماطلة. بالحجج الكتابية، والشفاهية وبالضمانات المالية كالرهن، والكفالة وغيرها من الضمانات المستجدة في مجال المعاملات المالية.

المقاصد الاقتصادية: وتتمثل في:

- الاقتصاد في الإنفاق : أي التوسط في تحصيل الحاجي، والكمالي من المطعم، والمشرب، والملبس، فإن التوثيق يضبطه. فحين يعلم المدين أن الدين مضبوط، وأن جزءا من ماله مثلا مرهون سيقتصد في إنفاقه، وسيسلك مسلك الاعتدال، والقوامة فيه. والله سبحانه، وتعالى جعل ذلك من خصال عباد الرحمان قال تعالى: { وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً }[1]

- التنمية الاقتصادية : أي تثمير، وتنمية المال بطرق الكسب، والتملك المتعددة بضوابط الشريعة الإسلامية، وبآدابها المفضيان لاستقامة أحوال المجتمع، واستقراره المادي، والروحي، وهذا بالحصول على التمويلات من قبل المؤسسات، والبنوك التي أخذت الضمانات الكافية من المدين.

[1] الفرقان: الآية67

المقاصد الاجتماعية: المجتمع المسلم مجتمع متماسك له أسسه، ومقوماته، وقوانينه الضابطة لتصرفات أفراده، وتوثيق الديون واحد من تلك المقومات الاجتماعية، وله مقاصد اجتماعية منها: تحقيق العدل، والمساواة، والثقة، والمواساة. وحفظ النفوس. كل هذا يتحقق بتوثيق الدين، وضبطه بقوانين الشرع.

الكلمات المفتاحية: المقاصد، توثيق، الاقتصادية، الثروة، العدل، الثقة.

The legitimate economic and social purposes of debt documentation

Abstract

Debt registration becomes a necessity to control debt dealing at individual and financial institutions levels. It has many purposes which the means are:

Financial purposes: It consists to save money from losses, whether public or private money, by proving it on debtor's responsibility and paying it at limited time without retardation and procrastination. With written and oral arguments and financial guarantees such mortgage, warranty and other renewed guarantees in financial transaction domains.

The economic purposes, which are:

- To economize expenses: this means to mediate in obtaining the necessary and the perfectionist of food, drinks and cloths, because they are adjusted by the documentation, when the debtor know that the debt is adjusted and that a part of money, for example, is mortgaged, so he will economize in expenses and he will follow the mediation and the stewardship. This is a quality of righteous slaves of Allah, which says:***'' And [they are] those who, when they spend, do so not excessively or sparingly but are ever, between that, [justly] moderate''*** **Al-Furqān, verse 67**.
- Economic development: investing and developing money by earning methods and multiple ownership in respect to Sharia laws and its ethics which conducts to straightness of society situations and material and spiritual stabilities, all this by obtaining finance from individuals, institutions, and banks that have taken sufficient guarantees from the debtor.

Social objectives: the Muslim society is coherent and has its foundations, its components and the laws that govern individual behaviors, thus the debt documentation is one of the social components which have many social objectives such achieving justice, equality, confidence, consolation and saving souls. All this can be realized by documenting the debt and controlling it by the laws of Sharia.

Keywords: intent, documentation, economic, wealth, fairness, trust.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على مولانا رسول الله، وآله وصحبه، ومن والاه

وبعد: نظرا لتدفق الإنتاج التكنلوجي، والاقتصادي بأشكاله، والإقبال المفرط على استهلاك المنتوجات، والتوسع في تحصيل الحاجيات، والكماليات، ويقابله محدودية الدخل، أو عدم السيولة أحيانا أصبح التعامل بالدين استهلاكا، وتجارة ظاهرة عالمية.

والشريعة الإسلامية بأصولها، وأحكامها، ومقاصدها العامة، والخاصة ضبطت عملية التداين، وأحاطتها بمجموعة من القوانين، والمعايير منها: العقود التوثيقية المصاحبة لكل معاملة مالية، وتعتبر آية توثيق الدين من سورة البقرة أصلا عاما، ومنهاجا عقديا، وتشريعا، وأخلاقيا للتوثيق وهي قوله تعالى{ { يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِٱلْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلأُخْرَىٰ وَلاَ يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَىٰٓ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلاَّ تَرْتَابُوٓاْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[2]

ولأهمية هذا الموضوع، وخطورته تنجز هذه الدراسة بالخطة الآتية:

مبحث تمهيدي: في إشكالية البحث، وأهميته، وأهدافه. وفي معنى توثيق الديون.

المبحث الأول في المقاصد المالية، والاقتصادية.

المبحث الثاني: في المقاصد الاجتماعية.

[2] البقرة الآية 282

خلاصات، وتوصيات.

المبحث التمهيدي

إشكالية البحث

ليس عيبا ، لا شرعا، ولا عقلا أن يتعامل الناس بالدَّيْن، وأن يكون نوعا من التعامل في التجارة، والسلف، بل هو ضرورة بالنظر لعموم الأمة، وهو حل لكثير من المشاكل، وسبب لتنمية الثروة وهلم جرا...و واقع الأمة اليوم ينبئ عن كثير من المساوئ الناتجة عن سوء التعامل بالتداين، وعدم الموازنة بين المقدرة الشرائية، والدخل المالي للفرد، أو الأمة، وعن سوء تدبير الحاجيات، وترتيب الأولويات بسبب الانجراف من وراء إغراءات المنتوجات، وتدفقها، وغيرها من الأسباب، وهذا كله أدى إلى ضياع الحقوق المالية، وتعثر أدائها في موعدها وأدى إلى إفلاس شركات، وأسر، وأدى إلى اختلال في القيم الروحية، والاجتماعية، وأدى إلى أمراض نفسية. فهل يمكن لتوثيق الديون في الشريعة الإسلامية بما يحمله من دلالات عقدية، وروحية، واقتصادية، واجتماعية، وقانونية أن يكون ضابطا لعملية التداين؟

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في تحقيق ضبط المدايانات بقوانين الشرع، وآدابه وتوجيهاته لتجنيب المجتمعات آفات سوء تدبير التداين، ومخاطره النفسية، والمالية، والاجتماعية، والأخلاقية.

أهداف الدراسة:

تتوخى هذه الدراسة تحقيق مجموعة من الأهداف منها:

1. التحسيس، وإثارة الوعي، وتشكيل العقل لإدراك ضوابط التداين، وآدابه.
2. التنبيه على مقاصد توثيق الديون في الشريعة الإسلامية المالية، والاقتصادية، والاحتماعية.
3. التحذير من مغبة الإفراط في التداين، وبيان عواقبه النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية
4. الإسهام في إحياء القيم الفاضلة من عدل، ومواساة، وثقة، وأخوة.

مفهوم توثيق الديون

هذا المركب الإضافي يحتاج للبيان.

أولا: معنى التوثيق لغة، واصطلاحا

- **التوثيق لغة**: "وثقت بفلان أثق بالكسر فيهما ثقة: ائتمنته... والموْثِقُ: الميثاق، والمُواثَقَةُ: المعاهدةُ. الوثيق الشيء المحكم. وقد وثُق بالضم وثاقة: أي صار وثيقا، وثَّقت الشيء توثيقا فهو موَّثق "[3]
- **التوثيق اصطلاحا:** "صناعة شريفة، وبضاعة منيفة بها تحفظ دماء المسلمين، وأموالهم، وتصان أعراضهم، وأنسابهم" [4]

ثانيا: معنى الدَّيْن لغة، واصطلاحا.

- **الدين لغة: يقال:** "دنت الرجل: أخذت منه دينا، وأدنته: جعلته دائنا. وذلك بأن تعطيه دينا... والتداين والمداينة: دفع الدين"[5]
- **الدَّيْن اصطلاحا**: "عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقدا، والآخر في الذمة نسيئة. فإن العين عند العرب ما كان حاضرا، والدين ما كان غائبا"[6]

وبعد تعريف هذين المتضايفين يمكن القول بأن توثيق الديون: عبارة عن مجموعة من البَيِّنات، والضمانات التي يصان بها ما بذمة المدين من حق مالي لآدمي إثباتا واستيفاء: كالكتابة، والإشهاد، والرهن، والضمان.

المبحث الأول في المقاصد المالية، والاقتصادية للتوثيق.

أولا: المقاصد المالية.

تعريف المال لغة، واصطلاحا

المال لغة: معروف. وهو ما ملكته من جميع الأشياء.[7] ووردت لفظة المال في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة: مفردة، وجمعا. ونكرة، ومعرفة مضافة تارة لله عز وجل، وتارة للمتصرف فيه، وتارة غير مضافة مثل قوله تعالى: {وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ آتَاكُمْ}[8] وقوله تعالى: {ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ}[9] وقوله تعالى: {وَآتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ}[10]

المال في عرف الشرع: " ما بقدره يكون قدر إقامة نظام معاش أفراد الناس في تناول الضروريات والحاجيات والتحسينيَّات بحسب مبلغ حضارتهم حاصلاً بكدح"[11]

---

[3] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ذار الكتب العلمية باب القاف فصل الواو.
[4] شرح التاودي على لامية الزقاق بحاشية أبي الشتاء الحسن الغازي الشهير بالصنهاجي المسماة مواهب الخلاق. ج398/2. المكتبة الأزهرية للتراث.
[5] مفردات الفاظ القرآن للراغب.
[6] أحكام القرآن لابن العربي عند قوله تعالى {إذا تداينتم بدين} البقرة /الآية 282
[7] لسان العرب (م.و.ل)
[8] النور. الآية 33
[9] البقرة الآية 262
[10] البقرة 177
[11] التحرير والتنوير تسير قوله تعالى: {ولا تاكلوا أموالكم بينك بالباطل} سورة القرة/ الآية 188

والمال على نوعين:

النوع الأول: المال العام. وله روافده عند الدولة، وله نظامه في جمعه، وإنفاقه.

النوع الثاني: المال الخاص، وهو ما يكتسبه الأشخاص من وجوه الاكتساب، والتملك، وهو الذي سبق تعريفه، وهو المقصود هنا أساسا، ويدخل فيه الشركات، والمؤسسات المالية.

وحفظ المال مقصد ضروري، وحفظه من جهتين:

الجهة الأولى: بتوفير الثروة من مواردها المتعددة الطيبة، بحيث تتم بها الكفاية للأمة في قيام شؤونها كلها الضرورية، والحاجية، والكمالية، ومتمماتها. وقد حظ الإسلام على التكسب، والسعي في طلبه لمشي في مناكب الأرض، فقال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ} [12]

والثروة: "ما ينتفع به الناس آحادا، وجماعات في جلب نافع، أو دفع ضار في مختلف الأحوال، والأزمان، والدواعي انتفاع مباشرةٍ، أو واسطة.[13]

والمال لا يكون ثروة إلا إذا انتظمت له مقوماته من ذلك:

1. **أن يكون ممكنا ادخاره**: لأن الشيء الذي يسرع إليه الفساد لا يجده صاحبه عند دعاء الحاجة إليه.
2. **أن يكون مرغوبا في تحصيله**. وذلك فرع عن كثرة النفع به. وذلك بحسب مواقع الناس

من قرى، وبوادي، وحواضر. كالثروة الحيوانية، والنباتية، والمعدنية، والثروة التي يطلق عليها اليوم "الثروة الا مادية" من نفائس الآثار، وغيرها.

3. **أن يكون قابلا للتداول. أي التعاوض به**، والتداول يكون بالفعل أي بنقل ذات الشيء

من حوز أحد إلى حوز آخر، ويكون بالاعتبار مثل عقود الذمم كالسلم، والحوالة، وبيع البرنامج[14]، ومصارفة أوراق المصارف.

4. أن يكون محدود المقدار.
5. أن يكون مكتسبا.[15]

---

[12] الملك: الآية 15
[13] مقاصد الشريعة الإسلامية ص457
[14] بيع البرنامج: وهو الدفتر المكتوب فيه صفة ما في الوعاء من الثياب المبيعة، دون اطلاع البائع على الجنس والنوع. والجواز للضرورة، أي لما في حَلّ العِدْل من الحرج والمشقة على البائع، فأقيمت الصفة مقام الرؤية.
[15] نفس المرجع والصفحة.

والثروة تحصل بالتملك، والتكسب

والمكاسب على نوعين: كسب بغير عوض، كسب بعوض.

أ. الكسب بغير عوض: يشمل الإرث، والتبرعات، والعطايا، وما ليس ملكا لأحد كالحطب.

ب. الكسب بعوض: عوض عن مال كالبيع، وعوض عن عمل كالإجارة، عوض عن جناية كالديات.[16]

الجهة الثانية: حفظ المال من الضياع، والتلف لأن المال في الإسلام له قيمة، وحرمة.

وحفظه من التلف، والضياع له صور منها:

الصورة الأولى: النهي الوراد من الشارع من أكل أموال الناس بالباطل، لتقوية الوازع الديني حتى تنشأ الأمة على طباع شرعية تمنعها من تناول ما ليس من ملكها، ولا من كسبها الطيب. والتعدي على الأموال سبعة: الحرابة والغصب، والاختلاس، والسرقة، والخيانة، والإدلال، والجهد، والاقتطاع.[17]

الصورة الثانية: التوثيق بمعاييره السابقة. فالتوثيق قانون رباني لحفظ الأموال من الضياع، والتلف، والإنكار، والنسيان. فإثبات الحق في ذمة المدين، والتمكن من استخلاصه مقصد شرعي معتبر يتكئ عليه القاضي في الحكم وهو عمل ييسر القضاء، ويوفر الجهد على القضاة. ولأهمية هذه أصبح اليوم منضو تحت خِطة القضاء.

ويعتبر التوثيق في حد ذاته مقصدا شرعيا، ودرجته بحسب العقد الذي صاحبه قال الإمام الشاطبي رحمه الله، وهو يتحدث عن متممات المقاصد الأصلية "... والقيام بالرهن، والحميل، والإشهاد في البيع [فهو ضروري]إذا قلنا إنه من الضروريات... وإن قلنا إن البيع من الحاجيات فالإشهاد والرهن والحميل من باب التكملة"[18]

فآية الدين جاءت عقب الحديث عن الإنفاق في سبيل الله، ونظامه، وعقب الحديث عن حلية البيع، وحرمة الربا، وما ينتج عنه من الأضرار النفسية، والاقتصادية، والاجتماعية من أكل أموال الناس بالباطل وما ينشأ عنه من ظلم الأقوياء للضعفاء. وعجز الضعفاء عن رفع أغلال الربا التي عليهم.

فكان توثيق الديون معيارا ضابطا للمال من جهة حفظ الحقوق لأصحابها، ومن جهة تملكه، واكتسابه، وإنفاقه حيث يكون من وجهه، وفي حله.

---

[16] القوانين الفقهية لابن جزي كتاب البيوع. بشيء من التصرف.
[17] المقدمات الممهدات كتاب الغصب .489/2 تحقيق سعيد أحمد أعراب .وقواعد المقري.الضمان.القاعدة 1103 /ص 501/ تحقيق محمد الدردبي.
[18] الموافقات كتاب المقاصد: النوع الأول. المسألة الثانية.

"والمقصد الشرعي في الأموال كلها خمسة: رواجها، ووضوحها، وحفظها، وثباتها، والعدل فيها".[19]

ثانيا المقصد الاقتصادي

قد يعتقد معتقد أن المراد بتوثيق الديون تضييق جريان العقود المالية، ومحاصرة عملية التداين مما يجعل التعامل منضبطا أساسا بالتقابض عاجلا. إلا ما دعت الضرورة إليه، والحق خلافه لأن عملية التداين-وهي أحد وجوه التعاوض[20] – لها مقاصد عامة منها:

الأولى: التيسير على المعسر، وتفريج كربته بالبيع، أو القرض.

الثانية: توسيع الثروة، وتنميتها لأن السيولة (أقصد النقود) أحيانا تقل أو تنعدم.

الثالثة: الانتهاء عن التعامل بالربا الذي يعرض الثروة للمحق، والإيذان بالحرب من الله.

والتوثيق تسديد، وترشيد لهذه المقاصد. لأن التوثيق نظام، وقانون رباني يسعى لتيسير التعامل، ورفع الحرج على الناس في تعاوضهم، وهو بهذا يسهم أيما إسهام في اقتصاد الأمة ضبطا، وتسهيلا، وتنمية. ومن هنا لا يحق للموثق أن يوثق إلا ما كان من العقود مشروعا. وأشير هنا لثلاثة مقاصد اقتصادية لتوثيق الدين:

المقصد الأول: الاقتصاد في الإنفاق.

قصد في الأمر قصدا: توسط، وطلب الأسدَّ، ولم يجاوز الحد، وهو على قصد: أي رشد.[21]

فالاقتصاد هنا معناه: التوسط في تحصيل الحاجي، والكمالي من المطعم، والمشرب، والملبس، والمسكن، والمركب، والمنكح مما لا يلجئ للتداين فإن اضطر إليه أخذه بقدره، فيضبطه توثيقه بحيث يحده قدرا، وصفة وزمانا. فيتحقق العدل في تحصيله في إبانه مما يقطع على النفوس الضعيفة المماطلة فيه، وإنكاره لهذا قال تعالى: {ذلكم أقسط عند الله} [22]

لأن الشريعة الإسلامية لم تأذن في التداين بشروطه المرعية، إلا لرفع الحرج عن هذه الأمة، وتيسيرا عليهم في تعاوضهم، وهو العدل بعينه، والرحمة ذاتها، ولم تقصد الشريعة الإسلامية أبدا، ولا هو وارد فيها إغراق الناس في الديون، وشقائهم بها، والتوثيق إنما هو كاشف لهذه الحقيقة وهو ضابط لها. والمستدين إنما فعل ذلك لرفع ضائقة،

أو تحصيل حاجة، أو توسع في تحصيل الكماليات، فحين يعلم المدين أن الدين مضبوط، وأن جزءا من ماله مثلا مرهون، وهو من الراشدين سيقتصد في إنفاقه، وسيسلك مسلك الاعتدال، والقوامة فيه.

---

[19] مقاصد الشريعة ص 464 تحقيق ودراسة محمد الميساوي. دار النفائس الأردن
[20] وهي: العين بالعن. الذمة بالذم، والعين بالذمة، والعكس.
[21] المصباح المنير
[22] البقرة: الآية 282

والله سبحانه، وتعالى جعل ذلك من خصال عباده الأخيار: عباد الرحمان قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً } [23] ومن شدة حرص الإسلام على الوسط في الإنفاق جعله مستوعبا للقربات. من ذلك القصد في استعمال الماء في الطهارة فقد كان النبي صلى الله عليه، وسلم يتوضأ بالمُد، ويغتسل بالصاع، ومن ذلك أيضا أنه إذا كان شراء الأضحية يجحف (يوقع في الحاجة) بالنفقة على العيال فلا تسن.

وفي امتنانه سبحانه على عباده بالطيبات، ونهيهم عن مجاوزة الحد في تناولها قال تعالى: { وكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ} [24] وفي مجال الزواج يقول تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُواْ} [25]وقوله صلى الله عليه:(والقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا)[26] ومما له صلة في الاقتصاد الاقتصار في الانفاق إذا ضاق الدخل، ولم يسع جميع الأصناف المأمور بالإنفاق عليها فيقدم الأولى فالأولى، وللإمام المقري كلمة في ترتيب المصالح في هذه المسألة. قال: " قاعدة: تقرر في الأصول أن المصالح الشرعية ثلاث: في محل الضرورة كنفقة المرء على نفسه، وسائر أسباب حفظ الكليات الخمسة، وحاجية كنفقته على زوجه، وتتميمة كنفقته على والديه، وولده. والأولى مقدمة على الثانية، والثانية مقدمة على الثالثة عند التعارض.[27]

المقصد الثاني: توفير المال، وادخاره.

لا شك أن الاقتصاد في الإنفاق يوفر جزءا من المال ادخارا للعواقب، ولأداء الدين في وقته، وإذا كانت الضمانات على الدين نفيسة، وهي في الغالب كذلك فهذا سبب قوي في الادخار لأن المدين يخشى أن يفوت منه ماله المرهون. غير من به سفه يدعوه للخمول والاتكال، فلا يقيم للمال حرمة، ولا للحياة معنى. وعلى سبيل المثال: الاقتصاد في استئجار المسكن فإذا كان في حال اليسر، وبراءة الذمة ممكن استئجاره بثلاثة ألف درهم مغربي مشاهرة، أو أكثر ففي حال عمارة الذمة بالدين يمكن للمستأجر أن يدخر ألف درهم شهريا، فيتحقق الحاجي، ويفوت بعض الكمالي جزئيا، ويمكن أن يستفاد هذا من قوله تعالى في شأن وجوب السكنى للمطلقات: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ}[28] الوجد: الوسع، والطاقة. فالمطلّق وجب عليه إسكان المطلقة في المسكن الذي هو فيه ولا يكلف بتوفير سكن غير بيته فإن ضاق المبيت خرج هو.

المقصد الثالث: تحقيق تنمية اقتصادية.

أقصد بالتنمية الاقتصادية: توفير الثروة، وتثمير المال بضوابط الشرع، وآدابه. المفضيان لاستقامة أحوال المجتمع، واستقراره المادي، والروحي.

---

[23] الفرقان: الآية 67
[24] الأعراف: الآية 31
[25] النساء: الآية 3
[26] رواه البخاري كتاب الرقاق، باب القصد، والمداومة على العمل.
[27] قواعد المقري / القضاء/ القاعدة 1134 تحقيق. الدردابي
[28] الطلاق الآية 06

ومقومات هذه التنمية كثيرة، وفي آية توثيق الديون جملة منها:

1. تحقق تقوى الله في أفراد المجتمع. {واتقوا الله ويعلمكم الله}[29]
2. تحقق الأمن، وخلق الأمانة. قال تعالى: {وأدنى الا ترتابوا} وقال: {فإن أمن بعضكم فليؤد الذي اؤتمن أمانته}[30]
3. تحقق العدل. {ذلكم أقسط عند الله}
4. وجود ثروة، ومال للأمة. قال تعالى: {إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم}[31]
5. توثيق المعاملات المالية، وهو الوسيلة الجامعة لما سبق من المقومات

فحين توثق المعاملات المالية على أصول الشريعة، وقواعدها، وفروعها، وقيمها: يتحقق العدل، والأمن والأمانة بمعية الإيمان والتقوى، وبذلك تتيسر المعاملات، والمعاوضات بين أفراد المجتمع، نقدا، ودَينا، فيأمن الناس على أموالهم، فيتوسع قطاع التبادل، وتنشط العملية التجارية، وتحصل السيولة لدى المؤسسات المالية، وتنهض الأمة تجاريا، وصناعيا، وتكنلوجيا، فتكثر فرص العمل، وتقل البطالة. لأن التداين كما يكون للعسر، ورفع الحرج، يكون للتنمية والرواج، والتجارة، والصناعة والمعاملات المالية اليوم تعتمد كثيرا على التداين، وأصبحت تتنافس فيه الشركات التجارية، والمؤسسات المالية. "والتداين من أعظم أسباب رواج المعاملات لأنّ المقتدر على تنمية المال قد يعوزه المال فيضطرّ إلى التداين ليظهر مواهبه في التجارة أو الصناعة أو الزراعة، ولأنّ المترفّه قد ينضب المال من بين يديه وله قِبل به بعد حين، فإذا لم يتداين اختلّ نظام ماله، فشرّع الله تعالى للناس بَقاء التداين المتعارف بينهم كيلا يظنّوا أنّ تحريم الربا والرجوع بالمتعاملين إلى رؤوس أموالهم إبطال للتداين كلّه. وأفاد ذلك التشريعَ بوضعه في تشريع آخر مكمّل له وهو التوثّق له بالكتابة والإشهاد. والخطاب موجّه للمؤمنين أي لمجموعهم، والمقصود منه خصوص المتداينين، والأخصّ بالخطاب هو المدين لأنّ من حق عليه أن يجعل دائنه مطمئن البال على ماله. فعلى المستقرِض أن يطلب الكتابة وإن لم يسألها الدائن."[32]

المبحث الثاني: في المقصد الاجتماعي.

المجتمع المسلم مجتمع مرصوص له مقومات، وأصول عديدة ضابطة، وبانية منها القانونية، والاقتصادية، والسياسية، والأمنية، والأخلاقية.

ومن المقومات العامة:

---

[29] البقرة الأية 282
[30] البقرة الآية 283
[31] البقرة الآية 282
[32] التحرير والتنوير تفسير آية الدين.

1. انتظام أفراد المجتمع في سمط تآلفي عقدي، وعملي، وروحي: مثل الأخوة الإسلامية،

وغيرها من الروابط التي أذنت الشريعة الإسلامية في بنائها.

2. قيامه على نظام سياسي: قيام المجتمع على نظام القيادة، والولاية التي أساسها الشورى، والبيعة،

والذي ينتظم مجموعة من الخِطط، والولايات، ومن جملتها خطة القضاء، وما يتفرع عنها. وقيام المجتمع على نظام سياسي شرعي يقصد إلى تحقيق أمور كثيرة ضابطة لمسار المجتمع مثل: اتحاد الأمة، والعدل، والمساواة، والتعاون، والمواساة، والحرية، وحماية المجتمع من جميع الآفات، وتوفير الثروة، والمال، وغير ذلك.

فهذان مقومان عامان لضبط سير المجتمع

لذلك كانت هذه " النظم ترعوي إلى فنين أصليين:

الفن الأول: فن القوانين الضابطة لتصرفات الناس في معاملاتهم.

الفن الثاني: فن القوانين التي بها رعاية الأمة في مرابع الكمال، والذود عنها أسباب الاختلال." [33]

والأنموذج المجتمعي هو ما أرسى أصوله النبي صلى الله عليه وسلم، وأسس قواعده فور وصوله للمدينة المنورة من تآخ، وبناء المؤسسات، ودسترةٍ بكتابة الوثيقة الفذة لمجتمع يجمع أطيافا من العقائد، والأعراف، والعوائد المختلفة حتى بين المسلمين أنفسهم من المهاجرين، والأنصار، والأنصار أيضا فيما بينهم في أحيائهم.

أساس هذا المجتمع التآلف، والتناصر، والتعاون، والأمن... لا شيء يعلو فيه على القيم الإنسانية، والأخلاق الفاضلة التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم لإكمالها. فمكارم الأخلاق هي روح الأعمال، وثمارها، وأساس تماسك المجتمع، ففي الحديث الشريف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (بعثت لأتمم حسن الأخلاق) [34].

والإنسان بفطرته مجبول على حب الثروة، واكتساب المال. وتحقيق ذلك متوقف على التعامل مع أفراد المجتمع، وهذا يحتاج إلى تأمين المجتمع من ضياع حقوقه المالية، سواء كانت المعاوضات عينية، أم دينا في الذمة. ناشئا عن بيع، أو قرض، أو سواهما.

والمقصد الاجتماعي من توثيق الديون هو حفظ النظام الاجتماعي الإسلامي ويتضمن مجموعة من المقاصد منها: حفظ النفوس، والحقوق، والقيم.

[33] أصول النظام الاجتماعي في الإسلام لابن عاشور ص 122
[34] الموطأ باب ما جاء في حسن الخلق

وحاولت أن أتعرض في هذا المقصد الاجتماعي لما دلت عليه آية الدين من المقاصد نطقا، أو فهما في قوله تعالى: {ذلكم أقسط عند الله، وأقوم للشهادة، وأدنى أن لا ترتابوا}[35] منها:

المقصد الأول: تحقيق العدل، والمساواة [العدالة الاجتماعية]

المقصد الثاني: تثبيت الحق، وتمكين صاحبه منه

المقصد الثالث: الثقة، ونفي الريبة.

المقصد الرابع: التعاون، والمواساة.

المقصد الخامس: حفظ النفوس.

المقصد الأول: العدل، والمساواة.

هذا المقصد دل عليه قوله تعالى في آية الدين {ذلكم أقسط عند الله} كون التوثيق بأنواعه أقسط عند الله "لأنه أحفظ للحق"، و"لأنه إذا كان مكتوباً كان إلى اليقين والصدق أقرب، وعن الجهل والكذب أبعد، فكان أعدل عند الله"[36] ولأن القضاة يستنيرون بالحجة، لتعيين الحق، وتمكين مستحقه منه، وتعيين الحق من أهم مقاصد الشريعة[37]

والقسط: هو العدل: وهو "تمكين صاحب الحق بحقه بيده، أو يد نائبه، وتعيينه له قولا، أو فعلا"[38]. ومن وسائل ذلك كله المثبتة، والممكّنة من استيفائه عند طلبه: توثيقه. والعدل ظاهر في الحكم بين الناس، عند التنازع قال تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ }[39] وفي إقامة الشهادة بينهم قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً }[40] قال الإمام القرطبي: قوله تعالى: { كُونُواْ قَوَّامِينَ } { قَوَّامِينَ } بناء مبالغة، أي ليتكرر منكم القيام بالقسط، وهو العدل في شهادتكم على أنفسكم، وشهادة المرء على نفسه إقراره بالحقوق عليها. ثم ذكر الوالدين لوجوب بِرِّهما وعِظم قدرِهما، ثم ثنّى بالأقربين إذ هم مظنة المودّة والتعصب فكان الأجنبي من الناس أحرى أن يقام عليه بالقسط ويشهد عليه، فجاء الكلام في السورة في حفظ حقوق الخلق في الأموال.[41]

---

[35] البقرة الآية 282

[36] ينظر مفاتيح الغيب للرازي، والتحرير، والتنوير لابن عاشور.

[37] خصص له الشيخ الطاهر بن عاشور فصلا في مقاصد الشريعة.

[38] أصول النظام الاجتماعي لابن عاشور ص 186

[39] النساء الآية 58

[40] النساء الآية 135

[41] الجامع لأحكام القرآن.

المساواة: المعادلة، المعتبرة بالذات، أو الكيفية، واستعملت بمعنى العدل. وتطلق على فاعلين فصاعدا، وعلى اعتدال الشيء في نفسه.[42] وترد مطلقة، ومقيدة، وهي في الشريعة الإسلامية مقيدة بأحوال يجري فيها التساوي لأن أصل خلقة البشر جاءت على التفاوت في المواهب، والأخلاق[43] وتوثيق الدين يمكن للتعامل بين الفقراء، والأغنياء، والضعفاء، والأقوياء، ويحقق تكافؤ الفرص،

المقصد الثاني: تثبيت الحق، وتمكين صاحبه منه.

يكفي أن تكون إحدى وسائل الإثبات ضامنة للحق، مطمئنة للمتداينين لكن كلما تعاضدت ازداد الحق ثباتا وتمكنا. لهذا قال تعالى في آية الدين: { وأقوم للشهادة} أي الكتابة أثبت للشهادة لتعاضدهما لما قد يكون من النسيان من الشهود. لهذا أجمع فقهاء الشريعة، والقانون على هذه الوسائل كلها

المقصد الثالث: الثقة، ونفي الريبة.

قال الله تعالى: { وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ} أي أقرب لنفي الريبة أي الشك.

الثقة: قال الراغب: "وثقت به أثِق سكنت إليه، واعتمدت عليه" [44] وقال الجرجاني: "هي التي يعتمد عليها في الأقوال، والأفعال"[45]

والنص القرآني يفيد بمفهومه أن التداين بدون توثيق، وضمانات قد يؤدي إلى الشك، والريبة، والخوف على ضياع الحقوق المالية والآية ظاهرة في كون نفي الشك، والارتياب مطلب اجتماعي، وينبني عليه أن الثقة خلق رفيع، به نمتلك مسار جميع العلاقات الاجتماعية، وهو صمام الأمان لكل تعامل مالي، وغيره.

ووسائل التوثيق، ومعاييره كلها من أهم ما يزرع الثقة، والطمأنينة مما يفتح باب التعامل بالتداين بين أفراد المجتمع، والمؤسسات، المالية وغيرها باعتباره نظاما شرعيا محكما.

ويجب أن تكون الثقة منبثة متبادلة بين أفراد المجتمع، فيأمن الدائن على حقه بأن يستوفيه من المدين عند حلوله، وبقدره، ويأمن المدين على ما قدمه من الضمانات فيستردها حينما يقضي ما عليه قال تعالى: {فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ} [46] " هذه الآية تشريع مستقلّ يعم جميع الأحوال المتعلّقة بالديون من إشهاد، ورهنٍ، ووفاءٍ بالدّين، والمتعلّقةِ بالتبايع،

[42] مفردات الفاظ القرآن الكريم للراغب بتصرف.
[43] أصول النظام الاجتماع لابن عاشور.
[44] مفردات الفاظ القرآن الكريم.
[45] التعريفات
[46] البقرة الآية 283

ولهذه النكتة أبهم المؤتمنون بكلمة { بعض } ليشمَل الائتمان من كلا الجانبين الذي من قبل ربّ الدين، والذي من قبل المدين. فربّ الدين يأتمن المدين إذا لم ير حاجة إلى الإشهاد عليه، ولم يطالبه بإعطاء الرهن في السفر ولا في الحضر.

والمدين يأتمن الدائنَ إذا سَلَّم له رهناً أغلى ثمناً بكثير من قيمة الدين المرتهَن فيه، والغالب أنّ الرهان تكون أوْفَرَ قيمة من الديون التي أرهنت لأجلها، فأمر كلّ جانب مؤتمنٍ أن يؤدّي أمانته، فأداءُ المدين أمانته بدفع الدين، دون مطل، ولا جحود، وأداء الدائن أمانته إذا أعطي رهناً متجاوزَ القيمةِ على الدّين أن يردّ الرهن ولا يجحده غير مكترث بالدّين لأنّ الرهن أوفر منه، ولا ينقص شيئاً من الرهن. ولفظ الأمانة مستعمل في معنيين معنى الصفة التي يتَّصف بها الأمين، ومعنى الشيء المؤمَّن. فيؤخذ من هذا التفسير إبطال غلَق الرهن وهو أن يصير الشيء المرهون ملكاً لربّ الدّين، إذا لم يدفع الدينَ عند الأجل، قال النبي صلى الله عليه وسلم" لا يَغْلق الرهنُ " وقد كان غَلق الرهن من أعمال أهل الجاهلية" [47]

والثقة يمكن تصريفها في هذا السياق إلى ثلاثة أنواع:

الأول: ثقة في الله سبحانه، وتعالى: وهي هنا التسليم لحكم الله جل جلاله، وأمره، والتصديق له. قال تعالى: {قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا} [48] وقال سبحانه، وتعالى: {فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم}[49]

فالمؤمن الصادق موقن بتحقق ما أخبر الله سبحانه، وتعالى به من النفع بتوثيق الديون في قوله تعالى: {ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ}

الثاني: **ثقة بالنفس**[50]: أعني اعتقاد أن التعامل بالتداين سلوك يُنتج ذوي الإيمان القوي الناظرين بالإيجابية لفعالية التداين بضوابطه التعاقدية المنبثقة عن أحكام الشريعة، وأخلاق الإسلام.

الثالث: **ثقة اجتماعية**: التفاعل الإيجابي بين أفراد المجتمع شاملة للجانب المالي، والسياسي، وقيم التعارف، والتعامل بين البشرية.

وهذه الثلاثة من الثقات يفضي بعضها لبعض مما يقوي ثقة التعامل بالدين، وينفي الريبة، ويقطع أسباب الخلاف، والخصام.

المقصد الرابع التعاون، والمواساة.

حين يتحقق العدل، والمساواة تزرع الثقة، فينتج عن ذلك كله خلق المواساة. والتعاون.

---

[47] التحرير، والتنوير.
[48] آل عمران الآية 95
[49] محمد الآية 21
[50] كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن الثقة بالنفس، و'التنمية الذاتية' ومن الكتب في هذا الموضوع كتاب: الثقة، والاعتزاز بالنفس لإبراهيم الفقي.

والمواساة: كفاية حاجة محتاج الشيء مما به صلاح الحال[51]

وهي خلق فطري، ونظام إسلامي عام لما يقدم من الخدمات المالية، وغيرها على جهة التبرع، أو التعاوض، والنصوص من القرآن الكريم، والسنة النبوية كثيرة في هذا الباب. وكثير من حاجيات أفراد المجتمع تُقضى بالتداين إسلافا، أو تجارة، أو بهما معا. فاستمرار هذا الوجه من المواساة يحتاج إلى ضمانات، وتوثيق للحق زيادة على الوازع الإيماني.

وتحقق المواساة حين يؤمن كل فرد بأنه خلية من نسيج مجتمعه. لهذا قال رسول الله صلى الله عليه، وسلم:(ترى المؤمنين في تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر، والحمى)[52]والحديث يشير للتداعي الإيجابي أي تفاعل جميع أعضاء الجسد مقاومة للداء، فكان من اللائق بالمجتمع ألاَّ يناقض هذه الحقيقة التي لا تتخلف في الجسد، وإن كانت تسخيرية في الجسد، واختيارية في التعامل بين أفراد المجتمع.

المقصد الخامس: حفظ النفوس.

توثيق الديون حافظ للنفوس من الاعتداء عليها سواء كان الاعتداء نفسيا، أم جسديا، لما قد ينشأ من عدم التوثيق، من التشاجر، والاختلاف بسبب النسيان، أو النكران، أو المماطلة. والأمن على النفوس مقصد شرعي ضروري.

خلاصات البحث:

مراعاة هذه المقاصد المالية، والاجتماعية لتوثيق الديون لها أهمية عظيمة، وفوائد كثيرة منها:

1. حفظ الحقوق المالية من الضياع، والتلاعب، لأن توثيقها يضمن ذلك لها سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى المؤسسات المالية.
2. حفظ القيم، والأخلاق في المجتمع كالأخوة، والمحبة، والثقة...
3. تحقيق العدالة، والحماية الاجتماعية بتداول المال بين أفراد المجتمع.
4. الانضباط في التعامل بالتداين بأن لا يكون إلا لحاجة ملحة

والحمد لله رب العالمين. وصل اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وتابعيهم بإحسان

[51] أصول النظام الاجتماعي للشيخ الطاهر بن عاشور ص 137
[52] صحيح البخاري رقم الحديث 6011

المصادر، والمراجع:

القرآن الكريم

أحكام القرآن لابن العربي.

أصول النظام الاجتماعي للشيخ الطاهر بن عاشور .

التحرير، والتنوير لابن عاشور [ت 1393ه] الدار التونسية للنشر. الدار الجماهيرية للنشر، والتوزيع، والإعلان.

التعريفات للجرجاني دار الكتب العلمية بيروت.

الجامع أحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي [ت 671ه] إعداد المكتب الثقافي للنشر دار الفكر للطباعة والنشر، والتوزيع. الطبعة الأولى 1987م

شرح التاودي على لامية الزقاق بحاشية أبي الشتاء الحسن الغازي الشهير بالصنهاجي المسماة مواهب الخلاق ج398/2 . المكتبة الأزهرية للتراث.

صحيح البخاري بشرح فتح الباري. حقق أصولها، وأجازها الشيخ عبد العزيز بن باز. دار الفكر

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ذار الكتب العلمية.

. ج398/2 . المكتبة الأزهرية للتراث.

القواعد للمقري [ت759ه] تحقيق محمد الدردابي. دار الأمان الرباط 2012

القوانين الفقهية لابن جزي [ت 741هـ] دار المعرفة

موطأ الإمام مالك بن أنس برواية يحيى بن يحي الليثي. منشورات المجلس العلمي الأعلى. مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء. ط الأولى 1443ه المصباح المنير

مفردات الفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني [ت425ه] تحقيق صفوان عدنان داوودي. دار القلم دمشق، دار الشامية بيروت

مفاتيح الغيب للرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - 1420 هـ

مقاصد الشريعة ص 464 تحقيق ودراسة محمد الميساوي. دار النفائس الأردن

الموافقات كتاب المقاصد المسالة الرابعة. تحقيق عبد الله دراز 14/2 ط وزارة الأوقاف السعودية.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.19.10